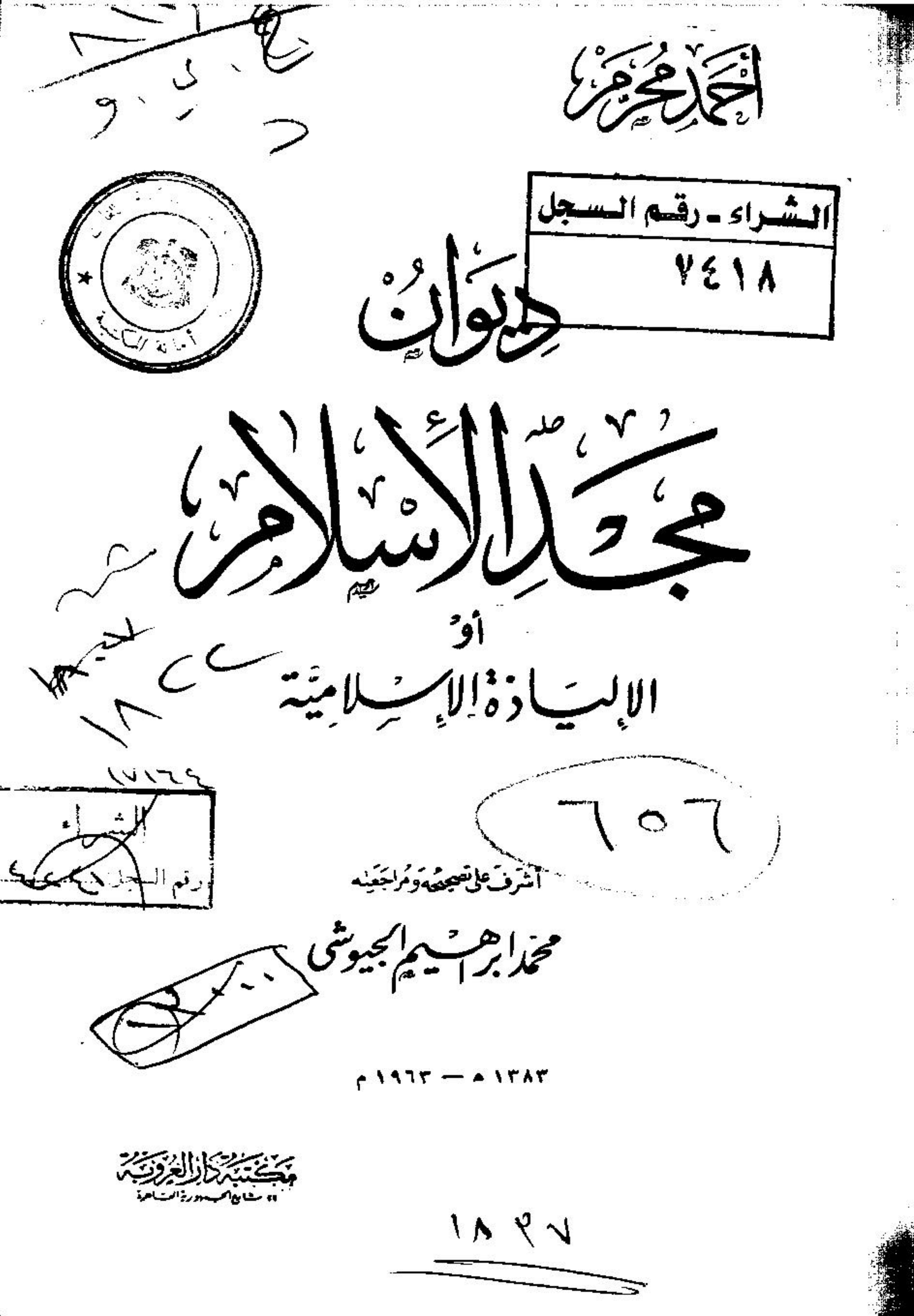


أحمد محرم

ديوان مجد الإسلام

أو

الإلياذة الإسلامية

أشرف على تصحيحه ومراجعته

محمد ابراهيم الجيوشي

١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م

مكتبة دار العروبة
٢٢ شارع الجمهورية القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنسانٌ بَرَأ اللهُ أصولَهُ — فى الدهر الأوّل — من أكرم مَعادنِ الإنسانية . ثمّ اختارهُ — بسبب ذلك — لحملِ أكمل رسالات السماءِ إلى أمم الأرض ، فأدّى الأمانة بأشرفِ ما عرفَ تاريخُ الإنسانية من براعةٍ فى حفظها ، ولباقةٍ فى حُسنِ عَرضها ، وكياسةٍ فى إشراكِ الصفوة المختارة من أبناء الأُمم فى تَذوُّق حلاوتها ، وتوضيح جمالها للناظرين .

واندفَعَت سفينة الزمن فى بحرِ الحياةِ اللُّجِّىّ ، حاملةً هذه الأمانةَ من الجيل المثالى إلى جيل تلاه ، ثمّ إلى جيلٍ ثالثٍ قام بَعدهما ، حتى صارت الأرضُ غيرَ الأرض ، فكان الحقُّ والباطلُ فى صراع ، والخيرُ والشرُّ فى عِراك . وكثُرَ أهلُ الحقّ والخير الذين تخلّقوا — فى مختلف أقطار الشرق والغرب — بأخلاق ذلك الإنسان الكريم المعدِن ، فاضطُرّ الباطلُ إلى أن يتحوّلَ عن مواجهة الحقّ بالصراع السافر ، واستسلم له بالتقية والمراء والرياء والخديعة ، حتى توصّل — مع الشيطان — إلى كفّ يدِ ذلك الإنسان الكريم المعدِن عنِ الإمساك بدَفةِ السفينة ، فانتقلَتِ القِيادةُ والتوجيه إلى يد الباطلِ المُخادع ، وتحوّلَتِ السفينة عن طريقها ، ثمّ عن أهدافها ، منذ ألف سنة وأكثر . وكان الباطلُ فى خلال ذلك يُشوِّهُ سيرةَ ذلك الإنسان ، ويدسُّ فى تاريخه مالم يكن منه ، ويفسد عليه حتى عقيدته فى نفسه ، مع ماهو قائمٌ به من إضعاف إيمان الأمم به ، إلى أن استسلم الإنسانُ الكريم المعدِن لليأس والعزلة ، ومُنِيَ بالضعف والشّلَل ،

وانحدر فى هاوية الفاقة والخذلان ، ونسى أمانته فكانت مدفونة تحت الخرابة التى انضوى إليها ، وانطوى بين أنقاضها ، ولم يعد يعرف أن له رسالةً بُعث بها من السماء إلى أهل الأرض ، ولا أنه صاحب تلك الأمانة التى سعِدَت بها الانسانية فى أزهر عصورها ، وآلت بعد ذلك إلى أن تُدفن تحت الأنقاض فتكون مجهولة حتى من وارثها الذى ألِفَ العيشَ بين أنقاض الخرائب .

* * *

تلك هى صورة الناشئ العربىّ التى كانت فى عقلى ، وقلبى ، وأعماقِ نفسى ، قبل أكثر من ستين عاماً ، وكنتُ حينئذٍ فى دراستى الثانوية بدمشق ، بين سنتى ١٣٢٠ و ١٣٢٣ ، مع لداتى من صفوة من عرفتهم من فتيان العروبة والإسلام ، وفى طليعتهم الشهيدان السعيدان : الأمير عارف سعيد الشهابى ، والدكتور صالح قنباز ، والفقيدان العزيزان الدكتور صلاح الدين القاسمى ، وزكى الخطيب .

هى صورةُ العُروبة والإسلام وقد تنكَّر لهما أهلوهما ، بما شوَّهَتْهُ الشعوبية من تاريخهما الأمجد ، وعلمهما الخالد ، فى آفاق الأرض المعمورة المعروفة فى ذلك الحين

هى صورةُ أمّى وأمّتى ،

صورة وطنى ولغتى ،

إنها صورتى يومئذٍ ، وصورة الجيل الذى أنا منه

هى صورة شباب فى دنيا العروبة والإسلام لا يعرفون مَن هم ، ولا مِمَّن هم ، ولا رسالتهم إلى الإنسانية ، ولا المصير الذى تتوجَّه إليه سفينتهم التائهة فى طريقها المجهول ، وهى تنحطُّ وترتفع بين الأمواج فى أوقيانوس الحياة ...

مَن نحن ؟

مِمَّن نحن ؟

مع مَن نحن ؟

ما هى رسالتنا فى الحياة ؟

سلسلةٌ من الأسئلة تساءلَ بها عقلى وقلبى ، واضطربَت فى أعماق نفسى ، وذاكرتُ بها لِداتى وأنا فى دراستى الثانوية قبل أكثر من ستين سنة ، واستفتيتُ أشياخى ، وعلى رأسهم الغريب الصابر الدائب الحكيم الشيخ طاهر الجزائرىّ ، الذى وصفته يومئذٍ ببيانى الصبيانىّ :

بَينَ فَوْدَيه للمـــدارِكِ عُشٌّ
صَمتُهُ إفهامْ
وبماضـــيه للحقائقِ نَقْشٌ
كذَّبَ الأوهامْ
ولآتيــهِ فى الترائبِ عَرشٌ
جُندُهُ الأيامْ

كان ـ والكلُّ فى ظلامٍ وظُلمٍ ـ
ناظرَ الكلِّ ، فاكِراً ، فى وُجومِ
صاعداً للذُّرى بعَــزمٍ وحزمٍ
مُشرِقاً مُغرِباً كهٰذى النجــومِ
تشهدُ الأقوامْ

خَطَّ فى العرب للفضيلةِ رَوضــاً
نَبْتُهُ الكُمُّ فى رجال النهــوضِ
طيرُهُ الحقُّ فى غُصــونِ القَريضِ
قامَ للمجدِ والفضـــائلُ ترضى
أنَّها أعلامْ

سايرَ العلمَ منــذُ كان قديماً
باحثاً فى العصـــور والأجيال
دارساً ســـيرةَ العقولِ مُديماً

في القلوب الإيمانَ والآمالِ
فكرُهُ إلهام
نَدْوةُ البحث والمدارسُ شِيدَت
والورَى مِهذار
ناصعُ الحقِّ والعلومُ أُشيعَتْ
إذ غزا الأخطارْ
كُتَلُ الضوءِ منذ شبَّ أُريقَتْ
في بلاد الشام

من هذا الشيخ الحكيم، عرفتُ عُروبتي وإسلامي.

منه عرفتُ أنَّ المعدِنَ الصَّدِىء الآن، الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصولَ العروبة ثمّ تخيَّرَها ظئراً للإسلام، إنما هو معدِنٌ كريم لم يَبرَأ اللهُ أمةً في الأرض تُدانيهِ في أصالته، وسلامته، وصلابته، وعظيم استعدادِهِ للحقِّ والخير.

وكان من منهاج الدراسة في مدارس الحكومة العثمانية يومئذ تعليمُ اللغة الفارسية، وكنّا نتلقى من أستاذنا الفارسي كتاب «كلستان» الخالد لمصلح الدين الشيخ سعدي الشيرازي (المتوفى سنة ٦٩١) تلاوةً وفهماً وحفظاً، وكان المدرس إذا رآنا معجَبين بالبيان المعجز المنثور في كتاب الشيخ سعدي يحدِّثنا عن البيان المعجز المنظوم في كتاب (الشاهنامه) لأبي القاسم الحسن بن إسحاق الفردوسيِّ الطوسي (٣٢٠ — ٤١١)، وكيف دأب في صباه على قراءة كتاب (الباستان) في تاريخ الفرس وأساطيرهم حتى كاد يستظهره لكثرة ما ردّد من قراءته، وكيف كان يختلف إلى بقايا دهاقين المجوس ليستمعَ منهم بلذة وشغف قصص الأكاسرة وعَبَدَة النار، والمبالغات الإيرانية في سردها والافتخار بها.

ثمَّ قصد إلى قصر الإمارة في غَزْنة، واتصل بالعسجدي والفرخي شاعري يمين

الدولة السلطان محمود بن سُبُكْتُين ، فبرهن لها على بلاغته وقوّته فى نظم الشعر الفارسى ، وعلى سعة معرفته بتاريخ إيران القديم . واتصل خبره بيمين الدولة فأنزله فى جناح من قصره ، وندبه لنظم أمجاد الفرس ، فسلخ ثلاثين عاماً فى قصر الإمارة بغزنة ، وفى قرية رزان من أعمال طوس ، وهو ينظم (الشاهنامة) حتى بلغتْ ستين ألف بيت من الشعر الذى يعدُّ بالفارسية من السهل الممتنع ، ولو شاء بليغ أن ينثر نظمه لما وجد فى الألفاظ ما يستعمله خيراً من الألفاظ التى استعملها الفردوسى فى أبيات الشاهنامة .

لقد كنت أقول فى نفسى وأنا أسمع مبالغة أستاذنا الفارسى فى وصف الشاهنامة والاشادة بعظمتها : أليس فى دنيا العروبة والإسلام من يقوم للعروبة والإسلام بمثل هذا العمل الأدبى الكبير ، ليتعرف شبابنا إلى أكمل قومية برأها الله فى الدهر الأول ، وأعدها للقيام بأكمل رسالات الله إلى خلقه ؟

أيكون للمجوسية وظلمات الظلم كتاب يخلدها ، ولا يكون للفطرة السليمة الكاملة ، ورسالة الله العظمى ، من يدل عليهما ، ويدفع الناس فى طريقهما .

وذهبت إلى بيروت لأكمل فيها السنة الأخيرة من دراستى الثانوية ، وكانت بيروت من ميادين الطباعة العربية والدراسة العصرية والادب ، غير أن الاستعمار الثقافى الأجنبى أفسد على اللبنانيين واللبنانيات ألسنتهم ، وقد التحق بمدرستنا شاب من الأسرة الشهابية اللبنانية — كان قبل ذلك فى مدرسة عين طورة ، وحذق فيها الفرنسية ، وصار ينشد فيها من الشعر ما لا يقل به عن أى فرنسى مثقف فى مثل سنه ، وكان فى يوم الأحد إذا ارتفع العلم الفرنسى على سارية القنصلية الفرنسية يأخذ بيدى ويضعها على قلبه ويقول لى : ألا تشعر بخفقان قلبى لتموجات هذا العلم ؟ فترجع ذاكرتى إلى أسلاف هذا الأمير الشهابى الذين انتقلوا من جزيرة العرب فى أزمنة الفتوح الأولى ، وكانت لهم مواقف

مشرفة فى تشييد أمجاد العروبة والإسلام ؛ ثم ينحط سَليلُهم فى مدرسة عين طورة إلى هذه الهاوية السحيقة من المسخ والانسلاخ ، مع ذكائه وبراعته وقابليته للسبق فى أى الطريقين يسلكهما من الخير والشر .

وانتقلتُ إلى القسطنطينية فى نهاية تلك السنة ، والتحقت بكليتى الحقوق والآداب معاً فى العاصمة العثمانية ، وتعرفتُ إلى شباب العرب من أبناء سوريا والعراق وسائر الأقطار العربية ممن يطلبون العلم هناك أو يجرون وراء الوظائف ، فرأيتهم يرطنون فيما بينهم بالتركية ، ويكتبون بالتركية ، ويتأدبون بالأدب التركى ، ولا هَمَّ لهم إلا أن يتجمَّلوا للسادة الأتراك ، ليتوظفوا فى وظيفة يعيشون منها ، ويمضون على ذلك إلى أن يموتوا . . .

إن لهذه المناظر حكايات طويلة ، وكانت هى الحاملة على تأسيس (جمعية النهضة العربية) فى القسطنطينية من يوم الإثنين ٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٤ ، وهى النواة الأولى التى زرعت فى صميم بيئة الشباب العربى ليتعرف إلى عروبته وأمجاد إسلامه .

وفى تلك الحقبة ظهرت ترجمة (الإلياذة) اليونانية نظماً بقلم سليمان البستانى ، فجددت فى نفسى لواعج ذكرياتى عن (الشاهنامة) ، وصار من رسالتى فى الحياة أن أرقب الشاعر المؤمن بالعروبة والإسلام ، لأحرك فى قلبه الشعور بحاجتنا نحن العرب المسلمين إلى من يعرِّفنا بمعدِن عروبتنا الكريم ، ويجدِّد لنا إيماننا برسالتها العظمى وما كان للإسلام من أمجاد لا نظير لها فى تاريخ الإنسانية .

ولما توطنتُ مصر الحبيبة ، وتأسستْ جمعية الشبان المسلمين ، جمعنا مجلس من مجالسها بأمير الشعراء شوقى ، وكان فى هذه الجلسة الأستاذ عبد الحميد سعيد والاستاذ محمد أحمد الغمراوى والدكتور يحيى الدرديرى وغيرهم ، فانتهزتُ هذه الفرصة وتحدثت عن الشاهنامة والإلياذة ، واقترحت على أمير الشعراء أن يكون أعظم أحداث إمارته فى الشعر إهداء مثل هذه الهدية إلى العروبة والإسلام وأدبهما

وعظمتهما من ماضيهما إلى حاضرهما ومستقبلهما . واستمع شوقى إلى هذا الحديث ، ولم يَعِدْ ولم يرفض ، ثم زاره وفد فى منزله لتجديد هذا الحديث معه ، فبقى عند موقفه من الصمت والابتسام ، ثم ظهر بعد ذلك كتيبه عن دول الإسلام ، ولعله كان من أثر هذا الاقتراح ، لكن المطلوب كان أعظم من ذلك ، وقديماً قيل : « إذا عظم المطلوب قلّ المساعد » .

كان حديثى فى صدر هذه الكلمة عن طفولتى والجوّ الذى كنت أعيش فيه ، ومن ذكريات طفولتى أننى كنت شديد الإعجاب بشعر الأستاذ أحمد محرَّم ، وعندى الآن من آثار ذلك العهد دفاتر كنت أدوّن فيها ما أختاره لنفسى من جيد المنظوم والمنثور ، ومنها قصائد هذا الشاعر العظيم .

فلما عقد الله الصلة والمحبة بينى وبينه وأنا فى مصر ، وجّهتُ إليه هذا الاقتراح وقلتُ له : لعلّ الله سبحانه قد ادَّخر لك هذه المهمة واختارك لها ، لأنك أقرب شعرائنا إلى إخلاص القول والعمل ، وأكثرهم توخيا لمرضاته . فاستجاب رحمه الله لهذه الدعوة ، وجاشت نفسه بهذه الفرائد الغُرّ من (ديوان مجد الإسلام) ، فأخذتُ أنشر أوائلها على الناس من صحيفة الفتح ، ثم نشرت منها قطعًا فى مجلة الأزهر لما كنت أشرف على تحريرها .

إن أمجاد العروبة والإسلام أعظم من أن يحيط بها شاعر ، ولا سيما وأكثرنا لا يزالون متأثرين بما شوّهَتِ الشعوبية من تاريخنا ، ومع ذلك كان (ديوان مجد الإسلام) أعظم ماظهر للناس حتى الآن مجموعًا فى كتاب واحد من ومضات هذه الأمجاد ، وستتمتع به نفوس محبّى الأدب الرفيع والنظم البليغ أزمانا وأزمانا ، إلى أن يوجد الشاعر الذى يكتشف سرّ الله فى اختياره العربية لغة لتنزيله ، والعروبة بيئة لأكمل رسله ، وأهلها أصحاباً له وأعوانًا على حمل رسالته إلى آفاق آسيا وإفريقية ثمّ إلى أوربا .

أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة العروبة والإسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة فى تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها فى الماضى ، ولن تستوفىَ هذه الرسالةُ مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلى نظام الفطرة الطاهرة ، وذلك متوقف على شيء واحد ، هو أن يعرف العرب والمسلمون من هم وممّن هم ، وما هى رسالتهم فى الحياة . ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج تعليمهم ، وأسس ثقافتهم ، ومعالم أدبهم ، على هذه المعرفة والإيمان بلوازمها ، وتعميم طريقهم نحو أهدافها . ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والإسلام ، وتجريده مما دُسّ فيه .

ولعل (ديوان مجد الاسلام) وهذه الدعوة التى أقدّمها بين يديه هى الخطوة الأولى إلى هذه الأمنية ، والخطوات التالية لها هى استجابتك أنت أيها القارىء العربى المسلم لذلك ، فليأخذ كل منّا رايةَ هذه الأمجاد بيده اليمنى ، ولنتقدم بها إلى الأمام على بركة الله ، والله أكبر ولله الحمد ؟

محبُّ الدين الخطيب

روضة الفسطاط
٢٠ المحرم ١٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من يطالع الصحف والمجلات المصرية منذ ثلاثين عاما ــ خاصة المعنية بالشئون الإسلامية والقضايا الأدبية ـ مثل الفتح ـ والبلاغ وأبولو ، يجد آثار فرحة غامرة تملأ جوانب هذه الصحف، ويتناقلها كتابها وأدباؤها ابتهاجا بالبشرى التى أعلنها صاحب الفتح عن اضطلاع شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم بتسجيل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام .

واتسع مجال هذه الفرحة حتى شمل أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى فى الهند والعراق أن هيأ الله للإسلام شاعراً مثل أحمد محرم يسجل مفاخره ويشيد بأمجاده .

كان ذلك منذ ثلاثين عاما يوم أن كان الديوان فكرة وليدة لم تكد تطلع على الناس إلا تباشيرها الأولى .

ولكن متى نشأت هذه الفكرة ؟ ومن صاحبها الأول الذى أوحى لمحرم بها ؟

إن أحمد محرم يتولى بنفسه الإجابة عن هذين السؤالين بما عثرنا عليه فى أوراقه الخاصة . تحت عنوان الفكرة الأولى فى نظم الديوان ، وهو كتاب من السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح بعث به إلى الشاعر يقترح عليه فكرة الديوان، ويدعوه إلى الاضطلاع به وكان ذلك فى ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ .

وهذا هو نص الخطاب :

سيدى الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربى وشاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإن من دلائل رضاء الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة ، لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح

صدركم لتأييده ، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف فى صفوفه ، ورب فارس واحد خير من ألف .

وكنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعا كنا نحاول إقناع شوقى بك رحمه الله به ، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معانى الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامى الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية . والحربية الخ ونظم كل مفخرة منها فى قطعة خالدة تنقش فى أفئدة الشباب ، فإذا ذخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف أوزانها وقوافيها أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها .

أليس من العارأن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعا قويا مكبراً بأعظم المكبرات فتكون من ذلك «شاهنامة الفردوسى » وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر كالإلياذة تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا ، والإسلام الذى لم تفتح الإنسانية عينيها على أعلى منه رتبة ، وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه فى تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله ، لأن الذين دونوا تاريخ الإسلام كانوا أحد رجلين،رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب إلى رجال الدولة الجديدة بتسوىء محاسن الدولة القديمة ، ورجل اتخذ من الشموس الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى مثلا أعلى ، فكل قمر من أقمار العرب مذموم عنده ، موصوف بالضآلة والنقص . لأنه لا يراه إلا على نور تلك الشموس التى هى فوق الإنسانية ، ولا تقاس مواهب البشر بمواهبهم : بل إن عثمان وتضحياته وأخلاقه الملائكية ، محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين ، ومعاوية الذى تتمنى أية أمة من عظام الأمم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله صرنا نسمع

خمه من أقذر الناس، وأحط السوقة، والأمين الذى كان يعدُّ من أفصح قريش فى زمانه رسموا له فى أذهان الناس صورة قبيحة ؛ بل يزيد الذى كان كبار الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب الكثيرون بها إلى الله جهلا وتعصباً .

أقول هذا وأنا علوىّ ، لكنى أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هى من دواعى الفخر . بينما أبناؤنا يتعلمون من الأوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقى لشممنا نتنه .

مَنْ مِنْ شبابنا يعرف مسلمة بن عبد الملك كأنه معاصر له ، ويعرف قتيبة ابن مسلم كأنه مجاهد فى جيشه ؟

إن الذى قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء وأكثر شعرائنا مشغولون بجمال المرأة . ومصروفة عقولهم عن الخير ، وهم يسرقون من دواوين شعراء الإنجليز . فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والإسلام . وقراءة ما بين سطوره واستنباط المفاخر من أصعب مواقفه التى قد يخيل إلى قصير النظر من الناس أنها مواقف اندحار ، مع أن ما يبذل فيها من جهاد العباقرة قد يكون أعظم وأمجد مما يبذل يوم تكون الرياح مؤاتية والنجم فى طالع السعد .

أكثرت عليكم . ولكنى لم أجد قلباً أفضى إليه ببعض ما فى قلبى غير قلبك وقد يكون أن اختصك الله بهذا الفضل فألهمنى أن أشغل هذه الصفحات وهذه الدقائق بالإفاضة إليك به .

والسلام عليكم ورحمة الله .

٢

كان ذلك منذ ثلاثين عاما حينما اتضحت معالم الطريق لإقامة ذلك البناء الأدبى الشامخ ، وأخذ محرم يعلن على العالم الإسلامى بواكير هذا العمل الفنى الضخم .

ومضى محرم فى طريقه وهو واضع نصب عينيه أن يقدم خلاصة نقيه للتاريخ الإسلامى فى قالب شعرى مكتمل الفن واضح الأداء قوى التعبير ، حتى يلفت الشباب إلى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم و يدفع عنهم عقدة النقص التى جعلتهم ينظرون إلى آثار الأمم الأخرى كما ينظر الأقزام إلى العمالقة .

وحشد محرم كل طاقاته الفنية وعكف على التاريخ الإسلامى يستخلص حقائقه ويستوعب مفاخره و يسجلها فنا عاليا يسنده صدق الواقع وتؤكده حقائق التاريخ وقد تهيأ له عاملان رئيسيان كان لهما أكبر الأثر فى نجاحه و بلوغه بالفكرة غايتها المنشودة وأملها المرجو .

أولهما : شاعرية أصيلة ناضجة وقوة فنية قادرة على استيعاب الحقائق وتمثل التجارب الإنسانية تمثلا حيّاً يعيش فى ظلالها و ينفعل بها .

وثانيهما : إخلاص شديد وإيمان عميق وحب جارف واقتناع لاحدّ له بالإسلام ومبادئه ونصاعة تاريخه و بطولات رجاله .

و بفضل هذين العاملين استطاع محرم أن يمضى فى عمله الأدبى الشاق لايحفل بالعقبات ولا يلقى بالا إلى المصاعب وأن يعرض الروح الإسلامية عرضاً فيه صدق الواقع ونقاء الفن وجمال الصورة .

وقد تحدث أحمد زكى أبو شادى فى هذا المعنى فقال « طبيعة أحمد محرم الأدبية طبيعة فنية ناضجه . فتاريخه ليس مجرد تاريخ إنما هو عرض فنى شائق للروح الإسلامية العالية التى فتحت الأقطار ونشرت العدل واستوعبت الثقافة ، ودعمت الحضارة ، وزادتها تأنقاً على تأنق وليس كل شاعر قدير كفؤا لتسجيل ذلك تسجيلا زاهياً هو اللباب النضر الحىّ ، وليس القشور الجافة والتواريخ الميتة .

هذا الشاعر العظيم الإيمان العظيم الشمم يمثل بأدبه آخر حلقة من التطور الإسلامى الفنى ، فهو على شيخوخته فى قوة الشباب الذهنية ، وفى توثب الشباب الجرىء ، وهو هو الشاعر الإسلامى الجبار الذى يستطيع بمواهبه أن ينصف روح

الإسلام وسيرته ، وأن يكون القدوة لغيره من الفنانين والمصورين . والنحاتين وسواهم لتخليد روح الاسلام الفنية فى آثارهم كما يخلدها هو فى شعره لتربية الجيل الناشئ والأجيال التالية تربية إسلامية عالية . . .

مجلة الفتح ٢٦ من شوال سنة ١٣٥٣

٣

وكان المنتظر أن نجد هذا العمل تشجيعاً من الدولة . وتأييداً من الهيئات المعنية بالأمور الثقافية . وأن تقدم للشاعر من العون المادى مايعينه على المضى فى سبيله ، وييسر له التفرغ لعمله هذا غير أن الواقع كان غير هذا ، ولولا همة محرم العالية وقدرته على الصمود لشغلته مطالب الحياة وقعدت به عن الوصول إلى نهاية الطريق . وتعالت صيحات الكتاب والأدباء تدعو إلى أن توفر الدولة أو الهيئات الثقافية للشاعر ما يساعده على المضى فى طريقه إلا أن ذلك لم يجد أذنا صاغية .

فبدأ الشاعر يدق أبواب المسئولين ويطلب إليهم القيام بطبع الديوان . سواء عن طريق المقابلات الشخصية أو الخطابات حتى يمكن أن يطلع عليه الشباب ويراه المثقفون مادامت قد عجزت موارده المادية عن تحقيق هذه الغاية ، ويحدثنا محرم فى أوراقه . أنه اتجه إلى القصر الملكى بعد أن أتم الجزء الأول من الديوان يعرض عليه فكرة طبعه حرصا على تحقيق الفائدة منه ، وأن رئيس الديوان بعث إليه بخطاب بعد عام يخبره أن الديوان أحيل إلى وزارة المعارف لتحقيق رغبة الشاعر فى طبعه وأن عليه أن يتصل بوزير المعارف ، وفى لقاء بينه وبين وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل ينمو الأمل فى نفس محرم ويوشك أن يتحقق له ما يريد ، ولكن لم تكد تنتهى حرارة اللقاء حتى يلف الصمت الديوان ، ويبدأ الأمل يذوى ، ويخرج هيكل من الوزارة ، ويظل الديوان

حبيس الأدراج ؛ ثم يعود مصحوبا بالاعتذار عن طبعه إلى الشاعر ويقدم محرم بعد ذلك الديوان إلى وزارة الأوقاف ثم إلى مشيخة الأزهر فلم يكن حظه معهما خيراً من سابقهما .

ثم يقرأ أن مجمع اللغة العربية يعتزم القيام بتشجيع المؤلفات الأدبية فيبعث بخطاب إلى رئيس المجمع ـ محمد توفيق رفعت ـ يعرض عليه فكرة طبع الديوان فيرد عليه بنص المشروع الذى وضعه المجمع وهو قاصر على منح جوائز لما طبع للمتازين فى خلال عامين ، أو إقامة مباراة تعقد بين الأدباء فى موضوع تعينه اللجنة فى النقد والأدب والتاريخ .

وتتابعت محاولات أصدقاء محرم ومحبى أدبه ترتاد كل طريق عساها أن توفق إلى إخراج هذا الديوان فلم يقدر لواحدة منها النجاح . وكانت أمنية الشاعر أن يرى عمله هذا بين يدى الناس قبل أن تودعه الحياة إلا أن الله لم يرد ذلك ، وودع الشاعر الحياة فى يونية سنة ١٩٤٥ ولما يزل الديوان حبيس المخطوطات .

٤

وبعد وفاة الشاعر قام المرحوم ابراهيم نعيم أحد تلامذته والمقربين إليه بجمع تراثه ومحاولة عرضه على الهيئات الثقافية والإسلامية مجدداً المحاولة عساه أن يحقق لأستاذه بعد موته ما لم يتحقق له فى حياته وكل ما استطاعه أن قدم نماذج منه نشرت فى مجلة الرسالة والأزهر على فترات متتابعة ، وقد علمت فى أثناء بحثى عن آثار محرم أن الأستاذ نعيم قدم نسخة من الديوان إلى المؤتمر الإسلامى، وحاولت جهدى أن أعثر عليها فلم أوفق .

ثم التقيت بأحد أبناء الشاعر الأستاذ سليمان محرم فوجدت عنده الجزء الثانى والثالث من المخطوط وسجلا أثبت فيه الشاعر خطوات الديوان من يوم أن بدأ فكرة إلى أن صار عملا فنيا مكتملا ، وكذلك المحاولات التى قام بها لطبعه

وما كتبه الأدباء فى الصحف والمجلات حول موقف الهيئات من الديوان وقيمته الفنية .

ثم عثرت بعد هذا على نسخة مصورة من الديوان على « ميكروفلم » فى دار الكتب رقم (٣٧٤) وتفيد البيانات المسجلة عليه أن تصويره تم سنة ١٩٥٢ ثم قامت دار الكتب بتصوير الديوان فى نسخة من حجمه العادى تسهل قراءته وتوجد النسخة المصورة تحت رقم (٢٩٤٦٨ ب) وفى العام الماضى تجدد الأمل فى طبع ديوان مجد الإسلام وبدئت محاولة مع وزارة الثقافة والارشاد القومى وقدم تراث الشاعر إلى إدارة إحياء التراث بالوزارة فى يوليو سنة ١٩٦٢ ، وبعد مضى سبعة أشهر لم تصل الإدارة إلى نقطة حاسمة فى سبيل البدء فى إخراج التراث فاتجه ابن الشاعر الأستاذ محمود محرم إلى دار العروبة واتفق معها على طبع ديوان مجد الإسلام . وأذن الله لهذا الأمل أن يتحقق بعد أن ظل حائراً ثلاثين عاما .

٥

وكان اعتمادنا فى مراجعة الديوان على نسخة مصورة منقولة من نسخة دار الكتب ومقابلتها على مخطوط بيد الشاعر نفسه للأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان أما الجزء الرابع فلم نعثر على مخطوط له واضطررنا إلى الاكتفاء بنسخته المصورة .

وقد وجدتْ بعض اختلافات طفيفة فى ترتيب القصائد وتتابع بعض أبياتها أشرنا إليها فى مواضعها .

ونحب أن نشير إلى أن النسخة المصورة مكتوب على غلافها ما يشير إلى أن الشرح والتعليق من عمل الأستاذ ابراهيم نعيم . إلا أن الأجزاء المخطوطة التى عثرنا عليها بيد الشاعر نفسه تفيد أن الأصل والشرح والتعليق من عمل الشاعر وجهده لا جهد سواه .

٥

قسم الشاعر ديوانه مجد الإسلام إلى أربعة أجزاء تجد فى الصحيفة الأولى من كل جزء آيات تحث على الجهاد وفى الصحيفة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين فى علم المغازى والسير .

وتحدث الشاعر فى الجزء الأول عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ثم عن هجرته ثم عن استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وموقفه من اليهود والمنافقين ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات . استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثانى والثالث .

وفى الجزء الرابع : تحدث عن الوفود التى وفدت على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تحدث عن الكتب والرسل التى بعث بها إلى الملوك والحكام .

ثم تحدث بعد ذلك عن السرايا التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وختمها بآخر عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم قبل لحاقه بالرفيق الأعلى وهو إرساله إسامة على رأس جيش إلى غزو بلاد الروم .

٦

أطلق كثير من الكتاب على ديوان مجد الإسلام اسم . . الإلياذة الإسلامية وتعرض بعض الكاتبين المتحمسين لموازنات ومقارنات بين إلياذة هو ميروس والإلياذة الإسلامية ، غير أن الكتابة على هذا النحو لم تكن قائمة على أساس سليم ؛ ذلك أن محرما لم يقصد بعمله هذا أن يكتب إلياذة كإلياذة هو ميروس تتوفر لها الصفات الفنية التى تتوافر فى الإلياذة بمعناها المفهوم عند الأور بيين .

وإنما أراد محرم أن يسجل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام فى لوحات فنية رائعة تكون نماذج ومثلا للشباب، يعرف عن طريقها مجد آبائه ، وبطولات أجداده ، فإن جاء بعد ذلك من أطلق على هذا العمل اسم الإلياذة فليس معنى

هذا أن نتطلب من محرم فى ديوانه مجد الإسلام ما نتطلبه فى الإلياذة من خصائص فنية .

والإلياذة تعتمد على الأسطورة والبطولة ، ويسمح صاحبها لخياله أن يضفى على شخصيات أبطاله ما يشاء من صفات تجعلهم فى مصاف الآلهة ، ولا يهمه بعد ذلك أن يلتقى مع حقائق الواقع أو يصادمها ،مادامت قد أكتملت له صورته الفنية .

أما محرم وإن اعتمد فى ديوانه على البطولة ، فإنه قد التزم صدق التاريخ وتقيد بحقائقه ، وكان حريصا كل الحرص على أن يعرض أبطاله فى إطار مضىء من صدق الأحداث وحقائق التاريخ ، وكان نصب عينيه دائما أنه يجول فى ميدان يحتل من قلوب الملايين وعقولهم مكان التقديس والإجلال ، ولعل هذا هو السر فى أن محرما يأتى بين يدى كل قصيدة بمقدمة نثرية تتناول الخطوط العريضة لأفكارها .

وبعد . فهذا هو ديوان مجد الإسلام وتلك هى قصته التى استغرقت أحداثها ثلاثين عاما أوجزناها فى هذه السطور أما قيمة الديوان الفنية فمن حق الأدباء والباحثين فى العالم العربى والإسلامى أن يعرضوها على موازنيهم الأدبية وحسبنا أن ألقينا الضوء على المراحل التى سار فيها الديوان حتى أصبح بين أيديهم مادة للبحث والدرس .

وبالله التوفيق

محمد إبراهيم الجيوشى

حدائق القبة ـ القاهرة فى مساء الأحد ١٠ من المحرم ١٣٨٣ هـ
الموافق ٢ من يونيو ١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون ﴾ .

* * *

﴿ يا أيها النبي جاهِد الكفَّار والمنافقين واغلُظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .

* * *

﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسِهم أعظمُ درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ .

* * *

﴿ انفروا خفافا وثِقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسِكم فى سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

* * *

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقًّا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾ .

* * *

﴿ ولا تحسبَنَّ الذين قُتِلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقون ﴾ .

فی علم المغازی خیرُ الدُنیا والآخرة .

"الزهری"

کُنّا نُعَلِّم مَغازی رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

کَما نُعَلِّم السُّور من القُرآن .

" زين العابدين بن الحسين بن علي "

کانَ أَبی یُعَلِّمُنا المَغازی وَالسَّرایا

وَیقول : یابُنَیَّ إنها شَرَفُ آبائِکم

فَلا تُضیعُوا ذِکرَها .

" إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص "

مَطلَعُ النُّورِ الأَوَّل ﷺ

مِن أُفُقِ الدَّعوَةِ الإِسلَامِيَّة

مطلع النُّور الأَوَّل
مِن أُفُقِ الدَّعوةِ الإسلاميّة

إملأ الأرض يامحمد نورا — واغمر النـاس حكمة والدُّهورا

حجبتك الغيوب سراً تجلى — يكشف الحجب كلها والستورا

عبَّ سيل الفساد فى كل وادٍ — فتدفَّقْ عليه حتى يغورا[1]

جئتَ ترمى عُبابهُ بعُبابٍ — راح يطوى سُيولهُ وَالبحورا

ينقذُ العالم الغريقَ ويحمى — أُمم الأرض أن تذوق الثبورا[2]

زاخر يشمل البسيطة مدًّا — ويعمُّ السّبع الطِّباق هديرا[3]

أنت معنى الوجودِ ، بل أنت سرٌّ — جهل النـاسُ قبله الأكسيرا[4]

أنت أنشأت للنفوس حياةً — غيرت كل كائنٍ تغييرا .

أنجب الدَّهرُ فى ظلالك عصراً — نابهَ الذكر فى العصور شهيرا

كيف تجزى جميلَ صُنعك دُنيا — كُنت بعثاً لهـا وكنت نُشورا؟

وَلدتك الكواكبُ الزُّهرُ فجراً — هاشمىَّ السَّنا ، وَصُبحاً منيراً

يَصدعُ الغيهبَ المُجَلّلَ بالوحـ — ـىِ المُلَقّى ، ويكشفُ الدّيجورا[5]

منطق القدرة التى ترهق القا — در عجزاً ، والعبقرى قصورا .

كُلُّ ذِمر رمى النُّفوس بوتر — من حطاياه ردَّه موتورا[6]

---

(۱) غار الماء ذهب .

(۲) الثبور الهلاك .

(۳) الهدير الصوت والغليان .

(٤) الاكسير ما يلقى على الفضه ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

(٥) الديجور الظلام .

(٦) الذمر الشجاع والوتر الثأر أو الظلم فيه وأكثر مايستعمل فى العداوة بسبب القتل =

خرت العُرب من مشارفها العُلـ يا تُوالى هوِيًّا والحُـدورا
بات فيها ملك البيان حريباً يسلم الجنـد والحمى والثُغورا[1]
أنكر الناس ربهم وتولوا يحسبون الحياة إفكاً وزورا
أين من شرعة الحياة أُناسٌ جعلوا البغى شرعةً والفجورا ؟
تلك أربابهم : أتملك أن تنـ فع مثقال ذرة أو نَضيرا ؟
قهروها صناعة ، أعجب الأرْ باب ما كان عاجزاً مقهورا
مالدى «اللات» أو «مناة» أو «العُز ى » غَنَاءٌ لمن يقيسُ الأمورا
جاء دين الهدى وَهبَّ رسول اللّـهِ يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته فتداعى ، وَكان خطباً عسيرا
جثمت حوله الحصون ، وظن الـ قوم ظنَّ الغرور أن لن تطيرا
هدَّها ذو الجلال حصناً فحصناً بالحصون العُلى ، وَسوراً فسوراً
بالرسول الهادى ، وبالصفوة الأمـ جاد يَقضون حقـه الموفورا
يُهرقون النفوس تلقى الردى المهـ راق مثل الغدير يَلقى الغديرا
إنَّ فى القتال للشعوبِ حياةً وَارِفاً ظِلُّها ، وَخيراً كثيرا
ليس من يركب الدَّنيةَ يخشى مركب الموتِ بالحياةِ جـديراً
أمنَ الحقّ أن تصدّ قريشٌ عن فتاها وأن تطيل النَّكيرا ؟
سل أباجهلها وَقوماً دعاهم فاستجابوا جهالة وغرورا
أولعوا بالأذى ، فألفوا رسول ا للّهِ جلداً على البلاء صبورا
كُلَّما أحدثوا الذُّنوب كباراً وَجدوهُ لِكُلِّ ذنب غفورا
مابهِ نفْسُهُ فيغضب يرضيـ ها وَتُرضيه ناعماً مسرورا

= وحظاياه جمع حظية . وهى السرية المكرمة . والمعنى منصرف إلى فرسان البلاغة وما يجودونه من كلامهم .

(١) الحريب السليب .

إنه الله ، لا سواه . وَدِينٌ ملك النفس ، وَاسترق الشُّعورا
يجد الناس وَالمقاديرَ فيهِ وَيرى ما عداه شيئاً يسيرا
مازكا سابقٌ من الرُّسل إلا هو أزكى نَفْساً ، وأصفى ضميرا
جاءه عمُّه يَقول : أترضى أن يقيموك سيِّداً أو أميرا ؟[١]
وَيَصبُّوا عليك من صفوة الما ل حياً ماطراً ، وَغيثاً غزيرا
قال : ياعم ما بُعثت لدنيا أبتغيها ، وما خلقت حصورا[٢]
لو أتونى بالنيّرين لأعرض ت أريهم مطالبى والشُّقورا[٣]
إن يشيروا بمـا علمت ، فانى لأدعُّ الهوى ، وأعصى المشيرا[٤]
دون هذا دمى يراق ، وَنفسى تُطعم الحتف رائعاً محـذورا

---

(١) فى البيت وما يليه إشارة إلى مجيء أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم إليه يبلغه رسالة قريش ويفاوضه فى شأنهم وشأن آلهتهم وقوله : ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته »
(٢) الحصور هنا الضيق الصدر ، والهيوب المحجم عن الشىء .
(٣) الشقور الحاجات والأمور الملتصقة بالقلب المهمة له . جمع شقر .
(٤) دعه دفعه دفعاً عنيفاً .

المُطعِم بن عَدِىّ

خرج الرسول الكريم من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبى طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفاً إلى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً . وبعث إلى المطعم بن عدى يقول : إنى داخل مكة فى جوارك . فأجابه إلى ذلك . وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبى صلى الله عليه وسلم فى طوافه بالبيت . وبقى المطعم بن عدى كافراً إلى أن مات ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له :

مارأينا كالمطعم بن عدى	جافياً واصلاً ، هيوباً جسورا
آثر الكفر ملة . وَأجار الد	ين مستضعفاً يدور شطيرا[(١)]
رام بالطائف المقام . فأعيا	فانثنى يطلب الأمان حسيرا[(٢)]
وَكَّل الله بالنُّبوّة منه	أسداً يملأ الفضاء زئيرا
قائماً فى السّلاح يجمع حولي	ه شبولا تحمى الحمى وَنمورا
يمنع القوم أن يصدوا رسول ا	لله عن بيته ويأبى الخفورا[(٣)]
نقض الحلف من قريش فأمسى	أسلمته العرى ، وكان مريرا[(٤)]

---

(١) الشطير الغريب والبعيد .

(٢) حسيرا كالا متعبا .

(٣) الخفور نقض العهد والغدر .

(٤) المرير ما اشتد فتله من الحبال . وحلف قريش هذا هو الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤدوا ديته مضاعفة . فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبى طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحاً إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين . وقيل سنتان . وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل إنه هو الذى مزق الصحيفة .

عجباً للغوىّ يعطيك منه عملاً صالحــاً ، ورأياً فطيرا[١]
ما رأينا من ظن بالزرع شراً لحمى أرضه . وصان البذورا
لوجزى الله كافراً أجر ما أحـ ـسن يوماً لخالته مأجورا

فى غار حراء

ظل مستخفياً بغار حراء يعبد الله عائذاً مستجيرا
يسمر القوم فى الضلال ويمسى للذى أطلع النجوم سميرا[٢]
راكعاً ساجداً يسبح مولا ه ، ويُزجى التهليل والتـكبيرا
تهتف الـكائنات ، يأخذها الصو ت ، تحيّى مكانه المهجورا
نال منها محلة لم ينلهـا صوت داود حين يتلو الزبورا
نبرات قدسية تتوالى نغماً رائعاً ، وتمضى زفيرا
ربّ . طال الخفاء ، والدين جهر رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا
ماجت الأرض حوله ، وتجلى ا لله ينهى بركانها أن يفورا
أوذى الدين فى الشعاب ، وردت يد سعد عـدوه مدحورا[٣]
رقمت فى الـكتاب أول سطر وأتم الدم المراق السطورا
أدبر القوم مخنقين ، فلولا ا لله كادت رحى الوغى أن تدورا[٤]
أزمع الضيف أن يؤم سواه منزلاً كان صالحاً . مبرورا[٥]
حلّه الوحى روضة شاع فيها رونقاً ساطعاً وفاح عبيرا

---

(١) لم يكتمل نضجه ولم يصدر عن تفكير وروية .
(٢) يسمرون : يتحدثون .
(٣) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضربه سعد بن أبى وقاص — وكان معهم رضى الله عنه — رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الإسلام. ومدحورا مطرودا
(٤) مخنقين من الخنق وهو الغيظ والوغى الحرب .
(٥) أزمع عزم ويؤم يقصد .

فى دار الأرقم بن أبى الأرقم

ودعا الأرقم استجب ، تلك دارى تسع الدين محرجاً محصورا
وافِها ، واجمع المصلين فيها عصبة إن أردت ، أو جمهورا[١]
وأتى ابن الخطاب يؤمن با لله ويختار دينه المأثورا
قال : كلا . لن يُعَبد اللهُ سرا ويُرى نور دينه مستورا
اخرجوا فى حمى الكتاب أسوداً واطلعوا فى سنا النبى بدورا
ذلكم بيتكم ، فصلوا وطوفوا لا تخافُنَّ مشركا أو كفورا[٢]

إرادة قتل الرسول وهجرته إلى المدينة

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القتـ ـلُ يُميط الأذى وَيشفى الصدورا[٣]
كذبوا . مادم الهزبر أما نىُّ مَهاذيرَ يكثرون الهريرا[٤]
لا وربّى ، فإنما طلب الكفّـ ـارُ بَسلاً . وحاولوا محظورا[٥]
أنّ نفس الرسولُ أمنع جاراً من طواغيتهم . وأقوى مجيرا
مالهم ؟ هل رمى النبى تراباً أم عَمًى فى عيونهم مذرورا ؟
ذهلوا مدةً . فلما أفاقوا أنكروها دَهْياء عزت نظيرا

---

(١) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه .
(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر .
(٣) أماط الشىء أبعده ونحاه .
(٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر ، والهرير صوت الكلب دون النباح .
(٥) البسل الحرام .

ينفضون التراب ، من مسّ منا — كُلَّ وجهٍ فردَّهُ معفورا ؟
أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟ — ما لأوصالنا تحسُّ الفتورا ؟
أمِنَ الحادثات ما يُذهل العا — قلَ عن نفسهِ ويُعمى البصيرا ؟
أين وَلى ؟ لقد رمانا بسحرٍ — فسكرنا وما شربنا الخمورا
ياله مُصعباً لو أنّا أصبنا — هُ على غرةٍ لخَرَّ عقيرا[١]
راح فى غبطةٍ . ورحنا نعانى — أملاً ضائعاً وَجَداًّ عثورا[٢]
خيبة تترك الجوانح حرى — يالها حسرة تشب وتورى[٣]
ربّ آتيته على القوم نصراً — فتباركت حافظاً ونصيرا
أنت نجّيته فهاجر يقضى الـ — حق لا خائفاً ولا مذعوراً
يوم ضجت جبال مكة ذعراً — وتمنت هضابها أن تمورا[٤]
تتنزىَّ أسى ، وتمسكها تمـ — نعها من ورائه أن تسيرا[٥]
هى لولاك لارتمت تقذف الصخـ — ر وتزجى هباءها المنثورا
هاجها من جوى الفراق وحر الـ — وجد ما هاج بيتك المعمورا[٦]
كاد يهفو فزدته منك روحا — فانثنى راجح الجلال وقورا
يا لها من محمد نظرات — زخرت رحمة ، وجاشت سعيرا
نظرات شجية لا تعد الـ — أهل أهلا ، ولا ترى الدور دورا
قال : ما فى البلاد أكرم من مكـ — ة أرضاً ، ولا أحب عشيرا
فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الله — أمضى قضاءه المقدورا

---

(١) العقير والمعقور بمعنى .
(٢) جدا عثورا حظا عاثرا .
(٣) تورى تشتعل .
(٤) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم .
(٥) تتنزى تسيل .
(٦) جوى الفراق ألمه وشدته .

إننى قد نذرت لله نفسى والتقىُّ الوفىُّ يقضى النذورا
نقطع البيد بعد صحب كرام قطعوا غارب العباب عبورا[١]
كم رشيد آذاه فى الله غاو زاده طائف الهوى تخسيرا
ضرب الصحب فى البلاد فأمسوا لا يصيبون صاحباً أو سجيرا[٢]
فى ديار لدى النجاشى غبر ظل فيها سوادهم مغمورا
وتولى وللأمور مصير يشترى ربه ، ويرجو المصيرا
يوم يمشى الصديق فى نوره الزا هى يوالى رواحه والبكورا
ينصر الحق ثائراً يمنع البا طل أن يستقر أو أن يثورا
لا يبالى غيظ القلوب ولا يح فل فى الله لائماً أو نذيرا

* * *

أقبل القوم يسألون : أتحت التـ رب ، أم جاور الطريد النسورا
نفضوا الهضب والجبالَ وشقوا الـ أرض طرًّا رمالها والصخورا
ويح أسماء إذ يجىء أبو جهـ ل عَلَى خدرها المصون مغيرا
صاحَ : أسماء أين غابَ أبو بكـ ر ، أجيبى ، فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ما عهدنا أَجَم الأسد تستشير الخدورا[٣]
فرماها بلطمةٍ تُعرض الأجْـ يال عن ذكرها صوادف صورا[٤]
قذفت قرطها بعيداً ورضت من وجوه النبى وجهاً نضيرا[٥]

---

(١) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وغارب العباب أعلاه . والبيد الصحارى .

(٢) السجير الخليل الصفى .

(٣) الأجم جمع أجمة والأجمة بيت الأسد . والخدور جمع خدر ، وخدر المرأة خباؤها ، والمعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال النساء .

(٤) من الصدوف والصور ، وهما بمعنى الميل والانصراف .

(٥) رضت بمعنى دقت أو كسرت .

في الغار الأكبر غار ثور

غارَ ثور ، أعطاك ربكَ ما لم ... يُعط من روعة الجلالِ القُصورا
أنت أطلعت للممالك دنيا ... ساطعاً نورها ، وديناً خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزاً ... كان من قبل عنده مذخورا
مخفرُ الحق لاجئاً يتوقى ... قام فيه الروح الأمين خفيرا
وقفتْ حوله الشعوب حيارى ... من وراء العصور ، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ، ويحكِ إن الـ ... ـحق أعلى يداً وأقوى ظهيرا[1]
لا تخافي ، فتلك دولته العظـ ... ـمى تناديك : أن أعدى السريرا
جاءكِ المنقذُ المحرر لا يتـ ... ـرك قيداً ولا يغادر نيرا[2]
ورثَ المالكينَ والرُسلَ الهـا ... دين بالحق أولا وأخيرا
الحـكيمِ الذى يهدُّ ويبنى ... فيجيد البناءَ والتــدميرا
والزعيمِ الذى يسن ويقضى ... لبنى الدهر غُيَّباً وحضورا
تترامى الأجيال بين يديه ... تتاقى النظام والدُستورا
ليس فى الناس سادةٌ وعبيدٌ ... كبر العقل أن يظل أسيرا
خُلِقَ الـكلُّ فى الحقوق سواءً ... ما قضى الله أمره مبتورا[3]
كذب الأقوياء ما ظلم الله ... وما كان مسرفاً أو قتورا[4]

---

(١) الظهير ـ المعين .
(٢) النير الخشبة توضع على عنق الثورين ليجرا ما يراد جره .
(٣) مبتورا مقطوعا .
(٤) القتور البخيل .

دَبَّرَ الملك للجميع فسوّى الْ أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
يا نصير الضعافِ ، حرر نفوساً تتمنى الفكاكَ والتحريرا
ضجت الكائنات ، هل من سفير يتلافى الدُّنى ؟ فكنت السفيرا
رب آتيتنا هداك وأنزلْ ت علينا كتابك المسطورا
فلكَ الحمد وافراً مستمراً ولك الفضل باقياً مذكورا

أبو بكر وحيّة الغار

صاحب القائم المتوج بالفر قانِ ، بوركتَ صاحباً ووزيرا
أنتَ واليته ، وعاديتَ فيه من توخى الأذى ، وأبدى النفورا(١)
أو لم تتخذ أباك عدوا وتذقه الهوان كيما يحورا؟(٢)
إذ يقول النبي : لا تضرب الشيـ ـخ وإن سبنى ، ودعه قريرا(٣)
إنما نلت بالمساءة منه والداً مدبراً ، وشيخاً ضريرا

* * *

ليت شعرى : أصبت حية واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟(٤)
نفثت سمها فما هز رضوى من وقار ، ولا استخف ثبيرا(٥)

---

(١) واليته ناصرته .
(٢) يحور يرجع .
(٣) يعنى مطمئنا .
(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر الصديق فنام على ركبتيه وقد بقى فى الغار شق لم يسد فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية فاحتمل أذاها وكره أن يتحرك فيوقظ النبي . وقيل إن عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه .
(٥) رضوى وثبير جبلان .

خفت أن توقظ النبي فما ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا

أكرم الله ركبتيك . لقد أعطاك سبحانه . فأعطى شكورا

أى رأس حملت يا حامل الإيمان سمحاً ، والبرّ صفواً طهورا ؟

سُراقة بن مالك يُريد قتل النبى

جعل كفار قريش لمن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسره مائة ناقة فذهب سراقة في أثره ، قال سراقة ـ بعد أن ساخت قوائم فرسه مراراً وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس . فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك . فأمر عامر بن فهيرة ـ وقيل أبا بكر ـ فكتب له العهد الذى طلب ـ أسلم بالجعرانة رضى الله عنه . قال له النبى عند منصرفه : « كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى » ، وقد ألبسه عمر إياهما في خلافته لما فتحت بلاد فارس .

إذن الله يا سراقة وانظر هل ترى الأمر هيناً ميسورا ؟

أم تظن الجواد تمسكه الأر ض وتلوى عنانه مسحورا ؟

أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضاً مستطيرا ؟

غرك القوم ، فانطلقت ترجّيه خسيساً من الجزاء حقيرا

وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين فضلاً كبيرا

فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر بسوارى كسرى فديت البشيرا

قل لأهل النياق : أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا سواى أجيرا(١) .

ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيراً(٢) .

---

(١) جللا عظيما .

(٢) السناء الرفعة .

بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْبُ

وأصحابه يأتون بعده

وأتى بعـــده بريدة يرجو   أن ينال الغنى ، وكان فقيرا
يركب الليل والنهار ، ويطوى الـ   بيد غبراً سهولها والوعورا
فى رجال من صحبه زعموا الـ   إغراء نصحاً ، واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرسول ففازوا   وارتضوها تجارة لن تبورا[1]
أسلموا ، وارتأى بريدة رأياً   ألمعيا ، وكان حرا غيورا
قال : ما ينبغى لمثل رسول ا   لله أن يألو البلاد ظهورا
كيف تمشى بلا لواء ، وقد أو   تيت من ربك المقام الأثيرا ؟[2]
ليس لى من عمامتى ومن الرمـ   ـح عذير إذا التمست عــذيرا
اخفقى ياعمامتى ، واعل يارمـ   ـحى فقد خفت أن تعود كسيرا
ومشى باللواء بين يديه   يتلقى السنا البهى نحورا

فى خيمة أُمّ مَعبد

ما حديثٌ لأمّ معبـدَ تسْتَسْـ   ـقيه ظمأى النفوس عذباً نميراً ؟
سائل الشّاةَ كيف درّتْ وكانت   كزّةَ الضّرع لا ترجّى الدُّرورا ؟[3]
بركَاتُ السَّمح المؤمّلِ يَقرى   أُممَ الأرض زائراً أو مزورا[4]
مظهر الحق للنبـوّة سبحا   نك ربٌّ فرد الجـلال قديرا

---

(١) تبور تـكسد .
(٢) المقام الأثير الأول .
(٣) يابسة الضرع . والدرور مصدر من در .
(٤) يقرى يطعم .

فى قُبَاءِ

يا حياة النّفوس ، جئت قبـاء جيئةَ الرّوح تبعث المقبـورا
إرفع المسجد المبـارك واصنعْ للبرايا صنيعك المشكورا
معقلٌ يعصم النّفوس ويأبى أن يميـل الهوى بها أو يجورا
أوصها بالصّـلاة . فهى علاجٌ أو سياجٌ يذودُ عنها الشُّرورا
غرس اللهُ دوحةَ الدين قدماً وقضـاها أُرومةً وجذورا[1]
لو أردت النّضار لم تحمل الأحـ جار توهى القوى . وتحنى الظُّهورا[2]
أرأيت ابنَ ياسرٍ كيف يبنى ؟ أرأيت المشَيَّعَ الشِّمِّيرا ؟[3]
أرأيت البنّـاء يستبق القو م صعوداً ، ويزدهيهم سؤورا ؟[4]
أرأيت الفحـل الأبىَّ جنيباً فى يَدِ الله ، والهزبر الهصورا ؟[5]
ينصبُ النّحر للحجارة والطّـين يُغير الحلَى ، ويُغرى النُّحورا
ما بنى مثله على الدّهر غِرٌّ راحَ يبنى خورنقاً أو سديرا[6]
يجد الحقُّ فى البناء حصـوناً ويرى الطّير فى البناء وكورا[7]

---

(١) الأرومة الأصل .

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول — لا — خذ مثله — وتومى تضعف . النضار الذهب .

(٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه . أسس النبى المسجد وأتمه هو . والشمير الماضى فى الأمور المجرب .

(٤) السؤور الوثوب والارتفاع .

(٥) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها . والهزبر الأسد .

(٦) الغر من لم يجرب الأمور والخورنق والسدير قصران للنعمان .

(٧) إشارة إلى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة .

شاده مرمراً وجلله كلـ ـساً فللطير فى ذراه وكور

حيّ بني عَمْرو بن عَوف

نزل النبي صلى الله عليه وسلم فى قباء على كلثوم بن الهرم كبير بنى عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان الموضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له .

بورك الحيُّ حيّكم يا بنى عم	رو بن عوفٍ ، ولا يزل ممطورا
كنت فيه الضيف الذى يغمر الأن	فس والدُّور نعمة وحبورا
ما رأت مثلك الديار ، ولا حيَّ	ـالك القوم فى الضّيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقالوا	أملالاً أزمعت عنّا المسيرا ؟[1]
قلت : بل يثرب انتويت وما أل	فيت نفسى بغيرها مأمورا
قريةٌ تأكل القرى ، وتريها	كيف تلقى البلى ، وتشكو الدّثورا[2]
طربت ناقتى إلى لابتيها	فدعوا رحلها وخلُّوا الجريرا[3]
رحمةُ الله . والسّلامُ عليكم	آل عوفٍ ، كبيركم . والصّغيرا

(١) تبين تبعد أزمعت عزمت .

(٢) الدثور الهلاك .

(٣) الجرير الزمام .

مِن قِبَاءٍ إلى المدينة

أقبل ، فتلك ديار يثرب تقبل ... يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التَّلوُّم والقلوب خوافقٌ ... يهفو إليك بها الحنين الأطول[١]
القوم مذ فارقت مكّةَ أعينٌ ... تأبى الكرى ، وجوانحٌ تتململ[٢]
يتطلّعون إلى الفجاج ، وقولهُمْ ... أفما يطالعنا النبيُّ المرسل ؟[٣]
أقبلت فى بيض الثّياب مباركاً ... يزجى البشائر وجهك المتهلّل[٤]
يا طيب ما صنع الزُّبير وطلحةٌ ... ولصنعك الأوفى أجلُّ وأفضل
خفَّ الرجال إليك ، يهتف جمعهم ... وقلوبهم فرحاً أخفُّ وأعجل
هى فى ركابك ، مابها من حاجةٍ ... إلاّ إليك ، وما لها متحول
هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... أُخرى بمكة دورها ما تؤهل
وفدان ، هذا من ورائك يرتمى ... عجلاً ، وهذا من أمامك ينسل[٥]
انظر بنى النّجار حولك عكّفاً ... يردون نورك حين فاض المنهل[٦]
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها ... كلُّ المواطن للنّبوّة منزل
نزلوا على الإسلام عندك . إنّه ... نسبٌ يعمُّ المسلمين و يشمل

* * *

(١) التلوم التمكث والانتظار .

(٢) الكرى ـ النوم . تتململ تتوجع من طول الانتظار كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة .

(٣) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٤) هى الثياب التى كساه إياها الزبير وطلحة فى قفولهما من الشام بتجارتهما .

(٥) ينسل يسرع .

(٦) كان معه فى قدومه من قباء إلى المدينة ملأٌ من بنى النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه . ويردون من ورد الماء إذا قصده للشرب .

ما للديار تهزُّها نشواتها ؟ أهى الأناشيد الحسان ترتَّل ؟[1]
رفَّتْ نضارتها . وطاب أريجها وترددت أنفاسها تتسلسل[2]
فكأنَّما فى كلِّ مغنًى روضةٌ وكأنَّما فى كلِّ دارٍ بلبل
هنَّ العذارى المؤمنات أقمنه عيداً تحيِّيه الملائك من عل
فى موكبٍ للهِ أشرق نوره فيه ، وقام جلاله يتمثَّل
جمع النبيِّين الكرام فآخذٌ بيد الإمام وعائذٌ يتوسَّل[3]
يمشى به الرُّوح الأمين مسلِّماً وجبينه بفم النبىِّ مقبَّل
إيهٍ بنى النجَّار إنَّ محمَّدًا لأشدُّ حُبًّا لِلَّتى هى أجمل[4]
خلُّوا سبيل الله ، ما لرسوله عمَّا أعدَّ من المنازل معدل
ذهبت مطيَّته ، فقيل لها ، قفى هذا مناخك ، لست ممَّن يجهل
النَّاس فى طلب الحياةِ . وهاهنا سِرٌّ لها خافٍ ، وكنزٌ مقفل
أعطى أبا أيُّوب رحلكِ . واحمدى من أمر ربِّك ما يجىء و يفعل
ودعى الزِّمام لأسعد بنِ زُرارةٍ فاليهِ بعد الله أمرك يوكل[5]
لمَّا حملت الحقَّ أجمع والهدى أمسى بحبل اللهِ حبلكِ يوصل

---

(١) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدمه ، ومما قيل فى ذلك .

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

(٢) رفت برقت وتلألأت .

(٣) عائذ : لاجىء .

(٤) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر فى طريقه إلى المدينة بقوم سألوه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها — يعنى ناقته القصواء — فإنها مأمورة » فلما بلغ دار عدى بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك . لا تجاوزنا : فقال . خلوا سبيلها ، فذهبت حتى بركت عند دار بنى مالك بن النجار بمقربة من باب أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، وذلك فى محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبى فى حمل رحلها إلى داره فأذن له — ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضى الله عنه على أبى أيوب . وقال : المرء مع رحله . فمكث عنده حتى تم بناء المسجد .

(٥) أخذ أسعد بن زرارة رضى الله عنه ناقة النبى إلى داره .

يتنافس الأنصار فيك ، وما دروا ... لمن المفـاز ، وأيُّهُمْ هو أول

هى كيمياء الحقّ لولا أنّها ... تهدى العقول خلتها لا تعقل

دنيا من العجبِ العجابِ ، ودولةٌ ... يهوى النُّضار بها ، ويعلو الجندل(١)

أرأيت أهل الكهف لولا سِرُّها ... هل كان يكرم كلبُهم ويُبجَّل ؟(٢)

شكراً أبا أيّوب فزت بنعمةٍ ... فيها لنفسك ما تريد وتسأل

ما مثلُ رفدك فى المواطن كلها ... رفدٌ يضاعف ، أو عطاء يجزل(٣)

للهِ دارك من محلّة مؤمنٍ ... نزل الحمى فيها ، وحلَّ المعقل

نزل النبىُّ بها ، فحلَّ فِناءها ... مجـدٌ يقيم ، وسؤددٌ ما يرحل

مجدُ النّبوّةِ فى ضيافةِ ماجـدٍ ... سمحِ القرى ، يسدى الجزيل و يبذل(٤)

وسعت جفان المُطعِمين جفانه ... كرمًا ، فما يأبى ، ولا هى تبخل(٥)

أضفى على السّعدين بُرْد سماحةٍ ... فاهتزَّ جودُهما ، وأقبـل يرفل(٦)

جذلان محتفـلاً ، يقرّب منهما ... للهِ ما يرضى وما يتقبّـل

جعل القرى سبباً إلى رضوانهِ ... والبِرُّ والايمان فيما يجعـل

---

(١) النضار : الذهب ، والجندل : الصخر .

(٢) جاءت قصتهم فى سورة الكهف من القرآن الكريم . ويبجل : يعظم .

(٣) الرفد العطاء والصلة ، والجزل الكثير .

(٤) القرى ما يقدم للضيف ، الجزيل الكثير .

(٥) كان المسلمون يتنافسون فى حمل الجفان إلى دار أبى أيوب كرامة للرسول الكريم ومساهمة منهم فى شرف ضيافته . وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة . وجفنة أسعد بن زرارة رضى الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه رضى الله عنهن .

(٦) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة ــ قال زيد له : هذه قصعة أمى ؟ فقال : بارك الله فيها .

يا زيد من صنع الثَّريد ، وماعسى ترجو بما حملت يداك وتأمُل ؟
بعثتك أُمُّك تبتغى فى دينها ما يبتغى ذو الهمَّةِ المتعمِّل
شكر النّبىُّ لها ، وأطلق دعوةً صعدت ، كما شقّ الفضاء مجاجل
أطيب بتلك هديّةً يسعى بها فى اللهِ ساعٍ بالجلال مظلَّل
لو أنَّها وزنت بدنيا قيصرٍ رجحت ، وأين من الخضمّ الجدول؟[1]
هى إن عييت بوصفها ما يجتنى من نعمةِ الإسلامِ ، لا مايؤكل
ما فى جهادك أمَّ زيدٍ ريبةٌ نار الوغى احتدمت ، وأنت الجحفل[2]
شرعٌ سرابيلُ الحروب، وما اكتسى من سابغاتِ الخيرِ من يتسربل[3]

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصارِ ، هل لى عندكم نادٍ يضمُّ النابغين ومحفل
عندى لشاعركم تحيةُ شاعر يَسِمُ القوافىَ وسمه يتنخل[4]
تسميهِ فى دُنيا البيانَ روائعٌ منها رواكدُ ما تريم وجُفَّل[5]
الثاوياتُ على هدى من ربها والسابحاتُ السائحاتُ الجُوَّل

---

(١) الخضم ــ البحر ــ والجدول ــ النهر الصغير .
(٢) الوغى الحرب الجحفل الجيش الكبير .
(٣) شرع سواء .
(٤) يختار .
(٥) ماتريم ــ ما تبرح وما تزول .

شُغلتْ بها الدُّنيا . وماهى بالّتى ... تعنى بدنيـا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكلّ واد ممحلٍ ... وتحلُّ بالوادى الذى لا يمحل
حسّان أبلغُ من يقول . وليس لى ... منه إذا ادّعت المصاقع مقول(١)
أنتم قضيتم للنّبىّ ذمامه ... ونصرتم الحقّ الذى لا يُخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامةً ... لمهاجرين هم الفريق الأمثل
فعرفتُ موضعكم ، وكيف سما بكم ... مجدٌ لـكم فى المسلمين مؤثّل(٢)
وأذعته نبأ لـكم ما مثله ... نبأ يذاع ، ولا حـديثٌ ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا(٣)
الدين يعطف ، والسماحة تحتفى ... والحبُّ يرعى ، والمروءة تـكفل
والله يشـكر ، والنّبىُّ بغبطة ... والشرك يصعق ، والضلالة تذهل
دين الهدى والحقِّ فى أعراسه ... والجاهليّة فى المـآتم تعول
إن هاهنا الحدث الذى نـكبت به ... فلسوف تنـكب بالذى هو أهول
زولى معطِّلة العقول ، فمن قضى ... أنّ البصائر والعقول تعطّل ؟
ألقى السّلاح ، فما لخصمك دافعٌ ... ودعى الـكفاح ، فما لجندك موئل(٤)
أزرى بك الفشل المبرح وارتمى ... بحماتك القدر الذى لا يفشل
السَّهل يصعب إن تواكلت القوى ... والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرسى المعاقل مؤمنٌ ، لا نفسه ... تهفو ، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النّذير، فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدّم لا محالة تغسل

---

(١) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها ، والمصاقع جمع مصقع . البليغ العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه . والمقول هنا من أسماء اللسان .

(٢) المجد المؤثل ، العالى .

(٣) تفرق المهاجرون ضيوفاً كراماً فى دور الأنصار .

(٤) موئل — ملجأ .

علقت بمقتلها السّهام ، وما عسى   يبقى الرّمىُّ إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر ، كلُّ زور ينقضى   مرَّ السَّحاب ، وكلُّ إفك يبطل

مسجد المدينة

المسجد الثَّانى يقام بيثربٍ   ومحمد البانى يجـــدُّ ويعمل (1)
عمار أنت لها ، وليس ببالغ   عليا المراتب من يكلُّ ويكسل (2)
إن يثقل العبء الذى حملته   فلما يحمّل ذو التَّباعة أثقل (3)
ماذا بلغت من السَّناء على يد   أدنى أناملها السماك الأعزل (4)
مسحَتْه ظهراً منك طال مُنيفه   حتى تمنى لو يكونك يذبل (5)
هـذا رسول الله فى أصحابه   لا يشتـكى نصباً ، ولا يتمهَّل (6)
يأتى ويذهب بينهم ، فملثم   بالتُّرب يغشى وجهه ، ومكلَّل (7)
من كلّ قوّامٍ على أثقاله   سامٍ ، له ظهرٌ أشمُّ وكلـكل (8)

---

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم .
لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل
(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الـكريم . ألا تحمل كما يحمل أصحابك . قال : لبنة عني يا رسول الله ولبنة عنك . فنفض صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .
(٣) التباعة : الرغبة .
(٤) السناء : المجد والشرف . والسماك الأعزل : اسم نجم .
(٥) يذبل اسم جبل فى بلاد العرب . والمنيف العالى .
(٦) النصب : التعب .
(٧) المـكلل : المحفوف بالنور .
(٨) الـكلـكل : الصدر .

ما كان أحسنها مقالة راجز   لو كان يعرفُ حكمها المتمثل[١]

هتف الامام بها ، فراح يعيدها   ثمّ انثنى متلطِّفاً يتنصّل

عمار ، ياآلك إذ تلام ، ويآله   من ذى محافظة يلوم ويعـذل

هجت ابن مظعون فأقبل غاضباً   حنقاً ، يجيش كما يجيش المرجل[٢]

ولقد يحيد عن التُّراب إناقةً   من لايحيد عن الضِّراب وينكل

مهلاً أبا اليقظان قرنك باسلٌ   وأخوك فى جد الوغى لا يهزل[٣]

ولئن أهاب الله : يال محمد   صونوا الحمى ، لهو الأشدُّ الأبسل

السَّيف يعجز أن ينال غراره   ما ليس يعجز أن ينال المعول[٤]

---

(١) كان عثمان بن مظعون رضى الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب . فإن أصابه شيء من التراب نفضه . فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأنشد يفاكهه .

لا يستوى من يعمر المساجدا   يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمن وأغلظ له القول . وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها .

(٢) الحنق الغيظ يجيش يتحرك المرجل القدر إذا فار ماؤه .

(٣) كنية عمار وقرن الرجل كفؤه ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها. والباسل الشجاع.

(٤) غرار السيف حده .

أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أُدخل في المسجد

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضم إلى المسجد حائطاً ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة – وقيل معاذ بن عفراء – وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبي بكر الصديق .

وقال الغلامان : نهبه لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأولى في المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته ، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل أن المراد بذلك ترتيب الخلافة .

إيهٍ أبا بكرٍ ظفرت بصفقةٍ ... شتّى مغانمها لمن يتأمّل

القوم عند إبائهم وسخائهم ... لو يبذلون نفوسهم لم يحفلوا

لا يقبلون لحائطٍ ثمناً . ولا ... يبغونها دنيا تذمّ وتُرذل

الله يطلبه لنصرة دينه ... والدين هم أنصاره ما بدلوا

قالوا : أمِنّا يا محمد يُبتغَى ... ما ليس يخلق بالأباة ويجمل ؟

إنا لعمر الله نعرف حقه ... ونعزُّ منّته التي نتملل[1]

نعطي اليتيمين الكفاء ، وإن هما ... أبيا ، ونتّبع التي هي أنبل[2]

خذ ما أردت ، فلن نبيعك مسجداً ... يدعوه فيه مكبّرٌ ومهلّل

هو ربُّنا ، إن نالنا رضوانه ... فلنا المثوبة والجزاء الأكمل

إيهٍ أبا بكرٍ خليلك مطرقٌ ... يأبى ، وأنت بما يريد موكل

لا بدَّ من ثمن يكون أداؤه ... حكماً يطاع ، وشرعةٌ ما تهمل

---

(١) تملل الملة دخل فيها .
(٢) كفاء الشيء ما يساويه .

لولا الرسول وما يعلّم قومه جهل المحجة ظالم لا يعدل
وإذا قضى أمراً ، فما لقضائه ردٌّ ، ولا فى غيره متعلَّل
الحقُّ ما شرع النبيُّ ، وباطلٌ ما يدَّعى المرتاب والمتأول
لا بد من ثمن ، ولست بواجد فى القوم من يضح الصواب فيغفل [١]
أمر الرسول به ، فدونك أده ولأنت صاحبه الكريم المفضل
يابإذل الأموال ، نات ببذلها مالم ينل فى المسلمين مموّل
أتبعت نفسك ماملكت ، فمهجةٌ تنبال طيّعةً ، وكفٌّ تهطل

بلال يُؤذّن للصّلاة

أذن بلال لك الولاية ، لم تُتح لسواك إذ تدعو الجموع فتقبل
الله ألبسك الكرامة ، واصطفى لك ما يحبُّ المؤمن المتوكّل
ياطول ما عذِّبت فيه فلم تمل تبغى التّى اتّبع الغواة الميَّل [٢]
أحد إلهك ، ما كذبت ، وما لمن يرجو النّجاة على سواه معوّل
أرنى يديك : أفيهما لأميَّة وردٌ من الموت الذّعاف مثمَّل ؟ [٣]
للسَّيف سيف الله أهول موقعاً من صخرة تلقى وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظُّبى تحت العجاجة ، والرّماح الذُّبَّل [٤]

---

(١) مضارع وضح .
(٢) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره فى الرمضاء ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيأبى . وكانوا يدفعونه إلى الصبيان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر فاشتراه من أمية بن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضى الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون فى الله
(٣) الموت الذعاف السريع ، والمثمل المنقع .
(٤) قتل بلال رضى الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله .
هنيئاً ، زادك الرحمن خيراً لقد أدركت ثأرك يا بلال
والظبى السيوف ، والعجاجة كدرة الجو وغبار المعركة والذبل الرماح الطويلة .

أذّن فإنّ الدّين قام عموده ورست جوانبه فما يتقاقل
هبط الجزيرة ، فاحتوى أطرافها وانساب فى أحشائها يتغلغل
فكأنما طرد السّوائم ضيغم وكأنما ذعر الحمائم أجدل[١]

* * *

خفّ الرجال إلى الصّلاة وإنّها لأجلّ ما تصف الصّفوف المثّل
عنت الوجوه ، فراكع متخشّع يخشى الآله ، وساجد متبتّل[٢]
صلّوا بنى الاسلام خلف نبيكم وخذوا بما شرع الكتاب المنزل
الله أيدّكم به ، وأمدّكم منه بنور ساطع ما يأفل
آثرتم السنن السوى ، فجدّكم يعلو ، وجد ذوى العماية يسفل[٣]
هل يستوى الجمعان ، هذا صاعدٌ يبنى ، وهذا ساقطٌ يتهيّل ؟
يتألّفون على الهوى ، وقلوبهم شتّى ، يظلّ شعاعها يتزيّل
نصرٌ على نصر ، وفتحٌ بعده فتحٌ يغيظ المشركين محجّل
إنّ امرأ جمحت به أهواؤه من بعد ما وضح الهدى لمضلّل
الحقّ بابُ الله ، هل من داخل طوبى لمن يبغى الفلاح فيدخل

---

(١) السوائم جمع سائمة ، الماشية تذهب فى المراعى . والضيغم الأسد . والأجدل الصقر .
(٢) عنت خضعت .
(٣) الجد الحظ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة ــ وقيل وهو يبنى ــ وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الإسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ ، وكان نزول هذه الآية الشريفة فى وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا .

عن زيد بن أبى أوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة ، فجعل يقول : « أين فلان ، أين فلان . فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال ــ إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم . إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً ، ثم قرأ : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ قال : وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه الشريفتين ؛ فقال : إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتك ، فأنت منى بمنزلة قيصى من جسدى . وحرك قيصه بيده ؛ ثم قال : ادن يا عمر فدنا ؛ فقال : قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل : كانوا تسعين . وكانت المؤاخاة فى دار أنس بن مالك ، وهى دار أبى طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل .

هى الأواصرُ أدناها الدَّم الجارى — فلا محالة من حبٍّ وإيثار
الأُسرة اجتمعت فى الدّار واحدة — حيِّيت من أسرة ، بوركت من دار
مشى بها من رسول الله خير أب — يدعو البنين فلبّوا غير أغمار (١)
تأكد العهد مما ضمَّ ألفتهم — واستحصد الحبل من شدٍّ وإمرار (٢)

(١) غير أغمار : غير حاقدين .
(٢) استحصد : قوى والإمرار الفتل .

كلٌّ له من سراة المسلمين أخ ... يحمى الذمار، ويرعى حرمة الجار
يطوف منه بحقٍّ ليس يمنعه ... وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
يجود بالدم، والآجال ذاهلة ... ويبذل المال فى يسر وإعسار
هم الجماعة، إلاّ أنهم برزوا ... فى صورة الفرد، فانظر قدرة البارى
صاح النبىُّ بهم، كونوا سواسيةً ... يا عصبة الله من صحبٍ وأنصار[1]
هذا هو الدّين، لا ماهاج من فتنٍ ... بين القبائل دين الجهل والعار
ردوا الحياة فما أشهى مواردها ... دنيا صفت بعد أقذاءٍ وأكدار
الجاهليّةُ سُمٌّ ناقعٌ وأذىً ... تشقَى النفوس بداءٍ منه ضرّار
تأهبوا، إنّ ديناً قام قائمه ... يومى إليكم بآمالٍ وأوطار[2]
أما ترون رياح الشّرك عاصفةً ... تطغى على أممٍ شتّى وأقطار؟
لن أترك النّاس فوضى فى عقائدهم ... ولن أُسالم منهم كلّ جبّار
أكلّما ملك الأقوام مالكُهم ... رمى الضّعاف بأنيابٍ وأظفار؟
الشّرُّ غطّى أديم الأرض فارتكست ... أقطارها بين آثامٍ وأوزار[3]
أخفى محاسنها الكبرى، فكيف بكم ... إذا تكشّف عن وجهٍ لها عار؟
لأُنزلنّ ذوى الطغيان منزلةً ... تستفرغُ الكبر من هامٍ وأبصار
ظنّوا الضّعاف عبيداً، بئس مازعموا ... هل يخلقُ اللهُ قوماً غير أحرار؟
ما غرّهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم ... بواحدٍ غالب السّلطان قهّار؟
يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها ... مبثوثةً فى جناحى عاصفٍ ذار[4]
بعثت بالحقّ يهدى الجامحين كما ... يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى
أدعو إلى الله بالآيات واضحة ... تهدى الغوىّ، وتنهى كلّ كفار

---

(١) سواء.
(٢) الأوطار الحاجات ويومى يشير.
(٣) اديم الأرض وجهها ارتكس الرجل والشىء انتكس.
(٤) من ذرت الريح إذا هاجت التراب.

فمن أبى فدعانى كلُّ ذى شطب ... ماضى الرسالة فى الهامات بتار[1]
الله أكبر . هل فى الحق معتبة ... لمستخفّ بعهد الله غدّار ؟
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم ... فما انقام على كفر و إنكار ؟
إن الألى اتخذوا الأصنام آلهةً ... على شفا جرف من أمرهم هار
يستكبرون على من لا شريك له ... ويسجدون على هون لأحجار
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا ... والله أولى باجلال وإكبار
لكل قوم إله يؤمنون به ... ما يبتغى الله من إيمان فجار ؟
النار أعظم سلطاناً ومقدرة ... فى رأى عبادها ، أم خالق النار ؟
سبحانه من إله شأنه جلل ... يهدى النّفوس بآيات وآثار
لأكشفنّ عن الأبصار إذ عميت ... ماأسدل الجهل من حجب وأستار
ما للسراحين بد من مصارعها ... إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى[2]
ضموا القوى ، إنها دنيا الجهاد بدت ... أشراطها ، وترآى زندها الوارى
لا بدّ من غارة للحقّ باسلة ... وجحفل من جنود الله جرّار
خير الذخائر أبقاها ، ولن تجدوا ... كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
لاتنقضوا العهد ، إن الله منزله ... على لسان رسول منه مختار
قالوا : عليك صلاة لله ، إنّ بنا ... ما الله يعلم من عزم وإصرار
آخيت بين رجال يصدقون إذا ... زلّت قوى كل خداع وختار[3]
جنود ربك ، إن قلت : اعصفوا عصفوا ... يرمون فى الحرب إعصاراً باعصار[4]
من كلّ منغمس فى النّفس مرتجس ... وكلّ منبجس بالبأس فوّار[5]

(١) الشطب الطرائق فى السيف والبتار القاطع .
(٢) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفترس .
(٣) الختار الغدار .
(٤) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب ، أو التى يكون فيها برق ورعد .
(٥) ارتجست السماء رعدت ، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه تفجر ، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

اليهود والمنافقون

لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ ، ولما نزلت ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ الآية — قال قائلهم — حيي بن أخطب في رواية — يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغني . فأنزل الله تعالى: ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الآية — وكانوا يسألون النبي عن الروح ويقولون له : مم خلق الله — انسب لنا ربك — يريدون تعجيزه وإثارته .

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام . وكان حيي بن أخطب عظيم بني النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، كانت من سبايا النبي في غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبي عند أم سليم — أم أنس — حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كبيرهم ، كان من أعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكاً عليهم ؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده .

والمنافقون قوم من اليهود دخلوا في الإسلام لما قوي أمره خشية القتل وبقي هواهم مع قومهم .

دعاً ، فأجابوا ، والقلوب صوادف	وقالوا : استقمنا . والهوى متجانف[1]
مضى العهد ، لاحرب تقام ، ولا أذى	يرام ، ولا بغي عن الحقّ صارف
لهم دمهم ، والدين ، والمال ما وفوا	فإن غدروا فالسيف واف مساعف

---

(١) المتجانف المائل .

سياسة من لا يخدع القول رأيه ولا يزدهيه باطل منه زائف
رسول له من حكمة الوحى عاصم ومن نوره فى ظلمة الرأى كاشف
يسالم من أحبارهم وسراتهم رجالا لهم فى السلم رأى مخالف
يغيظهم الاسلام ، حتى كأنما هو الموت، أوعادمن الخطب جارف
إذا هتف الداعى به اهتاج ناقم وأعول محزون ، وأجفل خائف[1]
إذا ما تردى فى الضلالة جاهل فما عذر من يأبى الهدى وهو عارف ؟
يقولون قول الزور ــ لا علم عندنا كفى القومَ علماً ما تضم المصاحف
لهم من سنا التوراة هاد وللعمى ركام على أبصارهم متكاثف
دنا الحق من بهتانهم ، ورمى بهم إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
عنا ابن أبى من هوى التاج لاعج وطاف به من نشوة الملك طائف
جرى راكضاً ملء العنانين ، فانتحى له قدر ألقى به وهو راسف[2]
فما مثله فى مشهد الإفك فارح ولا مثله فى مشهد الحق آسف
ظنون يعفيها اليقين ، ودولة من الوهم تذروها الرياح العواصف[3]
يهيب بأضغان اليهود يشبها عداوة قوم شرهم متضاعف
وما برح الحبر السمين يغرهم ويأكل من أموالهم ما يصادف[4]
أعدوا له المرعى فراح مهبلاً كظنك بالخنزير واتاه عالف[5]

---

(١) أجفل انزعج أو هرب مسرعا .

(٢) رسف الرجل مشى مشى المقيد .

(٣) يعفيها يمحوها، من عفت الريح المنزل.

(٤) هو مالك بن الصلت من أحبارهم . كان يبغض النبى بغضاً شديداً . ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم ، قال له صلى الله عليه وسلم ــ أنشدك الله . أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين . إنك الحبر السمين . سمنت من المال الذى يطعمك اليهود . فغضب والتفت إلى عمر قائلا . ما أنزل الله على بشر من شىء . فكان هذا كفراً منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين . وعلم اليهود فنزعوا عنه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الإشرف .

(٥) المهبل الكثير اللحم .

ينوء بجنبيه ويرتج ماشــياً ... إذا اضطربت منه الشوى والروانف[1]

رماهم بها عمياء لم يرم معشراً ... بأمثالهـا أحبارهم والأساقف

فقالوا: غوى ابن الصلت وانفض جمعهم ... يريدون كعباً وهو خزيان كاسف

رمى الصادق الهادى لفيقة نفسه ... بصـادعة تنشق منها اللفائف[2]

فأما لبيد فاستعان بســحره ... رويداً أخا هارون تلك الطرائف[3]

أعندك أن السحر لله غالب ... تأمل لبيد أى مهوى تشارف[4]

وشاس بن قيس هاجها جاهليةً ... تطير لذكراها الحلوم الرواجف[5]

يقلب بين الأوس والخزرج الثرى ... وقد وشجت فيه العروق العواطف

---

(١) الشوى اليدان والرجلان والأطراف . والروانف أسافل الألية للقائم .

(٢) جمع لفيقة ما يلف به الرجل وغيره والمعنى ظاهر والصادعة من صدع بالحق إذا جهر به أى أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه .

(٣) لبيد بن الأعصم ، قيل إنه عمل سحراً للنبي اتخذ له مثالا على صورته من شمع — وقيل من عجين — ثم غرز فيه إحدى عشرة عقدة . وكان للنبي خادم يهودى حمل شيئاً من شعره الشريف إلى لبيد فصنع السحر ووضعه فى بئر ذروان ونزل جبريل فأخبر النبى فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر .

(٤) شارف الرجل الشىء اطلع عليه من فوق .

(٥) كان شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . مر يوماً على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة . فقال : قد اجتمع بنو قيلة . والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث — يوم الحرب التى كانت بينهم — وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال . ونادى هؤلاء يا للأوس ، وهؤلاء يا للخزرج . ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛ فقال — يا معشر المسلمين الله الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألفكم به ؛ وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر إلخ . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ — الآية .

يذكّرهم يوم البعاث وما جنت ... رقاق المواضى والرماح الرواعف[١]

غلت نخوات القوم ممّا استفزّهم ... وراجعهم من عازب الرأى سالف[٢]

وخفوا يريدون القتال ، فردّهم ... نبىٌّ يردُّ الشرَّ والشرُّ زاحف

دعاهم إلى الحسنى ، فأقبل بعضهم ... يعانق بعضاً ، والدموع ذوارف[٣]

أتى ابن سلام يؤثر الحقّ ملة ... وينظر ما تأبى النفوس العوازف[٤]

تسلل يستخفى ، وأقبلَ قومه ... وللؤم منهم ما تضم الملاحف

فقيل : اشهدوا ، قالوا عرفناه سيداً ... تجلُّ مساعيه ، وتعلو المواقف

هو المرء لا نأبى من الدين ما ارتضى ... ولا ندع الأمر الذى هو آلف

فلما رأوه خارجاً ينطق التى ... هى الحق قالوا : عاثر الرأى عاسف

ظننا بهِ خيراً ، ولا خير فى امرىءٍ ... أبوه أبو سوءٍ على الشرّ عاكف

ظلمناه ، لم يُوصف بما هو أهله ... فماذا له إن أخطأ الرشد واصف ؟

تَرَاموا بألقاب إذا ما تتابعت ... تتابع شؤبوب من الذم واكف[٥]

---

(١) رقاق المواضى هى السيوف . والرواعف من رعف الدم إذا سال .

(٢) عازب : غائب .

(٣) ذوارف : من ذرف الدمع إذا سال .

(٤) جاء النبي فى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ، ورجع فقال: لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم . فاخبئنى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عنى وخذ عليهم ميثاقاً إنى إذا اتبعتك وآمنت بك اتبعوك وآمنوا . فأرسل إليهم فجاءوا وقال لهم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فو الله الذى لا إلهَ إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق ، أسلموا ، فأبوا ، قال : فأى رجل فيكم ابن سلام . قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال أرأيتم أن شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى . قالوا نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج وأظهر إسلامه ثم دعاهم إلى الإسلام وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة فقالوا كذبت . أنت شرنا وابن شرنا ونزلت فى ذلك (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . إن الله لا يهدى القوم الظالمين ـ الآية) . العوازف جمع عازف وهو المنصرف .

(٥) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم . والشؤبوب الدفعة من المطر وواكف من وكف إذا سال .

أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم ... أعند رسول الله تلقى المآزف[١]
وقال الرسول استشعروا الحلم ، إنما ... يسود ويستعلى الحليم الملاطف[٢]
أتؤذون عبد الله أن يتبع الهدى؟ ... فيا ويحه من مؤمن ـ ما يقارف؟[٣]
أهذا هو العهد الذى كان بيننا ؟ ... أهذا الذى يجنى العقيد المحالف؟[٤]
تولوا غضاباً ، ما تثوب نفوسهم ... ولا ترعوى أحقادهم والكتائف[٥]
يذيعون مكروه الحديث،وماعسى ... يقولون ، والفرقان بالحقّ هاتف
إذا بعثوا من باطل القول فتنة ... تلقفها من صادق الوحى خاطف
يشايعهم فى القوم كلُّ منافق ... إلى كل ذى مشنوءةٍ هو دالف[٦]
شديد الأذى يبدى من القول زخرفاً ... وكالسم منه ما توارى الزخارف
زحالفُ سوءٍ ما يكفُّ دبيبها ... وأهون شيء أن تدب الزحالف[٧]
أقاموا عَلى ظلم كأن لم يكن لهم ... من العدل يوماً لا محالة آزف[٨]
لكل أناس يعكفون على الأذى ... معاطب من أخلاقهم ومتالف
رويد يهود . هل لها فى حصونها ... من البأس إلا ما تظن السلاحف؟
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا ... ولن يثبت البنيان والله ناسف
سيلقون بؤساً بعد أمن ونعمةٍ ... فلا العيش فياح، ولا الظل وارف[٩]

---

(١) الأقذار .
(٢) استشعر الرجل الشيء جعله شعاره .
(٣) قارف الذنب خالطه .
(٤) المعاقد والمعاهد .
(٥) ثاب رجع بعد ذهابه . والكتائف جمع كتيفة وهى السخيمة والحقد .
(٦) المشنوءة . البغض والعداوة ـ دالف : ساع .
(٧) الزحالف دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل .
(٨) آزف من أزف بمعنى قرب .
(٩) الفياح الواسع . وورف الظل اتسع وطال وامتد .

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعاً وعشرين منها وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدها فهي : غزوة ودان ـ العشيرة ـ سفوان ـ بدر الكبرى ـ بني سليم ـ بني قينقاع ـ السويق ـ قرقرة الكدر ـ ذي أمر ـ بحران ـ أحد ـ حمراء الأسد ـ بني النضير ـ ذات الرقاع ـ بدر الآخرة ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ الخندق ـ بني قريظة ـ بني لحيان ـ ذي قرد ، الحديبية ـ خيبر ـ وادي القرى ـ عمرة القضاء ـ حنين ـ الطائف ـ تبوك ـ فتح مكة . وقد استثنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلا ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفاً قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ما للنفوس إلى العماية تجنحُ ؟ أتظنُّ أن السيف عنها يصفح ؟[1]

داويتَ بالحسنى فلجَّ فسادها ولديك إن شئت الدواء الأصلح[2]

الإذن جاء فقل لقومك . أقبلوا بالبيض تبرق ، والصوافن تضبح[3]

أفيطمع الكفار ألا يؤخذوا ؟ بل غرهم حلم يُمدُّ ويفسح

---

(١) تجنح تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال . وكان مبدؤها في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) وقيل إن الآية الأولى هي (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبي بمكة بين مضروب ومشجوج فيقول : اصبروا فإني لم أومر بالقتال . والضبح صوت الخيل (دون الصهيل ـ أو عدوها . والصوافن الخيل .

أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم | أفكنت إذ تزجى الزواجر تمزح ؟
لا يستحون ، ولو تأذن ربهم | عرفوا اليقين، وأوشكوا أن يستحوا
أملى لهم . حتى إذا بلغوا المدى | ألوى بهم خطب يجل ويفدح[١]
من ناقضٍ عهداً . ومن متمردٍ | يمسى على دين الغواة ويصبح
لما استقام الأمر لاح بشيرها | غرٌّ سوافر من جبينك تلمحُ
ظمئتْ سيوفكَ يا محمدُ فاسقها | من خير ما تسقى السيوف وتنضح[٢]
فَجِّرْ ينابيع الفتوح فريُّها | ما تستبيح من البلاد وتفتح
الظلم أوردها الغليل ، وإنَّهُ | لأشد ما تجد السيوف وأبرح[٣]
اليوم تورِدها الدماء فترتوى | وتردها نشوى المتون فتفرح
المشركون عموا ، وأنت موكلٌ | بالشرك يمحى ، والعماية تمسح
خذهم ببأسك ، لاترعك جموعهم | فلأنت إن وزنوا الكتائب أرجح
ضلوا السبيل ، وفى يمينك ساطعٌ | يهدى النفوس إلى التى هى أوضح
هفت العشَيْرةُ إذ نهضت تريدها | والعيرُ دائبةٌ تشط وتنزح[٤]
تمشى مواقِرَ فى غواربها العلى | أموال مكة فهى ميلٌ جنح[٥]

---

(١) أملى له أمهله وطول له ألوى بالرجل وبالشيء ذهب به .

(٢) بمعنى تسقى .

(٣) الغليل حرارة العطش .

(٤) العشيرة موضع لبنى مدلج بينبع ، خرج إليها النبى فى جمادى الأولى . وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة فى ١٥٠ وقيل فى ٢٠٠ رجل من المهاجرين يريد عيراً لقريش سارت من مكة إلى الشام للتجارة كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار . وكان قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل . وعمرو بن العاص . فلم يدركها النبى . فلما عادت من الشام خرج إليها . قيل إنها كانت سبباً لوقعة بدر . وكان اللواء فى العشيرة لحمزة بن عبد المطلب . وفى هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بنى مدلج . وكانوا حلفاء بنى ضمرة . وتشط تبعد

(٥) مواقر محملة أحمالا ثقيلة .

عُدْ باللواء ، وَقل لحمزة إنهم   رهنٌ بمُرزمةٍ تسحُّ وتدلح(1)
تهوى غداة الروع فى طوفانها   مهج الفوارس ، والمنايا تسبح(2)
هذا الفتى الفهرىُّ أقبل جامحاً   يغزو المدينة والمضَلَّلُ يجمح(3)
ولى يسوق السَّرْح لو لم توله   سعةً لضاق به الفضاء الأفيح(4)
دعه . فإن له بمكة مشهداً   يرضيك ، والشهداء حولك تطرح(5)
ذَهَبَ ابن حربٍ فى تجارة قومه   ولسوف يَعْلَمُ من يفوز ويربح(6)
نَسرٌ مضى متصيّداً ، ووراءه   يومٌ تصــادُ به النُّسور وتذبح
بينا يحيـد عن السهام أصابه   نبأٌ تصاب به السهام فتجرح
بعث ابن عمرو ما لـكم من قوة   إن مالـكم أمسى يُلَمُّ ويكسح(7)
واهاً قريشٌ إنه الدم ، فاعلموا   من دون بيضتـكم يراق ويسفح
تردون برد الأمن ، والنار التى   أنتم لهـا حطبٌ تشبُّ وتقدح
إن كنت لم أُفصح لخطبٍ هالنى   فســلوا بعيرى إنه هو أفصح

---

(١) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته . والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها . يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله .

(٢) الروع بمعنى الحرب وأصله الفزع .

(٣) هو كرز بن جابر الفهرى ، كان من رؤساء المشركين أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى من العشيرة بليال . فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه . فلما بلغ سفوان ــ موضع من ناحية بدر ــ فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب ــ أسلم كرز وصحب وأمر على سرية ، وقتل فى فتح مكة . رضى الله عنه .

(٤) الأفيح الواسع .

(٥) إشارة إلى إسلام كرز بن جابر واستشهاده .

(٦) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم ابن عمرو الغفارى يستنفر قريشاً بمكة واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره . ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره . اللطيمة اللطيمة ــ هى العير تحمل الطيب والبز ــ أموالـكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، إنـكم إن أصابها لن تفلحوا أبدا ، الغوث ، الغوث فنفر الناس وتخلف أبو لهب .

(٧) يكسح يؤخذ كله .

وخُذُوا النّصيحة عن قُيصى إنه لَأَجَلُّ من يعظ النّيام وينصح
إنى صدقتكم البلاغَ لتعلموا وجبالُ مكة شُهّدٌ والأبطح
جفلت نفوس القوم ، حتى مالها لُجُمٌ تردُّ ، ولا مقاودُ تكبح[1]
وأبَى أبو لهب مخافة ما رأت فى النوم عاتكة فما يتزحزح[2]
وأرى أُميَّةَ لو تأخَّر حينهُ لرآه عُقْبَةُ ثاوياً ما يبرح[3]
يرميه بالهذر القبيح يلومُهُ ويَسُومُه الخلق الذى هو أقبح
غشّاه سعدٌ روعةً ما بعدها لذوى المخافة فى السلامة مطمح[4]

---

(١) جفلت انزعجت .

(٢) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمة النبى (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش — رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته — ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها . ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة .

قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها . وخرج فاق الوليد بن عقبة وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه . فذكرها الوليد لأبيه . فتحدث بها وفشا الحديث . ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما رجع قال له أبو جهل — يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لها — بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له أربعة آلاف درهم ديناً عليه ثم عجز عن أدائها فجعلها أجراً له — وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب .

(٣) أمية بن خلف ، أراد التخلف وكان شيخاً ثقيلا فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له : استجمر فإنما أنت من النساء . وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة إلى ذلك . ومن قول أبى جهل لأمية : إنك سيد أهل الوادى فإن تخلفت تخلفوا — فتجهز وخرج . والحين الموت والثاوى المقيم .

(٤) سعد بن معاذ ، قدم مكة معتمراً فنزل على أمية كما كان ينزل هو عليه بالمدينة فى طريقه إلى الشام فأخبره أن النبى سيقتله — والمراد جند النبى — فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج .

نفروا يريدون القتال وغرّهم ... عبث اللواتى فى الهوادج تنبح (١)
غنّتْ بهجو المسلمين ، وإنّها ... لأَضلُّ من يهجو الرجالَ ويمدح
الضّاربات على الدُّفوف ، فإن هم ... ضربوا الطُّلَى ، فالنّادباتُ النُّوَّح (٢)
تلك المآتمُ ، ما تزال ثقالها ... تمشى الوئيد بها المطايا الطُّلَّح (٣)
أخذوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم ... جندٌ بآياتِ الكتابِ مسلح
فيهم من الأنصار كلُّ مشيَّعٍ ... يمضى إذا نكص اليراعُ الزُّمَّح (٤)
كانوا على عهدٍ مضى فأتمَّهُ ... لإلهِهِمْ عهدٌ أبرُّ وأسمح (٥)
سعدٌ يُهيبُ بهم ، وسعدٌ قائمٌ ... تحت اللواء بسيفه يتوشّح (٦)
ما أصدق المقداد حين يقولها ... حرّى ، وبعض القولِ نارٌ تلفح (٧)
إنّا وراءك يا مُحَمَّدُ نبتغى ... ما اللهُ يعطى المتقين ويمنح

---

(١) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب . وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم) .

(٢) الطلى الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٣) الوئيد المشى فى بطء . وطلحت المطايا أعيت .

(٤) اليراع الجبان ، والزمح الضعيف .

(٥) خرج الأنصار فى هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعقبة قالوا له ــ إنا براء من ضمانك ــ أى مناصرتك ــ إلا أن تكون فى دارنا ــ فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود ــ يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك . لسنا نقول لك ماقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٦) الأول سعد بن عبادة كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج ، وقد لدغته ــ رضى الله عنه ــ حية فتخلف وقال النبى . لئن كان سعد لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصاً . ثم ضرب له بسهمه وأجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به .

(٧) لفحته النار أحرقته .

لسنا بقومِ أخيك موسى إذ أبَوْا ... إلا القعود ، وسُبّةً ما تضرح[١]

هذا عليٌّ فى اللواء ، ومُصعبٌ ... والنصرُ فى عِطْفَيْهما يترنّح[٢]

حَملا لِوَائيه ، فلو صدحَ الهدى ... فى مشهدٍ جللٍ لأقبلَ يصدح

هذا رسولُ اللهِ من يك مؤمناً ... فإليه إنّ طريدهُ لا يفلح

الموتُ فى يدِهِ ، وعند لوائهِ ... ريحُ الجنانِ لمن دنا يَسْتَرْوح[٣]

إن يملك الماءَ العدوُّ فقد همَى ... سيلٌ جرى شؤبوبُه يتبطّح[٤]

هى دعوةُ الهادى الأمينِ ونفحةٌ ... ممّن يسوقُ الغيثَ فيما ينفح

مَكَر الُحبابُ بهم فغوّر ماءهم ... والمكْرُ فى بعضِ المواطنِ أنجح[٥]

نبِّيء عُمَيْرُ سراةَ قومك ، إنهم ... زعموا المزاعمَ ، والحقائقُ أروح[٦]

نَبّئهمُ الخبرَ اليقينَ ، وصِفْ لهم ... بَأسَ الألى جمعوا لهم وتبجّحوا

واذكر سميَّك إذ يقولُ محمّدٌ ... إرجع عُمَيْر فدمعُه يتسحّح[٧]

---

(١) ضرح الشيء دفعه ونحاه .

(٢) عقد النبي لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ . وقيل مع الحباب ابن المنذر ، ولبس النبي درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب) .

(٣) استروح الشيء تشممه .

(٤) سبق المشركون المسلمين إلى الماء ببدر فلقى الأولون عناء ، ودعا النبي فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبطح السيل اتسع فى البطحاء وسال عريضاً .

(٥) الحباب بن المنذر أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقلب فغورت . وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشاً شديداً ووهنت قواهم .

(٦) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجال بفرسه حول العسكر وعاد يقول ـ يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ؟ ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهليهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم .

(٧) عمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبي برده لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال .

أذن النبيُّ له ، فأشرق وجهه ولقد يُرى وهو الأحمُّ الأكفح(١)
بطلٌ من الفتيان يحملُ في الوغى ما يحملُ البطلُ الضّليعُ فيرزح(٢)
قال يا حكيمُ فما بعُتْبَة ريبةٌ مولى العشيرةِ للّهمّ يرشّح(٣)
نصح الرجال فردَّهم عن نصحه نشوانُ يمــلأه الغرورُ فيطفح(٤)
ربّ اسقهِ بيــدِ النبيِّ منيّةً بعذابك الأوفى تُشابُ وتُجدح(٥)
إيهٍ أبا جهلٍ نُصرت بفارسٍ يَلقى المنيّــة منه أغلبُ شيِّح(٦)
أراده حمزةُ عند حوضِ محمّدٍ فانظر : أتُقدِم . أم تحيدُ وتكفح(٧)

(١) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى الأسود .

(٢) الضليع القوى الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٣) حكيم بن حزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : ياأبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع . هل لك أن تذكر بخير إلى آخر الدهر . فقال : وما ذاك يا حكيم ، قال : ترجع بالناس وعليك أن تحمل دم الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد فى سرية ابن جحش وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل عتبة وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا ، جبن عتبة .

(٤) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه فغضب وأفسد على الناس نصحه قائلا . إنه يخاف على ابنه يعنى أبا حذيفة . فإنه كان مع النبى . وبعث إلى عامر بن الحضرمى يقول : هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك . فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ ، واعمراه . واعمراه . فثارت النفوس ، وأخفق المسعى .

رأى النبى عتبة وهو يطوف على جمله ينصح الناس . فقال صلى الله عليه وسلم : إن يكن فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر . إن يطيعوه يرشدوا .

(٥) تجدح تخلط .

(٦) هو الأسود المخزومى كان شرساً سيىء الخلق . قال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه . أو لأموتن دونه ، ثم أقبل فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعاً ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق فى يمينه فقتله حمزة فى الحوض . وهو أول قتيل من المشركين فى بدر الشيح المقاتل أو الجاد فى الأمر

(٧) كفح بمعنى جبن .

رامَ الورود ، فما انثنى حتّى ارتوت   من حوضِ مُهجته المنايا القُمَّح (١)

جِد البلاء ، وهب إعصار الردى   يرمى بأبطـال الوغى ويطوح

نظر النبىُّ ، فضجَّ يدعو ربَّه   لا همّ نصرك ، إننا لك نـكدح (٢)

تلك العصابةُ ما لدينك غيرها   إن شد عادٍ ، أو أغار مجاَّح (٣)

لولا تُقـيم بناءَهُ وتحـوطُهُ   لعفا كما تعفو الطُّلُول وتمصح (٤)

لاهُمَّ إن تهلك فما لك عابدٌ   يغـــدو على الغبراء أو يتروح (٥)

جاشـت حَمِيَّتُه ، وقام خليـلُه   دون العريشِ يذودُ عنه وينضح (٦)

وتغوّلت صـور القتالِ ، فأقبلا   والأرض من حوليهما تترجَّح (٧)

فى غمرةٍ ضمن الحفاظُ لقاحها   فالحرب تسدحُ بالـكُماةِ وتردح (٨)

إستَبْق نفسك يا أبا بكرٍ وقِفْ   إن ضجَّ من دمِك الزَّكىِّ مصيَّح (٩)

أعرض عن ابنك إنّ موتك لِلّذى   حمل الحياة إلى الشعوبِ لمترح (١٠)

صلّى عليـهِ اللهُ حين يقولهـا   والحربُ تعصفُ والفوارس تكلح (١١)

---

(١) يقال إبل قمح أى رافعة الرءوس . غاضة العيون . وهذا إذا رويت من الماء .

(٢) يكدح : يسعى ويعمل .

(٣) المجلح ــ المقدم من جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٤) من مصحت الدار إذا اندرس أثرها .

(٥) تروح سار فى الرواح أى العشى ، وفى الأبيات إشارة إلى دعاء النبى ربه بقوله (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد) .

(٦) خليله ــ أبو بكر ، والعريش الذى أشار سعد بن معاذ ببنائه للنبى ليشرف منه على المعركة ، وينضح ــ يدافع .

(٧) تغولت تلونت ، وتترجح تهتز .

(٨) من سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل وثبتت . والـكماة جمع كمى ، والـكمى الشجاع .

(٩) يشير إلى عزم أبى بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما طلب المبارزة وكان لايزال على الشرك ثم أسلم فى هدنة الحديبية .

(١٠) مترح ــ محزن .

(١١) تكلح ــ تكشر فى عبوس .

الله ، لا ولد أحب ولا أب منه ، فأين المنتأى والمنزح ؟[١]
أفما رأيت أبا عبيدة ثائراً وأبوه فى يده يتل ويسطح[٢]
بطل تخطر أم تخطر مصعب صلب القَرا ضخم السنام مكبح ؟[٣]
أرأيت إذ هزم النبي جموعهم فكأنما هزم البغاثَ المضرح ؟[٤]
هى حفنة للمشركين من الحصى خف الوقور لها وطاش المرجح[٥]
مثل الثميلة من مجاجة نافث وكأنما هى صيب يتبذح[٦]
الله أرسل فى السحاب كتيبة تهفو كما هفت البروق اللمح[٧]
تهوى مجاجلة تاهب أعين منها . وتقذف بالعواصف أجنح[٨]
للخيل حمحمة تراع لهولها صيد الفوارس ، والعتاق القرح[٩]
حيزوم أقدم . إنما هى كرة عجلى تجاذبك العنان فتمرح[١٠]
جبريل يضرب . والملائك حوله صف ترض به الصفوف وترضح[١١]
تلك الحصون المانعات ، بمثلها تذرى المعاقل والحصون وتذرح[١٢]

---

(١) المنتأى محل البعد ، والمنزح من نزح إذا بعد .

(٢) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فطارده ، فقتله أبو عبيدة ويتل ويسطح بمعنى يصرع .

(٣) المصعب الفحل ومن الجمال مالم يركب ، وصلب القرا ــ شديد الظهر ، ومكبح شامخ والبيت فى وصف أبى عبيدة .

(٤) البغاث ضعاف الطير ، والمضرح ــ الصقر الطويل الجناح .

(٥) المرجح الحليم ، والبيت يشير إلى أن النبى رمى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق منهم رجل إلا نال عينيه منها ثم انهزموا وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

(٦) الثميلة البقية والصيب المطر وتبذح السحاب امطر .

(٧) كتيبة قطعة من الجيش ، تهفو . تسرع وفى البيت وما بعده إشارة إلى إمداد الله المسلمين بالملائكة فى غزوة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .

(٨) مجلجلة ــ مرعدة ، وأجنح جمع جناح .

(٩) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع .

(١٠) حيزوم اسم فرس جبريل .

(١١) ترضح تكسر .

(١٢) تذرى وتذرح بمعنى .

للقوم من أعناقهم وبنانهم نار تريك الداء كيف يبرح[1]

جفت جذور الجاهلية ، والتوى هذا النبات الناضر المسترشح[2]

طفق الثرى من حولها لما ارتوى من ذوب مهجتها يجف ويبلح[3]

ومن الدم المسفوح رجس موبق ومطهر يلد الحياة ويلقح[4]

أودى بعتبة والوليد وشيبة وأمية ، القدر الذى لا يدرح[5]

وهوى أبو جهل ونوفل وارعوى بعد اللجاج الفاحش المتوقح[6]

---

(١) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) والمبرح المؤلم .

(٢) استرشح النبات طال .

(٣) يبلح ييبس .

(٤) موبق مهلك .

(٥) عتبة بن ربيعة . برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال . انما أريد أ كفائى من قريش ونادى مناديهم . يامحمد أخرج إلينا أ كفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضى الله عنهم فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشيبة ضربتين أثرتا فيهما فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة . ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل وكانت الضربة فى ركبتيه فأفرشه النبى قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له صلى الله عليه وسلم : أشهد أنك شهيد ، قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله .

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : —

فإن يقطعوا رجلى . فإنى مسلم أرجى به عيشاً من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه لباساً من الإسلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف الذى قتله بلال . والى هذا سبقت الاشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات .

أرنى يديك . أفيهما لأمية ورد من الموت الذعاف مثمل ؟

للسيف سيف الله أهول موقعاً من صخرة تلقى . وحبل يفتل

لك فى غد دمه إذا التقت الظبى تحت العجاجة . والرماح الذبل

لايدرح لا يدفع .

(٦) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار وأجهز عليه ابن مسعود ، ونوفل بن خويلد ، قال النبي . من له علم بنوفل بن خويلد . قال على . أنا قتلته =

لما رأى الغازى المظفر رأسه أهوى يكبر ساجدا ويسبح[١]
فى جلده من رجز ربك آية عجب ، تفسر للبيب وتشرح[٢]
تلك السطور السود ضم كتابها أبهى وأجمل ما يرى المتصفح
إن لم يغيب فى جهنم بعدها فلمن سواه فى جهنم يضرح[٣]
أدركت حقك يا بلال فبوركت يدك التى تركت أمية يشبح[٤]
واف المطار ، ووال يا ابن رواحة زجل الحمام إذا يطير ويسجح[٥]
هذا ابن حارثة يطوف مبشرا بالنصر يخزى الكافرين ويفضح
لما تردد فى البـــلاد صداكما أمست قلوب المسلمين تروح
فكأن كلا معرس وكأنما منه ومنك مهنئ ومرفح[٦]
قل يا أبا سفيان غير ملوح فالنصر يخطب والسيوف تصرح[٧]
بيض على بلق تساقط حولها سود مذممة تساف وترمح[٨]

═ فكبر صلى الله عليه وسلم وقال . الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه . فإنما لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع . يامعشر قريش . اليوم يوم ارفعة والعلا ، فقال النبى . اللهم أكفنى نوفل بن خويلد الفاحش المتوقح المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم وارعوى كف .

(١) لما جىء للنبى برأس أبى جهل سجد لله شكراً ، وقال: الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(٢) الرجز : العذاب ، وقد وجد فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار ضرب السياط .

(٣) يضرح : يدفع أو ينحى أو يقبر .

(٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وكان يعذبه ليرده عن دين الله ، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح .

(٥) سجحت الحمامة سجعت ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى إرسال عبد الله ابن روحة إلى أهل العالية وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة لإخبارهم بالنصر .

(٦) أعرس الرجل بأهله بنى عليها ـ ومرفح من رفحه أى قال له : بالرفاء والبنين .

(٧) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش قال : هلم إلى عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فغضب أبو لهب .

(٨) تطعن بالسيوف وبالرماح .

ذهبوا وأخلفهم رجاء زلزلوا فيه ، فزال كما يزول الضحضح[1]

أكذاك تختلف الزروع فناضر ضافى الظلال ، وذابل يتصوح

القوم غاظهم الصحيح فزيفوا ومن الأمور مزيف ومصحح

خطأ الزمان فشا فلاذ بصوابه وانظر كتاب الخلق كيف ينقح

جاء الإمام العبقرى يقيمها سننا مبيّنة لمن يستوضح

مصرع أبى جهل *

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود .. وكان سيف ابن مسعود كليلا فقال له أبو جهل: خذ سيفى فاحتز رأسى به ففعل .. وقال له وهو يعلو صدره ليحز رأسه : لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعباً ، لو غير أكار قتلنى (الأكار الزراع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم سيفه .

بسيفك فيما اخترت من عاجل القتل سقيت ذعاف الموت ، فاشرب أباجهل

هو السيف ، لولا الجبن لم يمض حده ولم يرض فى جد الكريهة بالهزل

شهدت الوغى، تبغى على الضعف راحة لنفسك من حقد مذيب ومن غل

أفرعون إن تجهل ، فلن تجهل الوغى فراعينها من ذى شباب ومن كهل[2]

أصابك فيها ما أصابك من أذى وفاتك ما نال الرويعى من فضل

رماك معاذ قبله ومعوذ وجاءك مشبوباً حميته تغلى

سقى السيف عفواً من دم لك طيع فمن مرتقى صعب إلى مستقى سهل

دع الهزل يا ابن الحنظلية إنه هو الجد كل الجد لو كنت ذا عقل

(١) الضحضح : السراب .
(٢) كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عن أبى جهل : أنه فرعون هذه الأمة .
(*) جاءت هذه القصيدة فى المصورة بعد القصيدة الآتية .

هى اللات والعزى أضلتك هذه ... وزادتك هذى من ضلال ومن خبل (١)
مضى جارك المأفون خزيان وانقضت ... حبالك فانظر: هل ترى الآن من حبل (٢)
لقد كنت ترجو أن ترى الهبل الذى ... رضيت به رباً يفوز ويستعلى
أصبت ابن مسعود سناء ورفعة ... وباء عدو الله بالخزى والذل
فخذ سيفه ، ثم ارفع الصوت شاكراً ... فما بعد ما أعطاك ربك من سؤل

صَدَى الوقعَةِ فى مكّة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً ، وحزن المشركون حزناً شديداً فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره فى الملحمة الحائية . فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق . . قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك والله الملائكة . . فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لبابة) عموداً فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة . وقالت استضعفته أن غاب سيده ، فولى ذليلا . ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات » .

وضح اليقينُ لمن يرى أو يسمع ... ولقلّما تجدى الظنون وتنفع

---

(١) كان المسلمون يقولون فى هذه الوقعة : الله مولانا ولا مولى لكم ، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم .

(٢) تمثل إبليس فى صورة سراقة بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكص على عقبيه ، فقال له الحارث : يا سراقة أتزعم أنك جار لنا ؟ قال : إنى برىء منكم « إنى أرى ما لا ترون ، إنى أخاف الله رب العالمين » فتشبث به الحارث وقال ، والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ــ قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت . .

لما قتل رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . .

النصر حقٌّ ، والنبيءُ صادقٌ والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع أبا لهب فان تك ذا عمىً فجبال مكة والأباطح خشّع
مولى رسول الله يضرب ماجنى ذنبا ولم يك كاذبا يتشيّع
هى يا أبا لهب كتائب ربه نزلت تذلّ الكافرين وتقمع
أخذت لبابة للضعيف بحقه ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع (١)
وشفته منك بضربة ما أقلعت حتى رمتك بعلة ما تقلع (٢)
قالت بغيت عليه واستضعفته أن غاب سيدّه وعزّ المفزع ؟
ما بالعمود ولا برأسك ريبة ان الغوىّ بمثل ذلك يردع
حييت أمّ الفضل تلك فضيلة فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله ، شاف ولا فيه لآس مطمع
تمضى البشائر جولا ، وتجول فى دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود وإنما أكلته سبع بعد ذلك جوع (٣)
هم غادروه ثلاثة فى داره لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع (٤)
رجموه لو كره السفاهة فارعوى ماساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم للجمع بالبيض الواتر يصدع
جز النساء شعورهن وغودرت للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروه العويل على أسى والبيت يشدو ، والحطيم يرجع

---

(١) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت من السابقات إلى الإسلام .

(٢) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها وتخاف عدواها أشد الخوف ، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات .

(٣) الليالى السبع التى مات بعدها

(٤) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته . وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

والمسلمون بنعمة من ربهم فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر لا مرد لحكمه هو ربنا ، وإليه منا المرجع

سَوادبْن غَزِيَّة

حليف بنى النجار

كان من أفراد الجيش فى هذه الغزوة ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم خارجا عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده سهم فطعنه به فى بطنه ، وقال له : استويا سواد فقال يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأعطنى القصاص فكشف الرسول الكريم عن بطنه ، وقال : استقد (أى خذ قودك وهو القصاص) فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريف .

يوم بدر ، وأنت أعلى مقاما إن ذكرنا من بعدك الأياما
ما ذكرنا بك القواضب يقظى أنت أيقظتها شعوبا نياما
غرقتْ فى الظلام لا تحسب البغى ذميما ولا الفسوق حراما
تكره العدل فى الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها أن يقاما
استقم يا سواد فى الصف واعلم أن للجيش فى الحروب نظاما
يا لها يا سواد طعنة سهم صادفت منك أريحيا هماما
لو يريد الأذى بها لم تطقها من يعاف الأذى ويأبى العراما[1]
عدل الصف فاستوى وقضى الأمر على شرعة الهدى فاستقاما
إنها شرعة لربك يمضيها فتهدى الشعوب والأقواما

---

(١) العرام الشدة .

تمنع المرء ذا البراءة أن يُؤ ذَى ، وتحمى الضعيف من أن يضاما
وتريه القوىّ يذعن للحق ويبغى بجانبيه اعتصاما
قلت أوجعتنى وقد جئت بالحق وبالعدل رحمة وسلاما
القصاصَ القصاصَ إنى أراه يا إمام الهداة أمرا لزاما
قال : هذا بطنى لبطنك كفؤ فاستقد ، إن للضعيف ذماما
طابت النفس يا« سواد » وعاد الآ ن بردا ما كان منها ضراما (١)
واعتنقت الرسول بعد شكاة فاعتنقت الخلال غُرّا وساما
وابتدرت البطن المطهّر لثما فابتدرت الخيرات شتى عظاما
ها هنا العدل والسماحة والإحسان ، أعظم بذا المقام مقاما
أدب الله عبده وهداه واصطفاه للمتقين إماما
أى دين كدينه فى علاه أى قوم كالمسلمين القدامى
أرأيت الضعاف فى كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاما ؟
حرموا الطيبات بغيا وظلما واستحلوا الذنوب والآثاما
رب إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاما
ابعث النور فى الممالك يهدى كل شعب غوى ، ويمحو الظلاما

---

(١) ضراما مشتعلا .

أصحاب القليب

كانوا أربعة وعشرين رجلا هم . عتبة بن ربيعة . أمية بن خلف
أبو جهل بن هشام . عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة . سعيد بن العاص
ابن أمية . حنظلة بن أبي سفيان . الوليد بن عتبة . الحارث بن عامر .
طعيمة بن عدى . نوفل بن عبد ، زمعة وعقيل ابنا الأسود . العاص بن
هشام أخو أبي جهل . أبو قيس بن الوليد . نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي
على بن أمية بن خلف . عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة . مسعود
ابن أبي أمية أخو أم سلمة . قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي . الأسود
ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة . أبو العاص بن قيس بن عدى السهمي ، أمية
ابن رفاعة .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فألقوا في القليب إلا أمية بن خلف
فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل — تقطعت أوصاله —
فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فهم أربعة وعشرون إذا استثنياه
جاء النبي إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادي زعماءهم
بأسمائهم ويقول ، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ماوعدني
الله حقا . وفي رواية أنه قال لهم — بئس عشيرة كنتم لنبيكم . كذبتموني
وصدقني الناس . وأخرجتموني وآواني الناسُ . وقاتلتموني ونصرني الناس
جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذكرا ما أصاب
قريشاً يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ، والله ما في
العيش خير بعدهم ، فقال عمير — صدقت أما والله لولا دين على ليس له
عندي قضاء . وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لكنت آتى محمداً حتى
أقتله ، وإن لي فيهم علة — ابني أسير في أيديهم . فاغتنمها صفوان وقال له
على دينك . أنا أقضيه عنك . وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، فتعاقدا
على ذلك . وأخذ عمير سيفه فشحذه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .
ودخل به عمر على النبي وهو آخذ بحمالة سيفه في عنقه فقال صلى الله
عليه وسلم : أرسله يا عمر — إدن ياعمير — ما الذى جاء بك — قال جئت
لهذا الأسير الذى في أيديكم ، يعني ولده وهباً . قال : فما بال السيف — قال
وهل أغنت السيوف عنا شيئاً — قال النبي : بل قعدت أنت وصفوان بن
أمية في الحجر وذكر له ما كان بينهما . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله
الحمد لله الذى هداني للاسلام

قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير ، فقهوا أخاكم في دينه . وأقرئوه
القرآن . وأطلقوا له أسيره ففعلوا وأسلم ابنه ، رضى الله عنهما .

كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة ، أبشروا

بوقعة تنسيكم وقعة بدر .
أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم وادياً مملوءاً من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

تلك عقبى البغى فانظر كيف عادا ؟ يا له من مصعب ألقى القيادا
أرأيت القوم شرًّا ، وأذى ؟ ورأيت القوم ناراً ورمادا ؟
غيبوا فى حفـرةٍ مسجورةٍ تخمد الدنيا وتزداد اتقادا[1]
ملئت رعباً ، وزيدت روعةً من عذاب كان ضعفاً ثم زادا
قف عليها ، وتبيَّن ما بها هل ترى إلا انتفاضاً وارتعادا ؟
يا لهم إذ زعموا أصنامهم تعجز الله كفاحاً وجلادا
جلَّ ربى . لم يغادر بأسه أنفساً منهم ، ولم يترك عتادا
خاصموا الله ، وعادَوا جنده وأرى الأصنام أولى أن تعادى
هى غرتهم فضلُّوا وعتوا واستحبوا الكفر بغياً وعنادا
حلّقوا بالأمس فى طغيانهم ثمَّ بادوا فى مهاويه وبادا
عظةٌ فى التُّرب كانت فتنةً وعذابٌ كان شرًّا وفسادا

* * *

كلْ هنيئاً من قليب قرمٍ يبلـعُ الكفار مثنى وفرادى[2]
طال منك الصَّوم ، واشتدَّ الطَّوى فخذ القوم التهامًا وازدرادا[3]
جرَّبوا الحرب ، وجاءوا فلقوا غمَمًا جلَّى ، وأهوالاً شدادا
سمعوا الصوت ، وما من ناطقٍ يخبر السائل منهم حين نادى
يا رسول اللهِ هم فى شأنهم غمرةٌ تطغى ، وبلوى تمادى

---

(١) مسجورة موقدة .
(٢) القرم الشديد الشهوة للحم .
(٣) الطوى الجوع .

صدقَ الوعد ، فكلٌّ موقنٌ   يا له منهم يقيناً لو أفادا
أنكروا الحقَّ ، وراموا غيره   فكأنَّ الله لا يجزى العبادا
هكذا من يعبدُ الطاغوت . لا   يتّقى ربًّا ، ولا يرجو معادا
جلَّ ربى وتعالى . إنّهُ   بالغٌ من كلِّ أمرٍ ما أرادا
إرفعى يا دولة الحقِّ العمادا   وأقيمى يا طواغيت الحداد
أىُّ حقٍّ ذلَّ فى سلطانه ؟   أىُّ زورٍ عزَّ فى الدُّنيا وسادا ؟
إنّ للهِ سيوفًا خُذَمًا   وجنوداً لا يَمَلُّون الجهادا[1]
بعث الأسطولَ فى آياتهِ   جائلاً يُعيي الأساطيل اصطيادا
قُوَّةٌ أرسلها من أمره   تفتحُ الدُّنيا ، وتحتلُّ البلادا
إنّ كلَّ الخير يا صفوان فى   مهلكِ القومِ ، فلا تعدُ الرشادا
دع عميراً لا تهجه ، واتّئد   إنَّ للعاقلِ فى الأمرِ اتئادا
أخذ السّيف صقيلاً مرهفاً   يأخذُ الأبطال والبيض الحدادا
ظلَّ يسقيهِ ، وما أدراه هل   كان سُمًّا ما سقاه ، أم شِهادا ؟[2]
كره الحقَّ ، فلمّا جاءه   نبذ الحقد ، وأصفاه الودادا
من حديثٍ أنبأَ اللهُ بهِ   خير من حدَّث عنهُ فأجادا
قال : أسلمتُ لربى وكفى   بالسّبيل السّمح ديناً واعتقادا
إقرأ القرآن ، واتبع هديَهُ   يا عمير الخير إنْ ذو الغىِّ حادا
إنّهُ النُّور الذى يجلو العمَى   إنّهُ السّرُّ الذى يُحيى الجمادا

* * *

أين يا صفوان ما أمّلته ؟   أين ما حدَّثت تستهوى السَّوادا ؟[3]

---

(١) خذما قاطعة .
(٢) جمع شهد .
(٣) السواد العدد الكثير . ومنه السواد الأعظم .

يالها داهيـــةً طارت بها   أعقب الجوّ ، وقد كانت نآدا[1]

لا تظنَّ الجود دينـاً يُشْتَرَى   سترى الجود الْمُصَفَّى والجوادا

ستراه واديًا من نعمٍ   يعجزُ الآمال سعيًا وارتيادا

هو من فيضِ العُبابِ المرتمى   يتقَصَّى الأرض مدًّا واطّرادا

الرسولُ السَّمحُ ، والمولى الذى   يسعُ الأجيـالَ برًّا وافتقادا

إقترح ما شئت واطمع لا تخف   من ندى كفّيه نقصاً أو نفادا

حبــذا الموئل فيما تتـقى   من أذى الدهر وما أعلى المصادا

سببٌ للهِ من يعلــق بهِ   لم يخف ضَيْماً ، ولم يخش اضطهادا

شهداء بدر
رضى الله عنهم

استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا ستة من المهاجرين . وثمانية من الأنصار . فالأولون هم : عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، مهجع مولى عمر بن الخطاب . عمير بن أبى وقاص . عاقل بن بكير الليثى. صفوان بن بيضاء الفهرى، ذو الشمالين عمير، وقيل الحارث، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى ، وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء . وحارثة بن سراقة ، ويزيد ابن الحارث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى ، وعمير بن الحمام ابن الجموح ، سعد بن خيثمة ، مبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين.

طُف بالمصارع واستمع نجواها   والْثم بأفياء الجنان ثراها[2]

ضاع الشذى القدسىُّ فى جنباتها   فانشقْ وصف للمؤمنين شذاها[3]

---

(١) الأعقب جمع عقاب . والنآد الداهية العظيمة .

(٢) الأفياء الظلال .

(٣) ضاع فاح وانتشر .

حِلَلٌ يروع جلالها ومنازلٌ ... من نور رب العالمين سناها[١]

ضمت حُماة الحق ماعرف امرؤٌ ... عِزّاً لهم من دونه أوجاها

الطالبين به على أعدائه ... موتاً إذا نشروا الجنود طواها

الخائضين من الخطوب غمارها ... المصطلين من الحروب لظاها

الباذلين لدى الفداء نفوسهم ... يبغون عند إلههم محياها

ما آثروا فى الأرض إلا دينه ... دينا . ولا عبدوا سواه إلَهاً

سلكوا السبيل مسددين تضيئه ... آىُ المفصل يتبعون هداها[٢]

قومٌ هم اتخذوا الشهادة بغيةً ... لا يبتغون لدى الجهاد سواها

هُمُ فى حمى الايمان أول صخرة ... فسل الصخور : أما عرفن قواها ؟

حملت جبال الحق فى دنيا الهدى ... بيضاً شواهق ما تنال ذراها

تؤتى الممالك والشعوب حياتها ... وتقيم من أمجادها وعلاها

ذهبت تُرفرف فى مسابح عزها ... ومضت يفوت مدى النسور مداها

تجرى الرياح الهوج طوع قضائها ... وتخافها فتحيد عن مجراها[٣]

طاف الغمام مهللا بظلالها ... فسقته من بركاتها وسقاها

شهداء بدرٍ أنتم المثل الذى ... بلغ المدى بعد المدى فتناهى

علّمتم الناس الكفاح فأقبلوا ... ملء الحوادث يدفعون أذاها

أما الفداء فقد قضيتم حقه ... وجعلتموه شريعة ترضاها

من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يُبين عن معناها

لولا الدماء تراق لم نر أمةً ... بلغت من المجد العريض مناها

أدنى الرجال من المهالك من إذا ... عرضت منايا الخالدين أباها

وَأَجَلُّ من رفع الممالك مظهراً ... بانٍ من المهج السماح بناها

(١) جمع حلة ـــ محلة القوم ـــ

(٢) المفصل القرآن الكريم .

(٣) الهوج الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها . جمع هوجاء .

كم أمةٍ لم تُوق عادية الردى | لولا الذى اقتحم الردى فوقاها
تسمو الشعوب بكل حر ماجدٍ | وجبت عليه حقوقها فقضاها
ما أكرم الأبطال يوم تفيّأوا | ظلل المنايا يتفون جناها
راحوا من الدم فى مطارف أشرقت | حمر الجراح بها فكن حِلاها[1]
لو أنهم نُشروا رأيت كلومهم | تدمى . كأنك فى القتال تراها[2]
ليسوا وإن وَردوا المنية للألى | غمر البلى وُرّادَهَم أشباها
هم عند ربك يُرزقون لحيّهم | وصف الحياة لأنفسٍ تهواها[3]
الله باركها ببـــــدر وَقعة | كل الفتوح الغرّ من جدواها
منعت ذمار الحقّ حين أثارها | وَحمت لواء الله حين دعاها
بخل الزمان ، فكنتُ من شعرائها | لو شاء ربى كنت من قتلاها
كم دولة للشرك زلزل عرشها | بدماء بدر واستبيح حماها
فى دولةٍ للمسلمين ، تشوقهم | أيامها ، وتهـــزهم ذكراها
يا ويح للأمم الضعاف : أتنقضى | دنيا الشعوب وما انقضت بلواها
أممٌ هوالك ، ما لمست جراحها | إلا بكت ويكيت من جراها
لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها | ماذا من القدر امتاح دهاها ؟
إن الذى خلق السهام مثلها | جمع المصائب كلها فرماها

---

(١) جمع مطرف وهو الرداء المعلم .

(٢) جاء فى الأثر الشريف : أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) وما من جريح يجرح فى الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه . اللون لون الدم والريح ريح المسك . الكلوم الجروح .

(٣) يشير الى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ذكرى هذه الغزوة المباركة

نظمت هذه القصيدة للحفلة التى أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام بالقاهرة ، إجلالا لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٨ هـ وقد رأى الناظم إثباتها هى والقصيدة التى تليها .

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم ... وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم

تعلموا وخـذوا الأنباء صادقة ... عن كل ذى أدب بالصدق يتسم

أمن يقول . فما ينفك يكذبكم ... كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟

لكم على الدهر منّى شاعر ثقة ... تقضى الحقوق وترعى عنده الذمم

تعلموا يا بنى الإسـلام سيرته ... وجددوا ما محا من رسمها القدم

الله أكبر هل هانت ذخائره ... فما لكم مقتنى منها ومغتنم ؟

بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم ... وغالهم من ظنون السوء مازعموا

ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم ... أكل ما عندكم أن تحشد الكلم

لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا ... من باذخ المجد يمسى وهو منهدم

إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم ... والحزن أيسر ما يلقاه والألم

سن السبيل لكم مجداً ومأثرة ... فلا يد نشطت منكم ولا قدم

غاز يصول بجند من وساوسه ... وقائد ماله سيف ولا علم

* * *

حيوا الغزاة قياما وانظروا تجدوا ... وفودهم حولكم يا قوم تزدحم

ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا ... فى كل ناحية للحرب يضطرم

حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم ... جبريل فى غمرات الهول يقتحم

الأرض ترجف رعبا والسماء بها ... غيظ يظلّ على الكفار يحتدم

هم حاربوا الله لا يخشون نقمته ... فى موطن تتلاقى عنده النقم
مَن جانب الحق أردته عمايته ... وأحزم الناس من بالحق يعتصم
الدين دين الهدى تبدو شرائعه ... بيضا تكشف عن أنوارها الظلم
ما فيه عند ذوى الألباب منقصة ... ولا به من سجايا السوء ما يصم
يحيي النفوس إذا ماتت ويرفعها ... إذا تردت بها الأخلاق والشيم
لا شيء أعظم خزيا أو أشد أذى ... من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم
دين تصان حقوق العالمين به ... ويستوى عنده السادات والخدم
ضل الألى تركوا دستوره سفها ... فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم
دعا النبي فلبّي من قواضبه ... بيض مطاعمها المأثورة الخذم
حرّى الوقائع، غرثى لا كفاء لها ... إن جد ملتهب، أو شد ملتهم
تجرى المنايا دراكا فى مسايلها ... كما جرى السيل فى تياره العرمُ
قواضب الله مانامت مضاربها ... عن الجهاد، ولا أزرى بها سأم
يرمى بها كل جبار ويقصمه ... إن ظن من سفه أن ليس ينقصم
الجيش منطلق الغارات مستبق ... والبأس محتدم والأمر محتكم
الله ألف بين المؤمنين، فهم ... فى الحرب والسلم صف ليس ينقسم
كروا سراعا، فللأعمار مصطرع ... تحت العجاج، وللأقدار مصطدم
من كل أغلب يمضى الحتف معتزما ... إذا مضى فى سبيل الله يعتزم
حرّان يحسب إذ يرمى بمهجته ... نشوان يزداد سكراً أو به لمم
للحق نشوته فى نفس شاربه ... وليس يشربه إلا امرؤ فهم
وأظلم الناس من ظن الظنون به ... ما كل ذى نشوة فى الناس متهم
طال القتال، فما للقوم إذ دلفوا ... إلا البلاء وإلا الهول يرتكم
وقام بالسيف دون الليث صاحبه ... يذود عنه، وعزّ الليث والأجم
ماذا يظن أبو بكر بصاحبه؟ ... إن الرسول حمى للجيش أوحرم

أمن النفوس إذا اهتاجت مخاوفها والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم
هل يعظم الخطب ، يرميه أمرؤ درب أفضى الجلال إليه وانتهى العظم ؟
راع الكتائب واستولت مهابته على القواضب تلقاه فتحتشم
دعا فما جت سماء الله وانطلقت كتائب النصر ملء الجو تنتظم
لا هم غوثك ، إن الحق مطلبنا وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
تلك العصابة مالله إن هلكت فى الأرض من عابد للحق يلتزم
جاء الغياث فدين الله منتصر عالى اللواء . ودين الشرك منهزم
جنى على زعماء السوء ما اجترحوا وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا
ما الجاهلية إلا نكبة جلل تُردى النفوس وخطب هائل عمم
هذى مصارعها تجرى الدماء بها وتشتكى الهون فى أرجائها الرمم
هذا أبو الحكم أنجابت عمايته لما قضى السيف وهو الخصم والحكم
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى آيات ربك فى القوم الذين عموا ؟
هذا القليب لكم فى جوفه عبر لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم(١)
ذوقوا العذاب أليما فى مضاجعكم ما فى المضاجع إلا النار والحمم
لا تجزعوا ، واسمعوا ماذا يقال لكم فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
الشرك يُعول والإسلام مبتسم سبحان ربى له الآلاء والنعم
يا قومنا إن فى التاريخ موعظة وإنه للسان صادق وفم
لنا من الدم يجرى فى صحائفه شيخ يحـدثنا أن الحياة دم

---

(١) القليب البئر .

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التى أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ١٣٦٠ هـ

على ذكرها فليعرف الحق جاهله ... ويؤمن بأن البغى شتى غوائله

هى الغزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت ... جحافلها العظمى وولت جحافله

وأصبح دين الله قد قام ركنه ... فأقصر من أعدائه من يطاوله

بنتــه سيوف الله بالعزم إنه ... لأصلب من صم الجلاميد سائله

تـكلُّ قوى الجبار عما تقيمه ... عليه يد البـانى وتنبو معاوله

أهـاب رسول الله بالجند أقدموا ... ولا ترهبـوا الطاغوت فالله خاذله

أما تنظرون الأرض كيف أظلها ... من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟

خذوه ببأس لا تطيش سهامه ... فأنتم منـاياه وهـذى مقاتله

علينـا الهدى ، إما بآيات ربنا ... وإما بحد السيف ، لا خاب حامله

إذا أنـكر القوم البراهين أخضعت ... براهينـه أعنـاقهم ودلائله

مضى البأس بدرى المشاهد ترتمى ... أعاصـيره نارا ، وتغلى مراجله

وضج رسـول الله يدعو إلهه ... فيالك من جند طوى الجوّ جافله

تنزل يزجى النصر تنساب من عل ... شآبيبـه نورا ، وينهلّ وابله

أحيزوم أقدم إنه الجدُ لن يرى ... سواه عـدو كاذب البأس هازله

هـو الله يحمى دينـه ويعزه ... فمن ذا يناديه ؟ ومن ذا يصاوله ؟

تمزق جيش الكفر وانحل عقده ... فخـابت أمانيـه وأعيت وسائله

وما برسول الله إذ ناله الأذى ... سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله

نبىّ يحب الله حبّ مجاهد ... يرى دمه من حقـه ، فهو باذله

يعظمـه فى نفسه ويطيعـه ... وما يقض من أمر له فهو قابله

كذلك كان المسلمون الألى مضوْا … فيالك عصرا يبعث الحزن زائله

صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا … إلى غيرنا نهذى به وهو شاغله

يجالد من يبغى الحياة عـدوّه … فيـا لعدو لم يجد من يجادله

بنا من عوادى الدهر كل مسلّط … مـكائده مبثـوثة وحبائله

قضينا المدى ماتستقيم أمورنا … وهل يستقيم الأمر عاليـه سافله؟

عجبت لقومى عُطّل الدين بينهم … وجنوا به، والجهل شتى منازله

يحبـونه حب الذى ضلّ رأيه … فقاطعه منهم سواء وواصله

صلاة وصوم يركض الشر فيهما … حثيثا تهز المشرقين صواهله

وكيف يقوم الدين مابين أمة … إذا عُطّلت آدابه وفضـائله

سلام علينا يوم يصدق بأسنا … فيمضى بنا فى كل أمر نحاوله

ويوم تـكون الأرض تحت لوائنا … فليس عليها من لواء يماثله

أنمشى بطاء، والخطوب تنو بنا … سراعا، وعادى الشر ينقض عاجله؟

ألا همة بدرية تـكشف الأذى … وتشفى من الهم الذى اهتاج داخله؟

ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى … وتصغى إلى القول الذى أنا قائله؟

ألا دولة للحق تسلك نهجـه … وتمشى على آثاره ماتزايله؟

إذا نحن لم نرشد، ولم نتبع الهدى … فلا تنكروا ياقوم ما الله فاعله

غزوة بني قينقاع

كان خروج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى هذه الغزوة فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود . فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهى تأبى، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده إلى ظهرها — وقيل خله بشوكة وهى لا تشعر — فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى مرسل . تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم .

قالوا يا محمد : أترانا مثل قومك ، لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب . إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغياً ، فلما قالوا ذلك أنزل الله ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون — الآية ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم — الآية ﴾ .

ردُّوا بنى قينقاع الأمر إذ نزلا ... هيهات هيهات أمسى خطبكم جللا[1]

نقضتم العهد معقودا على دخل ... لعاقد ما نوى غشاً ولا دخلا[2]

ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه ... بين الجوانح حتى شب واشتعلا

هاجت وقائع بدر من حفيظتكم ... ونبهت منكم الداء الذى غفلا[3]

أتنكرون على الإسلام بهجته ... والله أطلعه من نوره مثلا ؟

دين الهدى يا بنى التوراة يشرعه ... للناس من شرع الأديان والمللا

---

(١) جللا عظيما .

(٢) الدخل : المكر والخديعة .

(٣) الحفيظة : الغضب .

لا تدعوا أنكم منها بمعتصم واق . ولا تطمعوا أن تتركوا هملا
جاء النبيّين بالفرقان وارثهم سبحان من نقل الميراث فانتقلا
رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله يهدى الشعوب ويشفى منهم العللا
هلا سألتم أخاكم حين يبعثها هو جاء يعصف فيها الشر مافعلا ؟
إن التى رامها فى عزها سفهاً لتؤثر الموت مما سامها بدلا
لا يبلغ العرضَ منها حين تمنعه من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا
وقد يكون لها من ربها رصد إذا رماه بعينى غاضب جفلا(١)
ما زال بالدم حتى ظل سافحه يجرى على دمه مسترسلا عجلا
ما غركم بقضاء الله يرسله على يدى بطل ـ أعظم به بطلا ؟
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم من طائف الجهل داع يورث الخبلا
قلتم . رويداً فإنا لا يصاب لنا كفؤ إذا ما التقى الجمعان فاقتتلا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم على يديك ، وإذ يعطونك النفلا(٢)
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم ترجو الأمان وتُبدى الخوف والوجلا
كم موئل شامخ العرنين يعجبكم يود يومئـــذ لو أنه وألا(٣)
أمسى عبادة منكم نافضاً يده فانبتّ من عهده ما كان متصلا(٤)
نعم الحليف غدرتم فانطوى حنقا يرجو الآله ، ويأبى الزيغ والزللا(٥)

---

(١) جفل : أسرع منزعجا .

(٢) النفل الغنيمة .

(٣) طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرنين كناية عن العزة والمعنى كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة فى هذا اليوم .

(٤) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبى بن سلول . فتبرأ عبادة منهم وقال يارسول الله ـ أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ـ وبقى عبد الله ابن أبى على حلفه لهم ، وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . إلى قوله تعالى ـ فإن حزب الله هم الغالبون) وانبت ـ انقطع .

(٥) الحنق الغيظ ـ الزيغ الضلال .

ما كان كابن أبى فى جهالته … إذ راح شيطانه يرخى له الطولا[١]

مضى على الخلف يرعى معشرا غدراً … أهون بكم معشراً لو أنه عقلا

لاتذكروا الدم، إن السيف منصلت … فى كف أبيض يدمى البيض والأسلا[٢]

وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم … ولن تروا ناصراً يُرجى لمن خذلا

مشى الرسول وجند الله يتبعه … من كل مقدامة يغشى الوغى جذلا[٣]

يهفو إلى الموت مشتاقاً ، ويطلبه … بين الخميسين . لا نكساً ولا وكلا[٤]

لو غيبته المواضى فى سرائرها … ألقى بمهجته يرتاد مدّخلا

يخال فى غمرات الروع من مرح … لولا الرحيق المصفى شارباً ثملا[٥]

أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا … وانساب منطلقاً يهديهم السبلا[٦]

عجبت للقوم ، طاروا عن مواقعهم … ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلا

مضوا سراعا إلى الآطام واجفة … يخال أمنعها من ضعفه طللا[٧]

طال الحصار، وظل الحتف يرقبهم … حران يشجيه ألا ينقع الغللا

أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا … واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحيلا[٨]

من كل ذى سغب لو قال واحده … كلنى ليعلم ما فى نفسه أكلا[٩]

---

(١) الطول الحبل الطويل .

(٢) المنصلت السيف الصقيل الماضى والأبيض الرسول الكريم . والبيض السيوف والأسل الرماح .

(٣) المقدامة الشجاع والجذل الفرح والوغى الحرب .

(٤) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق . المقدمة . والقلب . والميمنة . والميسرة ، والساقة . والنكس من لاخير فيه من الرجال . والوكل العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٥) الغمرات الشدائد ، والروع الفزع والمراد به الحرب والثمل السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لتحسبه ثملا .

(٦) لجاوا إلى حصونهم فسار النبى صلى الله عليه وسلم إليهم . وكان لواؤه بيد عمه حمزة ابن عبد المطيب رضى الله عنه .

(٧) الأطام الحصون .

(٨) الماعون كل ما ينتفع به من منافع البيت .

(٩) السغب الجوع .

لا يملكون لأهليهم وأنفسهم إلا العذاب . وإلا الظن والأملا
ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم في مجهل يتردى فيه من جهلا
حتى إذا بلغ المكروه غايته وهال كل غويّ الرأى ما حملا
تضرعوا يسألون العفو مقتدرا يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
أعطى النفوس حياة من سماحته فكان أكرم من أعطى ومن بذلا[1]
لو شاء طاح بهم قتلا فما ملكوا من بعد مهلكهم قولا ولا عملا
ما الظن با بن أبيّ حين يسأله من الأناة وفضل الحلم ما سألا ؟[2]
أما رأوه جريحاً لو يصادفه حِمامه لم يجد من دونه حولا ؟[3]
زالوا عن الدور والأموال وانكشفوا عن السلاح . وراحوا خضعاً ذللا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم ساءوا مقاماً ، وساءوا بعد مرتحلا
ساروا إلى أذرعات[4] ينزلون بها نكداً مشائيم ، لا طابت لهم نزلا
بادوا بها ، وتساقوا في مصارعهم سوء العذاب ومكروه الأذى نهلا[5]
يلوم بعض على ما كان من سفه بعضاً ، فمن يقترب يسمع لهم جدلا
أهل المعاقل ، هدتهم مدمرة تمضى ، فلا معقلا تُبقى ولا جبلا
رمى بها من رسول الله متئد لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسلا
هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟ فافتح بها الأرض أو فامسح بها الدولا

---

(١) سألوا النبي بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يخلى سبيلهم على أن يجلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٢) قيل إن النبي أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلمه عبد الله بن أبى فيهم وألح عليه . وأنه أدخل يده في جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم . وأنه صلى الله عليه وسلم قال له خذهم لا بارك الله لك فيهم ، وأمر بإجلائهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٣) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله في إقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضباً الحول اسم من التحول والانتقال .

(٤) اذرعات بلد بالشام .

(٥) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين خذهم لا بارك الله لك فيهم .

غزوة السويق

كانت فى اليوم الخامس من ذى الحجة فى العام الثانى من الهجرة .

نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه خرج فى مائتى راكب من مشركى قريش ليبر بيمينه فنزل على مسافة بريد من المدينة وأتى بنى النضير ليلا يريد دار حيى ابن أخطب أحد رؤسائهم فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار — قيل إنه معبد بن عمرو . وحليفاً لهم — الأنصار — فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فخرج النبى يطلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار فجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب بإلقاء جرب — جمع جراب — السويق فيأخذه المسلمون ، وذهبوا فلم يدركوهم — السويق القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن .

تأنّ ابنَ حرب لست فى مثلها جلدا — قصاراك أن ترتدّ حرّان أو تردى[1]

هى الغارة الحرى ، فإن شئت فانطلق — وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعاً بردا

جلا السيف فى بدر لعينك ما جلا — وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى[2]

حلفت لئن لم تأت طيبة غازيا — لتجتنبنّ الطيب والخرّد الملدا[3]

أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسُه — من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟

كذلك وعد الله ، لو كنت مؤمنا — لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا

جرى طيركم نحساً ببدر ، ولن تروا — لكم ما عبدتم غيره طائراً سعدا

أمضَّك وجد متلف من محمد — ولست أبا سفيان إن لم تزد وجدا[4]

---

(١) القصارى : الجهد والغاية . الحران العطشان والمقصود المغيظ وتردى تهلك .

(٢) النصر المؤزر البالغ الشديد .

(٣) الخرد الأبكار والخفرات من النساء والملد الناعمات .

(٤) مضه الأمر وأمضه أحزنه حزنا بالغا .

رويداً هداك الله ، إنك لن ترى ... له فى الوغى إن هجته للوغى نِدّا

أراك غررت القوم إذ رحت مُوجفاً ... تخادعهم عن حلفة لم تكن جدا(١)

ذهبت تقود الجند يا لك قائداً ... ويااللالى سيقوا إلى يثرب جندا

تحاول نصراً من حيىّ بن أخطب ... وصاحبه هيهات زدت المدى بعدا

رُددت عن الباب الذى جئت طارقاً ... فيالك سهماً ما ملكت له ردا

وما نلت خيراً إذ أتيت ابن مشكم ... وكنت امرأ أعمى الهوى لا يرى رشدا

بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع ... لنفسك عزاً تبتغيه ولا مجدا

شببت بهم ناراً ترامى لهيبها ... بعينك يبكى الضال أو يضحك الرندا(٢)

فوارس راحوا خفية فى سيوفهم ... فما وجدوا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا

يصيبونها شتى الجنى ، وكأنما ... يصيبون من أعدائهم معشراً لدا(٣)

تولّوا سراعاً بعد مقتل معبد ... وصاحبه والخيل تتبعهم جردا(٤)

عليها من الغر الميامين فتية ... تبادر ورد الموت تلتمس الخلدا

دعاها الرسول المجتبى فكأنما ... دعا عاصفاً صعباً يهدّ القوى هدّا

مضى ومضوا إثر السراحين ترتمى ... إلى شيخها مذعورة تتقى الأسدا(٥)

فلما رأى الجدّ استطار ولم يجد ... من الأرض يهوى فى مساربها بُدّا

يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم ... وفروا خفافاً ، لا يكن أمركم إدا(٦)

وطاروا شعاعاً . للسويق وراءهم ... ركامٌ إلى أعداء أربابهم يُهدى(٧)

---

(١) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله يجف أى يعدو ويسرع .

(٢) الضال والرند نوعان من الشجر البرى . والأول السدر .

(٣) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٤) من الجرد وهو قصر الشعر . صفة محمودة فى الخيل .

(٥) يريد بالسراحين المشركين وشيخهم أبو سفيان .

(٦) الإد الداهية والأمر المنكر الفظيم .

(٧) شعاعاً متفرقين ، الركام الشيء المتراكم بعضه فوق بعض .

همُ رفدوهم كارهين ، ولو وفوا ... بأيمانهم كانوا لأسيافهم رفدا[١]
إليك ابن حرب إن للحرب جذوة ... إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا[٢]
هى النصر أو عاد من الموت واقعٌ ... بكل كميّ ، لا مفرّ ، ولا معدى[٣]
فررت تخاف الفقد فى حومة الوغى ... بأيدى الألى يستعذبون بها الفقدا
أفى الحق أن لا تعبد الله وحده ... وتسجد للعزّى تكون لها عبدا ؟
سبيلان شتى . أنت لابد عالمٌ ... إذا ما استبنت الرشد ، أيهما أهدى
رجعت مغيظاً . لم تنل وتر هالك ... ولم تشف غيظاً من ذويك ولا حقدا
تصدُّ قريشٌ عنك مما كذبتها ... ومنّيتها ، يا طول همك لو أجدى
قل الحق ، ما للعالمين سكينة ... على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردا

غزوة أُحُد

كانت فى شوال من السنة الثالثة ــ وأحد جبل من جبال المدينة .

لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة ابن أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان وإلى من من كان له تجارة فى العير التى كانت سببا للوقعة ــ وكانت لا تزال موقوفه فى دار الندوة ــ يحرضون على الحرب وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش : فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل وبنو عبد مناف معى ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفا . ونزلت ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟ ... تأمل أيها المولى قليلا

(١) رفده أعطاه وأعانه ، الرفد العطاء .

(٢) الجذوة القطعة من الجمر لاتنطفىء حتى تصير رماداً .

(٣) مصدر ميمى من عدا الأمر إذا جاوزه وانصرف عنه .

لبثت تعالج الداء الدخيلا ... وتضمر فى جوانحك الغليلا[١]
وما يجديك لاعجه فتيلا

أما تنفكُّ تذكر يوم بدر ؟ ... وما عاينت من قتل وأسر ؟
وراءك ، إنها الأقدار تجرى ... بنصر للنبىّ وراء نصر
وكان الله بالحسنى كفيلا

أبا سفيان دع صفوان يبكى ... وعكرمة يطيل من التشكى
وقل للقوم فى بر ونسك ... نهيت النفس عن كفر وشرك
وآثرت المحجة والسبيلا[٢]

أراك أطعتهم وأبيت إلا ... سبيل السوء تسلكه مدلا[٣]
تريد محمداً وأراه بسلا ... رويدك يا أبا سفيان : هلا[٤]
أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

قريش لم تزل صرعى هواها ... وعير الشؤم لم تحلل عراها
أجل عينيك ، وانظر ماعساها ... تسوق من الجنود إلى وغاها ؟
فقد حملت لكم أسفاً طويلا

دعا صفوان شاعره فلبّى ... وكان يسومه شططاً فيأبى
أحل له الهجاء . وكان خبّا ... أحب من الخيانة ما أحبا[٥]
يريد العيش محتقراً ذليلا

(١) الغليل : الغيظ والحقد .

(٢) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .

(٣) المدل الواثق بنفسه وبما لديه .

(٤) البسل : الحرام والمراد الممتنع .

(٥) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى ، قال إنى عاهدت محمدا حين أطلقنى فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا ، فقال صفوان : بل أعنا بلسانك ياأبا عزة فخرج هو ومسافع يستنفران الناس ، والشطط مجاوزة القدر فى كل شىء ، والخب : الخداع .

يذمُّ محمداً ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تغمَّد حقــــه وجزاه شرا وأمسى عهـده كذباً وغـدرا
وإن له لمنقلباً وبيلا[١]

ألم يمنن عليـه إذ الأسارى تـكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به مولهـة حيارى تود لوانهـا ملكت فرارا
وهل يُعطَى عدو الله سولا ؟

جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرفاً ومجدا ؟
أحمزة أم طعيمة كان أهدى ؟ رويدك ياجبـير أتيت إدّا[٢]
وإن قضاء ربك لن يحولا

أراد فما لوحشيٍّ محيـــد ولا لك مصرف عمـا يريد
أليس لحمزة البـأس الشديد فما يُغنى فتاك وما يفيــــد ؟
تبارك ربنا رباً جليلا

تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغـــايا
منـــايا قومهم جابت منـايا فسيرى فى سبيلك يا مطـايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلا[٣]

---

(١) يأل يقصر فى الشكر ، تغمد حقه أنـكره . وأصل المعنى ستر الشىء وإخفاؤه ، والوبيل الشديد السيء ظفر النبي صلى الله عليه وسلم به في وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت بقتله . وحمل رأسه إلى المدينة .

(٢) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشياً . وقال له اخرج بحربتك مع الناس فإنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (قتله حمزة رضى الله عنه فى وقعة بدر) فأنت عتيق ، وإدا قطيعا .

(٣) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل . وخرجت النساء مع المشركين بالدفوف . ويقول ابن الجوزى ـ وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخور والبغايا . والكتائب والسرايا الجيوش والرسيم والذميل نوعان من سير الأبل والأول أسرع .

وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضـا فأرضـا
لعـل النـاقم الموتور يرضى نشدتك فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهيـلا

ويا هند اندبى القتلى ونوحى وزيدى مابقـومك من جروح
وراءك كل منصلت طمـوح تُهيِّجُ بأسـه ريح الفتـوح
وراءك فتية تأبى النـكولا[١]

وراءك نسـوة للحرب تُزجَى ترجُّ دفوفهـا الأبطـال رجًّا
وتلك خمـور عسكرك المرجَّى وكان الغى بالجهـلاء أحجى[٢]
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيتِ الرأى شؤماً أىَّ شؤم وما تدرى يمينـكِ أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس همٍّ تغلغل منك بين دمٍ ولحم[٣]
فيا ابنة عتبَة اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية بنت وهب يُشَقُّ القبر ياامرة بن حرب
ويُقطَعُ بالمُدى فى غير ذنب ليُفدَى كل مأسور بإرب
فيا عجباً لقول منك قيلا[٤]

هى الهيجاء ليس لهـا مردُّ فمن يك هازلا ، فالأمر جدُّ

---

(١) هند زوج أبى سفيان . كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار والمنصلت هنا الماضى فى الأمور والنكول النكوص والجبن .

(٢) أحجى أخلق .

(٣) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ جثمانها . قالت . فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير بإرب من آرابها ـ الإرب الجزء ـ فأبوا خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم .

لبأس الله يا هنــــدُ أشدُّ   له جنــد وللكفار جند

وإن لجنده البطش المهولا

سيوف محمد أمضى السيوف   وأجلب للمعاطب والحتوف[1]

إذا هوت الصفوف على الصفوف   وأعرض كلُّ جبار مخوف

مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى السعدين قد دلفا وهـذا   عليٌّ بالحســام العضب لاذا

وحمزة جَـدَّ معتزماً فمـاذا ؟   ومن للقوم ان أمسوا جذاذا ؟

وطار حماتهم فمضوا فلولا[2]

وفى الأبطال فتيانٌ رقاق   بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق

لهم فى الناهضين لها انطلاق   دعا داعى الجهاد فما أطاقوا

بدار السلم مثوى أو مقيلا[3]

أعادهم النبى إلى العرين   شبولا سوف تصلب بعـد لين

يضنُّ بها إلى أجل وحين   رعاك الله من سمح ضنين

يسوس الأمر يكره أن يعولا[4]

وقيل لرافع نعم الغــلام   إذا انطلقت لغايتها السهام

---

(١) الحتوف جمع حتف وهو الموت .

(٢) سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ودلفا تقدما والحسام العضب السيف القاطع — ولاذ لجأ ، وجذاذا قطعا وفلولا منهزمين .

(٣) عرض النبى جيشه بعد أن عسكر بالشيخين — أطمان أو جبلان — فوجد فيه جمعاً من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة . وقيل الرابعة عشرة من العمر ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد وأنا أصرعه فبلغت مقالته النبى فقال تصارعا فصرع سمرة صاحبه فأجازه والمثوى المقام .

(٤) عال فى الحكم جار ومال عن الحق . وعاله الأمر شق عليه وثقل .

تقــــدم أيها الرامى الهمام   إذا الهيجاء شب لها ضرام

فأمطرها سهامك والنصولا[1]

ونادى سمرة أيردُّ مثلى   ويقبل صاحبى وأنا المجلِّى[2]

أصارعه . فإن أغلب فسؤلى   وكيف أذاد عن حق وعدل ؟

وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

وصارعه فكان أشـد أسرا   وأكثر فى المجال الضنك صبرا[3]

وقيل له : صدقت فأنت أحرى   بأن تردَ الوغى فتنال نصرا

ألا أقبل فقـــد نلت القبولا

أعبـــد الله مالك من خلاق   فعد بالناكثين ذوى النفاق

كفاك من المخافة ما تلاقى   ومالك من قضــــاء الله واق

وإن أمسيت للشعرى نزيلا[4]

أبيت على ابن عمرو ما أرادا   وشر القوم من يأبى الرشادا[5]

نهاك . فلم تزد إلا عنادا   ألم يسمع فريقك حين نادى

أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟

يقول : نشدتكم لا تخذلوه   وموثق قومكم لا تنقضوه

---

(١) نصل السهم حديدته . والنصول جمع .

(٢) المجلى الأول من خيل السباق وأذاد أدفع .

(٣) الأسر الخلق بخاء مفتوحة وشدة الأسر من صفات القوة . والضنك الضيق .

(٤) عبد الله بن أبى بن سلول — رجع ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة رجل وهو يقول — عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم — لا ندرى على م نقتل أنفسنا ؟ ؟ ارجعوا أيها الناس . والخلاق النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة . والناكثين الغادرين ، والشعرى نجم .

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر رضى الله عنهما ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم ، يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم فلم يطيعوه فقال : أبعدكم الله ، سيغنى الله تعالى عنكم نبيه .

رسول الله إلاّ تنصروه فإن الحق ينصره ذووه

ألا بعداً لمن يبغى الغلولا[١]

تجلَّى نور ربك ذى الجلال وهز الشّعب صوت من بلال

بلال الخير أذَّنَ فى الرجال فهبوا للصلاة من الرحال

وقاموا خلف سيدهم مثولا[٢]

علا صوت الأذين ، فأىُّ معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟[٣]

إلٰهُ الناس فرد لا يثنَّى تأمل خلقه إنساً وجنا

فلن تجد الشريك ولا المثيلا

أجل ـ الله أكبر لا مِراءَ فهل سمع الألى كفروا النداء ؟

أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سماء

جلالُ الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون : حىَّ على الفلاح

تلقّى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحى

يسبّح ربه غب ارتياح ويحمده بألسنة فِصاح[٤]

تعطفت الجبال على البطاح وكبّرت المدائن والضواحى

وأوّبت البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح[٥]

---

(١) الغلول الخيانة .

(٢) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة وصلى النبى بأصحابه ـ الرحال جمع رحل وهو هنا بمعنى المثوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث . ومثول جمع ماثل أى قائم .

(٣) الأذين المؤذن .

(٤) غب بمعنى بعد .

(٥) التأويب هنا ترجيع الصوت (و يا جبال أوبى معه) .

كتاب الحق . ما للحق ماح يُرتَّل فى الغدوِّ وفى الرواح

فقل للناس من ثمِلٍ وصاح شريعة ربكم ، ما من براح

فمن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام

أقمها يا محمد فهى لام تساقط حولها الجُنَن العظام[١]

بها يتخطف الجيش اللهام وليس كمثلها جيش يرام[٢]

قضاها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام

يوطّد من بنَى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى ، وهى السنام

نهضت لها ، وما هبّ النيام وبادرها الميامين الكرام

مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام

يصون لواءه جيلا فجيلا

هُدَى الأجيال يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة[٣]

وبالأخلاق غُرًّا طيبات مُلقَّى الوحى والإلهام هات

وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات

وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات المعالم مشرقات

شعوب الأرض من ماض وآت عيالُك ، فاهدهم سُبل النجاة

---

(١) اللام جمع لامة وهى الدرع والجنن جمع جنة وهى هنا ما يتق به من السلاح .

(٢) الجيش اللهام العظيم .

(٣) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة . ومن قوله فى هذه الخطبة ـ ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه . لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها . فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ، لايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله . والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

إذا ضلّت دهاقين الثقات وأمسى الناس أسرى التُّرَّهات[١]
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات
أقمت الأرض تكره أن تميلا

ألا برز الزبير فأى وصف حوارىُّ الرسول يفى ويكفى ؟
برزت لخالد حتفاً لحتف تصد قواه عن كرٍّ وزحف
وتدفعه إذا ابتعث الرعيلا[٢]

ألم تره وعكرمة استعدّا ؟ فأمّا جدّت الهيجاء جدا
بنى لهما رسول الله سدا ومثلك يُعجز الأبطال هدّا
ويترك كل ممتنع مهيلا[٣]

لمن يرث الممالك لا سواه أعد القائد الأعلى قواه
وبثّ الجيش أحسن ما تراه تعالى الله ليس لنا إله
سواه فوالِهِ ودَع الجهولا

رماةَ النبل ما أمر النبىّ فذلك ، لا يكن منكم عصىُّ[٤]
إذا ما زالت الشم الجثىُّ وكان لها انطلاق أو مضىُّ[٥]
فكونوا فى أماكنكم حلولا

(١) الدهاقين الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال والترهات الخرافات .

(٢) اقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين . فأمر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب آخر وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال ولرعبل النضعة من الخيل .

(٣) المهيل من الرمل ونحوه ما انهال .

(٤) كان الرماة خمسين رجلا أمر النبى عليهم عبد الله بن جبير وقال ــ انضح الخيل عنا بالنبل . لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ــ وفى رواية إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، إرشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم . اللهم إنى أشهدك عليهم ،

(٥) الجبال الرواسى كأنها فى صورة من يجثو أى يجلس على ركبتيه أو يقوم على أطراف أصابعه .

رماة النبل ردُّوا الخيل عنَّا وإن نهلت سيوف القوم منَّا
فلا تتزحزحوا ، فإذا أذنَّا فذلك ، إن للهيجاء فنَّا
تاقنه الجهابذة الفحولا[١]

تاقّ أبا دجانة باليمين حسامك من يد الهادى الأمين[٢]
وخذه بحقه فى غير لين لتنصر فى الكريهة خير دين
يرفُّ على الدنى ظلا ظليلا

نصيبك نلته من فضل ربّ قضاه لصادق النجدات ضرب[٣]
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق عضب
تبختر وامض مسنوناً صقيلا[٤]

أبا سفيان لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذما[٥]
أحين بعثتها شراً وشؤما أردت هوادة ، وطلبت سلما ؟
مكانك لا تكن مَذِلاً ملولا[٦]

(١) الجهابذة جمع جهبذ وهو الناقد البصير .

(٢) أخرج صلى الله عليه وسلم سيفاً مكتوباً فى إحدى صفحتيه .

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم . وكان من جملتهم على بن أبى طالب قام ليأخذه فقال اجلس . وعمر فأعرض عنه ، والزبير (وطلبه ثلاث مرات) فكذلك ، وقام أبو دجانة فقال ، وما حقه يارسول الله . قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى ، قال أنا آخذه بحقه فدفعه إليه .

(٣) الضرب من الرجال الماضى فى الأمور .

(٤) كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبى وقد رآه بين الصفين : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن .

(٥) نادى عند إصطفاف القوم ــ يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف . عنكم فشموه أشد الشتم .

(٦) المذل القلق الضجور .

من الداعى يصيح على البعير أمالى فى الفوارس من نظير[1]

أرونى همـة البطل المغير إلىَّ ـ فما بمثلى من نكير[2]

أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحـداه الزبير وفى يديه قضـــاء خف عاجله إليه

رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرّعه منيته عليـــه

فأسلم نفسه وهوى قتيلا

ألا بعـدا لطلحة حين يهذى فيأخـــذه علىٌّ شر أخـذ[3]

أصيب بقسورىّ البأس فذٍّ يُعدُّ لـكل طاغى النفس مؤذ[4]

يعالج داءه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضحى اللواء بلا عميد

بصارم حمزةَ البطل النجيـد هوى عثمانُ إثر أخ فقيـد

وأم الـكفر ما برحت ثـكولا[5]

---

(١) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه . فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ـ لـكل نبى حوارى . وإن حوارى الزبير . وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

(٢) نكر الرجل الآخر نكيراً جهله ولم يعرفه .

(٣) طلحة بن أبى طلحة ـ من بنى عبد الدار ـ حامل لواء المشركين ـ طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه ـ يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ـ وفى رواية ـ أنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلـكم بسيوفنا إلى الجنة . فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفى إلى الجنة ، كذبتم واللات والعزى ـ خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(٤) القسورى نسبة إلى القسور وهو الأسد .

(٥) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره ، والصارم السيف القاطع ، والثـكول من الثكل وهو الفقد والهلاك .

أبى شر الثلاثة أن يريما نخرَّ على يدَىْ سعـد صريعا[1]

ثلاثة إخوة هلـكوا جميعا وراح مسـافع لهم تبيعا[2]

رمت يد عاصم سمـاً نقيعا تورّد جوفه فجرى نجيعا[3]

وجاء أخوه يلتمس القريعا فأورَد نفسه ورداً فظيعا[4]

وإن لربك الفضل الجزيلا

رميتهمـا فظلا يزحفان بجران الجراح وينزفان[5]

وخلفهما من الدم آيتان هما للـكفر عنوان الهوان

ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذمم يوضعان

أمن ثديى سـلافة يرضعان ؟ تقول وقلبها حرّان عان

علىّ الجود بالمئة الهجان لمن يأتى بهامة من رمانى[6]

فوا ظمأى إلى بنت الدنان تدار بها علىَّ فودِّعانى

وموتا ، إن للقتلى ذحولا[7]

دعاةَ اللات والعزّى أنيبوا فليس لصائح منكم مجيب

وليس لـكم من الحسنى نصيب لربَّ الناس داع لا يخيب

---

(١) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، يريم بمعنى يرجع . صريعا قتيلا .

(٢) مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله .

(٣) تورده بمعنى ورده ، النجيع ما كان إلى السواد من الدم . أو هو دم الجوف .

(٤) اخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضى الله عنه فقتله القريع هنا المقارع .

(٥) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتى أمه سلافة ، ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول خذها وأنا ابن أبى الأقلح فنذرت إن أمكنها اللهمن رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن يجىء به مائة من الأبل .

(٦) الهجان الخالصة .

(٧) بنت الدنان هى الخمر والذحول جمع ذحل ، وهو الثأر .

ودين الحق يعرفه اللبيب   وما يخفى الصواب ولا يغيب
رويدا إن موعدكم قريب   وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
سليبُ النفس يتبعه سليب   أما يفنى الطعين ولا الضريب
لواء ليس يحمله عسيب   عليه من منايا كم رقيب[١]
كفاكم ـ ياله حملا ثقيلا[٢]

رمى بالنبل كل فتى عليم   فردَّ الخيل دامية الشكيم[٣]
بنضح مثل شؤبوب الحميم   يصب على فراعنة الجحيم[٤]
وصاحت هند فى الجمع الأثيم   تحرِّض كل شيطان رجيم[٥]
ألا بطل يذبُّ عن الحريم   ويضرب بالمهند فى الصميم ؟
فهاجت كلَّ ذات حشى كليم   تبثُّ الشجو فى الهذر الذميم[٦]
وتذكر طارقا دأب المليم   يسىء ويدعى لأب كريم[٧]

---

(١) عسيب اسم جبل .
(٢) تتابع القتل فى حملة اللواء فتمزق المشركون .
(٣) حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مغلولة ، وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال ـ والشكيم جمع شكيمة وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .
(٤) شؤبوب الحميم الماء الحار .
(٥) قامت هند زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن .

ويها بنى عبد الدار   ويهاً حماة الأدبار   ضرباً بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق   نمشى على النمارق   مشى القطا النوازق
والمسك فى المفارق   والدر فى المخانق   أن تقبلوا نعانق
ونفرش النمــارق   أو تدبروا نفارق   فراق غير واق

وكان النبي إذا سمع ذلك يقول : اللهم بك أحول . وبك أصول . وفيك أقاتل . حسبى الله ونعم الوكيل .
(٦) حشى كليم جريح والشجو الحزن والألم .
(٧) ادعى إليه انتسب .

وأين مكانهن من النعيم   ومن جرثومة الحسب القديم ؟[١]
زعمن الشرك كالدين القويم   لهنَّ الويل من خطب عميم
رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصَّب يختليها   رقاباً ما يمل الضرب فيها ؟[٢]
بأبيض تتقيه ويعتريها   وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وال يليها   وينتزع الحكومة من ذويها
برزت أبا دجانة إذ تريها   وحِيَّ الموت تطعمه كريها[٣]
صددت عن السفيهة تزدريها   وتكرم سيفك العف النزيها[٤]
تولول للمنيــــة تتقيها   فإيها يا ابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيها   مضى العضب المشطب ينتضيها[٥]
حياةَ مناجز ما يبتغيها   إذا شهد الكريهة يصطليها
فأرسلها دماً وهوى تليلا[٦]

---

(١) جرثومة أصل .
(٢) هو أبو دجانة . كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه فى الحرب فسميت عصابة الموت ، جعل لا يلقى أحداً إلا قتله بالسيف الذى أخذه من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل يختليها يجزها أو ينزعها تشبيهاً لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك .
(٣) الوحى السريع .
(٤) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله .
(٥) العضب المشطب السيف به خطوط من أثر الضرب .
(٦) التليل الصريع .

مقتل حمزة

رضى الله عنه

أبلى حمزة رضى الله عنه فى وقعة أحد بلاء حسناً . وكان يقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم بسيفين . ويقول : أنا أسد الله . وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بن عدى . قال وحشى . إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة) .

خرج النبى صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه ومثل به فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال ـ لن أصاب بمثلك ، وما وقفت موقفاً أغيظ لى من هذا . رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات . وصولا للرحم . ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم . وقيل إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم .

جعلت هند زوج أبى سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها القلائد ، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها ولم تستطع أن تسيغها فألقتها من فيها ، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل . وقيل إن وحشياً هو الذى بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته ثيابها وحليها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجدعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت من ذلك كالسوار فى يديها . وقلائد فى عنقها .

صاحبُ السيفين ماذا صنعا ؟ … ودَّع الصفين والدنيا معا
غاب عن أصحابه ما علموا … أى دار حل لمّا ودعا
غاب عن أعينهم فى غمرة … سد غول الهول منها المطلعا
طلبوه ، وتنـادى جمعهم … نكبة حلت ، وخطب وقعا
يا رسول الله ـ هـذا حمزة … أترى عيناك منه المصرعا ؟

إنه عمك إلا أذنا ـ … قطعت منه وأنفاً جدعا
إنه عمك فانظر بطنه … كيف شقوه ، وعاثوا فى المعى ؟
كبد الفارس ، ماذا فعلت … أين طاحت ؟ من قضى أن تُنزعا ؟
نذر هند هى ، لولا أنها … لم تسغها أكلتها أجمعا[1]
طفقت تمضغ من أفلاذها … علقماً مراً وسماً مُنقعا[2]
كلما همت بها تدفعها … ملء شدقيها أبت أن تُدفعا
نذرتْ يوم أبيهـا نذرها … علّها تشفى الفؤاد الموجعا
جاء وحشىٌّ فضجّت فرحا … ويك ، إن الأرض ضجت فزعا
تبذلين الحلْى والمال على … أن جناه جاهلياً مقذعا
ياله يا هند جرحاً دامياً … ضاق عنه الصبر مما اتسعا
أفما أبصرت رُكنى أحد … حين سال الجرح كيف انصدعا ؟
وأبو سـفيان ماذا هاجه ؟ … أفما يزمع أن يرتدعا ؟[3]
غره فى يومه ما غره … إن عند الغد سرا مودعا
يطعن الليث ويفرى شدقه … حين ألقى جنبه فاضطجعا
لو رآه يتحدَّى نفسه … لرآها كيف تهوى قطعا[4]
يذكر العزى ويدعو هبلا … ويحه من ذاكر ، ماذا دعا ؟[5]

---

(١) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله فى الحلق .
(٢) جمع فلذة ، وهى القطعة من الكبد ونحوها والسم المنقع المربى .
(٣) جعل أبو سفيان يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه بعد قتله ويقول . ذق عقق : أى ذق جزاء مخالفتك لقومك يا عاق ـ وقد مر به الحليس سيد الأحابيش وهو يفعل ذلك فقال يابنى كنانة . هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون . فقال أبو سفيان : اكتمها عنى فإنها زلة ويزعم المراد منها هنا يريد .
(٤) تحدى الشىء تعمده ، والرجل باراه فى فعله ونازعه الغلبة .
(٥) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان . اعل هبل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه فقل . الله أعلى وأجل، لسنا سواء . قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار، فقال أبوسفيان ==

أســـــد الله رماه ثعلب   ياله من حادث ، ما أبدعا

أخذته عثرة مزؤودة   ضجت الدنيا لها تدعو لعا[١]

زالت الدرع فغشّى بطنه   دافق من دمه فادّرعا

حربة ظمأى أصابت مشرعا   كان من خير وبرٍّ مترعا[٢]

جزع الهادى لها نازلة   جلّتْ عليا قريش جزعا

تلك رؤياه وهذا سيفه   لا رعى الرحمن إلا من رعى[٣]

ثلمة هدَّتْ من الكفر حمى   زعم الكفار أن لن يُفرعا[٤]

بورك المضجع والقوم الألى   وسّدوا فيه الشهيد الأروعا[٥]

مثّل القوم به من بغيهم   ما نهاهم دينهم أو منعا[٦]

ليس للأخلاق إلا دينُها   يؤثر المثلى ، ويهدى من وعى

=أنكم تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذاً وخسرنا ، إن لنا العزى ولاعزى لكم ، فقال النبي الله مولانا ولا مولى لكم .

(١) مزؤودة بمعنى مذعورة واماً أولعاً لك . كلمة تقال عند العثرة ، وهى دعاء بالانتعاش.

(٢) المشرع المورد والمترع المملوء .

(٣) قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رأى رؤيا قصها على سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال ــ رأيت بقراً تذبح ورأيت فى ذبابة سيفى (هو ذو الفقار) ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وأنى مردف كبشاً ــ فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيته فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأما الدرع الحصينة فالمدينة . وأما الكبش فإنى أقتل كبش القوم (هو طلحة ابن أبى طلحة حامل لواء المشركين الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه) .

(٤) فرع الجبل ونحوه علاه .

(٥) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته . وقيل هو الشهم الذكى الفؤاد .

(٦) ممن مثل بهم من شهداء المسلمين : عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه قبل وقعة أحد وهى : اللهم ارزقنى غداً رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فتقول صدقت (هو ابن أميمة بنت عبد المطلب) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ثم قتل كافرا فى وقعة أحد .

وعد الإسلام خيراً مَن عفى   إن حسن العفو مما شرعا

سائل اللائى تقلّدن الحلى   من جلود من رآها خشعا

أهى كاللؤلؤ ، أم أبهى سناً   من غواليه وأسمى موضعا ؟

بوركتْ ــ إنى أراها زُلَفاً   رفع الله بها من رفعا[١]

لن يفوت الكفرَ منها ذابح   لا يبالى أى جلد مزعا

يا لريب الدهر ما أفدحه   حادثاً نكراً ورزءاً مفجعا

رجع الذكر به مؤتنفاً   ولقد أشفقت أن لا يرجعا

شُغِل الأهل عن الأهل فيا   عجباً للدهر ماذا صنعا ؟

أفما أبصر إلا لاهياً   أو معنًّى بالأمانى مولعا ؟

اذكروا يا قوم من أمجادكم   ما نسيتم ، رب ذكر نفعا

---

(١) جمع زلفة وهى القربة والمنزلة .

الرُّماة

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم . فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن إلى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات ففارق الرماة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه فتركوه وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه فى أماكنهم .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقى فى الجبل من الرماة فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ومثلوا بأميرها . وخرجت أحشاؤه لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا فى كل وجه وانتقضت صفوفهم فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون — وقيل إن مناديا منهم قال : يا عباد الله أخراكم يريد — احترزوا من جهة أخراكم فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) .

ثبت النبى صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول : إلى يافلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه — وكان رامياً مجيدا — ينثر كنانته ويقول نفسى لنفسك الفداء ، ووجهى لوجهك الوقاء ، وما زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه الكتوم (التى لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئن تولت جنود الشرك مدبرة … خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا ؟

كأنهم والرِّعان الشم تقذفهم … سيل تدفق فى شؤبوبه صببا[1]

يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا … سهامهم حين جاش البأس فالتهبا

(١) الرعان : أنوف الجبال ، والجبال بجملتها ، والشم الطوال ، والشؤبوب الدفعة من المطر .

رَدُّوا على ابن جبير رأيه ومضوا … إلا فريقاً رأى ما لم يروا فأبى

أصابها خالد منهم وعكرمة … أمنية لم تصب من ذى هوى سببا

فاستنفرا الخيل والأبطال وانطلقا … فى هبوة تزدهى الأرماح والقضبا

هم خلَّفوا رمم القتلى مطرّحة … وغادروا الجند جند الله والسلبا

طاروا إلى جبل راس على جبل … ما اهتز مذ قام من ضعف ولا اضطربا

قال الرسول فأعطاه مقالته … وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا

توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه … أبصرت فى الله منه منظراً عجبا

طعن وضرب يعاف البأس عندهما … سلاحَ من طعن الأبطال أو ضربا

سلُّوا حشاه فظلت من أسنتهم … تموج فى الدم يجرى حوله سربا[1]

تتابع القتل يجتاح الأُلى معه … لولا المناقب لم يترك لهم عقبا

تلك الدماء التى سالت على أحد … لو أنبت الدم شيئاً أنبتت ذهبا

ظلمْتَها — ما لشىء مثل رتبتها … وإن تخطَّى المدى أو جاوز الرتبا

لم يبق سهم ولا رام يُسدّده … تغيب الوابل الهطال واحتجبا[2]

وكرت الخيل تَردِى فى فوارسها … بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا[3]

المسلمون حيارى — كيف يأخذهم … بأس العدو ، أما ردوه فانقلبا ؟

حلُّوا الصفوف وجالوا فى مغانمهم … ما ظنَّ عسكرهم شراً ولا حسبا

تنكَّرتْ صور الهيجاء واتخذت … من الأعاجيب أثواباً لها قشبا[4]

خرساء صماء تُعمِى عن معالمها … عين البصير وتُعيى الحاذق الدربا

(١) سائلا .

(٢) الوابل المطر الكثير .

(٣) ردت الفرس . رجمت الأرض بحوافرها وحزب الأمر اشتد . وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

(٤) قشبا جديدة .

مُغبرّة الجو ما زال الخفاء بها … حتى تقنّع فيها الموت وانتقبا
ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم … لا يتّقى بعضهم بعضاً إذا وثبا
يعدو على مهجة الضرغام صاحبه … ولا يجاوزه إن ظفره نشبا
هذا البلاء لقوم مال غافلهم … عن رأى سيدهم إذ يُحكم الأربا[١]
قال : اثبتوا فتولوا ، ماعصى أحد … منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا
أمر من الله مرجوٌّ عواقبه … يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
إن النبي ليمضى الأمر فى وضح … من حكمة الله يجلو نوره الريبا
مسدد الرأى ، ما تهفو الظنون به … الخيرما اختار ، والمكروه مااجتنبا
للسلم والحرب منه حازم يقظ … يُعيى الدهاة ، ويُردى الجحفل اللجبا[٢]
إن الذى زين الدنيا بطلعته … حابى العروبة فيه ، واصطفى العربا[٣]

زياد بن عمارة
رضى الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط فأمر النبي أصحابه وقال : أدنوه منى ، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها .

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ … زيادة ذلك العجب العجاب
تكاثرت الجراح ، وأنت صلب … يهابك فى الوغى من لا يهاب

(١) الأرب جمع أربة وهى العقدة التى لا تنحل حتى تحل .
(٢) يردى يهلك والجفل اللجب الجيش الكثير العدد .
(٣) حاباه نصره واختصه ومال إليه .

قوىً تنصبُّ ممعنة حثاثاً … وللدم فى مواقعها انصباب
تردُّ المندوانيات ظمأى … يخادعها عن الرِّى السراب
تريد محمداً والله واق … فترجع ، وهى محنقة غضاب
زيادة دونه سور عليه … من النفر الألى احتضنوه باب
وما بمحمد خوف المنايا … ولا فى سيفه خُلُقٌ يعاب
ولكن جلَّ منزلة وقدراً … فبرَّ رجاله ووفى الصحاب
هوى البطل المغامر واضمحلّت … قواه ، وخارت الهمم الصلاب
فتى صدقت مشاهده فظلت … تعاوره القواضب والحراب
وهى منه الأديم ، فلا أديم … وأعوزه الإهاب فلا إهاب
تمزقت الصحائف من كتاب … طواه فى صحائفه الكتاب
تلقـاه برحمته ، وروّت … غليل جراحه السوَر العذاب
أيادى الله يجعلها ثواباً … لكل مجاهد ـ نعم الثواب
أهاب محمد أدنوه منى … فذلك صاحبى المحض اللباب
على قدمى ضعوا لليث رأساً … أحاذر أن يعفره التراب
ففاضت نفسه نوراً عليها … وماج الجو ، وامتدّ العباب
عباب تنطوى الآفاق فيه … ويغرق فى جوانبه السحاب
مضى صعداً عليه من الدرارى … ومن بركات خالقه حباب
تلقّتـه الملائك بالتحايا … منضّرة تحب وتستطاب
وزخرفت الجنان ، وقيل : هذا … مآبك ـ إنه نعم المآب

مُصعَب بن عُمَير

رَضِيَ اللهُ عنه

قاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة . وصنع الأعاجيب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى وبقى يعمل بين يدى الله ويدى رسوله . فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه إلى صدره ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة يظنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد لانجوت إن نجا . وفى رواية أن قاتل مصعب هو أبى بن خلف .

هو مُرتَمَى الأبطال ، مالك دونه   متزحزح ، فاصبر له يا مصعب
ولقد صبرت تخوض من أهواله   مالا يخوض الفارس المتلبب (١)
ترمى بنفسك دون نفس محمد   وتقيه من بأس العدى ما ترهب
تبغى الفداء ، وتلك سنة من يرى   أن الفداء هو الذمام الأوجب
دع من يعضُّ على الحياة فإنه   غاو يضلّل ، أو دِعىٌّ يكذب
ما اختار نُصرة دينه أو رأيه   من لا يرى أن الفداء المذهب
ما هـــذه المثل التى لا تنتهى ؟   هذا هو المثل الأبرُّ الأطيب
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً   أوفى بعهد إلهه يتقرَّب
إيمان حر لا يبالى كلما   ركب العظائم أن يهول المركب
يرسو ، وأهوال الوقائع عصّف   تذرو الفوارس ، والمنايا وُثَّب (٢)
إن يضربوه ففارس ذو نجدة   ما انفكَّ يطعن فى النحور ويضرب

---

(١) تلبب الرجل للحرب تحزم وتشمر .
(٢) تذرو ترمى

كم هارب يخشى بوادر بأسه   ويخاف منه مشيَّعاً ما يهرب
الموت فى وثباته يجرى دماً   والموت فى نظراته يتلهب
سقطت يداه ، وما يزال لواؤه   فى صدره يحنو عليه ويحدب
لو يستطيع لمدّ من أهدابه   سبباً يشد به إليه ويجذب
يمناه أم يسراه أعظم حرمة   أم ساعداه وصدره والمنكب ؟
جارَى منيته ، فكل يرتمى   فى شأنه جللا ، وكل يدأب
حتى دعاه الله يرحم نفسه   فأجاب يلتمس القرار ويطلب
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى   فالبخل بالدم فى المحارم أعجب
إنّ امرأ كره الجهاد فلم يفز   بالموت فى غمراته لمخيَّب

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب بن قمئة يقول إنى قتلت محمداً جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن كان من أمره ما كان فقال ، أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً . قال عمر . لا وإنه ليسمع كلامك الآن ــ قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر .

قال قوم من المؤمنين إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه ، يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفى هؤلاء نزل قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

قال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

يقول أبو سفيان أودى محمد ... قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماديا[1]

فلما أراد الحق أقبل سائلا ... فأبدى له الفاروق ما كان خافيا

وقال له : لا يعل صوتك إنه ... ليسمعه من جاء بالحق هاديا

كذلك ظن القوم إذ طاح مصعب ... فراحوا سكارى يكثرون الدعاويا

وريعت قلوب المؤمنين فأجفلوا ... يخافون من بعد النبى الدواهيا[2]

وزُلزل قوم آخرون فأدبروا ... سراعاً يجرُّون الظبى والعواليا[3]

---

(١) أودى هلك .

(٢) ريعت من الروع وهو الفزع وأجفل انزعج .

(٣) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبى بن سلول إلى المدينة وكانوا ثلثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله فى هذه الغزوة ألف رجل . وقد بقى من المنافقين قوم آخرون فى أحد لم يتبعوا ابن أبى . قالت طائفة منهم ــ لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هنا فنزلت (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ــ الآية) وقال بعضهم ، لو كان نبياً ماقتل فارجعوا إلى دينكم الأول وفى ذلك أنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت ==

يقولون ما نبغى وهذا نبينا ... تردّى قتيلا ؟ ليته كان باقيا

فما أقبلوا حتى انبرت أم أيمن ... وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا[1]

تدافعهم غضبى وتحثو ترابها ... تعفِّر منهم أوجها ونواصيا

تقول ارجعوا ، ما بالمدينة منزل ... يبارك منكم بعد ذلك ثاويا

أمن ربكم يا قوم تبغون مهربا ... فيا ويحكم إذ تتَّقون الأعاديا

ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا ... جهادا يرينا مصرع الشرك داميا

فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى ... فذا مغزلى ، وليعطنى السيف ماضيا

لك الخير ، لو تدرين ما قال معتب ... لأرسلت شؤبوبا من الدمع هاميا[2]

جزى الله ما قدمت يا أم أيمن ... من الخير تقضين الحقوق الغواليا

تطوفين بالجرحى ، تواسين شاكيا ... يمجُّ دماً منهم ، وتسقين صاديا[3]

سعى بك من إيمانك الحق دائب ... يفوت المدى الأقصى إذا جدَّ ساعيا

عجبت لمن يرميكِ ماذا بدا له ؟ ... أطاشت يداه ، أم رمى منك غازيا[4]

== من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ــ الآية) وقال جماعة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أماناً من أبى سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . والظبى السيوف والعوالى الرماح .

(١) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم وجعلت تحثوا التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم . هاك المغزل فاغزل به . وهلم سيفك ــ أى أعطنيه .

(٢) قيل إن معتب هذا هو الذى قال لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا . والشؤبوب الدفعة من المطر وهاميا سائلا .

(٣) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللائى كن يسقين الجرحى فى هذه الغزوة . وعدتهن أربع عشرة امرأة ، منهن عائشة وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وأم سليم وأم عمارة المازنية ، يمج يسيل والصادى العطشان .

(٤) رماها حبان بن العرقة وهى تسقى الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت فأغرق فى الضحك وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهماً لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حبان فوقع مستلقياً حتى بدت عورته . فقال النبى ، استقاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة .

ألم ير هنداً يرحم السيف ضعفها ... فيصدف عنها وافِرَ البر وافيا ؟[1]
تورَّع عنها مؤمن ليس دينه ... كدين حباب إنه كان غاويا
جزاه بها سعد إساءة ظالم ... فأمسى رسول الله جذلان راضيا
وإذ أنزل الله النعاس فأمسكت ... جوانح لولا الله ظلت نوازيا[2]
كذلك إيمان النفوس إذا رست ... قواعده أمست ثقالا رواسيا
ينام الفتى ، والموت يلمس جنبه ... ويرجع عنه واهن الظفر واهيا[3]
يجانبه حتى إذا جاء يومه ... فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا
فما اسطعت فاجعل من يقينك جُنّة ... كفى بيقين المرء للمرء واقيا

* * *

هوت من عيون الهاجعين سناتها ... ولاحت عيون الحرب حمراً روانيا
وهبَّ أمير الغيل يدفع دونه ... ويولع بالفتك الليوث الضواريا[4]
يزلزل أبطال الكريهة مقدما ... ويصرعهم في حومة البأس داميا
توالت جراحات الكتوم فأسأرت ... بهم أثراً من ساطع الدم باديا[5]
تضِنُّ بنجواها وتكتم صوتها ... ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا

---

(١) هند زوج أبي سفيان - إشارة إلى ما كان من أمر أبي دجانة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها . ويصدف عنها يميل .

(٢) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتاً لهم (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق - الآية) فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين ، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه في صدره . النوازى النوازع ، أو التي تثب .

(٣) وهن ووهى معناهما ضعف .

(٤) الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . الليوث الضوارى هي الأسد والمراد الشجعان من أصحابه .

(٥) الكتوم قوس النبي صلى الله عليه وسلم . وأسأرت بمعنى أبقت .

تطاشُ شظاياها تطاير حوله ... وللرمى ألهوب يواليه حاميا[1]
هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة ... فغادرها حتَّى يرى الحق عاليا
أبا طلحة انظر كيف يرمى وجاره ... قضاء على القوم المناكيد جاريا
ويا سعد لا ترفق بقوسك وارمها ... سهاماً أصابت من يد الله باريا[2]
ودونك فاضرب يا سهيل نحورهم ... ودعني أصف للناس تلك المرائيا[3]
وعينك فاحمل يا قتادة عائذاً ... بمن لا ترى من دونه لك شافيا[4]
ألا ليتني أدركت أم عمارة ... فألثم منها موطئ النعل جاثيا[5]

---

(١) الألهوب الاجتهاد فيما هو الشأن . وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار أو يخرج من حافره نار ، وقيل إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٢) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - قال : أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كنانتي نثر ما في كنانته - قيل إن سعدا رمى في ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم : ارم فداك أبي وأمي ، وكان الرسول يفتخر به ويقول : سعد خالي فليرني امرؤ خاله - كان من بني زهرة قوم أمه آمنة .

(٣) سهيل بن حنيف رضي الله عنه ، بايع النبي على الموت في أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٤) قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، قال : كنت أتقي السهام بوجهي دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إليه فلما رآها في كفي دمعت عيناه وقال : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(٥) أم عمارة المازنية رضي الله عنها واسمها نسيبة زوج زيد بن عاصم رضي الله عنه ، قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزموا انحزت إليه فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى جرحت ، جرحت رضي الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف . ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا : قالت ابن قمئة . لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دوني .

وأشهد من حول النبي بلاءها ... وأنشدها في الله هذى القوافيا
وأجعل من وجهى وقاء لوجهها ... إذا ما رماها مشرك من أماميا
وياليت أنى قد حملت جراحها ... وكنت لها فى المأزق الضنك فاديا
تفيض على الجرحى حنانا ، وتصطلى ... من الحرب مالا يصطلى الليث عاديا
كذلك كان المسلمون وهذه ... سجايا اللواتى كنّ فيهم دراريا
إذا الحادثات السود عبَّ عبابها ... كففن البلايا . أو كشفن الدياجيا
مناقب للدنيا العريضة هِزَّة ... إذا ذُكرتْ ، فلينشدُ من كان شاديا
لها من معانى الخلد كلٌّ بديعة ... فياليت قومى يفهمون المعانيا
ووا أسفى إن لم تجد من شيوخهم ... حفيظا يُلقَّاها ، ولم تلف واعيا
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا ... فوارحمتا فيهم لمن كان بانيا[1]

---

(١) ديدنا عادة وطبيعة .

عبد الله بن جحش

رضى الله عنه

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبى الحكم ابن الأخنس بن شريق الذى قتل كافراً قبل انتهائها ، وكان عبدالله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونساؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال اللهم ارزقنى غداً رجلا شديداً بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى . فإذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فتقول صدقت (وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب)

أبشر ، فذلك ما سألت قضاه ... رب هداك ، فكنت عند هداه
آثرته ورضيت بين عباده ... من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردُّهم عن دينه ... صرعى . وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك فعذَّبوا الجسد الذى ... ما للكرامة والنعيم سواه
هى دعوة لك ما بسطت بها يداً ... حتى تقبل واستجاب الله
ولقد رأيت حمى الجهاد فصف لنا ... ذاك الحمى القدسىَّ كيف تراه ؟
ماذا جزاك الله من رضوانه ... وحباك فى الفردوس من نعماه ؟
ماذا أعد لكل برٍّ متَّقٍ ... غوث النفوس فما أطاع هواه ؟
أرأيت عبد الله كيف بلغته ... شرفاً مدى الجوزاء دون مداه ؟[1]
دمك المطهر لو أتيح لهالك ... أعيا الأساة شفاؤه لشفاه[2]
صوت يهيب لكل شعب غافل ... طوبى لمن رزق الهدى فوعاه

---

(١) الجوزاء نجم فى السماء .
(٢) الأساة جمع آس وهو الطبيب .

معنى التفوق فى الحياة . فمن أبى ... إلا الصـــــدود فما درى معناه

الأمر رهن الجد . ليس بنافع ... قول الضعيف ، لعله وعساه

تشقى النفوس .ولا كشقوة خاسر ... لا دينه استبق ولا دنياه

والمرء يرغب فى الحياة وطولها ... حتى يكون الموت جُلّ مناه

* * *

أوتيت نصراً يا محمد ساطعاً ... يبقى على ظلم العصور سـناه[1]

لك من دم الشهداء بأس لم يقم ... فى الأرض دينك عالياً لولاه

ما تنقضى لأمام حقٍ قوة ... إلا تزيد على الزمان قواه

(١) السنا الضوء .

محمد رسول الله

هذا إمام الدين فى أعلامه ... والدين معتصم ببأس إمامه

يحمى حقيقتـه بقوة بطشه ... ويصون بيضته بحدّ حسامه

شيخ الجهاد يود كل مجاهد ... لو كان يدعى فى الوغى بغلامه

عالى اللواء يقيمه بحدوده ... ويُبَيِّن المأثور من أحكامه

المصلحون على الزمان سيوفه ... وجنوده فى حربه وسلامه

عرفوا الجهاد به ، ومنه تعلّمُوا ... ما صحّ من دستوره ونظامه

غضبت قريش أن جفا أصنامها ... ووفى بعهـــد إلهه وذمامه

يغزو فوارسهم ويقتل جمعهم ... حتى يدين مرامهم لمرامه

ويرى المحجّة كلُّ غاوٍ منهم ... فيـكفُّ عن طغيانه وعُرامه

ويتوب جاهلهم إلى دين الهدى ... والنور من دين العمى وظلامه

دلفوا إليه ، وظنّ أكذبهم مُنىً ... أنْ قد سقته يداه كأس حمامه

أكذاك ينخدع الغبىُّ وهكذا ... يتخبط المفتونُ فى أوهامه

مهلا أبىُّ لقد ركبت عظيمة ... وأردت صرحاً لست من هُدّامه[1]

(١) أبى بن خلف ، أقبل يقول أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام فخدشه بها فى عنقه خدشاً غير كبير احتقن الدم فقال قتلنى والله محمد فقالوا، ذهب والله فؤادك ــ أو ذهب والله عقلك ــ إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا ؟ والله ما بك من بأس ، إنما هو خدش لو كان بعين أحدنا ما ضره . فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز ــ سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة ــ أو لو كان بربيعة ومضر ــ أو بأهل الأرض . لماتوا ــ كان يقول للنبى بمكة يا محمد إن عندى العود ــ يعنى فرساً له ــ أعلفه كل يوم فرقا (مكيال يسع اثنى عشر مداً) من ذرة سأقتلك عليه .

صرح بناه الله أول ما بنى ... وأطال من عرنينه وسنامه
لا يبلغ البانى ذراه ، ولا يُرى ... فى الداعمين بناءهم كدِعامه
مهلا أبىُّ فإن جهات مكانه ... فانهض إليه إن استطعت وَسَامِه
أقدِم نخذها طعنة من باسل ... يغتال عزم الليث فى إقدامه
تلك المنيّة يا أبىُّ سُقيتها ... فانظر إلى الساقى وروعة جامه
خدش كوقع الظفر ، أو هو دونه ... لم تشتكى وتضجُّ من آلامه ؟
أأُبىُّ أين العودُ والعلف الذى ... أعددته وجعلته لطعامه ؟
إذهب لك الويلات من متمرد ... عادَى الإله ولجَّ فى آثامه
لك من قتيل الكبش أشأم صاحب ... يُلقى إلى غول الردى بزمامه[1]
أخذ النبىَّ بضربة كانت له ... حتفاً يمزق لحمه بعظامه
ولمن تقدم فوق صهوة عاثر ... أشقى وأخيب آخذ بلجامه[2]
هو فى الحفيرة دون حصن محمد ... جثم الحِمام عليه قبل قيامه
ألقى القضاء عليه من أثقاله ... مترامياً ينصبُّ فى أجرامه[3]
أرداه بابن الصِّمّة البطل الذى ... أعيا الردى المحتال فضُّ صمامه[4]

= كان أبى من أسارى بدر ثم أطلق ـ مات وهم قافلون به إلى مكة بسرف ـ وقيل ببطن رابغ ـ لم يقتل النبي أحداً بيده الشريفة قبل أبى ولا بعده .

(١) هو ابن قئة . خرج إلى غنمه بعد الوقعة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها . وشد عليه كبشها فنطحه نطحة أداره بها من شاهق الجبل فتقطع ـ وفى رواية ـ فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة ـ أقبل على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب قائلا لا نجوت إن نجا فوقف الرسول الكريم وعثر بعثمان فرسه فى إحدى الحفر فمشى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره . وأقبل عبيد الله بن جابر العامرى يعدو فضربه الحارث فجرحه . واحتمله أصحابه فوثب أبو دجانة وذبحه .

(٣) جمع جرم بكسر الجيم ، فهى بمعنى الأجسام الثقيلة .

(٤) صمام القارورة ونحوها سدادها ، وهو هنا على الاستعارة .

يغشاه سيف العامرى فينثنى ... ودم الجريح يبلُّ حَرَّ أوامه[1]
سلمت يداك أبا دجانة من فتى ... وسْمُ المنية من حِلَى صمصامه
أحسنت ذبح المشركين فأشبهوا ... ما يذبح الجزار من أنعامه
ياويلهم إذ يقذفون نبيهم ... بحجارة تهوى هُوِىَّ سهامه[2]
كسروا عوارضه وشجوا وجهه ... من كل غاوٍ جدَّ فى إجرامه
يجرى الدم المدرار من متهلل ... طلق المحيَّا فى الوغى بسَّامه
لا يعجب الكفار من مسفوحه ... فلقد جرى من قبل فى إلهامه
ما ظنهم بالله يؤثر عبده ... بالبالغ الموفور من إنعامه ؟
لن يستطيع سوى الضلالة مذهباً ... من ليس بالمصروف عن أصنامه
لم يخذلوه ولم تفته كرامة ... هم عند نصرته ، وفى إكرامه
صبْرُ المشمِّر للجهاد على الأذى ... خلق يتمُّ المجد عند تمامه
هـذا مقام محمد فى قومه ... هل لامرىء فى الدهر مثل مقامه ؟
القادة الهادون من أتباعه ... والسادة البانون من خدَّامه
الله أرسله طبيباً شافياً ... للعالم الوحشى من أسقامه
الأمر بانَ ، فأين يلتمس الهدى ... من ضلَّ بين حلاله وحرامه ؟

(١) الأوام العطش الشديد ، وقيل هو حر العطش .

(٢) قذف النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ، ورماه عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وشق شفته السفلى . ودعا عليه النبي فلم يحل الحول حتى قتل ، ولم يولد لعتبة ولد أو ولد ولد إلا وهو أهتم (ساقط مقدم الأسنان) ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها للمسلمين أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضى الله عنه فأغمى عليه وخدشت ركبتاه . وذلك حين علاه ابن قئة بالسيف فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً . وكسرت البيضة (الخوذة) على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف وجرحت وجنتاه لدخول حلقتين من المغفر فيهما عندما ضربه ابن قئه . ولما سال الدم من وجهه الشريف جعل يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .

ركبَ النبى إلى المدينة عائد … يمشى به جبريل فى أعلامه[١]
يتوسط الجرحى تسيل دماؤهم … فوق الحصى من خلفه وأمامه
ويمـدُّ فوق المؤمنات جناحه … يقضى لهن الحق من إعظامه
أذِّين مسنون الجهاد ، وذقن فى … وهج الجلاد الحق حرَّ ضرامه
شمت اليهود وأرجف النفر الألى … طبع النفاق قلوبهم بختامه
قالوا ، أصيب محمد فى نفسه … ورجاله ، وأصيب فى أحلامه
ما تلك منزلة النبى ، فإنما … يُؤتَى النبىُّ النصر عنـد صدامه
جلت مطالبه ، فراح يريده … ملـكا يدوم جلاله بدوامه
لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا … ما هدَّ هالـكهم ذوى أرحامه
هاجوا من الفاروق غضبة واثق … بالله لا يُصغى إلى لوَّامه
فدعا : أيُترك رأس كل منافق … فى القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
قال النبى : وكيف تقتل مسلما … أفما تخاف الله فى إسلامه ؟
صلى عليك الله من متحرج … جمُّ الأناة يعف عن ظلامه[٢]
سمح الشريعة والخلال مَسَدَّدٍ … فى نقضه للأمر أو إبرامه

---

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبى صلى الله عليه وسلم فرسه عائداً إلى المدينة والمسلمون حوله . وكان أكثرهم جرحى فلما كانوا بأصل أحد قال لهم اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل فوقفوا صفوفاً ووقف النساء خلفهم وقال ـ اللهم لك الحمد كله . اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت . ولا هادى لمن أضللت . ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب لما أبعدت . ولا مبعد لما قربت . ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الشماتة والسرور . وكان من سىء ما قالوا . ما محمد إلا طالب ملك ماأصيب بمثل هذا نبى قط ـ أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندناماقتلوا فقال عمر للنبى ، أتأذن لى فى قتل هؤلاء المنافقين قال . أليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله . إنى نهيت عن قتل المسلمين .

(٢) تحرج جانب الحرج . وهو الاثم .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال فى السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه فى هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزنى جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقى من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ، ولما رجع معبد الخزاعى من عند النبى إلى أبى سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفاً إلى مكة .

أقبلوا أو فاتقوا سوء المرد … ربض الموت بحمراء الأسـد[١]
غاظكم أن لم تنالوا مأربا … فتمادى الغيظ واشـتد الحسد[٢]
كيف ينجو من رمى من قومكم … كل جبار ، فأمسى قد همد
لم لا تُزجَى السبـايا ، فترى … مردفات تشتكى مما تجـد[٣]
لا تدعها يا ابن حرب جذوة … تتلظَّى من قريش فى الـكبد
يا ابن حرب أطفئْ النار التى … شبها أبطال بدر وأحـد[٤]
كل حرب خمدت نيرانها … منذحين ، وهى حرَّى تتَّقد[٥]
لا تطع صفوان وانبـذ رأيه … لا تطعه مرشداً يأبى الرشد[٦]

---

(١) ربض أقام
(٢) المأرب الحاجة .
(٣) المردفات المحمولات خلف الراكب .
(٤) شبها أشعلها .
(٥) خمدت هدأت حرى ملتهبة .
(٦) هو صفوان بن أمية . نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال : يا قوم

إرجعوا ، فاستأصلوا أعداءكم   تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد

حاربوا الله ، وزيدوا شططاً   إنها فتنته فى من جحد[١]

حاربوه ، وانصروا أصنامكم   لا تبالوا من قواه ما حشد[٢]

يا ابن عمرو هات من أنبائهم   ما رأت عيناك من هزل وجد[٣]

لك أذنٌ من رسول الله فى   حدِّ عضبٍ يتّقيه كل حد[٤]

شاوَر الصـــديق فيهم ودعا   يسأل الفاروق ما الرأى الأسد ؟[٥]

إنهـا الهيجاء يا خير الورى   مالنـا منها ، ولا للقوم بدّ[٦]

ارفع الصوت ، وأذّن بالوغى   يا بلال الخير أذّن واقتصد[٧]

أدع من خاض المنايا ، واصطلَى   جذوة الأمس ، وأمسك لا تزِد

* * *

نفر القوم خفافاً . ما ونى   منهم الجرحى ، ولا استعفى أحد[٨]

= لاتفعلوا فإنى أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم ، إنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم.فلما بلغ ذلك رسول الله قال : أرشدهم صفوان وما كان برشيد .

(١) الشطط الجور .

(٢) حشد : جمع .

(٣) قال عبد الله بن عمرو المزنى للنبي : إنه سمع المشركين يقولون لأبى سفيان : لا محمداً ولا الكواعب أردفتم ، بئس ما صنعتم ارجعوا .

(٤) العضب السيف القاطع .

(٥) دعا النبي أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ، فقالا يا رسول الله اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .

(٦) الهيجاء الحرب والورى الناس .

(٧) أمر النبي بلالا أن يؤذن فى المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقعد المتخلفون عن أحد .

(٨) كان منهم الذى به تسع جراحات ، وهو أسيد بن حضير ، ومثله عقبة بن عامر ، والذى به عشر ، وهو خراش بن الصمة ، والذى به بضع عشرة جراحة . وهو كعب بن مالك ، وعشرون ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو طلحة بن عبيد الله الذى قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، رضى الله عنهم(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) . وونى ضعف

دعوة الحق ، استفزت جابرا   فاستفزت هبرزِيّاً ذا لبد[١]

جاء يشكو : كيف يُنفى دمه   وهو لله يُربِّى ويعد ؟

لم أغبْ عن أحد لولا أبى   يا رسول الله والجدّ النكد[٢]

فاز بالرضوان إذ خلفنى   فى قوارير كثيرات العـــدد[٣]

ومضى قبلى شهيـداً ، فأنا   أبتغى الزلفى لدى الفرد الصمد[٤]

أنعم الله عليـه ، فشفى   ما يعانى من تباريح الكمد[٥]

سار فى الجيش ، وخلّى همه   يصطليه من تولى وقعـد

فزت يا جابر فانعم وابتهج   أفلح الوالد ، واستعلى الولد

* * *

ذهب السكب حثيثاً ، فانجرد   يحمل البأس ، ترامى فاطرد[٦]

يحمل الويل لقوم غرّهم   من ذويهم كل شيطان مَرد[٧]

زعموا الحق حديثاً يُفترى   ورضوا بالشرك ديناً يعتقد

---

(١) جابر بن عبد الله . جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متهيئاً للخروج ، ولم يكن قد شهد أحداً . فقال يا رسول الله إنما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع ــ وقيل تسع ــ أخوات لى ، وقال يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله . لعل الله يرزقنى الشهادة ، فتخلف على إخواتك فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة فائذن لى يا رسول الله ، فأذن له ولم يأذن لغيره من المتخلفين والهبرزى الأسد . لبد جمع لبدة وهى شعر زبرة الأسد .

(٢) الجد النكد الحظ السيء .

(٣) القوارير كناية عن النساء .

(٤) الزلفى القربى .

(٥) يعانى يلاقى من آلام الحزن .

(٦) السكب اسم فرس من خيل الرسول خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر ، ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ، وانجرد أسرع ومضى لا يلوى على شيء .

(٧) مرد بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

وتماروا فى النطاسىِّ الذى ... يصلح الأمر إذا الأمر فسد[١]

ســاحر آناً ، وآناً شاعر ... ما رأوا من سحره ، ماذا قصد ؟[٢]

سطع النور لمن يأبى العمى ... فعلى عينيه يجنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى ... فإذا القوة والعزم الأشدّ ؟

حمل الجرح على الجرح فتى ... موجع الـكاهل ، مهدود الـكتد[٣]

إيه عبد الله أشهِــــدْ رافعاً ... غزوة الحمراء فى القوم الشهُد

ألقه عن منـكب لو ماد من ... هضب رضوى كل عال لم يمد[٤]

ما لحقِّ الله إلا مؤمن ... لا يبالى غيره فيما اعتمد

إيه عبد الله ما أصـــــدقها ... همة شمّاء تأبى أن تهد

يا أبا سفيان أنصت واستمع ... ثم أنصت واتئد ، ثم اتئد

إن ترد خيراً فهذا مَعبد ... أو لم ينبئك أن الأمر إدّ ؟[٥]

(١) تمارى فى الشىء شك . والنطاسى الطبيب والعالم والمراد به النبى صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) هكذا كانوا يقولون ، وقصد الشاعر واصل عمل القصائد .

(٣) الـكتد مجتمع الـكتفين أو الـكاهل ، أو هو ما بين الـكاهل والظهر ، والبيت وما بعده فى عبد الله ورافع ابنى سهيل بن رافع ، قال عبد الله ـ شهدت أحداً أنا وأخى فرجعنا جريحين ، فلما أذن بالخروج الى حمراء الأسد قال أخى . أتفوتنا هذه الغزوة وما كان لنا من دابة نركبها ، فخرجنا وكنت أخف جراحاً منه ، فـكنت أحمله مرة وأرسله أخرى ـ دعا لهما النبي لما انتهينا إليه وقال: إن طال بكما العمر كانت لـكما مراكب من خيل وبغال وإبل

(٤) ماد اضطرب ورضوى اسم جبل .

(٥) كانت خزاعة موالية للرسول الـكريم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم فى غزوة أحد جاءه معبد الخزاعى وقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك ، وما أصابك فى أصحابك . ولوددنا لوأن الله تعالى أعلى كعبك . وان المصيبة كانت لغيرك ، ثم مضى إلى أبى سفيان فقال : تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا لطلبكم فى جمع لم أر مثله قط . يتحرقون عليكم تحرقاً ، وأطال فى ذلك تخويفاً له ولمن معه ، ثم نهاهم عن القتال فانتهوا . الأد الأمر الفظيع والداهية .

جمع الغازى لـكم من صحبه ... وذويه كل صنديد نجد[١]

أنظروا النيران : هل تحصونها ؟ ... إنها شتى ترآى من بعد[٢]

واســـألوها ، إنها ألسنة ... يا ابن حرب للمنايا الحمر لدّ[٣]

لا تريدوا من بريد غيرها ... إنها من قومـكم خير البرد[٤]

لا تظنوا أنـكم أكفاؤهم ... إنها منـكم لأحلام شرد

اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا ... حاصد الموت . كفا كم ما حصد

* * *

أرأيت الرعب يغتال القوى ... مستبداً بالعتّى المستبد ؟

رجع القوم سراعاً ، وارعوى ... عاصف الشر ، فأمسى قد ركد

وتولوا فتولت أنفس ... تتنزّى ، وقلوب ترتعـد

يقذف الوادى بهم قذف الحصى ... تبلغ الريح به أقصى الأمد

غارة الله على أعدائه ... تتوالى مدداً بعد مدد

سوّم الأحجار ، لو صبت على ... ذلك الجمع المولّى لم يعد[٥]

* * *

يا أبا عزة ماذا تتقى ؟ ... يا أبا عزة أقبل ، لا تحد[٦]

(١) النجد الشجاع الماضى .

(٢) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو لنهم كثيرو المدد . وكانوا دون السبعمائة رجل .

(٣) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٤) جمع بريد .

(٥) ارسل ابو سفيان إلى النبي يقول أنهم أجمعوا على الرجعة ، فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ، والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة . ولو رجعوا لـكانوا كأمس الذاهب ، وسوم الشىء جعل له علامة .

(٦) أبو عزة الشاعر الذى من عليه النبي وهو أسير ببدر فأطلقه بغير فداء رحمة ببناته وقد كان عاهده أن لا يقاتله ، ولا يظاهر عليه أحداً ، فينقض العهد ، وخرج مع المشركين =

أين تمضى ؟ كل شىء مصرع　　كل فج من فجاج الأرض سد
هل رعى السيف دماً من عابث　　ناكثٍ من كل عهد ما عقد ؟
تطلب العفو ، وتهذى ضارعاً　　ببنيَّات ضعيفات الجلد
أوَ لمْ يمنن عليك المرتجى　　لذوى الضعف ، فأكثرت الفنَد ؟[1]
تنظم الشعر مُلِحّاً حرداً　　ويك خذها ضربة تشفى الحرد[2]

* * *

وثب العدل ، يوالى صيده　　وهو ظلم فاتك إن لم يصد
أخذ الذئبين فى أنيابه　　ما يبالى منهما ما يزدرد[3]
لا تعودوا من صريعى شقوة　　وليعد من كل حى من سعد
موغل فى الشر يسعى دائبا　　وحقود لو تزكى ما حقد
جاهلىّ زل فى إسلامه　　فهوى من بعد ما كان صعد
أخطأته خطوة ، كانت له　　حظوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبى ، فما يدرى الفتى　　أىَّ وِرد إن دعا الداعى يرد

* * *

= فى غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبى — وقع أسيراً فى هذه الغزوة ، فقال للنبى امنن على ودعنى لبناتى . وعهدى لك ألا أعود لمثل ما فعلت . قال — لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وأمر بقتله .

(١) الفند الكذب والكفر بالنعمة .

(٢) الحرد الغضب .

(٣) معاوية بن المغيرة بن أبى العاص . جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان ابن عفان — والحارث بن سويد — أمر النبى بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتتبع أخباره ويلق بها إلى المشركين ، وكان عثمان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلماً) لقتله المجذر بن زياد غدراً فى غزوة أحد وكان المجذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بأبيه .

ابتدر يا سـعد فالزاد نفد　　واصطناع الخير أشهى ما تود[1]
إبعث التمر على العير لها　　من سجاياك العلى حادٍ غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة　　فى سوىً ليس فيه من أود[2]
موقرات أقبلت فى جزُر　　تطرد العسر بيسر ورغد[3]
ردت الجوع ، وصانت أنفسا　　هى لله سيوف ما ترد
لك يا سعد لديه ولها　　من جزاء غير نزر ما وعد[4]

(١) سعد بن عبادة . ساق إلى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بعيراً تحمل تمراً من عنده ، وبعث معها جزراً فنحروها وأكلوا منها .

(٢) الأود الإعوجاج .

(٣) موقرات محملات والجزر جمع جزور ما يذبح من الأنعام ، والرغد العيش الهانئ .

(٤) غير نزر غير قليل .

غزوة بني النضير

كانت هذه الغزوة فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود ، نقضوا العهود ، وذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض يأتمرون به ، وأراد رجل منهم يقال له عمرو بن جحاش أن يلقى عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله ، فنبأه الله بذلك ، فقام من مكانه ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهرهم ، وإجلائهم عن ديارهم .

ما الكيد ، ما الغدر ، ما هذى الأباطيل ؟ الجيش محتشد ، والسيف مسلول

بنى النضير وما تغنى معاقلكم كفوا الأذى ودعوا العدوان ، أو زولوا

إن القتيل لمن غرته صخرته فظن أن رسول الله مقتول[1]

جاء البريد بها حران يحمله من رحمة الملك القدوس جبريل[2]

ما أكذب ابن أبيٍّ إذ يقول لكم لا تتقوا القوم ، إن النصر مكفول[3]

أولاكم النصح سلام وأرشدكم لو ان نصح ذوى الألباب مقبول[4]

---

(١) أسلم من اليهود رجلان فى هذه الغزوة ، أبو سعد بن وهب ، ويامين بن عمير فجعل هذا الرجل عشرة دنانير من ماله على أن يقتل عمرو بن جحاش غضباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله .

(٢) الضمير عائد على الصخرة . أى بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبى بن سلول ، أرسل إليهم يقول : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا فى حصونكم ، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب . يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فطمع بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبى أنهم يريدون القتال .

(٤) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود ، نهاهم عن الحرب . وقال لحيي بن أخطب كبيرهم منتك نفسك والله يا حيي الباطل فإن قول ابن أبى ليس بشىء ، وإنما يريد أن يورطك فى الهلكة ، حتى تحارب محمداً . فيجلس فى بيته ويتركك .

مهلا حيىّ أما تنهاك ناهية عمّا أردت ، ولا يهديك معقول ؟

لا الحلف حق ، ولا الأنصار إن صدقوا يغنون عنكم ، وأنى يصدق القيل ؟

بنو قريظة هدّ الخوف جانبهم والقوم من غطفان غالهم غول

إن الألى جمع الليث الهصور لكم لهم الحماة إذا ما استصرخ الغيل

أتطلبون دم الإسلام ؟ ؟ لا حكم إلا السيوف ، ويقضى الأمر عزريل

هل ينفع القوم إن أزرى بهم قصر عن مركب البأس آطام بها طول ؟[1]

ملّوا الحياة ، وملّتهم معاقلهم كل بغيض ، وكل بعد مملول[2]

يدعو كنانة محزوناً وصاحبه زال الخفاء ، وبعض القول تضليل[3]

يا قومنا : أرأيتم كيف يخلفكم من كل ذى مقة وعد ومأمول ؟[4]

دعوا الحصون ، وزولوا عن مساكنكم حُمَّ القضاء ، وأمر الله مفعول[5]

قضى النبي فما من دون مطلبه وسوله مطلب للقوم أوسول[6]

وليس للأمر إذ يُقضَى على يده بالحق من ربه رد وتحويل

* * *

تلفتوا ، ينظرون الدور شاهقة من حولها النخل ، تحنيها العثاكيل[7]

---

(١) الآطام : الحصون .
(٢) طال عليهم الحصار فى حصونهم ، فاشتد الأمر عليهم .
(٣) كنانة بن صوريا ، وسلام بن مشكم ، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم . جعلا يقولان لحيي بن أخطب : أين نصر ابن أبى الذى زعمت ؟ فيقول : ماذا أصنع ؟ إنما هى ملحمة كتبت علينا .
(٤) المقة : الحب .
(٥) حم القضاء : نزل .
(٦) أمرهم النبي بالجلاء ، وأن يأخذوا النساء والذرارى والأموال ، لا يحملون من سلاحهم شيئاً .
(٧) العثاكيل للنخل بمنزلة العناقيد للعنب والشاهقة العالية .

والماء ينساب ، والأظلال وارفة ... والزرع فى شطئه بالزرع موصول[١]

قالوا : أيذهب هـذا كله سلباً ... للقوم من بعدنا ؟! تلك العقابيل[٢]

وأقبلوا يهدمون الدور ، فاختلفت ... فيها المعاول شتى والأزاميل[٣]

لها على الكره فى أرجائها لغة ... كما تردد فى الأسماع ترتيل

الروح يهتف ، والإسلام مبتهج ... والكفر فى صعقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشى مذممة ... والقوم من فوقها سود معازيل[٤]

العز فى عرصات الدور مطّرح ... والمال والحَلْى فى الأكوار محمول[٥]

قالوا : الرحيل ، فما أصغت مثقفة ... ولا استجاب طرير الحد مصقول[٦]

نادَى الموكَّل بالأدنى يعللهم ... وفى الأباطيل للجهال تعليل[٧]

هـذا الذى يرفع الدنيا ويخفضها ... هيهات – ذلك إرجاف وتهويل

مواكب العار ، لا وسمُ الهوان بها ... خافٍ ، ولا أثر الخذلان مجهول[٨]

ما فى الهوادج ، والديباج يملؤها ... للخزى ماء وجوه القوم تبديل

وما الأساور والأقراط نافعة ... ولا العقود الغوالى والخلاخيل

---

(١) الشطء فراخ الزرع أو ورقه .

(٢) العقابيل : ما نبت من بقايا الداء فلم يزل .

(٣) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم ، ويأخـذون من خشبها وحديدها ما يقدرون على حمله ، والأزاميل جمع أزميل . آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .

(٤) لا سلاح معهم .

(٥) جمع عرصة وهى ساحة الدار والأكوار جمع كور وهو الرحل .

(٦) إشارة الى تركهم السلاح . والمثقفة الرماح المقومة . والطرير الحـد من السيوف وغيرها الماضى .

(٧) هو سلام بن أبي الحقيق أحـد كبارهم ، ذهب يحمل أموالهم وحليهم فى جلد جمل – وقيل جلد ثور – ويقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

(٨) خرجت النساء فى الهوادج عليهن الديباج والحرير ، وقطف الخز الأخضر والأحمر والحلى من الذهب والفضة ، وخلفهن القيان بالدفوف والمزامير ، يتقين الشماتة .

تشدو القيان ، بأيديها معازفها ... وما عليها غداة الجدّ تعويل

تجلَّدوا ، يتقون الشامتين بهم ... لبئسما زعم القوم المهازيل

فيم الشماتة ، هل كانوا ذوى خطر ؟ ... بل غال أحلامَهم ظنٌّ وتخييل

لهم بخيبر أقدار مؤجلة ... وأذرعات وللأقدار تأجيل[١]

* * *

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت ... فى القوم جدك . والمغرور مخذول[٢]

تلك الوسيلة ، من تعلَقْ بها يده ... لم يعْده من عطاء الله تنويل

وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة ... وللمراتب عند الله تفضيل[٣]

أنكرت فعلة عمرو حين همّ بها ... فالنفس غاضبة ، والمال مبذول

رميته من بنى قيس بمقتنص ... يمشى الضَّرَاء ، فأمسى وهو مأكول

أتلك إذ صدقت يا عمرو ، أم حجر ... يرمى به الصادقَ المأمون إجفيل ؟[٤]

---

(١) ذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى أذرعات من بلاد الشام ، والمعنى أنهم مدركون فى هذه وتلك إذا حان يومهم .

(٢) أبو سعد بن وهب الذى هداه الله للإسلام .

(٣) صاحبه يامين .

(٤) الإجفيل : الجبان .

غزوة ذات الرّقاع

اختلفت الروايات فى شأن هذه الغزوة ، فقيل : إنها كانت فى شهر ربيع الثانى ، وقيل : فى جمادى الأولى من السنة الرابعة بعد غزوة بنى النضير ، وفى بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر . وقيل فى تسميتها « ذات الرقاع » إن المسلمين نقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم فيها ، فلفوها بالخرق ، فسموها ذات الرقاع . وقيل : إنها سميت كذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها . وقيل غير ذلك . وسببها أن النبى صلى الله عليه وسلم علم أن بنى محارب وبنى ثعلبة « بنجد » يؤلبون الجموع من غطفان لمحاربته ، فخرج إليهم فى أربعمائة ، أو سبعمائة ، أو ثمانمائة من أصحابه . فلما بلغ نجداً لم يجد رجالا يقدمون على حربه ، وهمت طائفة منهم أن يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر ، فصلى النبى بهم صلاة الخوف ، وترقبوا صلاة العصر فكانت كذلك (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ـ الآية) ولم تنشب الحرب فى هذه الغزوة التى وقع فيها من العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض النسوة فأخذوهن .

إلى القوم الألى جمعوا الجموعا ... إلى نجد كفى نجدا هجوعا[1]

أبت شمس الهدى إلا طلوعا ... ففاض شعاعها ، يغشى الربوعا[2]

ويسطع فى جوانبها سطوعا

إلى غطفان إنهم استعدُّوا ... وظن غواتهم أن لن يُهدُّوا

---

(١) الهجوع النوم

(٢) الربوع الأماكن

بنى غطفان جدُّوا ثم جدّوا ... جرى القدر المتاح ، فلا مردّ

بنى غطفان صبراً أو هلوعا[1]

مشى جند النبى فأىّ جند ؟ ... وأين مضى الألى كانوا بنجد ؟

تولَّى القوم حشداً بعد حشد ... حذار البطش من جنٍّ وأسد

ومن ذا يشتهى الموت الفظيعا ؟

نساء الحىّ ، ما صنع الرجال ؟ ... أمكتوب عليكنّ القتال ؟

لكُنَّ الأمن إن فزعوا فزالوا ... أما ومحمد وهو الثمال[2]

لقد نلتنّه حرزاً منيعا

إليه إليه ، إنّ بكنّ ضعفا ... وإن به لَرحمةً وعطفا

وفيه من التقى ما ليس يخفى ... وما حاولت ترجمةً ووصفا

فلست لمثل ذلك مستطيعا

نزيلَ الشعب من يحمى سواكا ... ولكن قل : تبارك من هدا كا[3]

أترقد ها هنا ، وهو هنا كا ؟ ... أما من كالىء يُرجَى لذا كا[4]

إلى أن يبعث الله الصديعا ؟[5]

ألا طوبى لعبّاد بن بشر ... وعمارٍ كفاية كل أمر

---

(١) الهلوع الجزع

(٢) الثمال الغياث الذى يقوم بأمر قومه

(٣) نزل النبى ليلا فى شعب وقال: من يكلؤنا الليلة . فقال عباد بن بشر وعمار بن ياسر: نحن يا رسول الله . وقال عباد لعمار : أنا أكفيك أول الليل ، وتكفينى أنت آخره ، فنام عمار وجاء زوج إحدى النسوة اللاتى أصابهن المسلمون ، وكان قد أقسم ألا يرجع حتى يصيب النبى أو يهريق دماً فى أصحابه ، فرمى عباداً بالسهام ، وكان يصلى ، فجعل ينزع السهم بعد السهم من جسمه من غير أن يقطع صلاته ، فلما غلبه الدم أيقظ عماراً ، ورآه الرجل فهرب .

(٤) الكالىء الحافظ والحارس

(٥) الصديع الصبح

رسول الله نحن لهم ويجرى قضاء الله إن طرقوا بشر
كعهدك إذ جرى سمًّا نقيعا(١)

وأجرى الأمرَ عَبّادٌ سويا فقام ، ونام صاحبه مليًّا
وكان بأن يناصفه حريًّا محافظة على المثلى وبُقيا
قريع شدائد وافى قريعا(٢)

لربك صلِّ يا عباد فردا وزد آلاءه شكراً وحمدا
ومحكم ذكره فاجعله وردا فإنّ له على الأكباد بردا
وإنْ أذكى الجوانح والضلوعا

ولاح سواده ، فرماه رام أتى إثر الحليلة فى الظلام(٣)
فديتك يا ابن بشر من همام أما تنفك عن نزع السهام
تحامى عن صلاتك ما تحامى وجسمك واهن الأعضاء دام ؟
أمانك يا ابن بشر فى السلام وقد جرت الدماء على الرغام ؟(٤)
ألا أيقظ أخاك من المنام كفاك فقد بلغت مدى التمام
وما تدع القنوت ولا الخشوعا

رأى عمّار خطبك حين هبّا فلم ير مثله من قبل خطبا(٥)
يقول ونفسه تنهدّ كربا أيدعونى الحفاظ ، وأنت تأبى ؟

---

(١) أى كما عهدت فى مواطن البلاء

(٢) القريع الغالب فى المقارعة . والفحل والمختار من الرجال

(٣) الحليلة الزوجة

(٤) الرغام التراب

(٥) قال عمار لعباد حين أيقظه ورأى ما به : أى أخى . ما منعك أن توقظنى له فى أوله سهم رمى به ؟ قال : كنت أقرأ فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها ، ولولا أنى خشيت أن أضيع ثغراً أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى .

لقد كُلفتُ أمراً منك صعبا ولو أيقظتنى لشفيت قلبا
جرحت سواده جرحاً وجيعا

وأبصر شخصه الرامى الملاحُّ فزلزل قلبه للرعب نضح(١)
وأمسك منه تهتان وسحٌّ وما إن راعه سيف ورمح
ولـكن مسّه خبَلٌ فريعا

تولّى يخبط الظلماء ذعرا ويحسب درعه كفناً وقبرا
ألا أدبر ، جزاك الله شرا ظفرت بصابر ، وأبيت صبرا
فآثرت الهزيمة والرجوعا

وجاء غويرث يبغى الرسولا ويطمع أن يغادره قتيلا(٢)
كذلك قال ، يستهوى القبيلا غويرث رمت أمراً مستحيلا
فهل لك أن تثوب وأن تريعا ؟(٣)

أتيت محمداً تبدى السلاما وتخفى الغيظ يضطرم اضطراما
تقول مخاتلا ـ أرنى الحساما وتأخذه ، فلا ترعى الذماما
أغدراً ؟ يا له خلقاً وضيعا
تهمُّ به ، ولست بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع ؟(٤)

---

(١) لما أبصر الرجل عماراً انقلب خائفاً ، والنضح الرمى بالنبل .

(٢) جاء رجل إلى النبي اسمه غويرث أو غورث ـ وقد اعتمدنا الأول ـ يريد قتله . وقد وعد قومه بذلك . ورأى سيف النبي فى حجره فقال له : أرنى أنظر إلى سيفك هذا ، وأخذه من حجره فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله «يخزيه» ثم قال : يا محمد أما تخافنى؟ قال : بل يمنعنى الله منك . ثم دفع السيف إليه فأخذه وقال : من يمنعك منى ؟ قال : كن خير آخذ ، قال النبي : أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؟ قال : أعاهدك على أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله . وجاء غويرث قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس ، ثم أسلم بعد وكانت له صحبة .

(٣) تثوب وتريع بمعنى ترجع .

(٤) السيف الصنيع المجرب الصقيل .

وكيف وهت قوى البطل الضليع؟   تعالى الله من ملك رفيع
يريك جلاله الصنع البديعا

سألت رسوله : أفما تخاف   وسيفك فى يدى موت ذعاف ؟[١]
أراك من الموارد ما يعاف   فلا فرّق عراك ولا ارتجاف
فيالك كرةً خسرت جميعا

فقال محمد ربى يقينى   ويمنع مهجتى ، ويصون دينى
وصارمه تلقّى باليمين   ألا بوركت من هاد أمين
ترد أناتهُ الحلم النزيعا

أخذت السيف لو تبغى القصاصا   لما وجد المسىء إذاً مناصا
تقول له : بمن ترجو الخلاصا   إذا أنا لم أرد إلا اقتناصا
فلن تجد الولىَّ ولا الشفيعا ؟

يقول غويرث كن خير مولى   وأنت أحق بالحسنى وأولى
فقال له : أتؤمن قال كلا   ولكنى أعاهد ، ثم ولى
ودين الله يطلبه سريعا

وحدث قومه : يا قوم إنى   بخير الناس قد أحسنت ظنى
رأيت خلاله ، فرجعت أثنى   عليه ، وقد مضى الميثاق منى
فلست لمن يناوئه تبيعا

أعزّ الله شيخ الأنبياء   وأيده بآيات وضاء
ألم تخبره ترجمة الرغاء   بما يجد البعير من البلاء ؟[٢]

---

(١) الموت الذعاف السريع العاجل .

(٢) من العجائب التى وقعت فى هذه الغزوة باتفاق الروايات أن بعيراً جاء يرقل حتى وقف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل يردد الرغاء . فسأله أصحابه : ما شأنه ؟ قال : إنه يقول إنه أحسن خدمة أصحابه ، فلما كبر هموا بذبحه فهرب ، وجاء مستغيثاً ، وقدموا على أثره فذكر لهم النبي ما قاله . فقالوا : صدقت . فأوصاهم به خيراً .

توجع يشتكى سوء الجزاء   وفقدان المروءة والوفاء
أيذبحه ذووه على العياء   وبعد الجد منه والمضاء ؟
رثى لشكاته حق الرثاء   وراض ذويه من بعد الإباء
فمتع بالسلامة والبقاء   وراح ، فأىَّ حمد أو ثناء
يؤدى الحق ، أو يجزى الصنيعا

غزوةُ بَدرٍ الآخِرة

ويقال لها (غزوة الموعد) لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد : موعد ما بيننا وبينكم بدر ـ يريد موسمها ـ كانت فى شهر شعبان من السنة الرابعة ، خرج النبي إليها فى ألف وخمسمائة من أصحابه ، وكان يحمل لواءه (على بن أبى طالب) وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعى (قبل إسلامه) وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم . فجعل له أبو سفيان عشرين بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فثبط المسلمين عن القتال ، وأوهمهم أن المشركين فى جمع كثير . فما زادهم هذا إلا ثباتاً وقوة (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وكره أبو سفيان القعود خشية العار . فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع بهم من مكان قريب ، فلما بلغوا (مجنة) وهى سوق معروف من أسواق العرب . قال لهم يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون الماء ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا ، وأقام النبي بجيشه فى بدر مدة الموسم وهى ثمانية أيام ينتظر القوم ثم رجع إلى المدينة .

أليك أبا سفيان لا الوعد صادق   ولا أنت ذو جد ، ولا القوم أبطال
أتاك ابن مسعود بأنباء يثرب   فما تنقضى منكم هموم وأوجال[١]
لكم عند بدر فى لواء محمد   خطوب ترامى بالنفوس وأهوال
هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم   إذا عصفت ريح الكريهة أغوال

---

(١) أوجال مخاوف .

جنود عليها من علىٍّ مظفر ... لدى الروع ، جياش على الهول جوال [١]
دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفاً ... وَعِدْه جزاء الإفك ـ لاحبذا المال
تردد ، يخشى منك شيمة مخلف ... يقول ، فلا وعد وفىَّ ، ولا قال [٢]
تمسَّك من قول ابن عمرو بموثق ... وطارت به فى الجوّ هوجاء مجفال [٣]
مضى ، يصف الكفار وصف مهوّل ... يقول : جموع ما تُعدُّ وأرسال [٤]
فما وجفت تلك القلوب ، ولم تكن ... كأخرى ، لها من هدَّة الرعب زلزال [٥]
رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم ... فلا الجبن منجاة ، ولا البأس قتّال
ولا الموت مكروه على العزِّ وِرده ... ولا العيش مورود إذا خيف إذلال
تداعوا فقالوا ، حسبنا الله إنه ... لما شاء من نصر الهداة لفعال [٦]
وأرسلها الصديق دِيمة حكمة ... لها من فم الفاروق سح وتهطال [٧]
محمد إن الله ناصر دينه ... ومظهره ، والحق أقطع فصّال
لهم موعد لابدّ منه ، ومورد ... من الحتف ، تغشاه نفوس وآجال [٨]

(١) الروع الفزع والخوف والمقصود الحرب .

(٢) قال أبو سفيان لنعيم : بدا لى أن لا أخرج ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب لى من أن يكون من قبلى ، فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندى من الإبل كذا وكذا ، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو ، فجاء نعيم إلى سهيل وقال له : يا أبا يزيد . تضمن لى هذه الإبل وأنطلق إلى محمد فأثبطه قال نعم ، فذهب يرجف بما قيل له .

(٣) الجو هنا ما اتسع من الأودية ، والهوجاء الناقة السريعة المجفال بمعنى الهوجاء .

(٤) الأرسال الجماعات .

(٥) وجفت اضطربت والهدة صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه .

(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قريش وجموعها يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧) جاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالا : يارسول الله إن الله مظهر نبيه ، ومعز دينه ، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن فى ذلك لخيرة ـ فسر النبى وقال ـ والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد ، فاحتدمت نفوس المسلمين حماسة وقوة .

(٨) الحتف الموت .

عزيز علينا أن نكون مقالة ... يرددها قوم مهاذير جُهّال
يقولون : لولا الخوف منا لأقبلوا ... وإنّا لإقدام حثيث وإقبال
وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه ... ويشهدها من خيفة : كيف يحتال
يقول ، وقد وافى الرجال مجنة ... أيا قومنا مهلا ، فإنا لضلال
أيا قومنا : إنا نرى العام مُجدباً ... وشرُّ عتاد الحرب جدب وإمحال
فعودوا إلى عام من الخصب صالح ... ولاتقربوا الهيجاء ، فالقوم أصلال [١]

* * *

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم ... وما فيه أكفاء تُهاب وأمثال
وأين من الصيد المصاليت معشر ... لهم من مواليهم لدى البأس خذال ؟ [٢]
لبئس الموالى ما تزال تغرهم ... ظنون كأحلام النيام وآمال

* * *

ألا إنّها الدنيا أعيد بناؤها ... وصيغ لها رسم جديد وتمثال
فلا شأنها الشأن الذى كان يرتضى ... بنوها الألى بادوا ، ولا حالها الحال [٣]
عفا السالف المغبّر من سيئاتها ... فتلك بقاياها قبور وأطلال
أتبقى قلوب الناس فى ظُلماتها ... تظاهرُ أكنان عليها وأقفال ؟ [٤]
هو النور نور الله ، يملأ أرضه ... فتاقَى الهدى فيه عصور وأجيال
أتى مطلقُ الأسرى يحرر أنفساً ... لها من سجاياها قيود وأغلال

(١) جمع صل وهو الحية .

(٢) جمع أصيد وهو من صفات الأسد ، والأصل فيه ارتفاع الرأس والمصاليت جمع مصلات ، وهو الشجاع الماضى فى الأمور ، المشمر لها .

(٣) بادوا هلكوا .

(٤) أكنان أغطية .

غزوة دُومة الجندل

هي أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة في أواخر السنة الرابعة – على رواية – وفي ربيع الأول من السنة الخامسة – على رواية أخرى – وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم أُخبر أن بهذه البلدة قوماً يظلمون من مر بها ، ويعتدون عليه ، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة فخرج إليها في ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم فتفرقوا وأصاب المسلمون من ماشيتهم ورعاتهم ما أصابوا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة وادع النبي عيينة بن حصن الفزاري ، وأباح له أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا ، فلما سمنت مواشيه ، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجدب ، أغار على لقاح النبي ، وكان يقال له (الأحمق المطاع) ومن سوء خلقه أنه دخل على النبي بغير استئذان – وفيه يقول صلوات الله وسلامه عليه – شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه – أسلم بعد فتح مكة ، وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد في خلافة الصديق ، ولحق بطليحة ابن خويلد الذي ادعى النبوة فآمن به ، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الصديق في وثاق ، فمن عليه وأسلم .

سيرى اهوينى دُومة الجندل ... أمعنت في الظلم ولم تُجملى[1]

أكُلُّ من مرّ خفيف الخطى ... ترمينه بالفادح المثقل ؟[2]

المسلمون استصرخوا ربهم ... فاستعصمى منه ، ولن تفعلى

مضى رسول الله في جحفل ... ما مثله في البأس من جحفل[3]

يمشى إذا اسودّت وجوه الوغى ... في ساطع من وحيه المنزل

لولا الذى استعظمتِ من أمره ... لم يُهزم القوم ، ولم تُخذلى

أهلوكِ طاروا خوف تَقتاله ... فأيُّهمُ بالرعب لم يُقتل ؟

---

(١) أمعن تمادى .

(٢) الفادح العظيم .

(٣) الجحفل الجيش الكثيف .

كلٌّ له من نفسه ضارب ... إن يُدبرِ الخوف به يُقبل

تلك لعمرى من أعاجيبهم ... ويبتلى ربُّك من يبتلى

* * *

شرَّدَهم مذكور من دارهم ... لا كنت من دار ومن منزل[1]

هلَّا رعوا إذ أدبروا جُفَّلا ... ما ريع من أنعامك الجُفَّل ؟[2]

ماذا يريد الجيش من عورة ... حنَّت من الذلة في موئل ؟

لولا المروآت وساطانها ... لانقضّ أعلاها على الأسفل

شريعة الإسلام في أهله ... أهل الحجا والشرف الأطول[3]

وسنةَ المختار من ربه ... والمصطفى من خلقه المرسل

جاء بملء الأرض من نوره ... والناس من حيرى ، ومن ضُلَّل

لا عذر للمصروف عن رشده ... لم يبق من داج ولا مجهل[4]

معالم الإيمان وضاحة ... والحق ماء العين للمجتلى

* * *

إيهٍ قنيص الله في حبله ... ظفرت بالأمن ، فلا توجل[5]

جئت معافى في يدى صائد ... لم يخدع الصيد ، ولم يختل[6]

أقبل ، فهذا خير من أبصرت ... عيناك في الجيش ، وفي المحفل

---

(١) مذكور اسم رجل من بني عذرة ، اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم دليلا للجيش في هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلا أخذهم الرعب فتفرقوا .

(٢) جفل منزعجين مسرعين .

(٣) الحجا العقل .

(٤) داج مظلم .

(٥) أسر محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به إلى النبي ، فعرض عليه الإسلام فأسلم .
لا توجل لا تخف .

(٦) يختل من الختل وهو الخداع .

هذا الذى أعرض عن حقه ... قومك من باغ ومن مُبطل
لو أنهم جاءوه فاستغفروا ... رأوا سجايا المنعم المفضل
أسلمتَ تأبى دينهم أولا ... فمرحباً بالمسلم الأول

* * *

عيينةُ المغبونُ فى نفسه ... ماذا جنى من دائه المعضل ؟[1]
حمَّله مالو تلقّت ذرى ... مُستَشرف العرنين ، لم يَحمل[2]
ألوى به الجدب ، فأفضى إلى ... أكناف واد معشب مبقل[3]
من أنعُم الغيث الكثير الجدا ... ومكرمات العارض المسبل[4]
حتى إذا أعجبه شأنه ... وغرّه من ماله ما يلى
أتى بها شنعاء مكروهة ... من سيئات الأحمق الأثول[5]
بئس المغير انقضَّ فى غرة ... على لقاح الغابة الهمَّل[6]
ما وقعة اللص بمأمونة ... ولا أذاة الضَّرِع الذُّمَّل[7]
آذى رسول الله فى ماله ... وآثر الغدر ، ولم يحفل
لو ارتضى دين الهدى صانه ... وزانه بالخلق الأمثل

* * *

يا أم سعد لست من همّه ... سعد عن الأهلين فى معزل[8]

(١) المغبون المخدوع ـ المعضل المستعصى .
(٢) مستشرف العرنين صفة لمحذوف ، والمراد الجبل العالى .
(٣) ألوى به ذهب به .
(٤) المراد به الرسول الكريم .
(٥) المجنون والأحمق .
(٦) الغابة اسم المكان الذى كانت ترعى فيه اللقاح .
(٧) الضعيف الجبان .
(٨) كان سعد بن عبادة مع النبى فى هذه الغزوة . فماتت أمه وهو غائب ، فلما رجع النبى بعد شهر من وفاتها صلى على قبرها .

إنْ أهلُه إلا الألى استوطنوا ... دار الوغى فى دُومة الجندل
لاتذرفى الدمع على راحل ... فى الله لولا الله لم يرحل
واستقبلى الموتَ على هوله ... إنى أراه سائغ المنهل[1]
ظمئت من سعد إلى نظرة ... تطفىء حرَّ اللاعج المشعَل
روّاك رب الناس من سرحة ... ألقى عليها ظلَّه من عل[2]
تؤتى الجنى كالأرْىِ طيبا إذا ... كان الجنى كالصاب والحنظل[3]
صلاة أصفى الناس مما سقى ... أفنانها ذو النائل السلسل[4]
لو وُزنتْ كل صلاة بها ... من أنبياء الله لم تعدل
يا أمَّ سعد إنها نعمة ... جاءتك ، لم تُطلب ، ولم تُسأل
هـذا جوار الله فاستبشرى ... وهـذه جنّاته فادخلى

(١) شراب سائغ عذب والمنهل مكان الشرب .
(٢) السرحة الشجرة العظيمة .
(٣) الأرى العسل والصاب شجر مر أو هو عصارته .
(٤) النائل العطاء .

غــزوة بنى المصطلق

بنو المصطلق بطن من خزاعة . والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو الخزاعى لقب به لارتفاع صوته (من الصلق) وقيل إنه كان حسن الصوت ، وأنه أول من غنى فى خزاعة .

بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربته ، فبعث إليهم بريدة بن الحصيب يتعرف أخبارهم ، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويتقوه شرهم ، ورجع يذكر تأهبهم للحرب ، فخرج إليهم النبى يقود جيشاً كبيراً فى شعبان من السنة الخامسة . وبعث الحارث عيناً له ليوافقه بأخبار المسلمين ، فأمر النبى بقتله ، فضعفت نفسه ، وتفرق عنه كثير من رجاله .

وأعطى النبى راية المهاجرين إلى أبى بكر — وقيل لعمار بن ياسر — ورايه الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل ، فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين . فغنموا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل ، وكان من السبايا (برة) بنت الحارث بن ضرار ، بنى عليها النبى صلى الله عليه وسلم وسماها (جويرية) فقال المسلمون — أصهار رسول الله ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا ، وفى الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها .

نهضتْ من كل أوب تلتقى   فاحذروها يا بنى المصطلق[1]

إحذروها غارة ملمومة   يتقى أهوالها من يتقى[2]

لا تظنّوا جمعكم كفؤاً لها   حين تمضى فى العجاج المطبق[3]

سرّحوا الجيش ، وكفّوا ، إنها   مصرع الجيش ، وحتف الفيلق

نعق الحارث يدعوكم إلى   أن تبيدوا : ليته لم ينعق

---

(١) الأوب الطريق والجهة .

(٢) ملمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض .

(٣) العجاج الغبار الثائر من أثر المعركة أطبق عليه الشىء غشيه وعمه .

لا يغرّنْكم رسول جاءكم   مبغض القلب ، محب المنطق[1]

يا رسول الصدق : ماذا جمعوا   لذوى البأس وأهل المصدق ؟[2]

الألى تتسع السبل بهم   للمنــايا فى المجال الضيق

يخفق النصر على أعلامهم   إن تردّى كل جيش مخفق

ما يبالون المنايا الفكر فى   مرعدٍ من هولها أو مبرق

لأبى بكر وسعد نظرة   بعد أخرى ، كالشواظ المحرق[3]

فى اللوائين ضياء منهما   واضح المطلع ، طلق المَشرق

وعلى الفاروق من إيمانه   ما على صمصامه من رونق[4]

وعلىٌّ وابن عمار هما   عُدّة الحرب لهول المأزق

يترامى القائد الأعلى بهم   فى عبــاب للمنايا مغرق[5]

جاش فيه كل زخّار القوى   يرتقى من لجه ما يرتقى[6]

خير خلق الله فى شكته   يمتطى خير العتاق السبق[7]

سحر القوم ، ومن آياته   رقية السحر ، وطب الأولق[8]

---

(١) هو بريدة بن الحصيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير فى قوى ومن أطاعنى ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فعجل إلينا — قال بريدة : أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قوى ففرحوا ، وعاد إلى النبى يخبرهم .

(٢) المصدق الشجاعة وصدق الحملة .

(٣) الشواظ لهب لا دخان فيه .

(٤) صمصامه سيفه والرونق الحسن .

(٥) النبى صلى الله عليه وسلم . العباب فى الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحدق بهم .

(٦) جاش تحرك ، وزخار ممتلىء .

(٧) الشكة السلاح كان مع النبى من خيله اللزاز والظرب والعتاق من الخيل الكريمة الرائعة .

(٨) الاولق الجنون .

نزل الذكر عليه ، فانطوى   مصحف الحبر وسفر البطرق[(١)]
وسع الـكتب جميعاً ، ووعى   من سناها كل معنى مونق[(٢)]
علم الدنيـا الهدى فيما مضى   وهو خيرٌ هادياً فيما بقى
عـــربى فتحت آياته   كل باب للمعـــانى مغلق
فى أساليب حسان غضَّة   وفنون حرة لم تطرق
نفحات الحق فى أبهى الحلى   من رياحين البيان المورق

* * *

نهض الفاروق يدعوهم إلى   ملة الخير دعاء المشفق
فأبى القوم ، وقالوا : ديننا   إن ندعه لسواه نفسق
ومشى جاسوسهم يبغى الأذى   فمشى عزريله فى المفرق[(٣)]
قيل : أسلم قال : لا ، فاحتقبت   نفسه إثم الغوىِّ الأحمق[(٤)]
يا أبابرَّة ليس البر أن   تتولى ، فاتئد واستوثق
أفمن يعتق من رق الهوى   أنفس الناس كمن لم يعتق ؟
يا أبابرَّة لا تأبَ الهدى   وبمن حولك فأرأف وارفق
قلتم : الحرب وقتلاها ، وما   هى بالأمر الأحب الأخلق
وتوالى النبل ، يهمى صوبه   فوق صوب من نجيع مهرق[(٥)]
إذ يقول الله فى عليائه   لرسول الله ـ سدد وارشق
قادة ، ما صادفوا أكفاءهم   وجنود مثلها لم يخلق

---

(١) السفر الـكتاب والبطرق والحبر من علماء أهل الـكتاب .
(٢) المونق الحسن المعجب .
(٣) المراد به السيف الذى قتل به .
(٤) سأله النبى عن أخبارهم فلم يقل شيئاً وعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر عمر بن الخطاب بقتله واحتقب الرجل الاثم احتمله .
(٥) همى سال والنجيع الدم يضرب لونه إلى السواد والمهرق السائل .

ذعر الجمـــع ، فلو أن القطـا   طار فى آثاره ، لم يلحـــق
صدّ عن ظمأى العوالى ، ولوى   كلَّ صبٍ فى المواضى شيِّق
فجعـــوا فى النهب والسبى معاً   وسُقُوا أســـوأ شِرب المستقى

* * *

نعمتْ بَرّةُ ماذا تشتـكى   من أسى برْح ، وهمّ مقاق ؟[(١)]
يا ابنة الحارث طيبى وانعمى   أىُّ رزق صالح لم ترزقى ؟
ذاك جوُّ المجـــد وضّاح السنا   حلِّقى ما شئت فيـه ، حلِّقى
إصطفاك الله فيمن يصطفى   وانتقى بيتـك فيما ينتـــقى
واحتوى التّاجُ المحـــلَّى دُرّةً   منك ، من يلمح سناها يُطرق
فارقى أسر ابن قيس واشـكرى   يا ابنة الحارث ، فضل المُطلق
اللُّبابِ المحض من رسل الهدى   منذ كانوا ، والصميم المعـرق[(٢)]
حط عنك الإصْرَ برًّا ، ورثى   لك من ضُرٍّ شـديد مرهق[(٣)]
ورعى حقك ، لا يبغى سوى   أن تـكونى بالمحـــل الأليق

---

(١) جاءت إلى النبى فقالت يارسول الله إنى امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وإنى برة بنت الحارث سيد قومه ، أصابنا من الأمر ماقد علمت ، ووقعت فى سهم ثابت ابن قيس وابن عم له . وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة ، وكاتبنى على مالا طاقة لى به وإنى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى قال : أو خير من ذلك : قالت ما هو ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم ، وطلبها من ثابت فقال : هى لك يارسول الله ، فأدى ما كان كاتبها عليه ، وأعتقها ، ثم تزوجها .
(٢) اللباب والمحض الخالص .
(٣) الإصر ـ الحبس والذنب والثقل .

إسلام الحارث بن ضِرار

رَضِيَ اللهُ عَنهُ

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق إبلا فى فداء بنته برة ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أتى وادى العقيق رغب فى بعيرين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستبقاهما فى شعب من شعاب هذا الوادى ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبتم ابنتى وإنها لكريمة لا تسبى ، وهذا فداؤها ، فقال له : أين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ قال : أشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على ذلك إلا الله .

أقبل الحارث يحــــدو إبله   وبهِ من طول هَمّ ما بهِ
سيد القــوم يريد ابنتـه   ويروم الذبَّ عن أحسـابهِ[1]
قال – ويحى : كيف تُسبَى برة   وأبو بَرّةَ فى أثوابهِ ؟
حرةٌ من حرةٍ ، أنجبها   ونماهــــا نابهٌ من نابهِ[2]
إبلى سـيرى ، وأمّى يثرباً   واطلبى ليث الوغى فى غابهِ[3]
شرفى آبَى عليـه ، وابنتى   أفتـدى منه ، ومن أصحـابهِ

* * *

ســـــاقها إلا بعـيرين هما   من صفايا المال أو صُيَّابهِ[4]
غودرا فى جانب الوادى ، وما   يجلب الأمرَ سـوى أسبابهِ
قال : دعها يا رعاك الله لى   واشف هذا القلب من أوصابهِ[5]

(١) يروم يريد والذب الدفع .
(٢) رفعها وعزاها إليه .
(٣) النبى صلى الله عليه وسلم .
(٤) صفايا الشيء وصيابه خياره .
(٥) الأوصاب جمع وصب وهو المرض .

إنها بنتى التى ربَّيتهـــــا   فى حمى العزِّ ، وفى محرابهِ
أعطنيها ، وتقبَّــلْ ما معى   من فداء جــلَّ عن أضرابهِ[1]
قال : بل أحدثت أمراً لم تخف   سوء ما يغشى الفتى من عابهِ
غاب عن ذودك ما استبقيتــه   لك فى الوادى ، وفى أعشابهِ[2]
يا أبا بَرّة إنى لأرى   موضع العــودين فى أنقابهِ[3]
قال : أسلمت ، وما أدنى الهدى   يا رســول الله من طُلاَّبهِ
وضح الحقُّ ، فما من حُجَّة   لغــبىِّ القلب ، أو مرتابهِ
إنه للهِ فضـــــلٌ ما له   غير من يؤثر من أحبـــابهِ
نكص الشركُ على أعقابهِ   وهوى القائمُ من أنصـابهِ
يا رســول لا كان امرؤٌ   لم يكن دينك من آرابهِ[4]
شرف الأخلاق من أحكامه   والتُّقَى والــبِرُّ من آدابهِ
أنت نعم الصهر مجــداً وسناً   إن طلبنا المجــد فى أقطابهِ
جئت بالخير بشـيراً ، لم تزل   تصـدع الأغلاق عن أبوابهِ
تلك بنتى دخلت فيــه معى   ما خشينا المنـع من حُجابهِ

(١) جل عظم وأضرابه نظرائه .
(٢) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة ، أو ما فوق ذلك .
(٣) مثنى عود ، وهو المسن من الإبل .
(٤) جمع أرب والأرب الحاجة .

بركة أم المؤمنين جويرية

رضي الله عنها

قالت عائشة رضى الله عنها ـ لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية ، أعتق بتزويجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت.

جويرية احمدى عقبى البنـاء بنى بك خـير من تحت السماء
بلغتِ به ذؤابة كل عال من الشرف الممنـع والسناء[1]
وكنت لقومك الأدنين يمنـاً يُريهم يُمن خير الأنبيـاء
فكم أسرى فككتِ ، وكم سبايا رددتِ إلى الخـدور بلا فداء
محرَّرة الرقاب كفاك فضـلاً صنيعـك بالرجال وبالنسـاء
كشفت الضرّ عنهم بعد يأسٍ وأحييت الرمـيم من الرجاء[2]
توالى المسلمون على سبيل من الـكرم المحبب والسخاء
لأجلك آثروا البُقْيا ، وقالوا علينا العهدُ عهدُ الأوفيـاء
أمَنْ وصل النبيُّ فكان صهراً كمنقطـع من الأقـوام ناء ؟[3]

* * *

خذوا يا قوم أنفسكم ، وعودوا إلى أوطانـكم بعد الجـلاء
سَمَوْا بنفوسهم وبنى أبيهم إلى دين المروءة والاباء[4]
وردَّ الله غربتهم وفازوا بنعمتـه ، فنعم ذوو العـلاء
هو الإسـلام ما للنفس عنه إذا ابتغت السلامة من غنـاء
نظام الأرض ، يدفع كل شرّ وطِبُّ القوم ينزع كل داء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه فبشر كل شعب بالشقاء

(١) ذؤابة العز والشرف أعلاه .
(٢) الرميم أصله العظام البالى والمراد به الميت من الرجاء .
(٣) ناء بعيد .
(٤) الإباء العز .

بين الخزرج والمهاجرين

كان المسلمون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخزرج وهو سنان ابن فروة فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى : يا معشر الأنصار ، ونادى الضارب : يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح ، فكادت تكون فتنة عظيمة لولا أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ فقالوا ، رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار ، فقال . دعوها يريد دعوى الجاهلية فإنها منتنة فترك المضروب حقه ، وسكنت الفتنة » .

جهجاه مالك هجتها مذمومة هوجاء ، لولا الله ظلت تعصف ؟
الخزرج انطلقوا لنصر حليفهم ومضى لنصرتك الكماة الدلَّف[1]
لَسنانُ إذ تؤذيه منك بضربةٍ أولى وأخلق من تحب وتألف
هفت السُّيوف إلى السُّيوف ، وأوشكت صُمُّ الرماحِ على الرماحِ تقصَّف
ومشى النبيُّ يقول : ياقوم اسكنوا أكذاك تضطرب الجبال وترجف ؟
تدعون دعوى الجاهليـة جهرةً فمَن الدُّعاة من الهـداة الهتف ؟
أوَ لستم النفر الذين بنورهم يجد السَّبيلَ الحائرُ المتعسّف ؟
ردوا السُّيوف إلى جماجم معشر فيهم مردٌّ للسُّيوف ومصرف

* * *

هدأ الرجال ، وراح ظالم نفسه يهذى فيمعن ، أو يظن فيسرف[2]

(١) الكماة جمع كمى وهو الشجاع والدلف جمع دالف وهو المتقدم .
(٢) هو عبد الله بن أبى بن سلول ، لما اختصم الرجلان غضب وكان عنده رهط من منافقى قومه الخزرج فقال : ما رأيت كاليوم مذلة . أو قد فعلوها ؟ نافرونا فى بلادنا . وأنكروا علينا ملتنا ، والله ما أعدنا ـ يعنى الأنصار وقريش ـ وهؤلاء ـ يريد المهاجرين ـ إلا كما قال الأول فى أمثالهم : سمن كلبك يأكلك . وأجعه يتبعك .. والله لقد ظننت إنى سأموت قبل =

لجَّ النفاق ، فقائلٌ لا يستحى   مما يقول ، وسامعٌ لا يأنف[١]

ما بال من جمحت به أهواؤه   أفما يزال على الغواية يعكف ؟[٢]

يؤذى رسول الله يزعم أنه   فى قومه منه أعزُّ وأشرف

ويقول : موعدنا المدينة إذ يرى   أىُّ الفريقين الأذل الأضعف

فَلنخرجَنَّ محمداً منها غداً   وليعلمن الأمر ساعة يأزف[٣]

* * *

سمع ابن أرقم ما يقول ؛ فهاجه   غضبٌ يضيق به التقىُّ الأحنف[٤]

ومضى يقصّ على النبىِّ حديثه   فيكاد عنه من الكراهة يصدف[٥]

قال : اتئد ، فلقد يغان على الفتى   فيزلُّ منه السَّمع أو يتحرف[٦]

فمضى على أسف يلوذ بعمه   فيُلامُ غير مكذَّب ويُعنَّف[٧]

= أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ـ يعنى بالأعز نفسه . وبالأذل النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) لج تمادى .

(٢) جمحت به أهواؤه غلبته .

(٣) أزف الأمر حان وقرب .

(٤) كان زيد بن أرقم - وهو غلام حديث السن ـ عند عبد الله بن أبى ورهطه وهو يقول لهم ما قال . فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكره ذلك وتغير وجهه ، وقال له ـ يا غلام لعلك غضبت عليه ـ قال . والله لقد سمعته أى الحديث منه ، قال ـ لعله أخطأ سمعك والأحنف هنا الشديد الميل الى الحق .

(٥) يصدف يعرض .

(٦) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .

(٧) لما قال النبى لزيد بن أرقم ما قال : عظم عليه الأمر وذهب الى عمه فى غم شديد ، فقال له : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك ، قال زيد . والله لقد سمعت ما قال ، ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها الى رسول الله ، وإنى لأرجو أن ينزل الله عليه ما يصدق حديثى . ولاذ به لجأ .

قال : اقتصد يا عم ، ما أنا بالذى   يغضى إذا اغتاب الرسول مُحدِّف[١]

ثقلت علىَّ من الغبىِّ مقالة   جلل ، تهدُّ بها الجبال وتنسف[٢]

والله لو ألقى صواعقها أبى   لحماتها ، وذهبت لا أتخفف

* * *

رُوِى الحديث وغيظ من مكروهه   عمر فغيظ المشرفى المرهف ؟[٣]

أغرى بقائله مخوفَ غراره   ما كان يعلم من أذاه ويعرف

سأل الرسول الإذن فيه لعله   يشفيه من دمه بما يترشف

فأبى ، وقال : أليس من أصحابنا ؟   دعه ، فتلك أشد ما أتخوف

* * *

وأتى ابنهُ قدعا : أبى أنا خصمه   فدعوه لى ، إنى به لمكلَّف[٤]

مرنى رسولَ الله أكفِك أمره   فلقد عهدتك راحماً تتلطف

إنى أحب أبى . وأعرف حقه   ولأنت بى وبه أبر وأرأف

سيفى أحق به ، فإن يك غيره   عظم الأسى فيه ، وهال الموقف

إنى لأخشى أن أرى دم مؤمن   بيدى لأجل أبى يراق وينزف

قال النبى : ارفق بشيخك وارعه   إن العقوق من البنين لمتلف

* * *

---

(١) التجديف الكفر بالنعمة والشتم والإهانة والافتراء .

(٢) جلل عظيمة .

(٣) طلب عمر بن الخطاب من النبى أن يأذن له أو لغيره بقتل عبد الله بن أبى فأبى وقال ـ كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؟ والمشرفى المرهف السيف الحاد .

(٤) ابن عبد الله بن أبى واسمه عبد الله ، لما علم أن عمر يستأذن النبى فى قتل أبيه . جاء إليه وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلا فمرنى أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال له الرسول الكريم ـ بل ترفق به ، وتحسن صحبته .

القاذف الجبار زَلزل قلبه … بالرعب يُلتَّى ، والمخافة تقذف[1]
ضاقت مذاهبه ، فأقبل ضارعاً … وأخو الهوان الضارع المستعطف[2]
جحد الحديث، وراح يحلف ماجرى … صدق النبيء وافترى من يحلف
إن ابن أرقم لم تكن لتخونه … أذُنٌ تعى وتصون ما تتاقف[3]
يبقى بها نقش الكلام ، كأنما … نقشت على الصخر الأصم الأحرف
صُوَرٌ إذا وَلِيَ اللسان أداءها … فالزور من أعدائها والزخرف
ما رُمتُ وصفاً ، حسب زيد أنه … بفرائد الوحْي المنظَّم يوصف
الله أنزله بياناً صادعاً … كبت الألى قلبوا الأمور وزيفوا
كشف الغطاء عن النفاق بسورة … نزلت ، وكان غطاؤه لا يكشف
جُرْمٌ إذا استخفى مخافة ذاكر … نادى الزمان به ، وضجّ المصحف

---

(١) هو عبد الله بن أبى ـ جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك . ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم تقله فائته واعتذر . واحلف ما قلته، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً ، ومشى إلى النبي فقال له: يا ابن أبى إن كانت سبقت منك مقالة فتب . فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .

(٢) الضارع الذليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم رضى الله عنه ـ ذو الأذن الواعية ـ لقول الله تعالى فيه ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ وعنه أنه لما نزلت سورة المنافقين ، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذنه وهو على راحلته يرفعها إلى السماء حتى ارتفع عن مقعده وهو يقول ـ وعت أذنك يا غلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين .

عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول

بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يستأذنه فى قتل عبد الله بن أبى ـ ترعد له إذن آنف كثيرة بيثرب ـ فلما نزلت سورة المنافقين صار قومه يعاتبونه ويعنفونه ، فقال النبي لعمر : كيف ترى يا عمر ؟ إنى والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له آنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته : قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى » .

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر … إلا أحاط به من ربه قدر[1]
وليس للنفس إن خابت وإن خسرت … إلا عواقب ما تأتى وما تذر[2]
جلبت يا ابن أبيٍّ شر ما جلبت … نفس على قومها ، لو كنت تعتبر
زوَّدت قومك خزياً لم يدع أحداً … إلا قلاك وأمسى صدره يغر[3]
تتابع الوحي ، ترميهم قوارعه … لما تتابع منك اللغو والهذر

* * *

قالوا : استجر برسول الله ملتمساً … سبل النجاة ، فما يغنيك منتظر[4]
إن تُلقه حين ترجوه وتسأله … مستغفراً لك لا يعلق بك الغمر[5]

---

(١) يزر يحمل .

(٢) تذر تترك .

(٣) قلاه أبغضه ووغر صدره توقد من الغيظ .

(٤) قال له أصحابه : اذهب إلى النبي يستغفر لك . فلوى رأسه وقال أمرتمونى أن أؤمن فآمنت ، وأن أعطى زكاة أموالى فأعطيت ، فلم يبق إلا أن أسجد لمحمد ، فأنزل الله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ـ الآية ﴾ .

(٥) هو فى الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

فقال : ياويلكم ، ما زلت أتبعكم … حتى هلكت ، فلا جاه ولا خطر

لم يبق فيما أرى إلا السجود له … يقضى به الحق ، أو يقضى به الوطر

أذلك الجد منكم ، أم هو السَّخَر؟ … دعوا اللجاج ، فهذا مطاب عسر

وصدَّ مستكبراً ينوى لشقوته … رأساً يغيظ الظُّبَى أن ليس يهتصر[1]

يزيده الجهل طغياناً ، ويصرفه … عن الهدى من أفانين الهوى سَكَر

* * *

قال الرسول ونار الغيظ تلفحهم … ألم أقل لك : لا تقتله يا عمر ؟

لو قمت يومئذ بالسيف تأخذه … بعثتها غضبة جأواء تستعر[2]

تلك الأنوف التى كنا نحاذرها … أمست سلاماً ، فلاخوف ولاحذر

لو قلت للقوم : جيئونى بهامته … رأيتهم يفعلون اليوم ما أمروا

* * *

تبيَّن الرشد للفاروق وانحسرت … عن جانبيه غواشى الظن والستر

فقال : بوركت من هاد لأمته … تعيا بحكمته الألباب والفكر

لسنا كمثلك فى علم ومعرفة … أنت الإمام وهذا النهج والأثر

تدرى من الأمر ماتُخفى ظواهره … وما لنا فيه إلا الرأى والنظر

فى معجزاتك للغاوين تبصرة … وفى علومك للجهال مزدجر

صلى عليك الذى آتاك من شرف … ما ليس يبلغه جنٌّ ولا بشر

* * *

---

(١) الظبى السيوف ، ويهتصر من هصر الغصن إذا أماله .

(٢) جأواء ، حمراء فى كدرة تستعر تشتعل .

هذا ابنه جاءه غضبان يمسكه … دون المدينة للمختار ينتصر[1]

يقول : تلك ديار لست تدخلها … حتى تفيء ، وحتى يُعلم الخبر

أنت الأذلُّ فقلها غير كاذبة … إن كنت حُرّاً ، فبئس الكاذب الأشر[2]

فقالها مُرّةً حرّى ، وأرسلها … كأنها روحه من فيه تنحدر

مشى أعزُّ بنى الدنيا وأشرفهم … قدراً ، وأرفعهم ذكراً إذا ذكروا

حلَّ المدينة منه ليث ملحمة … لا النصر يخطئه فيها ، ولا الظفر

فليعرف الحق قوم ضل رائدهم … وارتدَّ قائدهم خزيان يعتذر

---

(١) لما انتهى الجيش إلى وادى العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبي يلتمس أباه ، فلما رآه أناخ بعيره وقال ـ والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل ـ فصار يقول : لأنا أذل من الصبيان ، لأنا أذل من النساء : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال : خل عن أبيك فخلى عنه .

(٢) أشر الرجل مرح وبطر .

قِصَّةُ أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من غزوة بنى المصطلق ، وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما معه ، بات الجيش و مكان على مسافة من المدينة ، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبت تقضى حاجتها فجاوزت الجيش . وفى عودتها إلى رحلها أحست أنها فقدت عقداً لها ، فرجعت إلى المحل الذى كانت فيه تلتمسه ، وأمر الجيش بالرحيل وهى لا تزال فى التماسه ، وأقبل الموكلون بها فحملوا هودجها ، ووضعوه على البعير الذى كانت تركبه وهم يظنون أنها فيه ، ثم سار الجيش وعادت هى فلم تجد أحداً وغلبتها عينها فنامت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى على ساقة الجيش ، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذى بقيت فيه أم المؤمنين رضى الله عنها ، فرأى سواد إنسان نائم ، واقترب منه ، وإذ عرفها أخذه الحزن ورفع صوته قائلا : إنا لله وإنا إليه راجعون : فاستيقظت على صوته وخمرت وجهها بجلبابها ، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحلته وقال أمه ، قومى فاركبى ، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظهر قالت رضى الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء . . . والذى تولى كبره عبد الله بن أبى بن سلول ، فانه أول من أشاع الإفك فى العسكر ، ثم برأها الله فشرح صدر النبى والمؤمنين بهذه البراءة (إن الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ـ إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سيّد الرسل وأم المؤمنين ... بشر الأبطال بالنصر المبين

خرجت فى الجيش ترجو ربّها ... عصمة الراجى ، وعون المستعين

ينصر الحق ، ويقضى أمره ... إن رماه كل أفاك مهين

إصبرى إن جل أمر ، إنها ... يا ابنة الصديق دنيا الصاخبين

أرأيتِ الأرض لما رجفت ... إذ هوى عقدك ؟ بل لا تشعرين[1]

(١) كان العقد من جزع ـ خرز ظفار ، وهى قرية من قرى اليمن ، قيل إنه كان يساوى اثنى عشر درهماً) وقد وجدته رضى الله عنها فى ذلك المكان .

اقشعرتْ ، وتمنت لو هوى ... كل عال من رواسيها مكين

أنت فى شأنك إذ تبغينه ... وهى فى همٍّ وغمٍّ وأنين

سوف يبدى الخطب عن روعته ... بعد حين ، فاصبرى حتى يحين

* * *

رفعوا الهودج ، والظنُّ بها ... أنها فيه ، وساروا مُدلجين[1]

وانجلى الليل عن الخطب الذى ... غادر الإصباح مسودَّ الجبين

أين غابت أىَّ أرض نزلت ... كيف غُم الأمر؟ هل من مستبين ؟

يا رسـول صبراً إنها ... فى ذمام الله رب العالمين

يا أبا بكر رويداً ، إننا ... لنراها فى حمى الروح الأمين

* * *

رجعت والليل فى بردته ... دائم الإطراق كالشيخ الرزين

ذهب الجيش ، وأمست وحدها ... غير أصداء من الوادى الحزين

خطرت فى الجو من أنفاسها ... خطرات للأسى ، ما ينقضين

ماج كالبحر طغتْ أثباجه ... وارتمت أهواله حول السفين[2]

نام عنها الهمُّ لما رقدت ... فهو فى الأحشاء مكتوم دفين

وأتى صفوان ما يبدو له ... غير شىء ماثل للناظرين

يرسل الطرف ، ويمشى نحوها ... مِشية المرتاب فى رفق ولين

عرف الخطب ، فما أصدقه ... حين يدعو دعوة المسترجعين

دعوة رنّتْ ، فلو قيل : اسمعوا ... لسمعنا اليوم تَردادَ الرنين

(١) من أدلج إذا سار بالنهار .
(٢) أعاليه جمع ثبج .

أيقظت عائشةً من نومهـا   مثلمـا يوقظها صوت الأذين[١]

جفلَتْ منه ، فغطت وجهها   وهى فى سِترين من عقل ودين

يصرف اللحظ كليلا دونها   خاشع القلب ، كدأب المتقين

قرَّب النـاقة منهـا ، ودعا   إركبى أماه ، مُلِّيت البنين[٢]

أخذ المِقْوَد يمناً ، ومضى   يتبع الماضين من أهل اليمين

ينتحى يثرب بالنور الذى   يملأُ الدنيا ، ويُعيى المطفئين[٣]

* * *

نشروا الإفك فساداً وأذى   وعلى الله جزاء المفسـدين

لا ينال الحقَّ فى سلطانه   كذب الحمقى ، وإفك المرجفين

يا لها من عصبة فاسقة   هاجها للشر شيخ الناسـقين[٤]

وجـدت فيـه زعيما حاذقاً   وإماما بارعاً للمفترين

* * *

هـكذا يا ابن أبيٍّ هـكذا   لا يكن شأنك شأن المسلمين

انفث السمَّ ، وخضها فتنة   تتلظى نارها للخائضين

* * *

يا ابنة الصديق صبراً ، ليته   ألمُ المرضى وَهَمُّ الموجَعين[٥]

يا لهـا من علة لو تعلمين   إنهـا أبرح ممـا تشتـكين

---

(١) المؤذن .

(٢) متعت بطول حياتهم معك .

(٣) ينتحى يقصد .

(٤) عبد الله بن أبى .

(٥) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً ، والناس يفيضون فى الإفك وهى لا تعلم .

أعقبَ البشرَ عُبوسٌ وبدا   من رسول الله مالا ترتضين[١]

كيف تِيـكُمْ ليس من عاداته   كيف تيـكم ؟ يالهم من مجرمين

غيَّروه ، فلوى من عطفـه   وطوى من لطفه ما تعهدين

وهو يُخفِى لك مالا ينقضى   من هوى صاف ، وشوق وحنين

سجن السرَّ ، وكم من روعة   لك يا أماه فى السرِّ السجين

* * *

أنصتى ، فالليل مصغ ، أنصتى   وقع الخطبُ ، فماذا تصنعين ؟

جاشت النفس ، ولجتْ رعدة   لم تدع فى القلب من ركن ركين

مسطح ، لا قرَّ عينـاً مِسطحٍ   شبَّها ناراً تهول المصطلين[٢]

فضحتـــه عثرةٌ من أمه   فانظرى كيد ذويك الأقربين

لا تلوميهــــا إذا ما غضبت   إنهـا تعـلم مالا تعلمين

أرسلتهـا دعوة واحـدة   ليتها زادت على حد المئين

تعس الثعلب ما أخبثـه   فدعى بدراً وآسـاد العرين

* * *

رجعتْ فى غمرة من همها   لم تبت منها بليل الراقدين

لوعةٌ مشبوبة فى سقم   فى شآبيب من الدمع السخين

يارسول الله هل تأذن لى ؟   إن بيتى بمصـابى لقمين[٣]

---

(١) كان يريبها انقباض النبي كلما جاء يعودها وقوله : كيف تيكم ، ثم لا يزيد .

(٢) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلا فعثرت أم مسطح فى إزارها فقالت تعس مسطح ، فقالت لها : بئسما قلت . أتسبين رجلا شهد بدراً ؟ قالت يا هنتاه (أى يا هذه) ألم تسمعى ما قال وأخبرتها بحديث أهل الافك . وكان مسطح منهم ، فأخذتها حمى نافضة وأصبحت تبكى .

(٣) دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى ، وقال : كيف تيكم على عادته فقالت أتأذن لى أن آتى بيت أبوى فأذن لها . والقمين الخليق والجدير.

مُرْ ودعْ همي لأمي وأبي   إنما استأذنت خير الآمرين
بان حسنُ الصبر ، والعزم انطوى   وأرى السقم مقيما ما يبين
قال : ما شئت ، هلمى فافعلى   لك يا صاحبتى ما تؤثرين

* * *

ذهبتْ ، يحزنها أن لم تكن   طَوَّحَ الدهر بها فى الذاهبين
ثم قالت وهى تبكى : عجباً   لك يا أماه ، ماذا تكتمين ؟[1]
أفلا نبأتنى ما زعموا ؟   ويحهم : ما حيلتى فى الزاعمين ؟
ظلمونى ، ما رعوا لى حرمة   ربِّ كن لى ـ ما أقل المنصفين

* * *

جزع الصديق مما نابه   إنه خطب يهول الأكرمين[2]
قال : أف لك من داهية   ما رمينا بك فى ماضى السنين
أفلمَّا زاننا دين الهدى   ساءنا ست حديث لا يزين ؟

* * *

كيف تيكم ؟ يالها صاعقة   أرسلتْ من فم خير المرسلين
كيف تيكم ؟ كيف تيكم كلما   جاء ، إن الله مولى الصابرين
إصبرى يا رَبَّةَ العقد الذى   زُيِّنَ من عينيك بالدر الثمين

* * *

(١) قالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، وأنت لاتخبريننى بشىء ، قالت . يا بنية هونى عليك ، قالت وهل علم أبى قالت نعم . قالت ورسول الله ، قالت نعم . فاستعبرت وبكت ، وبانت لا يرقأ لها دمع .

(٢) قال ـ ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على . والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام ؟

أوجعتها من علىٍّ شدة   هى من دأب الأباة الأولين[1]
سلط الضرب على مولاتها   أىُّ سرٍّ عندها للضاربين ؟؟
أقسمتْ صادقة ما علمت   غير ما يدفع دعوى الواهمين
ما التقى والبرُّ فى تاجيهما   هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟

* * *

مرحباً بالحق ، يحمى جنده   ما استباحت تُرَّهات المبطلين[2]
مرحباً بالوحى ، يجلو ما طوت   ظلمات الشك من نور اليقين
مرحباً بالروح يُلقِى من علٍ   رحمة الله ، تغيث المؤمنين
فتنة جئت ، فلما انكشفت   أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
وتجلت غمرة الهادى فلا   ريبة تغشى ، ولا ظن يرين[3]
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى   ذاك حكم الله خير الحاكمين
ضرب القومَ بماضٍ مِخذم   من مواضيه ، فولوا مدبرين[4]
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة   من قتام البغى تخزى الظالمين

* * *

(١) عن عائشة رضى الله عنها ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة فى أمرها ، فقال له عمر : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال ، الله تعالى ، قال . أفتظن أن الله دلس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقال أسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً ، فأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك وجاءت بريرة فقالت والذى بعثك بالحق ما علمت عليها من شىء يعاب . فقام إليها على يضربها ضرباً شديداً ويقول لها . اصدقى رسول الله ، فتقول ، والله ما علمت إلا خيراً .

(٢) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة فى براءتها .

(٣) ران الشىء على القلب غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه .

(٤) المخذم السيف القاطع .

أمسك الصديق من معروفه ينكر الغدر ، وينهى الغادرين[١]

وطوى عن مسطحٍ نعمته ليرى حق الكرام المنعمين

عاله دهراً ، فلما خانه راح يجزيه جزاء الخائنين[٢]

سنة العدل ، قضاها من قضى سنة الرحمة بين الراحمين

نزل الذكر بها قدسية فعفا الناقم وارتاح الضنين

* * *

إجعل الخير قريناً إن أبى كل غاو ، إنه نعم القرين

جلَّ رُبى وعلا ، كل امرىء بالذى يكسب من أمر رهين

(١) كان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر ، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره وقرابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه ، وقيل إنه أخرجه من منزله وقال له : لا وصلتك بدرهم أبداً ، فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فرجع أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح .

(٢) عاله أنفق عليه .

غزوة الخندق

لما أصاب بنى النضير ما أصابهم شق ذلك على اليهود ، فسار من سادتهم إلى مكة حيي بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وهوذة ابن قيس ، وأبو عامر الفاسق ، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم . فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم : لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا ، فسجدوا ، وخرج من بطون قريش خمسون رجلا فألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وتعلقوا بأستارها يتحالفون على النصرة وحرب النبي ، ثم جاءوا إلى غطفان ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم فرضوا . وتأهبت الجموع للحرب ، وكانت القيادة العليا لأبى سفيان ، وقدم المدينة ركب من خزاعة . فأخبر النبي بما أجمعوا عليه ، فجمع الصحابة وشاورهم فى الأمر . وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها ؟ فقال سلمان الفارسى رضى الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فركب النبي فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وجعل يرتاد أفضل المواقع لحفر الخندق ، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبي بينهم ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهر المشركين ، وكسر شوكتهم ، وكانت فى شهر شوال من السنة الخامسة . وهو قول الجمهور .

إذهب حيي مذمماً مشئوما أحشدت إلا جمعك المهزوما ؟

إن تغضبوا لبنى النضير فإنه خطب يراه بنو أبيك عظيما

القوة انصدعت ، فكيف بكم إذا ترك الهداة بناءكم مهدوما ؟

سرتم تحكّون الجراح ، ولا أرى مثل الجراح إذا امتلأن سموما

رحِّبْ أبا سفيان إن لمثلهم من مثلك الترحيبَ والتسليما

جمع الهوى بعد التفرق بينكم بئس الهوى يصلى النفوس جحيما

تُذكى سيوفُ الله من أضغانكم ناراً تصيب من القلوب هشيما

ختِّمُوا القبائل ، واجمعوا أحزابكم سترون بأس محمد مضموما

* * *

قال ابن حرب لليهود مقالة   لم تلق إلا فاسقاً وأثيما

إن كان حقاً ما زعمتم ، فاعبدوا   ما نحن نعبد ، وانبذوا التحريما

خرّوا لآلهة ابن حرب سجّداً   لا ينكرون صنيعه المذموما

كفر على كفر رموا بركامه   والكفر أقبح ما يرى مركوما

سئلوا عن العلم القديم فزوروا   وأذى المزوِّر أن يكون عليما[1]

قالوا : شهدنا ، دينكم خير لكم   من دين صاحبكم وأصدق سيما

* * *

خفَّ الرجال إلى البنيّة إنهم   كانوا أخف من اليهود حلوما[2]

عقدوا لهم حلفا على أستارها   والله يعقد أمره المحتوما

هل ألصقوا الأكباد من سفه بها   أم ألصقوا إحناً بها وكلوما ؟[3]

* * *

غطفان هبّي للكريهة واغنمي   من تمر خيبر حظك المقسوما

كذب اليهود ، وخاب ظنك ، إنهم   لم يبلغوا أن يُرزقوا المحروما

لن يُطعموك سوى سيوف محمد   وستعلمين ذعافها المطعوما

ما أكذب الأحزاب يوم تعاهدوا   أن لا يبالوا الصادق المعصوما

جعلوا أبا سفيان صاحب أمرهم   كن يا ابن حرب قائداً وزعيما

كن كيف شئت ، فلن ترى لك ناصراً   ما دمت لله العليّ خصيما

* * *

(١) قالت قريش : يا معشر اليهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم ، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمداً ، فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فانزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ـ الآيات) .

(٢) البنية الكعبة .

(٣) الإحن جمع إحنة وهى الحقد والغضب والكلوم جمع كلم وهو الجرح .

جمعوا الجنود ، وجاء ركب خزاعة   يبدى الخفيّ ، ويظهر المكتوما

حمل الحديث إلى الرسول فزاده   بأساً ، وزاد المسلمين عزيما[1]

نزلوا على الشورى بأمر نبيهم   يبغى لأمته السبيل قويما

قال : انظروا ، أنقيم أم نمضى معاً   نلقى العدو إذا أراد هجوما ؟

فأجابه سلمان : نحفر خندقاً   كصنيع فارس فى الحروب قديما

حملوا المساحى والمكاتل ما بهم   أن يحملوها أنفساً وجسوما[2]

هى عندهم لله ، أو هم عندها   خدامه ، سبحانه مخدوما

دلفت قروم محمد فى شأنها   تلقى بيثرب من ذويه قروما[3]

يسعى ويعمل بين عينى ربه   طلق الجلالة ، بالهدى موسوما[4]

دأب الإمام فما ترى من رائث   إن الإمام يصرف المأموما[5]

حمل التراب ، فظل يثقل ظهره   ويقاتل الأحشاء والحيزوما[6]

وإذا رأيت خليفتيه رأيته   لله فى ثوبيهما مأموما[7]

ومضت بعمّارٍ وزيد همة   لم تبق من همم الجهاد مروما[8]

* * *

(١) العزيم عقد الإرادة على الأمر وامضاؤه من غير تردد .

(٢) جمع مسحاة آلة من حديد كالمجرفة المكاتل جمع مكتل وهو الزنبيل يعمل من الخوص ـ

(٣) دلفت تقدمت والقروم جمع قرم وهو السيد .

(٤) عمل النبى صلى الله عليه وسلم فى الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف .

(٥) رائث من راث إذا أبطأ .

(٦) الحيزوم الصدر .

(٧) أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والضمير فى (رأيته) عائد على التراب .

(٨) عمار بن ياسر ، وزيد بن ثابت . كانا يعملان بهمة عظيمة . فمسح النبى صلى الله عليه وسلم رأس عمار وقال : ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية . . . وقال فى زيد : أما إنه نعم الغلام .

سلمان أحسنت الصنيع ونلته   نسباً مضى ، فقضى لك التقديما[١]
لما تنافس فيك أعلام الهدى   حكم النبي فأنصف المظلوما

* * *

سلمان منا آل بيت محمد   ولقد نسبت فما نسبت زنيما[٢]
للدين يجمع ، ليس منا من يرى   فى أهله عرباً ، ويعرف روما
والأكرم الأتقى تبارك ربنا   إنا نطيع كتابه المرقوما[٣]
الله مولاكم ، وأنتم شعبه   لا تذكروا شعباً ولا إقليما

* * *

سلمان دعها كدية توهى القوى   وترد كل محدد مثلوما[٤]
اضرب رسول الله كم من صخرة   لم تألها صدعاً ولا تحطيما
من ليس يبلغ من جبابرة القوى   ما أنت بالغه ، فليس ملوما
بشر جنودك بالفتوح ثلاثة   تدع العزيز من العروش مضيما
وصف المدائن والقصور معشر   مثلتها صوراً لهم ورسوما
أبصرتها فى نور ربك ، ما رأت   عيناك آفاقاً لها وتخوما

---

(١) كان سلمان رجلا قوياً يعمل عمل عشرة رجال ، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار ، وجعل كل فريق يقول سلمان منا فقال الرسول الكريم سلمان منا أهل البيت .

(٢) الزنيم الدعى يلحق بالقوم وليس منهم ، وهم فى غنى عنه .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(٤) استعصت كدية على سلمان ، فأخذ النبي المعول من يده وقال ، باسم الله ، وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة اليمن . فكبر وقال : أعطيت مفاتيح اليمن ، إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة . كأنها أنياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فخرج نور من قبل الروم فكبر وقال : أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرقت برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ، أشهد انك رسول الله ــ قال : هذه فتوح يفتحها الله بعدى يا سلمان ، والثلم كسر فى حد المعول .

ما زلت تحدث كل أمر معجز   لولا النبوة لم يكن مفهوما
جهل العجائب معشر لم يعرفوا   منهن إلا السحر والتنويما
لله أسرار تريك جلاله   إن شاء فضَّ كتابها المختوما
والعلم إن ضل السبيل ، ولم يلد   ما يرشد الجهلاء كان عقيما
بلوى ذوى الأسقام أكثرها أذى   بلوى أخى عقل تراه سقيما

* * *

بلغ الطوى بالقوم غاية جهده   وكأنما طعموا الصفايا الكوما[١]
جيش يصوم على الدؤوب ، ولم يكن   لولا أمانة ربه ليصوما
من كل مبتهل يضجُّ مكبراً   فى الحرب ، يدعو الواحد القيوما

* * *

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت   غوثاً وخيراً للغزاة عميما[٢]
جاءت ببعض التمر ، تطعم والداً   براً ، وخالا فى الرجال كريما
ألقى عليه الله من بركاته   فكفى برحمته ، وكان رحيما
أخذ النبي قليله ، فدعا الطوى   داعى الرحيل ، وما يزال مقيما
جمع الجنود ، وقال : هذا رزقكم   فكلوا هنيئاً ، واشكروه نعيما
فرحوا بنعمة ربهم ، وتبدلوا   حالا تزيد الكافرين وجوما

* * *

---

(١) الطوى الجوع ، وقد أصاب النبي وجيشه من شدته فى هذه الغزوة ما أصابهم ، حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بغير زاد والصفايا من الإبل وغيرها خيارها . والكوم جمع كوماء . وهى ذات السنام الضخم من الإبل .

(٢) هى بنت بشير بن سعد ، لما بلغها أن المسلمين يعانون شدة الجوع وهم يحفرون الخندق جاءت ومعها حفنة من التمر طعاماً لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة فأخذ النبي التمر وهو لا يكاد يملأ كفه الشريفة ، ثم دعا بثوب فبسطه ووضعه عليه ، وأمر أن ينادى المنادون : هلموا إلى الغداء فجاءوا وجعلوا يأكلون منه وهو يزيد حتى صدروا وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هـذا الذى صنع الشويهة قادم   أحبب بذلك مشهداً وقدوما[١]
حيَّا النبى وقال: جئتك داعياً   ولقد أرانى فى الرجال عديما[٢]
مالى رعاك الله غير شويهة   لو زادها ربى بذلت جسيما
أعددتها لك يا محمد مطعماً   يشفيك من سغب أراه أليما[٣]
يكفيك من ألم الطوى وعذابه   حجز يظل على الحشا مجزوما

* * *

سار الرسول بجنده ، ومشى الذى   صنع الشويهة حائراً مهموما
يارب ، صاع واحد وشويهة   دبّر وداو ، فقد دعوت حكيما
وضع الطعام ، فظل يشرق وجهه   بشراً ، وكان من الحياء كظيما[٤]
وضع النبى يديه فيه ، فزاده   ربٌّ يزيد رسوله تكريما
تلك الموائد لو يقال لهـا : انظمى   شمل الشعوب ، رأيته منظوما
كرم صميم ، راح يورث جابراً   شرفاً يفوت الوارثين صميما

* * *

والأشهلية إذ يجيء رسولها   يمشى بجفنتهـا أغر وسيما[٥]
الله علّمها مناقب دينـه   فشفى الخبال ، وأحسن التعليما
لولا مراشـده تقوّم خلقه   لم يعرفوا الإصلاح والتقويما
نهض الحماة به ، ولولم يهتدوا   لم يبرحوا فى القاعدين جثوما

---

(١) هو جابر بن عبد الله صنع شويهة وصاعاً من شعير ، وجاء إلى النبى فدعاه إلى بيته وهو يظن أنه سيجىء وحده أو مع رجل أو رجلين من أصحابه ، فأمر بالمناداة فى الجيش : أن هلموا مع النبى إلى بيت جابر بن عبد الله ـ قال جابر ، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأخرجنا الشويهة فبرك النبى ثم سمى الله تعالى وأكل وأكلوا حتى صدروا عنها وهم ألف ، وإن برمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو .

(٢) العديم الفقير .

(٣) السغب الجوع والأليم المؤلم .

(٤) الكظيم المكروب .

(٥) أم عامر الأشهلية ، أرسلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم قصعة فيها حيس وهو فى القبة عنده أم سلمه . فأكلت منها ما كفاها ، ثم خرج بها على المسلمين فأكلوا منها جميعاً حتى نهلوا وهى كما هى والوسيم الجميل .

بعد حفر الخندق

لما انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سلع) ، وأن يستعدوا للقاء العدو ، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم ، وكانوا يعملون فى الخندق . وكان بنو قريظة على عهد معه صلى الله عليه وسلم ، فما زال حيى ابن أخطب بسيدهم كعب بن أسد القرظى حتى نقض العهد ، ومزق الصحيفة . وكان أبو سفيان هو الذى حرض ابن أخطب على ذلك .

مضت السيوف ، وولت الأرباب   فإلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها   كل بلاء واقعٌ وعذاب
فى السفح من سلع قضاء رابض   والويل حين يثور أو ينساب
يبغى الفريسة . والمنيّة مخالب   ويصول ، والأجل المعجّل ناب
هو يا ابن حرب ما علمت وحربوا   الغيل بَسْل ، والليوث غضاب[١]
أشفى سليط وابن عوف ضغنكم   أم ثَمّ ضغن واغر وضباب ؟[٢]
لا بوركتْ تلك السيوف ، فإنها   لتصيب من أعدائها فتصاب
كل الذى نلتم ونالت من دم   عطَب يُتاح لكم معاً وتباب

* * *

زيد وسعد فى الفوارس ، فانظروا   إن كان يَصدق نفسَه المرتاب[٣]
الله أكبر ، كل شيء دونه   صدق الذين دعاهمُ فأجابوا
ثوبوا جموع المشركين ، فإنما   غرتكم الأوثان والأنصاب

---

(١) الغيل بيت الأسد وبسل محرم والليوث الأسد .

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قبل النبى ليستطلعا أخبار القوم فقتلوهما .

(٣) زيد بن حارثة وسعد بن عبادة .

لا يُعجبنَّ بنى قريظة غدرُهم   فمحمد للغادرين عقـاب

هب ابن أخطب فاستزلَّ بمـكره   كعباً ، وأمرُ الجاهلين عجاب[1]

يا للصحيفة إذ يمزقها ، أما   ينهاه عن خطأ الغواة صواب ؟

* * *

خطر الفحول، فأين تذهب فتية   مُلْدُ السواعد والسيوف رطاب ؟[2]

قال النبي دعوا القتال مُعشر   بلغوا النصاب ، فللقتال نصاب

إن تذهبوا ناجين من غمراته   فلَـكُمْ إليه مرجع ومآب

لن يُحرَموا فى الله أجر جهادكم   إذ تعملون ويعمل الأصحاب

عنق المجاهد ليس يُغمط حقُّه   سيَّانِ سيف قاطع وتراب

الخنـــدق الهيجا ، حملتم عبئَها   والأمر جدٌّ ، والخطوب صعاب

* * *

هذيك خيل ابن الوليد وصحبه   تدنو فتطمع تارة وتهاب[3]

(١) قال أبو سفيان لحي بن أخطب : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد فذهب إلى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم الرسول الكريم عليه ، وأخذ يدق باب حصنه وهو لايفتح له ، وألح عليه ، فقال له : ويحك يا حي . إنك رجل مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ثم ألح عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال (مكان) وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب (أحد) قد عاهدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . . فقال كعب ــ جئتنى والله بذل الدهر وبكل ما يخشى ، فإنى لم أر فى محمد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل به حتى نقض العهد ومزق الصحيفة .

(٢) هم الغلمان الذين أمر النبي بردهم إلى أهليهم والملد جمع أملود وهو الرطب الناعم .

(٣) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوبون ، فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يوماً . ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوماً ، ويغدو عكرمة ابن أبى جهل يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويفترقون مرة . ويجتمعون أخرى ويناوشون المسلمين ، وكان الأمر فى هذه الحركة لا يتعدى الرمى بالنبل والحصى .

باب من الهيجاء ، لم تر مثله   فيما تُسـدُّ وتُفتح الأبواب

ذُعر الفوارس فى متون جيادهم   لَمَّا تردَّى الفارس الوثاب[1]

نظروا ، فكان لهم بمصرع نوفل   خطب تطيش لهوله الألباب[2]

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره   ويعبُّ فيه من اللهيب عُباب

جرت النبال به ، يذيب وطيسُها   بأس الألى لولا الرجاء لذابوا

ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا   فى الحرب، إن كذب الرجاء وخابوا؟

* * *

دفعوا الجياد ، وصاح عمرو صيحة   هاج الهزبر لها ، وماج الغاب[3]

شيخ قضى فى الغالبين لنفسه   فقضى عليه الأشوسُ الغلاب

يا عمرو خذها من على ضربة   هى إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

حِبَّــان لا سلمت يداك ، ولا سقى   أحياء قومك ما حييت سحاب[4]

(١) متون الجياد ظهورها تردى هلك .

(٢) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة . أقبل على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فيه فاندقت عنقه ، وقيل إنه رمى بالحجارة ، وأن علياً بن أبى طالب كرم الله وجهه ضربه بالسيف فشقه نصفين .

(٣) هو عمرو بن عبدود ، أقبل فى طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخاً فى التسعين من عمره ، وجعل ينادى مرة بعد أخرى : من يبارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها وينشد .

ولقد بححت من النـــدا   ء بجمعكم : هل من مبارز ؟

إن الشجاعة فى الفتى   والجود من خير الغرائز

فقام إليه على بن أبى طالب وضربه بالسيف على حبل عاتقه فسقط قتيلا ، وكبر المسلمون والهزبر الأسد .

(٤) هو حبان بن العرقة رمى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم فى أكحله عرق فى وسط الذراع ، وقد أمر النبى بوضعه فى خيمة رفيدة الأسلمية ليعوده من قرب ، والعرقة اسم جدة حبان . سميت به لطيب عرقها .

أرسلته سهماً ، تضجُّ هـــوله   أمّ الـكتاب وتفزع الأحقاب
من ذا رميت؟ رماكَ ربُّك بالتي   تنهدُّ من صـــــدماتها الأصلاب
أخزيت أمك لا تُحَدِّثْ بعــدها   عن طيب أمك هاهنا الأطياب
دم من جرحت،وإن جهلت مكانه   فى القوم ، مسك ساطع وملاب[1]
سعد العشيرة والـكتيبة حوله   أسد العرين ، تزينها الأحساب
الفارس المرجوُّ يقــدم قومه   عند الوغى ، والسيد المنتاب[2]
إن جدَّ جِدُّ الضرب ، فهو مهنّد   أو جنَّ ليل الخطب ، فهو شهاب

* * *

أغرى عيينة وابن عوف مطمع   يعيـــا بأيسر أمره الطلاب[3]
تركا أبا سفيانَ فى غفلاته   وتَأتما يُاقى عليه حجاب
لم يبصر الذئبين حين تسللا   ومن الرجال ثعالب وذئاب
قالا ــ رضينا السلم ، يشبع قومنا   تمراً ، وراضى السلم ليس يعنب
تمر المدينة إنْ أصبنا نصفه   فلـكم علينا ذمة وكتاب
ندع القتــال ، وإن أبى حلفاؤنا   فاشتدّ لوم ، واستحرّ عتاب[4]

---

(١) الملاب نوع من الطيب .

(٢) الذى يقصد فى الـكبير من الأمور ، أو للخير .

(٣) عيينة بن حصن الفزارى ، جء إلى النبى صلى الله عليه وسلم مستخفياً من أبى سفيان ومعه الحارث بن عوف المرى ، وطلبا منه أن يقطعهما نصف ثمار المدينة على أن يرجعا عن معهما عنه ، فأبى عليهما إلا الثلث ، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يارسول الله . أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به إلى آخره فقال ــ لو أمرنى الله ما شاورتـكما ــ قالا : إن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف ــ وقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعنى غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه . نقطعهم أموالنا ؟ ؟ وفى قول آخر ــ نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله ــ قال له النبى : فأنت وذاك . وقال لعيينة وصاحبه : إرجعا ، بيننا وبينكم السيف .

(٤) استحر يعنى اشتد .

لهم الـكريهة ، يُطعَمون سمومها   ولنـا طعام سائغ وشراب

* * *

هاجا من السعدين سورة غضبة   هى للضراغم شـيمة أوداب
أبيا اصطناع الرأى فى وهج الوغى   لم تصطنعه قواضب وحراب
وتنازعا نظراً يهول ومنطقاً   يوهى القلوب الصمَّ ، وهى صلاب
مَنْ هُمْ ؟ ؟ أيجمل أن يقال: تحكموا   فينا ، ونحن السادة الأقطاب ؟
نحمى مدينتنا ونمنع نخلها   من أن يحوم على جناه ذباب

* * *

قال النبى بدا المغيَّب ، فارجعا   ولـكل نفس موعد وحساب
النصر عند الله ، يجعله لنا   إن شاء ، وهو المنعم الوهاب
صبراً على حرِّ القتال ، فإنه   خطب يزول ، وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة ، وإنها   سكن لنا من ربنا وثواب[1]
قم يا بلال مؤذناً لنقيمها   سكن القتال ، وزالت الأسباب
ربِّ ارمهم بالنـار ملء بيوتهم   وقبورهم ، فلو اتقوك لتابوا[2]
وبيأسك انصرنا ، وزلزل جمعهم   تَزُل الهموم ، وتذهب الأوصاب

---

(١) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يصل النبى ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . فصاروا يقولون . ماصلينا ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه ولا أنا ، ثم أمر بلالا فأذن وصلوا .

(٢) ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ــ ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ، ومن دعائه عليهم ــ اللهم منزل الـكتاب سريع الحساب ، إهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم .

عبّاد بن بشر

رضى الله عنه

كان عباد بن بشر رضى الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ساعة من الليل ، فهو يبيت طائفاً حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالخندق ثلمة يتفقدها صلى الله عليه وسلم بالليل مرة بعد أخرى ويقول : ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها ، وقال مرة : ليت رجلا صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة . فسمع صوت السلاح . فقال : من هذا ؟ قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : أنا يارسول الله جئت أحرسك » قال : عليك هذه الثلمة فاحرسها ، وطافت خيل المشركين بالخندق . فبعث عباد بن بشر وأصحابه فى وجوههم ، ورماهم المسلمون بالنبل فانقشعوا .

من ينم عن لهذم أو مخذم ... فابن بشر ساهر لم ينم[1]

يحرس القبة ما فيها سوى ... حارس الجيش وحامى العلم

هبَّ يدعو : يا ابن بشر خلّنى ... إنها الخيل أراها ترتمى

كل لحم من جنودى ودم ... فهو لحمى يا ابن بشر ودمى

خلّنى واذهب إلى القوم الألى ... قذفونا بالرعيل المقدم[2]

إمض فى صحبك ، إنى هاهنا ... فى حمى الله الأجلّ الأعظم

إحرسوا الخندق وارموا دونه ... لا تخافوا كل غاوٍ مجرم

أدركوا سعدا وكونوا مثله ... إن رمى فى الله سهماً أو رُمِى

حارس الثلمة ، يُلقى حولها ... صخرة من عزمه لم تُثلم

أدركوه ، واهزموها قوة ... لن تنالوا النصر ما لم تُهزم

انصروا الله ، وصونوا دينه ... إن خير الدين دين المسلم

(١) اللهذم الحاد القاطع من الأسنة .

(٢) الرعيل القطعة من الخيل .

فهو إن طمّ على الأرض الأذى ... رحمة الأرض ، ومحيا الأمم[1]

وإذا ما أظلمت أرجاؤها ... فهو نور الله ماحى الظلم

* * *

ذهب الصحب كراماً ، ورمَوْا ... بيد الله الأعز الأكرم

يذهب السهم سديداً راشداً ... فهو ملء العين أو ملء الفم

وهو فى النحر قضاء آخذ ... نافذ فى كل سد محكم

* * *

عادت الخيل سراعا وبها ... من جنود الله مثل اللمم[2]

وتوَلَّى الجند فى زلزلة ... تصدع الفيلق ، إن لم تهدم

* * *

حارت الأحزاب : ماذا تنتوى ... وبمن فيها دهاها تحتمى[3]

خذلتها فى الوغى آلهة ... لو هوى الوادى بها لم تعلم

تطلب الغوث وما من سامع ... أى غوث يرتجى من صنم؟

يا زعيم القوم أيقن واستفق ... إنه الحق الذى لم تزعم

يا زعيم القوم هل من نادم ؟ ... إنما يهلك من لم يندم

نهض القوم برأيٍ مُبصر ... ودهتكم عثرة الرأى العم

إستفيقوا ، وانبذوا أربابكم ... أو فذوقوا البأس مرّ المطعم

إنكم ممن كرهتم دينهم ... بين نابَىْ كل صِلٍّ أرقم[4]

(١) طم الأمر غلب وتفاقم .

(٢) اللمم الجنون أو طرف منه .

(٣) انتوى بمعنى قصد .

(٤) الصل الحية . والأرقم صفة لأخبث الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه بياض وسواد منهما ، أو هو الذكر خاصة .

نُعَيمُ بنُ مَسعُودٍ الأشجَعِيُّ وَجُنودُ اللهِ

قدم نعيم بن مسعود الأشجعى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى أسلمت ، وإن قومى (غطفان) لم يعلموا بإسلامى . فمرنى بما شئت : فقال له ، إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، وأجاز له أن يقول ما أراد ، فذهب إلى بنى قريظة وكان لهم نديماً ، فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الأمين ، لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم . البلد بلدكم ، وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأى هؤلاء نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم : قالوا ، أشرت بالرأى والنصح ، ودعوا له وشكروه . . ثم ذهب إلى أبى سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال ـ قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد ، وإنى ناصح لكم ، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من نقض عهدهم الذى أعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلا من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذى كسرت إلى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فقبل ذلك منهم . . . ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال : أنكم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهمونى : قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر منهم ، فقالوا لهم ، إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر ، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . . . قالوا إن غداً السبت وقد علمتم ما أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت . ومع ذلك فإنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا سبعين رجلا رهناً ـ قالوا صدق والله نعيم .

اختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً نقلت بيوتهم وكفأت قدورهم ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى ، وكانوا يسمعون فى أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح ، ومزق الله جمعهم فانقلبوا خاسرين « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » .

أقبل نعيم هـداك ربك ساريا ... وكفى بربك ذى الجلالة هاديا[1]

جئت النبى فقلت ، إنى مسلم ... من أشجع لم يدر قومى ما بيا

مرنى بما أحببت فى القوم الألى ... كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا

قال: ارمهم بالرأى ، يصدع بأسهم ... عنا ، ويتركه ضعيفاً واهيا

عد يا ابن مسعود إليهم راشداً ... واصنع صنيعك آمراً أو ناهيا

قال : استعنت بمن هداك بنوره ... ومحا بملتك الظلام الداجيا

ومضى فهزّ بنى قريظة هزة ... يغتال راجفها الأشم الراسيا

قال : اتبعوا يا قوم رأى نديمكم ... إنى محضتكم الوداد الصافيا

أفما رأيتم ما أصاب محمد ... من قومكم لما أطاعوا الغاويا ؟[2]

جهلوا ، فعاجلهم ببأس عاصف ... لم يبق منهم فى الجزيرة ثاويا

فدعوا قريشاً لا تظنوا أمرها ... من أمركم أمما ولا متدانيا[3]

إن البلاد بلادكم ، فإذا انثنت ... ومضى البلاء ، فلن تصيبوا واقيا

إن تأخذوا سبعين من أبطالهم ... رهناً ، يكن حزماً ورأياً شافيا

* * *

وأتى قريشاً فى مخيلة ناصح ... يبدى الهوى ، ويذيع سراً خافيا[4]

يا قوم إن بنى قريظة أحدثوا ... أمراً طفقت له أعضّ بنانيا

قال المنبّىء . إنهم ندموا على ... ما كان منهم ، إذ أجابوا الداعيا[5]

بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى ... إن نحن أحسنا ؟ أتصبح راضيا ؟

---

(١) كان مجيئه إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالليل .
(٢) حيى بن أخطب .
(٣) الأمم القريب .
(٤) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .
(٥) حيى بن أخطب .

نعطي سيوفك من قريش ثُلَّة   ونسوق من غطفان جمعاً رابيا[1]

من هؤلاء وهؤلاء نعـــدهم   سبعين تقتلهم جزاء وافيا

وتردُّ إخوتنـا إلى أوطانهم   بعد الجلاء، وكان حكمك ماضيا

كانوا على حدث الزمان جناحنـا   فتركت ناهضه كسيراً داميا

* * *

ومشى إلى غطفان ينبئهم بمـا   سمعت قريش أو يزيد مُحابيـا

أهلي منحت نصيحتي، وعشيرتي   نبهت، أخشى أن يحل مصابيا

* * *

هفت المخاوف بالنفوس، فزُلزلت   ومضت بها هوج الظنون سوافيا[2]

لم يُبق منها الأشجعيُّ بمكره   ودهائه غير الهواجس باقيا

* * *

جلس ابن حرب في سراة رجاله   هماً يطالعهم، وخطباً جاثيا

والرهط من غطفان ينظر واجماً   حيناً، ويهدر عاتباً أو لاحيا

لبثوا، يدير الرأي كل مجرب   منهم، فيالكِ حَيرة هي ماهيا

* * *

بعثوا، فقالوا لليهود تأهَّبوا   للحرب، نطوي شرها المتماديا

لم يَبق من خُفٍّ ولا من حافر   إلا سيصبح هالـكا أو فانيا[3]

طال المقام، ولا مقام لمعشر   نزلوا من الأرض البعيدَ النائيا

أمست منازلهم بأرض عدوهم   والموت يخطر رائحا أو غاديا

---

(١) الثلة الجماعة، ورابيا زائدا.

(٢) من الهوج بفتحتين وهو الطيش والتسرع. وهوج جمع أهوج وهوجاء.

(٣) المراد ذوات الخف والحافر من الإبل والخيل ونحوها.

قالوا: أيوم السبت نبرز للوغى   ولقد علمنا ما أصاب الباغيا؟

لسنا نقاتل، أو تُؤدُّوا رهنكم   إنا نرى الداء المكتَّم باديا

سبعين إن خنتم قضينا أمرنا   فيهم، ولن يجدوا هنالك فاديا

* * *

غضب ابن حرب ثم قال لقومه   صدق ابن مسعود وخاب رجائيا

غدر اليهود وتلك من عاداتهم   يا قوم، ما للغادرين وماليـا؟

ما كنت أحسب، والخطوب كثيرة   أن الأحبَّةَ يصبحون أعاديا

* * *

هذا بناء القوم مال عموده   فوهى، وأصبح ركنه متداعيا

هدم الإمام العبقري أساسه   وسما بدين العبقرية بانيا

شيخ السياسة ليس يبعث غارة   أو يبعثَ الرأي المظفر غازيا

لله علمه. فليس كفنِّه   فنٌّ، وإن بهر العقول معانيا

* * *

لله أرسـله عليهم عاصفاً   متمرداً يدع الجبال نوازيا

شرسَ القوى، عجلان أهوج يرتمي   يزجي الغوائل مستبداً عاتيا

ما لامرئٍ عهد يظنُّ بمثله   من بعد عادٍ رائياً أو راويا

قلَب المنازل والبيوت فلم يدع   إلا مصائب مثَّلا ودواهيا

ألقى على القوم العذاب، فما يُرى   متزحزحاً عنهم، ولا متجافيا

الأرض واسعة الجوانب حولهم   ما مسَّ منها عامراً أو خاليا[1]

* * *

---

(١) كانت الريح تقلبهم وتضربهم بالحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم.

نزلت جنود الله رعباً بالغاً ... ملأ القلوب ، فما برحن هوافيا[١]

وأتى حذيفة فى مدارع غيهب ... ألقى على الدنيا حجاباً ضافيا[٢]

يتلمس الأخبار : ماذا عندهم ؟ ... أأفاق غاويهم ، فيصبح صاحيا ؟

جاء الرجالَ ، يدسُّ فيهم نفسه ... والحتفُ يرقبه مخوفاً عاديا[٣]

بِيَدَى معاويةٍ وعمرو أمسكت ... كلتا يديه مواربًا ومداجيا

لولا الرسول ودعوة منه مضت ... لِقِىَ الأسنة والسيوف مواضيا

بلغ البلاء بهم مداه ، فلم يجد ... منهم سوى شاك يطارح شاكيا

يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا ... إنا وجدنا الأمر صعباً قاسيا

فيم المقام ؟ كفى التعلل بالمنى ... هبوا ، فإنى قد مللت مقاميا

حسبى على ألم الرحيل وحسبكم ... أن يرجع الجيش العرمرم ناجيا[٤]

ثم اعتلى ظهر البعير ، وقال : سر ... لا كان ذا الوادى المروِّعُ واديا

فاهتاج عكرمةُ وقال : أهكذا ... يهِنُ الزعيم ألا تقيم لياليا ؟[٥]

---

(١) أرسل الله الملائكة فى هذه الغزوة فقذفت الرعب فى قلوب المشركين وهوافيا من. هفا القلب إذا ذهب فى أثر الشىء والمقصود ذهل .

(٢) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، دعاه الرسول الكريم ليأتيه بأخبار القوم وقال له إذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا .

قال حذيفة : فجئت إليهم ودخلت فى غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يامعشر قريش ، ليعرف كل امرىء منكم جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليسى الذى على يمينى ، وقلت من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان ، وقبضت يد من على يسارى . وقلت من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص ، ـ فعلت ذلك خشية أن يفطن بى ، فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون . فارتحلوا فإنى مرتحل ، ووثب على جمله . . والغيهب الظلمة الشديدة .

(٣) الحتف ـ الموت .

(٤) الجيش العرمرم الكثير .

(٥) عكرمة بن أبى جهل ، قال لأبى سفيان ، إنك رأس القوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : إرحلوا فجعلوا يرحلون .

فانزل ، وسر فى القوم سيرة ماجد ... لا تُشمتَنَّ بك العدو ولا بيا

نزل الزعيم يجرُّ حبل بعيره ... ويقول : سيروا مسرعين ورائيا

* * *

ساروا وقال ابن الوليد أمالنا ... يا عمرو أن نلقى الليوث ضواريا ؟[١]

إن كنت صاحب نجدة فأقم معى ... وليبق من رُزقوا النفوس أوابيا

أبيا الرحيل حميّة فتخلفا ... وأباه قوم يتقون الزاريا

ثم استبدّ بهم قضاء غالب ... فمضوا ، وأدبر جمعهم متراميا

* * *

ومضى حذيفة بالبشارة يبتغى ... عند النبى بها المحلَّ العاليا[٢]

وافاه فى حرم الصلاة وقدسها ... والنور نور الله يسطع زاهيا

حتى قضاها سمحة مقبولة ... متهجداً ، يتلو الكتاب مناجيا

ركعات ميمون النقيبة مشرق ... ترد السماء أهلة ودراريا

سمع الحديث ، فراح يحمد ربه ... فرحا ، ويشكر فضله المتواليا

* * *

إن يجمع القوم الجنود ، فإنما ... جمعوا مزاعم تُفترى ودعاويا

جمعوا لأغوال يطول غليلها ... مما تحاماها المنون تحاميا

من كل مقتحم ، سواء عنده ... ورد المنية شارباً أو ساقيا

* * *

سر فى عبيدك يا ابن حرب إنما ... لاقيت منهم سادة وموااليا

---

(١) أقام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص فى مائتى فارس بعد مسير أبى سفيان وعسكره ثم لحقوا بهم .

(٢) رجع حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم وهو يصلى ، فلما قضيت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .

لن تبلغ النصر المروم ، ولن ترى — إلا ظُبىً مهزومة وعواليا[1]
ذهبت لِطِيَّتِها الـكتائب خيَّبا — وذهبتَ تبعث بالـكتاب مُناويا[2]
بئس الـكتاب، عويت فيه ولن ترى — ضرغامة الوادى يخاف العاويا[3]
ورفعت للأصنام فيه لواءها — وهى التى تركتْ لواءك هاويا
أتعيبها أن لم تـكن عربية؟ — أفما رأيت جمالها المتناهيا؟
أنـكرت حسن الفارسية غيرة — وحسدتها ، فجعلت نفسك واشيا
زدها من الوصف البديع ، وغنِّنا — لله درك يا ابن حرب شاديا
ماذا أصابك من كتاب محمد — لا تُخف مابك إن أردت مواسيا[4]
أفما صعقت له ، وبت بليلة — تسرى أراقمها ، فتعيي الراقيا؟[5]
إنهض أبا سفيان نهضة مهتد — أفما تزال القاعد المتوانيا؟

(١) الظبي السيوف والعوالى الرماح .
(٢) الطية النية والمقصد والمنزل المنتوى .
(٣) أرسل أبو سفيان كتاباً إلى النبي يقول فيه : باسمك اللهم فإنى أحلف باللات والعزى وأساف ، ونائلة ، وهبل . لقد سرت إليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستأصلـكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، واعتصمت بمكيدة الخندق ما كانت العرب تعرفها ، وإنما تعرف ظل رماحها ، وشبا سيوفها ، وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك منى كيوم أحد .
(٤) أجابه النبي بكتاب قال فيه : أما بعد فقد أتانى كتابك ، وقديماً غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل .
(٥) الأراقم جمع أرقم وهو أخبث الحيات أو ما فيه بياض وسواد .

غزوة بنى قُريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجع المسلمون من غزوة الخندق ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا رضى الله عنه فأذن فى الناس بالقتال ، وبعث منادياً يقول : يا خيل الله اركبي ، ثم سار إلى بنى قريظة فى ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت الراية فى يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وجأ اليهود إلى حصنهم فحوصروا فيه خمساً وعشرين ليلة ـ على أصح الروايات ـ .

ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمرو بن سعدى . فلم يقبلوا وضاق بهم الأمر . فبعثوا إلى النبي يطلبون أن يرسل إليهم أبا لبابة ـ من الأوس حلفائهم ـ فلما جاءهم قالوا : تحقن دماؤنا ، ونأخذ ما تحمل الجمال إلا الحلقة السلاح وعرض ذلك على النبي فأبى ، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والحلقة فأبى ، ثم نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم . وحكم سعد ابن معاذ رضى الله عنه ، فأمر بهم فـكتفوا ، وبالنساء والذرارى فجعلوا ناحية ، وقتل حيي بن أخطب فى من قتل منهم .

ترامى الجيش ، واندفع الرعيل — فقل لبنى قريظة ما السبيل؟[1]
سلوا كعباً وصاحبه حيياً — نزيل الشؤم هل صدق النزيل؟[2]
أطعتم أمره ، فتلقفتـكم — من الأحداث داهية أكول
وكان دليلـكم ، فجنى عليـكم — وقد يجنى على القوم الدليل
دليل السوء ، لا عقلٌ حصيف — يسدده ، ولا رأى أصيل
تفرقت الجموع وأدركتكم — جنود الله يقدمها الرسول[3]
جهلتم ما وراء الغدر حتى — رأيتم كيف يتعظ الجهول

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين .
(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حيي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهود وتمزيق الصحيفة راجع غزوة الخندق وإلى انه معه فى الحصن وفى بعهده .
(٣) الذين جاءوا حرب النبي فى غزوة الخندق .

ألم تروا اللواء مشى إليكم ... به وبسيفه البطل المهول؟
حذار بنى قريظة من على ... ولا يغرركم الأطم الطويل[1]
وما يجديكم الهذيان شيئاً ... وهل يجدى المُختبل ما يقول ؟
وما لبنى القرود سوى المواضى ... يكون لها بأرضهم صليل[2]

* * *

تواروا كالنساء محجَّبات ... حمتها فى المقاصير البعول
خلا الميدان ، لا بطل ينادى ... ألا بطل ؟ ولا فرس يجول
أقاموا مُحْجَرين على هوان ... أقام ، فما يريم ولا يحول[3]
يرنِّق عيشهم جوع وخوف ... كلا الخطبين أيسره جليل[4]
يبيت الهم منتشراً عليهم ... إذا انتشرت من الليل السدول[5]
يلفهم السهاد ، فلا رقاد ... يطيب لهم ، ولا صبر جميل
يخاف النومَ أكثرُهم سهاداً ... كأن النوم فى عينيه غول
إذا مالت به سِنَة تنزّى ... يظن جوانب الدنيا تميل[6]
تطوف بهم منايام ظنوناً ... توهّجُ فى مخالبها النصول

---

(١) الأطم الحصن .

(٢) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقددنا من حصنهم ـ يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ ، فإن علياً كرم الله وجهه أقبل على الحصن فى جماعة من المهاجرين والأنصار ، وغرز اللواء عند أصله . فسمع من بنى قريظة كلاماً بذيئاً فى رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء وخف إليه فقال : يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم فدنا من الحصن وقال لهم : يا إخوان القرده . . .) .

(٣) أحجره غطاه وستره ، كناية عن بقائهم فى الحصن رام مكانه زال عنه وفارقه .

(٤) يرنق بمعنى يكدر .

(٥) جمع سدل وهو الستر .

(٦) تنزى توثب وتسرع .

بهم وبحصنهم مما دهاهم ... وحاق بهم جنون أو ذهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ... ترون ؟ أهكذا تَعمى العقول ؟[1]
أليس محمد من قد علمتم ... فما الخَبَل الملحُّ ، وما الغفول ؟[2]
رسول الله ما عنه صدوف ... لمن يبغى النجاة ، ولا عدول
أبعد العلم شك ؟ بل ضللتم ... على علم ، وذلكم الغلول[3]
هلموا نتبعه ، فإن أبيتم ... فليس لنا سوى الأخرى بديل
نضحّى بالنساء وبالذرارى ... ونخرج ، والدم الجارى يسيل
بأيدينا السيوف مسللات ... نصون بها الذمار إذا نصول
فإلا تفعلوا فالقوم منا ... بمنزلة تنال بها الذحول[4]
لهم منا غداً بالسبت أمن ... فإن تلك غرة شُفِيَ الغليل
هلموا بالقواضب إن أردتم ... فما يغنى التردد والنكول

---

(١) كعب بن أسد ، قال لهم ـ يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، أيها شئتم فذاك قالوا . وما هى ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل ، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن من بنى إسرائيل ، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حيى بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصاراً فتكونوا قد آمنتم بالكتابين . الأول والآخر ـ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره : قال : فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا ، وإن نظفر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . . . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ ؟ قال ـ إن الليلة ليلة السبت . وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، فقالوا نفسد سبتنا وأبوا .

(٢) الغفول بمعنى الغفلة .

(٣) الغلول ـ الخيانة .

(٤) الذحول جمع ذحل والذحل الثأر .

عصوه ، وراضهم عمرو بن سعدى فما اجتُنِب الجماح ولا الجفول(١)
أبوها جزية ثقلت عليهم وقالوا : بئسما يرضى الذليل
ففارقهم على سخط وضغن وراح يقول : لا نعم القبيل
نهاهم قبل ذلك أن يخونوا فكان الغدر والداء الوبيل

* * *

توالىَ الضُّر عبئاً بعد عبء فهدّ قواهم العبء الثقيل
دَعَوْا يستصرخون : ألا دواء فقد أشفى على الموت العليل ؟
لعل أبا لبابة إن ظفرنا بمقدمه لعثرتنا مقيل(٢)
وأرسله النبي نخافوه وقالوا : لا يصاب لنا قتيل
لكم منا السلاح إذا أردتم وتنطلق الركائب والحمول
وعاد ، فراجعوه على اضطرار وهان عليهم المال الجزيل
إليك أبا لبابة ما منعنا وشرُّ المال ما منع البخيل
خذوه مع السلاح ، وأطلقونا لحسب محمد منا الرحيل
فقال : دماؤكم لابدّ منها وذلك حكمه ، فمتى القبول ؟
أجب يا كعب إن الأمر حتم فماذا بعد إلا المستحيل
وما من معشر يا كعب إلا على حكم النبي لهم نزول

(١) قال لهم عمرو بن سعدى: خالفتم محمداً ولم أشرككم فى غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية ، وأعطوا الجزية . فأبوا ، وغضب فقال ــ إنى برىء منكم ، ثم فارقهم ولم يعد إليهم .
الجفول النفور من كل شىء .

(٢) لما جاءهم أبو لبابة رضى الله عنه واسمه (رفاعة بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون فى وجهه ، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد (أن لا تحقن دماؤهم وأن لا تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم) قال ــ نعم ، فأبوا وقالوا : نترك السلاح ونجلو ، فلم يقبل النبى ، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال ، فكذلك .

نصحت لكم ، وما للقوم عذر إذا نصح الحليف أو الخليل

* * *

هوَوا من حصنهم ، وكذاك تهوى وتهبط من معاقلها الوعول(١)
وجاءوا ضارعين ، لهم خوار يجاوبه بكاء أو عويل
يبثُّ الوجدَ مبتئس حزين وتذرى الدمع والهة ثكول
قضاء الله من قتل وسبْى مضى ، والبغى دولته تدول

* * *

يقول الأوس إن القوم منا على عهد ، وقد طمتِ السيول(٢)
موالينا ، إذا خَطبٌ عناهم عنانا ما يشُقُّ وما يعول
وهم حلفاؤنا ، نحنو عليهم ونحدب إن جفا الحدِبُ الوصول
أنقتلهم بأيدينا ؟ ؟ فعفواً رسول الله إن أثم الضلول
فقال : جعلت أمر القوم طراً إلى سعد فنعم هو الوكيل
وجىء به ، يقول له ذووه ترفق ، إنك المولى النبيل(٣)
فقال : دعوا اللجاج فان سعداً بنصرة ربه الأعلى كفيل

(١) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن . وجاءوه أذلاء ضارعين . فأمر بهم فكتفوا ، وأخرج النساء والذرارى فجعلوا ناحية ـ الوعول جمع وعل . وهو التيس الجبلى أو ذكر الأروى .

(٢) توانبت الأوس وقالوا يارسول الله . موالينا وحلفاؤنا ، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبى بن سلول ، فوهبهم له على أن يجلوا ــ فقال : أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ــ فقال : فذلك إلى سعد بن معاذ .

(٣) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان فى خيمة رفيدة الأسلمية فحمله بعض قومه على حمار وهم يقولون له : يا أبا عمرو أحسن فى مواليك. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه ــ كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه : لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فصاح بعضهم : وقوماه .

فصـاح يقول : واقوماه منهم ... رجال عزمهم واه كليــل (١)

أبى ، فأقرَّ حكم الله فيهم ... وآل الأمر أحسن ما يؤول (٢)

عليٌّ والزبير لـكل عضب ... صقيل منهما عضب صقيل (٣)

هما استبقا نفوس القوم نهباً ... وروح الله بينهما رسـيل (٤)

* * *

تقـدم يا حييُّ فلا محيص ... وردْ يا كعب ما ورد الزميل (٥)

لـكل من شقاء الجدِّ وِرد ... وسَجْل من منيته سجيل (٦)

أصابكما من الأقـدار رام ... هوى بكما ، فشأنكما ضئيل

لبئس السيدان لشر قوم ... همُ البرحاء والداء الدخيـل (٧)

منابت فتنة خبثت وساءت ... فلم تطب الفروع ولا الأصول

قلوب من سواد القوم عميٌ ... وألبـاب من الزعماء حول

أضلَّهمُ الغباء ، فهم كثير ... وعمَّهم البلاء ، فهم قليل

* * *

(١) واه كليل : يعنى ضعيف .

(٢) جاء سعد فقال لبنى قريظة : أترضون بحكمى ؟ قالوا نعم ـ قال : فإنى أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال . وتسبى الذرارى والنساء .

(٣) كان الذى تولى قتلهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام . رضى الله عنهما .

(٤) الرسيل المرسل ، والموافق فى النضال وغيره .

(٥) جىء بحيى بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فقال له النبى : ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟ قال بلى ، أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولـكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقـال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : فى كل موطن لا تعقلون ، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . . قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم على ، قالوا : ليس حين عتاب .

(٦) السجل الدلو . وسجيل بمعنى عظيم ، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئاً ، والجد الحظ .

(٧) البرحاء الأذى الشديد .

تخطّفهم هريت الشدق ضار ... له من محكم التنزيل غيل (١)

فما نجت النساء ولا الذرارى ... ولا سلِم الشباب ولا الكهول

تهلّلت المنازل والمغانى ... وأشرقت المزارع والحقول

وبات الحصن مبتهجاً ، عليه ... لآل محمد ظل ظليـل

* * *

لعمر الهالـكين لقد تأذّى ... تراب فى حفائرهم مَهيـل (٢)

طوى رجساً تـكاد الأرض منه ... تمور بمن عليهـا أو تزول (٣)

يساق السبْىُ ، شرذمةٌ بنجد ... وأخرى بالشآم لهـا أليل (٤)

جلائب ، لا أبٌ فى السوق يحمى ... ولا ولد يذبُّ ، ولا حليل (٥)

تُجَر على الهوان ، ولا مغيث ... بأرض ما تجرَّ بها الذيول

أصاب المسلمون بها سـلاحاً ... وخيلا فى قوائمها الحجول

مكرمة ، تُعـدُّ لـكل يوم ... كريم الذكر ، ليس له مثيل

إذا ذكرت مناقبه الغـوالى ... تعالت أمة ، واعتزَّ جيـل

مناقب ما يزال لهـا طلوع ... إذا الأقمار أدركها الأفول

لهـا من نابه الأدب انبعاث ... فما يُخفى زواهرها الخمول

ضمنتُ لها البقـاء وإن عنتنى ... من الدهر العوائق والشغول

وما تغنى الخزائم حين تُلوَى ... إذا انطلقت لحاجتها الفحول

(١) واسع الشدق . من صفات الأسد ، والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) أمر النبى فحفرت الحفائر ، ثم ألقى قتلى بنى قريظة فيها وهيل عليهم التراب .

(٣) تمور تضطرب .

(٤) بعث النبى سعد بن زيد الانصارى ببعض سبايا بنى قريظة إلى نجد ، وسعد بن عبادة ببعض منها إلى الشهام ليبتاعا بها خيلا وسلاحاً ـ الأليل الأنين ، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة .

(٥) جلائب مسوقات يذب يدفع .

تُخلِّدُها مصونات حسان ... حرائرُ ، مالهـا أبداً مُذيل

صفايا الشِّعر ، لا خلق زرىٌّ ... يخالطها ، ولا أدب هزيل

لعلَّ الله يجعلها ربيعا ... لألبـاب أضرَّ بها المحول

فوا أسفا ، أتُطمعنى القوافى ... فيخلف مطمع ، ويخيب سول ؟

وواحربا ، أما يُرجَى فكاكٌ ... لأسرى ما تفارقها الكبول ؟[1]

(١) يقصد الأمم الاسلامية المغلوبة على أمرها فى أيامنا هذه .

ثابت بن قيس رضي الله عنه والزبير بن باطا

كان الزبير بن باطا (بزاى مفتوحة ، وقيل مضمونة) شيخاً من بنى قريظة من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث حرب بين الأوس والخزرج كان الظفر فيها للأولين أخذه فجز نا صيته ، ثم خلى سبيله .

سأل ثابتاً رضى الله عنه أن يشفع له لدى النبي صلى الله عليه وسلم لينجو من القتل ، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه ، وقال : يا رسول الله إنها يد أحفظها له ، وأحب أن أجزيه بها ، فقال : هو لك ، وعاد فأخبر الزبير فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ ورجع ثابت فكلم النبي فى أهله وولده . فقال : هم لك ، وأخبر الشيخ فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ ؟ وشفع ثابت فى ماله ، فقال له الرسول الكريم : هولك » .

قال اليهودى : أما أنت فقد قضيت ما عليك . فماذا فعل بالذى كان وجهه مرآة مضيئة ، تترا آى منها عذارى الحى يعنى كعب بن أسد سيد بنى قريظة قال ثابت . قتل ، قال ، فافعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب . ويطعمهم فى المحل . حيي بن أخطب ؟ قال . قتل . . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال ، قتلوا ، قال أسألك يا ثابت أن تلحقنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، أأرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد فيها ؟ ؟

قال ثابت : ما كنت لأقتلك ، وقدمه إلى الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله .

كذلك يَشقى الجامح المتعسف ... ويركب متن الظلم من ليس ينصف

يموت بسوء الرأى من ساء خلقه ... وللمرء ذى التقوى عن الغى مصرف

أضاع الزبير الأمر والأمر مقبل ... وآثر حد السيف، والسيف يصدف

سعى ثابت يجزيه سالف صنعه ... لدى محسن يُسدى الجميل و يعطف

فقال رسول الله جئتك شافعاً ... لشيخ دعانى ضـارعا يتلهف

حبانى دمى يوم البعاث وفكَّنى ... وتلك يد بيضـاء للشيخ تُعرف

فهبه رسـول الله لى إننى به ... على ما ترى من شأنه لمكلف

فقال : فعلنا ، ثم عاد شفيعه ... يبشره بالعفو ، والشيخ يرجف
نجدٌ له فى المحسن السمح مطمع ... وقال : حياة شرها ليس يوصف
بنِىَّ وأهلى ليس لى إن فقدتهم ... سوى الموت، إنى عن حياتى لأعزف
فلما تسنَّى الأمر قال لثابت ... أنبقى بلا مال ، فنشقى ونتلف ؟
وجاد رسول الله بالمال رحمة ... وبرًّا فراح الشيخ يهذى ويهرف
يسائل عن كعب وسادات قومه ... ويُطرى سجاياهم ، فيغلو ويسرف
توجَّع لما قيل : ذاقوا حِمامهم ... وقال: أريد الموت ، فالعيش أخوف
خذ السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم ... هم الصحب ، مالى بعدهم متخلف
كفى حزَنًا يا صاحبى أن تضمنى ... ديار بهم كانت تُحبُّ وتؤلف
أرحنى أرحنى يا ابن قيس بضربة ... تبيت لها نفسى ترف وتنطف
تزودت من نأى الأحبة غُلة ... فهل أنت للصادى المعذب مسعف ؟
فقال : معاذ الله ، لست بفاعل ... ومثلى يأبى ما تريد ويأنف
وجاء به يلقى الزبير على أسى ... يغالبه ، والموت بالشيخ يهتف
وقال : اسقه رىَّ الغليل من الردى ... فطاح به ماضى الغرارين مرهف[1]
فيالك من رأى سفيه ومركب ... كريه ، وخطب فادح ليس يكشف
قضى ثابت حق المروءة وافيا ... وبرَّ رسول الله والبرّ مجحف
ولكنّ شيخ السوء أهلك نفسه ... وذو الجهل يُرمى من يديه ويقذف

(١) غرار السيف حده .

سعد بن معاذ رضى الله عنه
فى خيمة رفيدة الأسلمية

لما رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ رضى الله عنه فى غزوة الخندق بسهم فى أكحله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يوضع فى خيمة رفيدة الأسلمية رضى الله عنها ، وكانت فى جانب من مسجده ليعوده من قرب ، فلما عاد إليها بعد أن أمضى رأيه فى بنى قريظة انفجر جرحه ، فاذا الذين فى المسجد يرون الدم يسيل إليهم — وله هدير من خيمة زوج رفيدة ، وهو من (بنى غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فمات — وقد كان سأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة وقد شفاه .

هدأ المخيم ، واطمأنَّ المضجع ... وأبى الهدوء الصارخ المتوجع
الحقُّ جنْبٌ بالجراحة مثخن ... وحشاشة تهفو وقلب يفزع[1]
يا سعد خطبك عند كل موحد ... خطب يجىء به الزمان ويرجع
السهم حيث تراه ، لا آلامه ... تُرجَى عواقبها ، ولا هو ينزع
ما أنت حيث يكون سيد قومه ... أين الولائد والفناء الأوسع ؟[2]
لك من رُفَيدة خيمة فى مسجد ... للمعشر الجَفَلى تقام وترفع[3]
بل تلك منزلة الصفِىِّ ، بلغتها ... فوق الرجاء ، وصحَّ منك المطمع
حدِبَ الرسول عليك ، يكره أن يرى ... مثواك مطَّرَح الجوار ويجزع[4]
جارَ الرسولِ وما بليت بحاسد ... الخير والرضوان عندك أجمع

(١) أثخنته الجراحة أوهنته وأعجزت قواه .
(٢) جمع وليدة وهى الصبية والأمة ، أو التى تستوصف قبل أن تحتلم .
(٣) الجفلى جماعة الناس وعامتهم .
(٤) حدب بمعنى عطف .

قال : اجعلوا البطل المنوَّه باسمه   منِّى على كثب ، أراه وأسمع[1]
وَأعُودُهُ ما شئتُ ، أقضى حقه   وأرى قضاء الله : ماذا يصنع ؟
حسب المجاهد أن يكون بمسجدى   فلذلك الحرم الأعزُّ الأمنع

* * *

الله خصمك يا ابن قيس إنه   سهم أصيب به التقى الأروع[2]
لا أخطأتك من الجحيم وحرها   مشبوبه فيهـــا تدعُّ وتدفع[3]

* * *

لمن الدم الجارى ، يظل هديره   ملء المسامع دائباً ما يُقلع ؟
أفما ترون بنى غفار أنه   من عند خيمتكم يفيض وينبع ؟
ماذا بسَعْدٍ يا رُفَيْدَةُ خَبِّرى   إن القلوب من الجنوب تَطَلَّع ؟
يا حسرتا : هو جرحه يجرى دماً   بعـــد الشفاء ، ونفسه تتمزع
حضرت منيته ، وحُمَّ قضاؤه   ولـكل نفس يومها والمصرع

* * *

ضجَّ النعاة ، فهزَّ يثرب وجـدها   وهفا بمكة شجوها المتنوع[4]
ركن من الإسلام،زال وما انتهى   بانيه ، ذلكم المهمُّ المفظع
خطب أصاب المسلمين ، فذاهل   ما يستفيق ، وجازع يتفجع

* * *

صبراً رسول الله إن تك شدة   نزلت ، فإنك لَلأشدُّ الأضلع
أنت المعلِّم لا شريعة للهـدى   إلا تُسنُّ على يديك وتُشرع

---

(١) على كثب على قرب .
(٢) هو ابن العرقه .
(٣) دعه دفعه دفعاً عنيفا .
(٤) الوجد الألم والشجو الحزن .

تمضى على المثلى ، وكل يقتفى   وتجىء بالفضلى ، وكلٌّ يتبع
أفم الصلاة على الشهيد وسِرْ به   فى ظل ربك ، والملائك خشَّع[1]
يمشون حول سريره عدد الحصى   فالأرض ما فيها لرجلك موضع
تمشى بأطراف الأصابع ، تتقى   ولقد تـكون وما تُوقى الإصبع
العرش مهتز الجوانب ، يحتفى   والله يضحك ، والسماء ترجَّع[2]

* * *

يا ناهضا بالدين ، يحمل عبأه   والبأس يعثر ، والسوابق تظلع
إهنأ بها حللا حملت حسانها   نوراً على نور يضىء ويسطع[3]
هـــذا مكانك ، لا العطاء مقتَّر   عنـد الإله ، ولا الجزاء مُضيَّع
لك يوم بدر عند ربك مشهد   هو للهدى والحق عرس مُمتع
نصر النبى به على أعـــدائه   والجو يُظلِم ، والمنـــايا تلمع

---

(١) ورد فى خبر وفاته رضى الله عنه أن سبعين ألفاً من الملائكة نزلوا لتشييعه إلى قبره ولبن شأنه فى ذلك كان كشأن ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى رضى الله عنه ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم سئل بعد دفنه : لم كان يمشى على أطراف أنامله وهو يشيع جنازته فقال : والذى بعثنى بالحق ما قدرت أن أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه .

وعن سلمة بن أسلم بن جريش رضى الله عنه ، قال ــ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى البيت أحد إلا سعد مسجى . فرأيته يتخطى . وأوما إلى قف . فوقفت ورددت من ورائى ، وجلس ساعة ثم خرج فقلت يارسول الله ما رأيت أحداً ورأيتك تتخطى فقال : ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه .

(٢) تواترت الروايات باهتزاز العرش لموته ، وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما حمل على نعشه جعلت أمه تبكى فقال لها النبى ــ ليرقأ دمعك ، ويذهب حزنك . فإن ابنك يضحك الله له ــ قال صاحب السيرة : وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان، ورجع الرجل ، قال ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وردد صوته فى حلقه ، والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضا صوته ، ومرتين رافعاً إياه .

(٣) أهديت إلى النبى حلة من الحرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال لهم أتعجبون من لين هذه الحلة ، والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد فى الجنة خير منها وألين .

كانت مقالةَ مؤمن صدعت قوى … زعمت قريش أنها لا تُصدَع[1]

بعثتْ من الأنصار كل مدرَّب … يقظ المضارب ، والقواضب هُجَّع

يا سعد ما نسى العريشَ مُقيمُه … يحمى غياث العالمين ويمنع[2]

لما توالى الزحف جئت تحوطه … وتردُّ عنه المشركين وتردع

في عصبة ممن لبّاك دعوتها … فالبأس يدلف ، والحمية تسرع

قمتم صفوفاً كالهضاب ، يشدها … راس على الأهوال ، ما يتزعزع

ولقد رميت بنى قريظة بالتى … سمع المجيب فهالك ومُروَّع[3]

أحببْ بها من دعوة لك لم تمت … حتى أصابك خيرها المتوقَّع

نقع الإلهُ غليلَ صدرك ، إنه … يشفى صدور المؤمنين وينقع

إن شيعوك . فلم تجدنى بينهم … فالخطب خطبى ، والبيان مشيِّع

الدهر معمور بذكرك آهل … ما في جوانبه مكان بلقع

---

(١) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود للنبي صلى الله عليه وسلم عند الخروج لغزوة بدر الكبرى — ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة — يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، لسنا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون — ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٢) توسل إلى النبي يوم بدر أن يبنى له عريشاً على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، ولما التحم القتال جاء مع جماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) هو الله تبارك وتعالى .

رفيدة الأسلمية

رضي الله عنها

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة لمداواة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهليهم وذوى قرابتهم من يقوم عليهم ، ويتولى أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة في ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رفيدة على الناس الحنانا … وزيدى قومك العالين شانا

خذى الجرحى إليك فأكرميهم … وطوفى حولهم آناً فآنا

وإن هجع النيام ، فلا تنامى … عن الصوت المردَّد حيث كانا

أعينى الساهرين على كلوم … تؤرِّقهم ، فمثلك من أعانا[1]

همُ الأهلون ، ما عرفوا أنيساً … سواك لهم ، ولا وجدوا مكانا

حباك الله من تقواه قلباً … وسوَّى من مراحمه البنانا

رفعت لأسلمٍ ذكراً جليلا … يزاحم في مواكبه الزمانا

ضيوف الله عندك في محلٍّ … تُذكِّرنا محاسنه الجنانا

فيالك خيمةً للبر فيها … جلال لا يرام ولا يُدانى

جلال الله ألقاه عليها … فجمّلها بروعته وزانا

نسيج من شعاع الحق بدْع … تزيد على الزمان به افتتانا

تقِلُّ بدائع النساج عنه … وإن نسجوا اللجَيْن أو الجمانا[2]

وما يجد الأديب الفرد وصفاً … يحيط به ، ولو أفنى البيانا

له في الذهن ترجمة ومعنى … جليل الشأن ، يعيى الترجمانا

---

(١) الكلوم الجروح .

(٢) اللجين والجمان الفضة والذهب .

لسانى مُوثَق ، يارب هب لى ... جناح الريح أجعـــله لسانا
فأذهب حيث شئت من القوافى ... وأرسلها محببـــة حسانا
وألبسها رفيـــدة معجبات ... ضوامن أن تُجلّ وأن تصانا

* * *

رُفيدة جاهدى ودعى الهوينى ... فما شرف الحيـــاة لمن توانى
وربّ مجاهـــد بلغ الثريّا ... وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هزّ الممالك فى عـــلاها ... فتى ما هزّ سيفاً أو ســـنانا
ومن لم يمتحن دنيا المعـــالى ... فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
رفيدة ذلك الإســـلام حقًّا ... تبارك من هداك ومن هدانا
تبـــارك ربُّنا ألقى علينا ... سنا الوحى المنزَّل واصطفانا
هـــدينا العالمين به ، وإنا ... لنحن القوم ، لا هادٍ ســـوانا

سعد بن عبادة رضي الله عنه

كان طعام المسلمين فى هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فهو الذى مون الجيش ، ومن مناقبه أنه أبى على عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما فى غزوة الخندق ، وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه على رأيه فى ذلك ، ومن هذه المناقب طوافه على الأنصار يستنفرهم للقتال فى غزوة بدر ، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك : لئن لم يشهدها سعد لقد كان حريصاً عليها : ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رضى الله عنه نقيب بنى ساعدة (من الخزرج) ومات بحوران من أرض الشام فى السنة الرابعة عشرة ــ فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقبره بالمنيحة (قرية من غوطة دمشق) .

يامطعم الجيش أشبعت السيوف دما ... لولاك ما شبعتْ يوماً ولا طعِما
أنت الحياة جرت فى كل منطلق ... تغشى الكمىَّ ، وتغشى الصارم الخذما[1]
تتابع الجود ، لا بخل ولا سأم ... دين المروءة يأبى البخل والسأما
المسلمون يدٌ لله عامـــلة ... تمضى أصابعها فى شأنها قدما
لا تشتكى إصبع من إصبع وهناً ... ولا تغايرها إذ تشتكى الألما

* * *

يا سعد أدّيت حق الله من ثمر ... لو كان من ذهب ما زدته عظما
كذلك الخير ، يُدعَى المرء مغتَنما ... إن راح ينهبه فى القوم مغتنِما
زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة ... فضلا ، وزادت على أمثالها كرما

---

(١) الكمى الشجاع والصارم الخذم السيف القاطع .

هذا جناها بأيدى القوم منتَهب   والله يكتب ، فانظر ، هل ترى القلما؟

أحصاه يا سعد عدّاً ثم ضاعفه   فلست تحصيه حتى تحصىَ الأمما

* * *

إدفع عيينة واردع جهل صاحبه   إن الحديث حديث الدهر لو عَلما

تمر المــدينة ما فيه مساومة   أو يرجعَ السيف عنه مترعاً بشما[(١)]

طعام كل فتى لله منتــدب   لا يغمد السيف عمن يطعم الصنما

منعته ونصرت الله فى همــل   من عصبة الشرك لا يرضَونه حكما

وصنته علماً للحق تحفظــه   لا يحفظ العرض من لا يحفظ العلما

مايصنع الناس إن ضاعت محارمهم؟   وما على الأرض أن لا تحمل الرمما؟

* * *

ألم تَهِبْ يوم بدر بالألى نفروا   للحرب ، يصلَون من نيرانها ضرما؟

يا قوم إن جموع الكفر حاشدة   فأين يذهب دين الله إن هُزما ؟

إن لم يبتْ ناجياً من سوء ما اعتزموا   فلا نجا أحــد منا ولا سلما

* * *

يا باعث القوم شتى من مجاثمهم   ما بال عزمك فى آثارهم جثما ؟

من حيّة السوء ألقيت السلاح على   كره ، ورحت تعانى الهم والسقما

كنت الحريص عليها وقعة جللا   لم تُبق للـكفر من آطامه أطما[(٢)]

كذاك قال رسول الله فابتهجت   منك المشاهد لم تنقل لهــا قدما

أعطاك سهمك يجزى نية صدقت   شريعة الله ، ما حابى ولا ظلما

---

(١) مترعا ممتلئا بشما متخما .

(٢) الآطام الحصون .

غزوة بنى لحيان

كانت فى ربيع الأول من السنة السادسة . وسببها حزن النبى صلى الله عليه وسلم لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه . والمنذر بن عمرو الخزرجى وأصحابه (القراء السبعين) رضى الله عنهم من غدر بنى لحيان وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفقههم فى الدين ، ويدعوهم الى الاسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين فى (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الواقعة الأولى فى مستهل السنة الرابعة ، والثانية فى صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان فى باب السرايا ، وقد اعتمدنا فى ملاحمنا هذه أن نبدأ بالغزوات ثم نأتى بعدها بالسرايا* فى مجموعة خاصة . فنحن إذاً لا نجرى على الترتيب التاريخى فى هذين البابين احتفاظاً بالوحدة النوعية فى كل باب

خرج النبى إلى هذه الغزوة فى مائة من أصحابه ، فلما بلغ (وادى غراب) من منازل بنى لحيان . وهو المـكان الذى قتل فيه أصحاب الرجيع ترحم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة فسمع القوم وهربوا فى رءوس الجبال ، فأقام يوماً ـ أو يومين ـ يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحداً ، ثم رجع صلى الله عليه وسلم ٠ .

بنى لحيان لوذوا بالجبال   وقوا مهجاتكم حرّ القتــال

أمن غدر إلى جبن ؟ لعمرى   لقــد ضقتم بأخلاق الرجال

لـكم من خصمكم عــذر مبين   فليس لناره فى الحرب صال

أما انصدعت قواكم إذ أخذتم   صحابته بمكر واحتيال ؟[(١)]

(*) يفهم من هذا أنه سيأتى بالسرايا فقط ولـكنه جاء من بعد ذلك بعددمن الغزاوت.

(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وخبيب بن عدى الأوسى البدرى ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضى الله عنهم ، لما بلغوا الرجيع ـ اسم ماء لهذيل ابن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان ـ مع الذين بعثهم النبى معهم غدر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلا ليعينوهم عليهم ، فثار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم فى رحالهم ، وكانوا نحو مائتى=

كذبتم ، ما لأهل الشرك عهد ... وما الكفار إلا فى ضلال
قتلتم عاصماً بطلا مجيداً ... مخوف الكر ، مرهوب النزال (١)
فنون الحرب تعرفه عليما ... بأسرار الأسنّة والنصال
وتشهد أنه البطل المرجّى ... إذا فزع الرماة إلى النبال
رماكم ، ثم جالدكم ، فأدّى ... أمانته ، وأودى غير آل
وقاتلُ عقبةٍ فى يوم بدر ... أيحفل حين يقتل أو يبالى ؟ (٢)
أردتم بيعه ليُنال وتر ... رويداً ، إن صاحبكم لغال (٣)
وليس لدى سلافة من كفاء ... لهامة ماجد سمح الخلال (٤)
حماه الله من دنس ورجس ... وسوء المنكرات من الفعال
شهيد الحق تحرسه جنود ... من الدبْر المسلّح للنضال (٥)

= رجل، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا : إنا والله لانريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرثد وخالد فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً . وقاتلوا حتى قتلوا . وأما زيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا فى الحياة واعتصموا ببعض الجبال . فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم إن نزلتم إلينا، فما نزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسى ، فقال عبد الله بن طارق . هذا أول الغدر . لا أصحبكم ، إن لى بهؤلاء (يعنى القتلى) أسوة ، فجردوه وعالجوه وهو يأبى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبنى الحارث ابن نوفل ، لأنه هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثانى لصفوان بن أمية لأنه هو الذى قتل أمية .

(١) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبي لمن عنده : كيف تقاتلون ؟ فقام عاصم ابن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتى ذراع كان الرمى ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة ، فقال النبي : هكذا أنزلت الحرب . من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم .

(٢) عقبة بن أبى معيط ــ فى رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

(٣) كانوا يريدون بيعه لولى القتيل . والوتر الثأر .

(٤) امرأة قتل عاصم ابنيها مسافعاً وجلاساً يوم أحد ، فجعلت لمن يجيئها برأسه مائة ناقة ، ونذرت لتشربن الخمر فى قاقة جمجمته .

(٥) الزنابير ، أرسلها الله فحمت جسده الطاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء . وكان قد دعا الله فقال : اللهم إنى حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره .

وعبد الله فيم قتلتموه ... وسقتم صاحبيه بشر حال ؟ (١)
طلاب المال يولع بالدنايا ... ويلوى المرء عن طلب المعالى
رضيتم بيع أنفسكم ببخس ... قليل النفع من إبل ومال

* * *

خُبيبٌ فى يدى جاف شديد ... يُعذَّب فى أداهمه الثقال (٢)
وزيد عند جبار عنيد ... يصبُّ عليه مختلف النكال
كلا أبويهما قتلا ببدر ... فتلك حقائظ الزمم البوالى
يزيدهما البلاء هدى وعلماً ... بأن الحادثات إلى زوال
وأن لكلّ نفس منتهاها ... وإنْ طمع المضلّل فى المحال
لكلٍّ مشهد عجب ، عليه ... جلال الحق ، بورك من جلال
يروح الموت حولهما ويغدو ... يكشر عن نواجذه الطوال
وذكر الله متّصل ، يوالى ... من العبق المقدس ما يوالى (٣)
هو الإيمان ، من يشدُدْ قواه ... يزلزلْ فى الخطوب قوى الجبال

* * *

هنيئاً يا خُبيبُ بلغت شأوا ... رفيع الشأن ، ممتنع المنال (٤)
ملأت يديك من رزق كريم ... أتاك بغير كدٍّ أو سؤال
تنزّل من لدن رب رحيم ... عميم الجود ، فيّاض النوال

(١) عبد الله بن طارق .

(٢) الأداهم القيود .

(٣) كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورققن عليه .

(٤) قالت زينب بنت الحارث ، والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة عنب وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

كل العنب الجنىّ ، وزده حمداً ... على حمـــد يدوم مدى الليالى

تقول الحارثية ما لعينى ... أفى سحر تقلّب أم خيال ؟

أرى عنباً ، وما من ذاك شىء ... بمكة يالهـــا عظةً وبالى

وبالكَ من أسير ما علمنا ... له بين الأسارى من مثال

* * *

أتى الأجل الذى انتظروا وهذى ... سيوف القوم محـــدثةُ الصقال[1]

فماذا فى يمينك يا خبيب ... وما بال الصغير من العيال ؟[2]

كأنّ بأمه حـــذراً عليه ... نوازع من جنون أو خبال

ترى الموسى بكفك ، وهو رهن ... بذبح فوق فخذك واغتيال

ولكنْ للكريم السمح ناه ... من الشيم السنيّة والخصال

وماذا كنت تحذر من عقاب ... وورد الموت محتضر السّجال ؟[3]

وسعت عـــدوك الموتور حلماً ... ومكرمة على ضيق المجال

فأيكما الذى رمت السّجايا ... مروءته بأسر واعتقال

وأيكما القتيل ؟ ومن سيبقى ... حياة للأواخر والأوالى ؟

* * *

ألا إن الصلاة لخير زاد ... وإن الركب آذن بارتحال[4]

---

(١) كان شراؤهما فى ذى القعده فحبسوهما حتى تنتهى الأشهر الحرم .

(٢) لما أجمعوا على قتلهما استعار خبيب من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به . فغفلت عن ابن لها صغير أقبل حتى جلس على فخذه والموسى فى يده فخشيت أن يقتله وفزعت لذلك ، فقال لها ، أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(٣) جمع سجل وهو الدلو المملوء .

(٤) لما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركونى أصلى ، فتركوه فصلى ركعتين ثم انصرف إليهم وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لزدت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، واقتلهم بدداً ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

تزودْ يا خُبيبُ وثق برب ... مثلك عنـــده حسن المآل

فسر فى نوره الوضاح ، والبس ... جمال الخلد فى وطن الجمال

هنـــالك معرض لله فخم ... بديع الصنع ، لم يخطر ببال

أترضى أن ترى خير البرايا ... مكانك ؟ ساء ذلك من مقال[1]

صدقت خبيب إنك للعوادى ... إذا هى أخطأته لذو احتمال

تبيع بشوكة تؤذيه نفساً ... تشكُّ صميمها صم العوالى

كذلك قال زيد الخير لما ... تردَّى فى السفاهة كل قال[2]

همو قتـــلوك مصلوبا وأغروا ... به وبك الضعـــاف من الموالى

رفيقك فى التجـــلُّد والتأسى ... وخدنك فى التقدم والصيال

أتعتزلان دين الله خوفاً ؟ ... فمن أولى بخوف وابتهـــال ؟[3]

معـــاذ الله ، إن الله حق ... وإن المجرمين لفى وبال

لدين الشرك أجدر باجتناب ... وأخلق باطّراح واعتزال

هو الداء العضال لمبتغيه ... وكل الشر فى الداء العضال

كمال النفس إيمان وتقوى ... وماذا بعـــد مرتبة الكمال ؟

* * *

حبيس الأربعين ألا انطلاق ... كفاك : ألم تزل مُلْقَى الرحال ؟[4]

أسرّك أن تظل مدى الليالى ... جميع الشمل ، موصول الحبال ؟

---

(١) لما أرادوا قتله شدوه إلى خشبة طويلة ، وأعملوا فيه الرماح والحراب ، ثم قالوا له : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه .

(٢) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم .

(٣) قالوا لخبيب لترجع عن الإسلام أو لنقتلنك . قال : إن قتلى فى سبيل الله لقليل ، وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بمثل هذا .

(٤) هو خبيب . تركوه مصلوباً على خشبته بعد قتله أربعين يوماً ، وحوله الحراس ليراه الناس .

على خرقاء يكره من يراها — طلاب الودّ منها والوصال[١]

علقتَ بها ، فما أحدثت هجراً — ولا حدّثت نفسك بالزيال[٢]

يملُّ المرء صاحبــه فيشقى — بصحبته ، ومابك من ملال

ويسلو كل ذى شجن ووجد — وأنت على مصابك غير سال

بليت بـكل ذى قلب غبيٍّ — غدافيٍّ من الإيمـــان خال[٣]

لَأنت الحجة الـكبرى عليهم — فما نفْعُ المراء أو الجـدال ؟

* * *

تأهبْ يا خبيب أتاك غوث — يؤمك فى ركائبه العجـــــال[٤]

مضى بك ، يتبع الغرماء منه — بعيـــد مدى التعلل والمطال

تقاضوه فما ظفر التقــاضى — بغير علالة النقع المـــذال[٥]

قطيع من طغام القوم يعــدو — على آثاره عــدو الرئال[٦]

فلما أوشكوا أن يدركوه — أهاب : عليك يارب اتــكالى

وألقى بالشهيـــد فغيبته — طباق الأرض كنزاً من لآل

يزين المسلمين إذا تداعت — شعوب الأرض من عطل وحال

طوت جسداً من الريحان رطباً — عليـــه جلالة الشيخ البجال[٧]

---

(١) المراد بها الخشبة .

(٢) الزيال الفراق .

(٣) الغداف الغراب والغداق ما أشبه لونه .

(٤) بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدا عنده أربعين رجلا يحرسونه ، ولـكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء ، وشعر بهما المشركون فانطلقوا وراءهما : فلما لحقوا بهما بعد جهد قذفه الزبير فابتلعته الأرض.

(٥) المذال المسبل .

(٦) الرئال أفراخ النعام ، واحدها رأل .

(٧) البجال السيد العظيم المبجل من الناس .

قضى ، وكأنه حيٌّ يُرجَّى — لحسن الصنع من صحب وآل

يدير القوم أعينهم حيارى — كأن الله ليس بذى محال[١]

ويأسف معشر باتوا سهارى — تفيض جراحهم بعد اندمال

أجاب الله دعوته ، فبادوا — وعادوا مثـــل محترق الذبال[٢]

* * *

بنى لحيان ما صنع ابن عمرو — وماذا بالأسُــود من النمال ؟[٣]

قتلتم صحـــبه وصرعتموه — فيا للؤم والخلق الرُّذال

ولولا العـــذر لم يخشَوا أذاكم — وهل تخشى القروم أذى الأفال ؟[٤]

أأصحابُ اليمين بكم أصيبوا — لأنتم شر أصحـــاب الشمال

* * *

بنى لحيـــان واعجبى لبأس — خبت جمراته بعـــد اشتعال

فررتم ، تتَّقون الموت زحفاً — على القمم الشواهق والقلال[٥]

هو المسخ المُبين ، فمن أسود — تصيد القانصين إلى وعال[٦]

دعوا الشرك المذلّ إلى حياة — من الإســـلام وارفة الظلال

---

(١) المحال القوة .

(٢) الذبال جمع ذبالة ، وهى الفتيلة للسراج .

(٣) هو المنذر بن عمرو رضى الله عنه ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه القراء مع أبى عامر بن مالك ملاعب الأسنة لما قدم عليه فقال إنى أرى أمرك هذا أمراً حسناً شريفاً ، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له : إنى أخشى أهل نجد عليهم . فقال أبو عامر : هم فى جوارى وعهدى ، فساروا بكتاب من النبي إلى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب أحدهم بهذا الـكتاب إلى عامر فلم ينظر إليه وقتله . ثم صاح بقوم من بنى لحيان ورعل وذكوان فقتلوا القراء وبقى بكعب بن يزيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك واستشهد فى غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمرى ورجلا آخر .

(٤) الافال جمع أفيل وهو الفصيل .

(٥) رءوس الجبال .

(٦) جمع وعلة وهى أنثى الوعل .

هو الدين الذى يُحيى البرايا ويصلح أمرهم بعد اختلال
يَظلُّ النور فى الآفاق يسرى ويسطع ماتلا القرآنَ تال

* * *

أرى أمماً على الغبراء مرضى تَبَطَّن جوفَها داء السلال
تخال أشد خلق الله بأسا على الضعف المبرِّح والهزال
إذا ملأت جوانبها دوياً فلا تغررك جلجلة السعال
مخضبة الجنان لكل صيد يعنُّ ، وتلك أنياب السعالى (١)
حيارى لا تريد الحق نهجاً ولا تدع الحرام إلى الحلال
ألا هادٍ يقوِّم من خطاها ويحسم داءها بعد اعتلال ؟

(١) السعالى الأغوال جمع سعلاة .

غزوة ذى قرد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بنى لحيان ،وسببها أن عيينة بن حصن أغار فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يرعاها رجل(١) من غفار ، وامرأة(٢) بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاح ، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع ، فجعل يرميهم بالنبل بعد أن اشتد فى أثرهم . وكان يسبق الفرس جرياً ، ففعل بهم الأفاعيل ، واستنقذ منهم كثيراً من اللقاح ، وصاح ابن الأكوع فسمعه النبي وقال : الفزع الفزع ، يا خيل الله اركبي ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء لسعيد بن زيد ، رضى الله عنهم جميعاً .

ترفق يا عُيَينة باللقاح وبالخيل المغيرة والسلاح (٣)
وخفض من غرورك والطماح فما مال النبيِّ بمستباح
ولا هو يوم حرب أو كفاح

أتحسبها صناديد الرجال تداعَوا بالقواضب والعوالى ؟
وخفُّوا يا عيينة للقتال ؟ يلفُّون الرعال على الرعال ؟(٤)
فليس على الفوارس من جناح ؟

رويداً ، إنها إبل تساق وراع واحد دمه يراق
وما بال التى احتمل الرفاق ؟ أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصمتة رداح ؟(٥)

(١) هو ولد أبى ذر الغفارى .
(٢) زوجة أبى ذر .
(٣) كانت عشرين لقحة وهى ذات اللبن القريبة من الولادة .
(٤) الرعال الجماعة المتقدمة من الخيل .
(٥) الشىء المصمت المغلق المبهم الذى يمتنع على من يريده أو يريد أن يعلم ما ينطوى عليه ، وهو فى الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه والرداح الكتيبة الثقيلة الجرارة . والمعنى: أكنتم تخافون حين احتمالتم هذه المرأة الضعيفة أن ترميكم بكتيبة هذه صفتها ؟؟ .

كفى ابنُ الأكوع البطل الجسور   فذوقوا النار حامية تفور

رمى بالنبل ، فاضطرم السعير   كذلك يفعل الرامى القدير[١]

وتلك سهامه ، ما من براح

يُوالى الكرَّ ، ساعده شديد   وبين ضلوعه قلب حديد

عذاب إذ يكرُّ وإذ يحيد   يفوت الخيلَ منه ما تريد

وإن طارت بأجنحة الرياح

إذا طلبته لم تبلغ مداه   وإن رجعت ، فليس لها سواه

يمزّقها بما ترمى يداه   فتذهب كلما جاشت قواه

حوامل للجراح على الجراح

تخطّف لقحة من بعد أخرى   وجاهد ، يرهق الفرسان عسرا

يريد لقاح خير الخلق طرًّا   ويكره أن يساء وأن يُضرا[٢]

وتلك مشاهد البطل الصراح

أذاقهم البلاء ، فما استطاعوا   وغالهم ارتجاف وارتياع

قوى ضاقت بها همم وِسَاعُ   فأسلمت الأكفَّ قوى شَعاعُ

وألقت بالبرود وبالرماح[٣]

ويالك صيحة ذهبت ترامى   فنبهت الألى كانوا نياما[٤]

---

(١) جعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع . واليوم يوم الرضع – أى يوم هلاك اللئام – فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، وكانت إذا دخلت فى بعض مضائق الجبل علاه وأخذ يرميهم بالحجارة .

(٢) طرا جميعا .

(٣) ألقو أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم ويستفرغ قواهم .

(٤) لما علم بأمرهم علائية الوداع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحاه ثلاث مرات .

تلقاها النبى فما أقاما   وهبَّ الجيش يحتدم احتداما

وحانت وقعة القدر المتاح

وطار الأخرمُ الأسديُّ فردا   يسبُّ المجرمين وما تعدَّى[١]

ولم ير من ورود الموت بدًّا   فجاد بنفسه ورعاه عهدا

دعا داعيه ، حيّ على الفلاح

هى الرؤيا التى قصَّ القتيل   على الصدِّيق صدقها الدليل[٢]

مضى لسبيله ، نعم السبيل   فتى كالسيف مشهده جليل

هوى بمصارع البيض الصفاح

أتى جيش النبىّ فأىُّ خطب   أصاب القوم من فزع ورعب ؟

إذا خفق اللواء ، فكل قلب   من الخفقان فى همٍّ وكرب

فرفقاً يا ابن زيد بالقداح[٣]

رموا ورَمَيْتَ بالأبطال شوسا   تخوض إلى الوغى يوماً عبوسا[٤]

---

(١) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين فى هذه الغزوة . فلما انتهى إلى المغيرين تقدم فوقف بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بنى اللكيعة (اللئيمة) قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذ سلمة بن الأكوع بعنان فرسه . وقال له إحذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بينى وبين الشهادة . فخلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه وطعنه عبد الرحمن فقتله رضى الله عنه ، ولم يقتل فى هذه الغزوة من المسلمين غيره .

(٢) رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت له هى وما فوقها حتى انتهى إلى السماء السابعة ، ثم انتهى إلى سدرة المنتهى ، فقيل له . هذا منزلك . وقص رؤياه على أبى بكر فقال له : ابشر بالشهادة .

(٣) سعيد بن زيد أمير الجيش القداح سهام الميسر ، وكان من عادتها أن تقلب وتقلقل والمعنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القداح فى خفوقها واضطرابها .

(٤) جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

تُفلَّق من أعاديها الرءوسا   وتبذل دون بيضتها النفوسا

كذلك فليكن بذل السماح

إلى ابنِ عُيينةَ انطلق القضاء   فما بأبيه إذ أَوْدى غناء[1]

له من حول مصرعه عواء   إذا شفت الصدى البيضُ الظِماء

فأهونْ بالعواء وبالنباح

وأين دم ابن نضلة هل يضيع   ويبقى بعده الحدث الفظيع ؟

لعمرك ما لقاتله شفيع   صريع طاح فى دمه صريع

أحيط به ، فعوجل باجتياح

هو المقداد إن دعيتْ نزالِ   تقدَّمَ لا يهاب ولا يبالى[2]

وما بأبى قتادة فى الرجال   خفاء حين تشتجر العوالى[3]

وحين يقال : أين ذوو النطاح؟

أصاب السهم وجهاً منه نضرا   وأبصره النبى فقال : صبرا

وعالجه ، فأخرج منه شرا   وألقى نفثة كرماً وبرا

فراح يزف فى القوم الصحاح[4]

تزوَّدَ منه كنزاً ليس يفنى   تزود دعوة سعداً ويمنا

تزوَّدَ رحمة ، وهدى ، وأمنا   تزود ما أحب وما تمنى

وجاوز كل سؤل واقتراح

---

(١) قتله المقداد بن عمرو ، وأودى هلك .

(٢) كان المقداد بن عمرو أول من خف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين قال : الفزع الفزع ، ياخيل الله اركبى .

(٣) قتل أبو قتادة رضى الله عنه مسعدة الفزارى ، وقد أصيب بسهم فى وجهه فنزعه النبى بيده الشريفة نزعاً دقيقاً ، ثم بزق فيه ووضع راحته عليه ثم قال : اللهم بارك له فى شعره وبشره . فمات فى السبعين وكأنه فى السنة الخامسة عشرة وتشتجر العوالى ــ تشتبك الرماح .

(٤) يزف بمعنى يسرع .

شفيت أبا قتادة كل صاد   لهيفِ الصدر حرَّان الفؤاد

يبيت على أسى ممن يعادى   رسولَ الله فى دين الجهاد

وفى دنيا المروءة والصلاح

غنمت سلاح مسعدة الشقىِّ   وفزت بطِرفه فوز التقىِّ[1]

عطاء من جواد أريحىٍّ   عطاء الله من يدىِ النبى

رسولِ الله أفضل مستماح[2]

لقد أحدثت للأبطال شغلا   وهمًّا ما أشد وما أجلَّ[3]

سقوا مكروهه نهلا وعلاًّ   ولولا فضل ربك ما تجلَّى[4]

دعَوْا إذ أبصروا البرد المخلى   على الجسد الذى أوجعت قتلا

نعاء أبا قتادة إذ تولى   نعاءِ الفارسَ البطل المدلا[5]

وضجُّوا بالتى فى الخطب تتلى   فتنفع من تجلد أو تسلى[6]

فقال محمد : ياقوم كلا   أخوكم لم يزل حيًّا ، فمهلا

كفاكم ربكم فقداً وثُكلًا   فأشرقت الوجوه ، وكان فضلا

طوى قرحى القلوب على ارتياح[7]

---

(١) الطرف الكريم من الخيل .

(٢) استماحه سأله العطاء .

(٣) لما قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ألقى عليه برده برد أبى قتادة فغطاه ، فلما رآه المسلمون استرجعوا وقالوا : قتل ابو قتادة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل له وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه ــ أى قاتله فخرج عمر بن الخطاب حتى جاءه ، وكشف البرد عن وجهه فإذا هو مسعدة .

(٤) النهل الشرب الأول والعل الشرب الثانى .

(٥) نعاء بالبناء على الكسر كنزال ، اسم فعل للأمر بمعنى إنع ، قال الأصمعى . كانت العرب إذا مات منها ميت له قدر ، ركب راكب فرساً . وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاء فلاناً . أى إنعه وأظهر خبر وفاته .

(٦) كلمة الاسترجاع . إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٧) قرحى جمع قريح والقريح الجريح .

تداعى القوم صفاً بعد صفٍّ   وولّوا بعد إقـــدام وزحف[١]
مضوا بالنصف ، لو ذهبوا بألف   من اللائى اصطفى النعمانُ صرف[٢]
لما فرحوا بفوز أو نجاح

وأقبلت الأخيذة بعــــد يأس   على العضباء فى شعَث وبؤس[٣]
عناها الضُّرُّ من أسر وحبس   وسوء الصنع من ظلم ووكس
على يد كل عِرِّيض وقاح[٤]

أتت ، للمسلمين بهـا ابتهاج   وللـكفار إذ نجت اهتياج
أبا ذرٍّ وللضيق انفراج   وربَّتما حلا الورد الأجاج[٥]
هنيئاً ، بات صدرك فى انشراح

أتذكر إذ يقول لك الرســول   أقم فالأمر باطنه مهول ؟
وما تدرى إلى مَ غداً يؤول   ستعرفه وتذكـر ما أقول
إذا ما الغيب آذن باتضاح

أتت فرحى، وقالت : حلَّ نذرى   فإن أذن الرسول قضيت أمرى

---

(١) من تداعى البناء إذا انهار .

(٢) نصف اللقاح والنعمان بن المنذر كانت له إبل تسمى عصافير النعمان .

(٣) هى امرأة أبى ذر انفلتت من الوثاق ليلا . فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى انتهبت إلى العضباء فلم ترغ ، فقعدت على عجزها ثم زجرتها . وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ، فنذرت لئن نجاها الله عز وجل لتنحرنها وتأكل من كبدها وسنامها ، وأقبلت تخبر الرسول الـكريم بذلك ، فتبسم وقال ، بئسما جزيتها لا نذر فى معصية الله ، ولا فيما لا تملـكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، ارجعى إلى أهلك على بركة الله .

(٤) العريض الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) استأذن أبو ذر الغفارى رسول الله أن يكون فى اللقاح فقال له : لا تأمن عيينة ابن حصن وذويه أن يغيروا عليك . فألح عليه فقال له : لـكأنى بك قد قتل ابنك ، وأخذت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك . فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يعجب ويشيع الحديث ، والإجاج الماء الملح .

هى العضباء تعقر ما لإصرى   سواها ، إن أردتَ شفاء صدرى[١]
علىَّ اليوم بعد فـكاك أسرى   وفاء النذر ، مالى من مفرّ
وقانى الله من سوء وشر   له سبحانه حمدى وشكـرى
على أن صرت مطلقة السراح

فقال لهـا رسول الله إيه   لبئس جزاءها أن تفعليه
دعى النـذر المحرَّم واتركيه   وخافى الله ربك واتَّقيه
لشر النـذر مالا يرتضيه   وما لا حقَّ للإنسان فيه
دعى لى ناقتى وتعلَّميه   قضاء ما اهتـدى من لا يعيه
وكيف تُقاس منزلة الفقيه   بمنزلة الغبىِّ أو السفيه
هنالك حىُّ أهلك ، فاطلبيه   على بركات ربك واحمـديه
إلهـاً ما لما يقضيه ماح

* * *

قضيتَ الحق ، فاغنم الجزاء   وزد يا سـعد فى الدنيا علاء[٢]
وسعت غزاة ذى قَرَد سخاء   وكنت لهم أخاً يرعى الأخاء
بعثت التَّمْرَ يُعجبهم نماء   وَسُقْتَ البُدْنَ تُطربهم رُغاء[٣]
قِرَاكَ إذا هُمُ التمسوا الغــــذاء   وَبِرُّكَ ، لا يزال لهم رَجاء
كذلكَ أنت ما تألوا وفاء   وَحُبّاً للأُلى صدقوا البـلاء

---

(١) الأصر الثقل أو العبء الثقيل .

(٢) سعد بن عبادة رضى الله عنه ، بعث إلى المسلمين فى هذه الغزوة بأحمال من التمر ويعشر جزائر ، فقال النبى : اللهم ارحم سعداً وآل سعد ، نعم المرء سعد بن عبادة ، فقالت الأنصار : هو سيدنا وابن سيدنا . من بيت يطعمون فى المحل ، ويحملون الـكل الضعيف وينهضون بأمر العشيرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : خيار الناس فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فقهوا فى الدين .

(٣) البدن جمع بدنة ، وهى الأضحية السمينة .

بُناةُ الحقِّ ، ما مَلُّوا البِناءَ   وإن عَلَت الدِّماءُ بهِ الدِّماء
أجَلْ يا سعدُ فارفعها سماء   تُجاوِزُ كُلَّ مُطَّلَعٍ سَناء
جَرَى الكرماءُ ، فانتهبوا الثناء   وما بلغوكَ جوداً أو عطاء
رُزِقتَ البأسَ أجمعَ والمضاء   فكُنتَ أحقَّ من منع اللّواء

بِشُكرٍ في الهزاهزِ وامتداح[1]

رسولُ اللهِ يُؤذِنُ بالإياب   ويرجع بالأحبةِ والصحاب
يسيرُ من الجلالةِ في ركاب   تَدينُ لعزِّهِ غُلْبُ الرقاب
تُسايرُهُ بآياتِ الكتابِ   مُرَتَّلةً بأنغامٍ عِذاب
صفوف من ملائكة طِراب   تُظَلِّلُهُ بأجنحةٍ رِطاب

ترفُّ على الروابي والبطاح

حبا ابنَ الأكوع الشرف المنيفا   وحسبك أن يكون له رديفا[2]
كذلك يرفع الله الشريفا   ويجزى المؤمن البرَّ الحنيفا
أطيلي ناقةَ الله الوجيفا   ووالى الخطو مرتجلا خفيفا[3]
حملت أجلَّ من يحمى الضعيفا   وأعدل من يحاذر أن يحيفا
حماكِ ، وعطَّلَ النذرَ السخيفا   وأمضى حكمه سمحاً عفيفا
حملتِ الليثَ ، فالتمسى الغريفا   جُزيتِ كرامة ، ورزقت ريفا[4]

وبوركِ في غدوكِ والرواح

رسولُ الخير جاء بكل سمح   من الأخلاق في صدق ونصح

---

(١) الهزاهز الأمور العظيمة تحرك الناس ، والحروب .
(٢) رجع النبي إلى المدينة على ناقته العضباء مردفاً سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .
(٣) الوجيف نوع من سير الإبل والخيل .
(٤) الغريف الغيضة أو الأجمة ، والشجر الملتف ، والمقصود هنا بيت الأسد .

تدارك سَورة البطل المُلِحِّ   وأوصاه بإحسان وصفح[1]
وكان القوم في جهد وبرح   وراء الماء ما ظفروا برشح
تنحَّوا عنه إذ كره التنحى   فما ابتلَّت جوانحهم بنضح
ولو أخذُوا بتقتيل وذبح   لما اعتصموا بسيف أو برمح
صنيعة محسن يمسى ويضحى   له تاجان من شكر ومدح
رحيمِ القلب ، يأسو كل جرح   ويعتدُّ الجميل أجلَّ فتح
وما ينفكُّ في كدٍّ وكدح   يقيم الحق صرحاً بعد صرح

ويحمى الدين من كل النواحي

---

(١) هو سلمة رضى الله عنه ، طارد القوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء يخبر النبي فقال له : ملكت فأسجح فتركهم يشربون .

غـزوة الحديبية

ويقال لها عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم فى ألف وأربعمائة ـ على أصح الروايات ـ من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذى القعدة من السنة السادسة . وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محلقين رءوسهم ومقصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرفات مع الواقفين .

قص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذى الحليفة والهدى يساق بين أيديهم ، ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف ، وكانوا يخافون أن تصدهم قريش عن البيت ، وعلم النبى أنهم خرجوا فى نسائهم وصبيانهم متأهبين للقتال . فصف الجيش ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت الرسل بين الفريقين ، فعقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة فى تقديرها ، فقال بعضهم عشر سنين ، وقال بعضهم أربع ، وقيل سنتان ، وأن من جاء إلى النبى من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى المشركين بمكة مرتداً من المسلمين احتسبوه عندهم وأن يرجع النبى وأصحابه ، ثم يعودون للطواف بالبيت فى العام التالى ، لا يحملون سوى سلاح الراكب ، فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة ، وقد ثارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم وحكمته التى تجلت آثارها بعد ذلك ، وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة .

منك الحنين ، ومنه ما هو أعظم … لو يستطيع أتاك لا يتلوّم[1]
البيت أنت به أحق وإن أبى … من أهل مكة جاهل لا يعلم
ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها … فاصبر على ثقة ، وربك أكرم
إن يخل منها اليومُ ، فالغد بعده … بالخير والرضوان منها مُفعَم[2]
سريا رسول الله جندك باسل … وقواك محصدة ورأيك محكم[3]
آثرت ربك وحده ، لا تشتكى … فيه من الأهوال ما تتجشم

(١) التلوم التمكث والانتظار .
(٢) ملآن .
(٣) المحصد المحكم الفتل .

ومضيت معتمراً بصحبك محرماً … والهَدْىُ حال بالقلائد معلم[1]
والمؤمناتُ الصالحاتُ كأنما … فيهن سارة والرضية مريم[2]
من كل أمٍّ برة لم يلهها … بَعْلٌ ، ولم يَغلب نوازعَها ابْنَم[3]

* * *

يا طيب ما لبيت ربك إنه … للحق يزلفه فؤادك والفم[4]
أين الشريك لمن تصرف وحده … فى مُلكه ، أَمَنْ سواه المنعم ؟
لبيك ربى ، إن قضيت لنا الهدى … فكتابك الهادى ، وأنت الملهم

* * *

تلكم قريش أقبلت فى غضبة … مشبوبة ، وحميَّة تتضرم
قالت : أيدخلها علينا عنوة ؟ … السيف أولى أن يُحكَّمَ والدم[5]
وروى ابن سفيان الحديث ، فلو درى … لغة السيوف خالها تتكلم[6]
أصغت إليه ، فلم يقرّ بغمده … منها على طول التحلّم مخذم[7]
يجد التقاةُ المحرمون ولا كما … يجد التقىُّ من السيوف المحرم

(١) الهدى ما يهدى إلى الحرم من النعم .
(٢) خرجت أم سلمة وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية ـ رضى الله عنهن ـ مع الجيش فى هذه الغزوة .
(٣) ابن .
(٤) لبى صلى الله عليه وسلم بقوله ـ لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك يزلفه بمعنى يقربه .
(٥) قالوا : أيريد محمد أن يدخلها مكة علينا فى جنوده معتمراً ، فتسمع العرب أنه دخل علينا عنوة . وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبداً ومناعين تطرف .
(٦) هو بسر بن سفيان أرسله النبى إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول انهم استنفروا من أطاعهم من العرب ، وخرجوا بالنساء والصبيان ، ولبسوا جلود النمر ، وإنهم نزلوا بذى طوى يتعاهدون على صد المسلمين ـ قال : وهذا خالد ابن الوليد فى خيلهم عند كراع الغميم .
(٧) المخذم السيف القاطع .

أبدتْ تباريح الهموم شديدة   وأشـــدُّ منها ما تُجنُّ وتكتم

ودّت لو ان الله قال لها ،اضربى   فمضت ، تظللها النسور الحوّم

* * *

قال النبى أَنتّقيهـا خُطّةً   هى ما علمتم ، أم نجدّ ونقدم ؟[1]

فأجابه الصّدّيق بلى نمضى إلى   ما كنت تنوى بالخروج وتعزم

ورمى بها المـقداد خطبة مؤمن   يرمى الخطوبَ بنفسه ، لا يُحجم[2]

ومضوا يرون المشركين بذى طوى   والخيل شتى ، والخميس عرمرم[3]

* * *

أبلال أذِّنْ للصـلاة ، فإنها   أسنى وأشرفُ ما يحبُّ المسلم[4]

نهض النبىُّ يُقيمها فى صحبه   لله ، تبـدأُ بالخشوع وتُختم

وأعدَّ طائفة تقوم ، فتتّقى   كيد العـدو إذا يكر ويهجم

حتى إذا سجد الرفاق تخلّفوا   عنهم ، فضوعف أجرهم والمغنم

* * *

(١) لما سمع النبى أن المشركين يريدون منعه عن البيت ، قال لأصحابه : أشيروا على أيها الناس ، أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً . فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه .

(٢) المقداد بن عمرو ، قال يا رسول الله ـ لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولـكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . والله لو سرت بنا إلى (برك الغماد) سرنا معك ما بقى منا رجل ، قال : فامضوا على اسم الله ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة صفحة العنق ، كناية عن القتل .

(٣) الخميس العرمرم الجيش الـكثير العدد .

(٤) صلاة العصر كانت بعسفان وهو موضع قريب من كراع الغميم ـ موقف خالد بن الوليد بالخيل ـ صف النبى المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا ، واعتدل فاعتدلوا ، فلما سجد سجد معه الصف الأول سجدتيه ، وتخلف الصف الثانى فبقى معتدلا للحراسة ، ثم قاموا فسجد هؤلاء وقاموا ، ثم تقدم الصف الثانى وتأخر الأول ، فقام بالحراسة على النحو السابق ، فلما جلس النبى للتشهد فى الركعة الأخيرة جلسوا جميعاً فتمت الصلاة .

جيش الهدى واليُمنِ عند جلاله   بيمين قائده يُصفُّ ويُنظم

جعل ابن بشر[4] فى الجهاد لخالد   يلقاه إن جمعَ الفوارسَ مأزم[1]

* * *

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره   وأضلَّ غيرَهم الطريقُ المظلم[2]

يمضى الدليل بهم ، ويذهب موقنا   ثبتاً ، فما يرتاب أو يتوهم

بوركت ناجيةَ بن جندب من فتى   جلد على الضراء لا يتبرم

وجب الثناء لأسلمىٍّ ماجد   شرفت به نسباً ، وعزت أسلم

* * *

تلك الحديبية المحبّب ذكرها   للحق فيهـا منزل ومخيّم

نزل الهـداة بأرضها ، فكأنما   طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم

يا مبرك القصوى أتاك رسالة   جاءتك ، أم هى من كلال ترزم ؟[3]

أبت المضى ، ولم يكن ليعوقها   لو شاء ربك مبرك أو مجثم

لو شاء أرسلها فزلزل مـكة   خطبٌ يضجُّ له الحطيم وزمزم

* * *

أبديل أقبل فى رجالك ، والتمس   علم اليقين لمن يظن ويزعم[4]

قال النبىُّ أتيتُ غير محاربٍ   وانظر ، فإن الحرب لا تتلثم

الهدىُ حولك،والسيوف كما ترى   مقروبةٌ ، وكأنما هى نوّم[5]

(١) لما صف النبى الجيش جعل عباد بن بشر بإزاء خالد بن الوليد والأزم المضيق .

(٢) قال النبى : من يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم هو ناجية ابن جندب: أنا يا رسول الله، ومشى أمام الجيش فى طريق وعر حتى جاءوا الحديبية بأسفل مكة .

(٣) ناقة النبى ، بركت فى مكان هناك ، فعلم أن الله لا يحب أن يدخل مكة عنوة .

(٤) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة قدم إلى النبى من قبل قريش فى رجاله من خزاعة يسأله ماذا يريد ؟ فقال ، ما جئت للحرب ، ولـكنى جئت زائرا للبيت . ومعظماً لحرمته ، فلما عادوا إلى قريش وأخبروهم بذلك اتهموهم وأحفظوهم بسىء القول .

(٥) مقروبة مغمدة فى قربها جمع قراب وقراب السيف غمده .

ما جئت إلا للبنِيَّة زائراً   أقضى لربى حقهـا وأعظِّم
إرجع إلى القوم الغضاب ، وقل لهم   ردُّوا النفوس إلى التى هى أقوم
إن تمنعوا البيت العتيق يكن لـكم   يوم من الحدثان أربد أقتم
البيت بيت الله ، جل جلاله   ولَنحن أولى بالمنـاسك منهم

* * *

نصح ابن ورقاء الرجال ، فياله   من ذى مناصحة يُسَبُّ ويُشتم
قالوا : أندعن صاغرين ؟ وأقسموا   أن ينبذوا المثلى ، فبئس المقسم
وتتابعت رسلٌ ، فمنهم غادر   يبغى الفساد ، وحاذر يتأثم[1]
ومُقَسَّم الأخلاق يحسن مرة   ويسىء أخرى فى الحوار فيعرم[2]
أهوى على يده المغيرة ضارباً   لولا الأناة لطار منه المعصم
ما انفكَّ يضربه بمقبض سيفه   والسيف يُغضى ، والمنية تحلم
أسرفت عروة فاقتصد، واقبض يداً   ريع السماكُ لها ، وغيظ المرزم[3]
كيف ارتقيت إلى محلٍّ ماله   راق ، ولو أن الـكواكب سلم ؟
أبلحية المختـار تمسك ؟ إنها   لتُصان فى حرم الجلال وتعصم
أحسنت قولك فى الذين ذممتهم   وأبى الذين طغوا ، فأنت مذمم[4]

---

(١) الغادر هو مكرز بن حصن، بعثوه إلى النبي ، فلما رآه مقبلا قال: هذا الرجل غادر ، وكان ما أخبره به كالذى سمعه بديل بن ورقاء والحاذر هو الحليس بن علقمة سيد الأحابيش .

(٢) عروة بن مسعود الثقفى أسلم بعد ذلك وفد على النبي فجلس بين يديه ثم قال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت فيهم إلى بيضتك لتفضها بهم، إنها قريش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وأيم الله لـكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك ، ثم جعل يتناول لحيته الشريفة وهو يكلمه على عادة العرب ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف ويعرم بمعنى يفارق القصد ويجاوز الحد .

(٣) السماك نجم والمرزم الأسد .

(٤) لما رجع عروة إلى قريش قال : إنى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، فوالله ما رأيت ملكاً فى قومه قط كمحمد فى أصحابه ، إنى رأيت قوماً =

عابوك إذ قلت الصواب جهالة   أيعاب من يأبى النفاق ويوصم ؟
صدق الحُليس فأوجعوه ملامة   والقوم لليقظ المسـدد لوَّم[1]
بعث الهداة الهَدْى ، ثمت أقبلوا   يلقونه ، فعـناه همٌّ مؤلم
جاءوه شعثاً يرفعون لربهم   صوتاً يردده الأصم الأبـكم
فهفت جوانحه ، وقال على أسىً   سبحان ربى ، مالنا نتجرم ؟[2]
سبحانه ، أنصـدُّهم عن بيته ؟   إنا إذاً قوم نجور ونظلم
مولى الأحابيش الذين تألهوا   لا يتبعون سبيل أقوام عموا
نبذتْ قريش رأيه ، واستكبرت   والغىُّ أنـكد ما علمت وأشأم

* * *

اذهب خراشُ إلى قريش ناصحاً   فلعلها تبغى الصواب فتفهم[3]
عقروا بعيرك ناقمين ، وأوشـكوا   أن يقتلوك ، فليتهم لم ينقموا
لولا الأحابيش استُحلَّ بظلمهم   منـه دم ما يُستحلُّ محرم

* * *

= لا يسلمونه لشىء أبداً ، فروا رأيكم فإنه عرض عليكم رشداً ، إقبلوا ما عرض عليكم فإنى ناصح لكم ، وأنكم لن تنصروا عليه ـ قالوا : لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور . . قال ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف ـ وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى الذى عنته قريش بقولها (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقيل هو الوليد بن المغيرة .

(١) سيد الأحابيش لما رآه النبي قال : هذا من قوم يتألهون ، أى يتعبدون ويعظمون أمر الله ، إبعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رآه يسيل عليه بقلائده من عرض الوادى قد أكل أوباره من طول الحبس ، واستقبله المسلمون يلبون قد شعثوا ، صاح قائلا : سبحان الله . ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، هلكت قريش ورب الكعبة ، وعاد إليهم فنهاهم عما اجتمعوا له ، فغضبوا وقالوا : إجلس فإنما أنت أعرابى ولا علم لك ، فثارت نفسه ، ونوى الإنفصال عنهم .

(٢) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو برىء .

(٣) خراش بن أمية الخزاعى بعثه النبى إلى قريش وحمله على بعير له ليبلغ رؤساءهم أنه ما جاء محاربا فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش .

ذهب ابن عفان إليهم يبتغى / أن يؤثروا الرأى الذى هو أحزم [١]
فأبوا وقالوا ، لا فكاك لكم وما / نحن الألى نأبى الهوان فنرغم
هم أمسكوه ثلاثة فى صحبه / ورموا بها ملمومة تتقحم
أفلا رعوا رسل النبى وصهرَه ؟ / إن العقول على المراس لتعقم

* * *

دبّ ابن حصن فى الظلام، فراعه / يقظان مثل الصلّ ليس يهوِّم [٢]
حمل ابن مسلمة فغادر صحبه / ومضى ، فلا رجع الجبانُ الأيهم [٣]
جاءوا المعسكر أربعين ، يقودهم / أسرى عليهم للمذلة ميسم
وأتى الرماة فجال فى أحشائهم / سهم تظل به السهام تحطم [٤]
منع الأسى ، وشفى كلوم قتيلهم / شكوى قلوب من قريش تكلم [٥]
أشقى الأذى والغدر جدَّ رجالهم / وجرى لهم بالأسر طَيْرٌ أسحم
سقطوا ، فحسب القوم ما يجدونه / وكفى شهيد الحق ما يتسنم

* * *

بعثت قريش أطلقوا أصحابنا / وخذوا الرهائن والأسارى منكم [٦]

(١) هو عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ذهب إليهم فى عشرة رجال من أصحابه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا ، واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .
(٢) مكرز بن حصن ، بعثته قريش فى أربعين رجلا ليطوفوا بمعسكر المسلمين ليلا ، لعلهم يصيبون منهم أحداً ، أو يجدون منهم غرة ، وكان المعسكر فى حراسة محمد بن مسلمة رضى الله عنه ، فحمل عليهم وأسرهم إلا مكرزاً (الغادر) فإنه أفلت والصل الثعبان وهوم الرجل هوم رأسه من النعاس أو نام قليلا .
(٣) الأيهم من لا عقل له ولا فهم .
(٤) لما أسر محمد بن مسلمة من أسر بعثت قريش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وأعان الله عليهم ، فأسروا منهم اثنى عشر رجلا .
(٥) هو ابن زنيم رضى الله عنه أصابه سهم فمات .
(٦) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضى الله عنهم .

صُدموا بقارعة تفاقم صدعها / لولا سفاهة رأيهم لم يصدموا
لولا الضراعة من سهيل هدَّهمْ / بأس تهُدُّ به الجنود وتهدم [١]
بئس المآب لعصبة تأبى الهدى / بيضاً معالمه ، ونعم المقدم
يا تارك الطغيان يعبس جده / أقبل ، فجدك مقبل يتبسَّم
من حق ذى النورين أن يدَعِ الدجى / خزيان ، يُلطم وجهه المتجهم
أإليك مد ذوو العمى أظفارهم ؟ / فانظر إلى الأظفار كيف تُقلَّم

* * *

هى بيعة الرضوان لم تترك لهم / ليلا ينام ، ولا صباحاً ينعم [٢]
سهد يشق على العيون مبرح / وأسى يعَضُّ على القلوب مسمَّم
فكأنما فى كل عين مِبرد / وكأنما فى كل قاب أرقم [٣]
المسلمون يبايعون نبيهم / يستمسكون بعروة ما تُفصم
لا يحسبون دم المجاهد مَغرماً / هو عندهم إن لم يُرِقه المغرم
إن ضمَّهم عند الشهادة موردٌ / لَذَّ المذاق لهم ، وطاب المطعم
الله مولاهم ، ونصر رسوله / حقٌّ عليهم فى الكتاب محتَّم

(١) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش إلى النبى فى جمع ، فتقدم إليه صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد إن الذى كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا كارهين له . حين بلغنا ، ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانياً . قال رسول الله ـ إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى : فقالوا نفعل ، وقضى الأمر على هذا .
(٢) كان النبى صلى الله عليه وسلم جالساً تحت شجرة من السمر فدعا أصحابه ـ أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فاخرجوا على اسم الله ـ فأقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا ، فإما الفتح ، وإما الشهادة ، وقد خوطبوا بقوله : أنتم خير أهل الأرض ، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجداً عندها يصلون فيه ، وعلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يفتنوا بها .
(٣) الأرقم أخبث الحيات وأطلبها للناس أو مافيه سواد وبياض أو ذكر الحيات .

نهضوا خِفافاً ، لو رأيت جموعهم   لعلمت أى الناس إيمـــاناً هُمُ

ما منهمُ إلا على يَدِهِ يَدٌ   لله ، ينظر نورها المتوسم

لُثِمَتْ بإيمان القلوب ، وإنها   لَتُرى على مَرِّ الزمان فتُلثَم

نعم العطاء لمعشر ما بينهمْ   نَـكِد يُردُّ ، ولا شَقِىٌّ يُحرم

ما جلَّ مُدَّخر بخيم شأنه   إلا الذى ادخروا أجلُّ وأفخم

* * *

هــذا سهيل جاء يحمل سؤلهم   ويعيب ما صنع الرماة ويـنـدم[1]

ويقول : دعها يا محمد خطة   يُرمى بها الشرف الرفيع فيُثلم

إنا نخافُ العارَ ، فَلْيَكُ بيننا   صلح ندين به ، وعهد مبرم

الحرب تُوضَع بيننا أوزارها   وتعود إن جمع الحجيجَ الموسمُ

لكَ من سلاحك ما تَقلَّدَ مُنجد   يبغى السلامة ، أو تزوَّدَ مُتهم[2]

واجعل سيوفك فى الغمود ولا تضق   بالشر يُدرأ ، والمضرة تحسم

حدُّ المقام ثلاثة ، فإذا انقضت   فدعوا منازلنا ويثربَ يمِّموا

من جاء منـكم لا يُردُّ ومن يجئ   منا ، فمردود إليـنـا مسلم

هذا الذى نرضى ، فهل من كاتب   يشفى الصدور بما يخطُّ ويرقم ؟

* * *

(١) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش لعرض الصلح على النبى ، فرضيه حقناً للدماء ، وإيثاراً لما هو أحق وأولى . فبدا التذمر من بعض المسلمين ، وذهب عمر غاضباً حتى أتى أبا بكر فقال له : أليس هو برسول الله ؟ قال . بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى : قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال . بلى ــ قال . فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال له أبو بكر يا عمر الزم غرزه فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أقبل عمر على النبى فقال له مثل ما قال لأبى بكر فقال له : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره . ولن أخاف أن يضيعنى .

(٢) أنجد الرجل أتى نجداً أو خرج إليها أو دخل فى بلادها ، وأتهم أتى تهامة أو كان كذلك .

رضَى النبىُّ يريد رحمة ربه   هو عبده ، وهو الأبرُّ الأرحم

صاح الرجال ، وراح فاروق الهدى   يهتاج فى برديه فحل مُقرِم[1]

ويقول للصـدِّيق من هو يا أبا   بكر ؟ وأية ملة نترسم ؟ ؟

أهو الرسـول ونحن نتبع دينه ؟   فلِمَ الهوان ؟ ومالنا نستسلم ؟

اللين من خلق الضعيف ودأبه   ومن العجائب أن يلين الضيغم

مهلا هداك الله ، والزم غرزه   إن كنت تطلبُ خير غرز يُلزم[2]

إهناً أبا بكر قضيت بحُجَّةٍ   صدَع اليقينُ بها ، وأنت مترجم

وأبو عبيـدة إذ يعوذ بربه   يخشى بوادرَ صدعُها لا يُلأم[3]

يرقى من الفاروق نفساً صعبة   تأبى عوارمها إذا ما تُعجَم

قال النبىُّ كفاك يا عمر اتَّئد   فالحق فى سـلطانه لا يهزم

أرضى وتأبى أنت ؟ ؟ إن وراءنا   لو كنت تعلم ، ما نحبُّ ونرأم[4]

إنى رسـول الله ليس بخاذلى   والله يُقـدِّر ما يشاء ويقسم

الأمر غيب ، ما لمثلك مطمع   فى علمه ، والغيب باب مبهم[5]

* * *

اكتب علىُّ فلن ترى من جامح   إلا يُزمُّ على الزمان ويُخطم[6]

(١) المقرم البعير المكرم ، لا يركب ولا يذلل .

(٢) الغرز ركاب الرحل من الجلد .

(٣) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبى فى الأمر : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وجعل يكررها والصدع الشق ويلأم يلتئم .

(٤) قال الرسول الكريم لعمر : يا عمر إنى رضيت وتأبى .

(٥) مغلق .

(٦) قال النبى لعلى بن أبى طالب ، اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش ــ قالوا . وأول من كتبها أمية بن الصلت ــ وقال لعلى بعد أن كتبها ، اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : =

وأبى سهيل أن يكون كتابه   سمحاً ، عليه من النبوة روشم[1]

قال : امح باسم الله وامح رسوله   أتريدها صاباً بسمٍ تؤدم ؟[2]

الدين مختلف ، وليس لنا سوى   ما كان أورثنا الزمان الأقدم

فأبى علىٌّ ما أراد ، وهاجه   حرد الأبىِّ ، فغيظه ما يكظم[3]

قال النبىُّ افعلْ ، وسوف بمثلها   تسقى ، فتغضى الطرف، وهى العلقم

* * *

نظر ابن عمرو نظرة ، فرأى ابنه   يبغى الخطى عجلى ، ويأبى الأدهم[4]

قال : ارجعوه فذاك أول عهدكم   فلئن أبيتم لَهُوَ عهد أجذم

وانقضَّ يضربه ، فيالك مسلماً   فى الله يُضرب من أبيه ويلطم

رقَّتْ قلوب المسلمين لخطبه   فجوانحٌ تهفو ، ودمع يسجم

= لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال النبي لعلى . امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ، فمحا النبي الكلمة بيده الشريفة وقال لعلى ، اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد ـ يشير إلى ما وقع بين على ومعاوية فى حرب صفين ، فقد كتب الذى تولى عقد الصلح بينهما : هذا ما صالح عليه أمير المؤمنون على بن أبى طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو ابن العاص (أحد الحكمين) ! اكتب اسمه واسم أبيه ، وقال معاوية لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ، فمحيت كلمة أمير المؤمنين وكتب مكانها (على بن أبى طالب) وخزم يقاد بالزمام وهو الحبل يخطم بوضع الخطام وهو الحبل فى عنقه أو عليه وعلى أنفه .

(١) الروشم الطابع .

(٢) تؤدم بمعنى تخلط .

(٣) الحرد الغضب ، وكظم غيظه كتمه .

(٤) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . كان يعذب بمكة لإسلامه فأفلت من المشركين وجاء يرسف فى الحديد ثم رمى نفسه بين أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهنئونه ، وقام إليه أبوه فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه . يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه . فقال : صدقت . وأخذ ببرده يرده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونى عن دينى ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال النبي يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم .

أخذ النبىُ بثوبه فأعاده   يبنى لأمته البناء ويدعم

قال : انقلب، وكفى بربك حافظاً   إنَّ التوكُّل للسلامة توأم

فمضى يقول : ألا ذمامٌ لامرىءٍ   يبغى الفرار بدينه يستعصم ؟

عُدْ فى قيودك واصطبر، إن الأذى   لأضرُّ ما انتجع الرجال وأوخم

كم للألى اتَّبعوا الهدى من مغنم   فى حرمة تبغى وحقٍ يهضم

خير على خير يضمُّ ركامه   شرٌّ على شرٍّ يضم ويركم

يترنَّم الباكى وإن بلغ الأسى   منه ، ويبكى الناعم المترنم

أخذوا الصحيفة فهىَ فى أوهامهم   كالكنز يأخذه الفقير المعدم

طاروا بها فرحاً ، وبين سطورها   دهياء بارزةُ النَّواجذِ صَيْلَم

نصرٌ مضى لمظفَّرينَ أعزَّةٍ   لم يمض منهم مخذم أو لهذم

ليس التصرف للقواضب ، إنها   بالرأى تحكم فى الرقاب وتُحكم

المبغى حينٌ ، ثم يقصم صلبه   والعدلُ صابٌ قائمٌ ما يُقصم

ولقد يُقامُ العرسُ من سفه الألى   فرحوا ، وأولى أن يُقام المأتم

مِنْ مكرمات الحق أن وليَّه   بأشدِّ ما يرمى يُعانُ ويخدم

وأحق من حمل اللواء مجاهد   ماض على هول الخطوب مصمِّم

وَفِّ المطالب حقها ، واصبر تفزْ   ما خاب إلا من يملُّ ويسأم

هـذا نظام للشعوب ، ومنهج   حق يراه فصيحها والأعجم

نزل الكتاب به ، فأيقن مهتد   وارتاب ضِلِّيل ، وجَّ مرجم

طبُّ الهدى الشافى، وأعجب ما أرى   طبٌّ تصحّ به النفوس وتسقم

خزاعة وبنو بكر

فى هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخل بنو بكر فى عهد قريش ، فساء ذلك كثيراً من رجالهم ، ومنهم حويطب بن عبد العزى ، فقال لسهيل بن عمرو : باد أنا أخوالك بالعداوة وكانوا يستترون منا. قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد إنهم قوم اختاروا لأنفسهم أمراً ، فما نصنع بهم ؟ .

قال حويطب : تنصر عليهم حلفاءنا بنى بكر ، قال سهيل : إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر ، فإنهم أهل شؤم ، فيسبوا خزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، وينقض العهد الذى بيننا وبينه .

خزاعة أبشرى بالعهـــــد سمحا ... وزيدى دولة الإسلام فتحا
كفى بذمام أوفى الناس عهداً ... لـكلِّ معاهـــــد غنما وربحا
ألحّ على بنى بكرٍ شقاءٌ ... تَزِلُّ له العقولُ إذا ألحّا
هُمُ اتَّبعوا الألى انقلبوا بقَرح ... فزادوهم بمـــا اقترفوه قَرحا(١)
حُوَيْطِبُ ما يُغيظك من رجالٍ ... هموا ضربوا عن الغاوين صفحا ؟
أتيح لِقَدْحِهم فوزٌ مبينٌ ... وخُيِّب من أحبَّ ذويك قِدحا(٢)

* * *

رويدكَ ، إنَّ أخوال ابن عمرو ... لأرفع قبَّـــة وأعزُّ صرحا
ولولا ما برأيك من ضلال ... لجانبت الملام ، وقلت : مرحى(٣)
أمن عرف الرشاد فطاب نفساً ... وأقبل يبتغيه كمن تنحَّى ؟
تحاول أن تثير الحرب حتى ... تراها تلفح الأبطال لفحا
لقـــد مضت المقالة من لبيب ... يقول الحق ، لا يألوك نصحا

---

(١) القرح الجرح .
(٢) القدح السهم .
(٣) كلمة تقال للرامى إذا أصاب تعجبا .

أتقدح يا حويطب زندَ سوءٍ ... دع الرأى الرشيد ، وزده قدحا
لعلَّك إن رأيت له لهيباً ... تكون أشدَّ من يصلاه برحا

* * *

وراءك يا حويطب كلُّ عضب ... يسحُّ الموت من حدَّيه سحًّا(١)
يجرده لنصر الله قَرم ... يصول فيمسح الأعناق مسحا(٢)
سخيُّ النفس ، والهيجاء تغلى ... فتملأ أنفس الشجعان شحًّا

* * *

بنى بكر أما أبتم حزانى ... كما آبت خزاعة وهى فرحى ؟
هو الجدُّ الشقىُّ علاه جَـــدٌّ ... تلقَّى نعمة ، وأصاب نجحا

---

(١) العضب من السيوف القاطع .
(٢) القرم الفحل الكريم ، وبه يشبه السيد العظيم .

أم كلثوم رضى الله عنها

هى بنت عقبة بن أبى معيط ، وأخت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أسلمت وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت من مكة بعد رجوعه من الحديبية مهاجرة لله ولرسوله . فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة رضى الله عنها وهى من أمهات المؤمنين ، فرحب بها الرسول الكريم ، وخرج أخواها عمارة والوليد فى طلبها ، يريدان ردها بالحق الذى فى العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردنى إلى الكفار ، إنى أخافهم على دينى ، فنزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ـ الآية) والامتحان أن تستحلف المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله ، وبهذه الآية خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذى وضع فى ذلك العهد ، فبقيت السيدة أم كلثوم وكانت أول مهاجرة ، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه .

أجيبى أم كلثوم أجيبى ... ترامت دعوة الداعى المهيب
بمكة إذ يضام الدين فيها ... أحقَّ بكل أفّاكٍ مريب
خذى قصد السبيل إلى ديار ... محبّبةِ المسالك والدروب
حمى الإسلام يمنع كل عاد ... وغيل الحق يدفع كل ذيب
رعاكِ الله ، فانطلقى وسيرى ... ولا تهنى على طول الدؤوب
أردتِ الدين معمور النواحى ... تخوضى البيد مقفرة وجوبى[1]
تُطيلين التلفّت من حذار ... وقلبك لا يقر من الوجيب
رويدك ، إن عين الله ترعى ... خطاك ، فلن يسوءك أن تؤوبى
أرى أخويك فى أمر مريج ... وهمٍّ من مصابهما مذيب[2]
يلفّ حشاهما حزنٌ عجيبٌ ... لِرَوْعَةِ ذلك الحدث العجيب

(١) من جاب قطع .
(٢) أمر مريج مختلط أو ملتبس .

لكلٍّ منهما فى الحىِّ عينٌ ... تدور كأنها عين الحريب[1]
وقلبٌ دائم الخفقان هاف ... طويل الوجد ، متّصل اللهيب
هنا كانت ، فأين مضت؟ وأنّى ... تعاود خدرها بعد المغيب؟
أما عند ابن عفّانٍ شفاء ... فيكشف كربة العانى الكئيب؟
أتذهب أختنا ، لا نحن ندرى ... ولا هو عنده علم اللبيب؟
كفى يا بنت عقبةَ ما لقينا ... من الأحداث بعدك والخطوب

* * *

قفى يا أمَّ كلثومٍ فهذا ... محطُّ الرحل للنائى الغريب
حللت بفضل ربك خير دار ... بطيبة فانعمى نفساً وطيبى
تلقّاك النبى فَدىً بشر ... رعتْ عيناك فى الكرم الخصيب؟
يرحِّب ما يرحِّب ، ثم يضفى ... عليك حنان ذى النسب القريب
وما نسب بأقرب من سبيل ... يؤلّف بين أشتات القلوب
سبيل الله ، ليس إذا ما ... بوتِ السبل أجمع من ضريب
هُدَى السارى ، يسدده فيمضى ... يخترق السباسب والسهوب[2]
يمرُّ بآخرين ، لهم عواء ... يشيِّع بالتوجّع والنحيب
يرى سبل النجاة ، وكيف ضلّوا ... فيعجب للمصارع والجنوب
ويحمد فالق الأصباح حمداً ... يهزُّ جوانح الوادى الطروب
تعالى الله ينزل كل برٍّ ... بعالٍ من منازله رحيب

* * *

عمارة والوليد ولا خفاء ... على فرط التجهم والشحوب

(١) الحريب الذى سلب ماله .
(٢) السباسب جمع سبسب ، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة ، والسهوب بمعناها جمع سهب .

هما عرفا السبيل ، فلا مقام   وكيف مقام مختبل سليب ؟

أهابا بالرسول أعِذْ إلينا   وديعتنا ، فما بك من نكوب[١]

هو العهد الذى أخذت قريش   ومالك غير نفسك من حسيب

سجيَّتك الوفاء ، وما علمنا   عليك الدهر من خلق معيب

برأيك فاقض ، وارددها علينا   فإنك أنت ذو الرأى المصيب

* * *

عناها أن تُردَّ ولا ظهير   يقيها ما تخاف من الكروب

فصاحت : إننى امرأة ومالى   على المكروه من عزم صليب

بربِّك يا محمد لا تدعنى   فريسة كل جبَّار رهيب

يعذِّبنى لأترك دين ربى   إلى دين المآثم والذنوب

أأرجع يا حمى الضعفاء ولهى   ومالى فى ظلالك من نصيب ؟

* * *

أتى التنزيل يصدع كل شكٍّ   ويجلو ما استكنَّ من الغيوب

ويحكم حكمه عدلا وبرًّا   فيُلقى بالدواء إلى الطبيب

إذا جاء النساء مهاجرات   يردن الله ديَّان الشعوب

بقين مع النبىِّ وإن تمادت   لجاجةُ كل عرِّيض شغوب

* * *

ليهنك أم كلثوم مقام   كريم عند مرجوٍّ مثيبِ

وزوجٌ ذو محافظة نجيب   يفىء إلى ذرى النسب النجيب

يفىء إلى ذرى الإسلام منه   فتى للسلم يُرجَى والحروب

---

(١) النكوب الميل والعدول .

وما زيد بن حارثة بنِكْس   إذا التقت الكماة ولا هيوب[١]

أخو المختار من عليا قريش   ومولاه الحبيب أبو الحبيب[٢]

---

(١) النكس الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه . والكماة جمع كمى . وهو الشجاع أولابس السلاح ، لأنه كمى نفسه ، أى سترها بالدرع والبيضة .

(٢) فى البيت إشارة إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

أبو بصير وأصحابه رضي الله عنهم

جاء أبو بصير رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من المحتبسين بمكة ، فبعث أزهر بن عوف أسلم بعد ذلك يطلب رده من النبي فى كتاب يحمله رجل من بنى عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق وقال النبي لأبى بصير : انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا وسيجعل الله لك فرجاً ، فرجع معهما ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله به ، وحمل على الثانى ففر راجعاً إلى المدينة وهو يعدو فى أثره ، وقال الرجل للنبي : قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد ، ثم استغاث به ، وقال أبو بصير للنبي : لقد وفيت بذمتك ، فقال له : اذهب حيث شئت : فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش ، وطار الخبر ، فقدم إليه أبو جندل فى سبعين فارساً ، ولحق به آخرون من المسلمين ، فكانوا ثلثمائة مقاتل . ما رأوا عيراً لقريش إلا أخذوها ، ولا رجلا إلا قتلوه ، فبعثوا يسألون النبي بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم — إنا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فمن جاءك منهم فأمسكه ولا حرج عليك — فكتب إلى أبى بصير وأبى جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهليهم غير متعرضين بأذى لقريش ، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر فمات وهو فى يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

رحمة يا أبا بصير ونعمى ... أذن الله أن تُحلَّ وتُحمى
جاءك الغوث ، فانطلقت حثيثاً ... سر طليقا ، كفاك حبساً وهمّا
أنت أفلتَّ من حبائل قوم ... ذقت منهم أذى كثيراً وظلما
جعلوا الحق خصمهم من غباء ... وغبيٌّ من يجعل الحق خصما
جئت دار النبي فادخل وسلم ... وارع حق المقام روحا وجسما
كم تمنيت أن ترى لك حصناً ... فتأمل حصون ربك شمّا
وارض حكم الرسول إنك مردو ... د ، ومَنْ مثله قضاء وحكما ؟
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف ... فالزم الصبر ، أصبح الأمر حتما

سألا العهد عند أكرم مسئو ... ل فأعطاهما وفاء وحلما
إنقلبْ يا أبا بصير فليس الد ... ين دين الهداة غدراً وإثما
حسبك الله إنه لك عون ... وسيكفيك كل خطب ألمّا
هو مولى المستضعفين ينجِّيـ ... ـهم إذا ما طغى البلاء وطمّا

* * *

عاد يُخفى لصاحبيه من الشنـ ... ـآن ما يملأ الجوانح سُمّا [1]
وشفاها بذى الحُليفة نفساً ... أوشكت أن تزول همّا وغما [2]
نظر السيف فى يدى أحد الخصـ ... ـمين ، يبدى من المنية وَسْما
وهو يطريه فى غرور ويسقيـ ... ـه نفوس الكماة ظنا وزعما
قال : بل أعطنيه أنظره ، إنى ... بسجايا السيوف أكثر علما
ثم غشّاه ضربة عمّمت ... كيف يخشى الهزبر من كان شهما
جاء يصطاده غروراً فأردا ... ه ، وكان الغرور شرا وشؤما
صدَّ عنه رفيقه وتولى ... يتوقى قضاءه أن يحُمّا
طار يهفو كالسهم ، يمضى بعيدا ... وهو أنأى مدى ، وأبعد مرمى
طلب السيف نفسه وهى ولهى ... لو تذوق الردى لما مَرَّ طعما

* * *

كذب الوهم ، ما الحياة سوى الأمـ ... ـن ، وشرُّ الأمور ما كان وهما
وقع الطائر المُسِفُّ على النسـ ... ـر الذى يملأ السماوات عزما
الرسول الذى تدين له الأر ... ض ، وتهفو إليه حرباً وسلما
قال : إنى لهالك ، فأجرنى ... لا تدعنى لبعض صحبك غنما

---

(١) الشنآن البغض .
(٢) المكان الذى قتل الرجل فيه .

ردَّ عني أبا بصير فحسبي   ما جناه عليَّ صدعا وكلما(١)

جرّع الحتف صاحبي وانبرى يطـ   ـلب قتلى ليتبع الجرم جرما

إنه جاء راكضاً يحمل السـ   ـيف فهب لى دمى ، لك الشكر جما

عفّ عنه ، وقال : ما ثم شيء   يا نبي الهدى أرى الأمر تما

صدق العهد ، وانقضى الرد فانظر   ما ترى فاقضه سداداً وحزما

قال : فاذهب فقد برئت ، وظلم   أن يلام البريء أو أن يذما

لك ما شئت أن تحل من الأر   ض سوى أرض يثرب أو تؤما

فتولّى إلى مكان يزيد الـ   ـكفر والكافرين خسفاً ورغما(٢)

كل مال تقلّ عير قريش   بين عينيه ظاهر ليس يكمى(٣)

إنه الأرقم الأصمّ تداعت   فارتمت حوله الأراقم صما

مؤمن حل في العراء محلا   جمع المؤمنين فيه وضمّا

أقبلوا ينسلون من كل أوب   يطلبون المصال قرما فقرما(٤)

لمّ ذو العرش شملهم بعد صدع   وخليق بشملهم أن يُلما

* * *

يا أبا جندل عليك سلام   جئت بالخيل ترجم الأرض رجما

إغتفر ما جنى أبوك سهيل   يوم يطغى عليك ضرباً ولطما

إنما الصابرون أوفى نصيبا   يا أبا جندل وأوفر قسما

أعملوا القتل والنهاب ، وردّوا   كل غنم أصابه القوم غرما

---

(١) الكلم الجرح .
(٢) الرغم الكره والقسر .
(٣) كمى الشيء ستره وغطاه .
(٤) ينسلون يسرعون وأوب مكان والقرم الشجاع .

غارة بعد غارة تأكل المـا   ل ، وتطوى الرجال خضما وقضما(١)

زُلزلوا من أبي بصير بخطب   بالغ صدعه أبى أن يرمّا

مخذم قاطع ، ومسعر حرب   جربته البيض القواطع قدما(٢)

ضاقت السبل والفجاج عليهم   واستحال الفضاء سداً وردما

عاد رتقا كأنه سد يأجو   ج ومأجوج ما ترى فيه ثلما(٣)

جأروا يشتكون ، وادّكروا الأر   حام يستشفعون جبنا ولؤما

واستمدوا الحنان من أعظم النا   س حنانا ، وأقرب الرسل رحما

قال ذو أمرهم : أغثنا ولا تعـ   ـنف علينا ، إن القلوب لتعمى

أفسَدَ العهدُ أمرنا فعرفنا   ه ، وماذا لنا إذا الأمر غُمّا ؟

قد تركنا لك الرجال فأمسك   كل من شئت منهم أن تُذِما(٤)

حَسْبُنا السّلم يا محمد إن تبـ   ـسُطْ علينا ظلاله ، فنعما

بدّد الضر والأذى بكتاب   نظم البر والمروءة نظما

لم يدعه أبو بصير ورامى الـ   موت يلقى عليه سهماً فسهما

جاد بالنفس وهو في يده يتـ   ـلوه ، ما أعظم المقام وأسمى

آخر الزاد إن أردنا له اسماً   وأراه أجلّ من أن يسمى

قال : أقبل وفرق الناس وليعـ   ـفوا ، فحسب الطغاة قمعاً ووقما(٥)

* * *

---

(١) الخضم الأكل بجميع الفم والقضم الأكل بأطراف الأسنان .
(٢) جاء في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على أبي بصير هذا الوصف (مسعر حرب) .
(٣) الرتق المسدود المغلق .
(٤) أذم فلاناً أجاره .
(٥) وقمه قهره وأذله .

رجع القوم راشدين ، ومن أر   شَدُ مِمَّنْ رمى الضلال فأصمى ؟

وأبو جندل يؤمّ رسول اللّـــه   فى رُفقَةٍ إلى الله تنمى

كوكب الحق والهدى يتقى   من ذويه الهداة نجماً فنجما

طلعوا والزمان أسوَدُ داج   فجلوا من ظلامه ما أدلهمَّا

ورَموا بالشعاع مقتل دين   ردّ وجه الحياة أغبر جهما

إعرف الحق ، لاترعك الدعاوى   فالمروآت والمناقب ثَمَّـــــا

أىُّ مجد فى الأرض ، أو أى فضل   لم يكونوا له أساساً وجذما ؟[1]

* * *

إن فى حكمة الرسول لذكرى   لبيب أصاب عقلا وفهما

هدم الله ما بنى العهد من آ   مال قوم يبغون للدين هدما

كم رأوا من مشاهد الوهم فيه   مشهداً رائع التهاويل نخما

لا يغرَّنَّهم من الغيث وكفٌ   إنه السيل موشك أن يعمَّا

همة من هُدَى الرسول ولود   تورث الشرك والضلالة عقما

لم تزل تضرب الطواغيت حتى   جرَّعتها الرزأين ثـكلا ويتما

إن للحق بعد لين وضعف   قوة تحسم الأباطيل حسما

---

(١) الجذم الأصل .

غـزوة خيبر

كانت هذه الغزوة فى المحرم من السنة السابعة ، فلما أشرف النبى صلى الله عليه وسلم فى جيشه على مدينة خيبر عند الصبح ، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون الفؤوس والمساحى ليعملوا فى مزارعهم ، فأخذهم الرعب وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محاصرين فيها ، ثم خرج رؤساؤهم يبارزون المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان على ابن أبى طالب كرم الله وجهه قد تخلف بالمدينة لرمد أصابه ، فبعث إليه النبي سلمة بن الأكوع ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له النبى اللواء فباشر القتال ، وفتح الله على المسلمين ، وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم . وتترك لهم النساء والذرارى ، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد ،فقبل النبى، وأراد الله له أن يقرهم على أرضهم عمالا ، فساقاهم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقى أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحدث أن ابنه عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء .

أعدِّى النمـــــل خيبر والذبابا   أعدت يثرب الأســـد الغضابا

ومدِّى من حصونك كل عال   ليرفع فى السماوات القبـــابا

سينزع بأسهم حصناً فحصناً   ويفتح عزمهم باباً فبـــابا

أتاك الفاتح المقـــدام يزجى   مع الجيش الدعاء المستجابا[1]

أتوك مكبرين فلا تلوذى   بغير الذعر واضطربى اضطرابا

أما والذاكرين الله فرداً   لقـــد هزوا المخارم والشعابا[2]

أجيبى : أين جندك ؟ واسأليــه   لمن جمع السلاح ؟ وكيف غابا ؟

---

(١) لما أشرف الرسول الكريم على خيبر قال لأصحابه قفوا ، ثم قال لهم قولوا — اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، فلما قالوها قال : أقدموا باسم الله .

(٢) المخارم جمع مخرم ، وهو منقطع الأكمة وأنف الجبل والطريق فى الأرض الغليظة .

تواروا فى الحصون وخادعتهم   ظنون كنَّ حلماً أو سراباً[١]

ولو جعلوا السحاب لهم محلا   لطار الجيش يقتحم السحابا

جنود محمد كالموت يمضى   على قدر صعوداً وانصبابا

وليسوا فى الحروب إذا تلظَّت   كمن جهل الأمور أو استرابا

وفى حصن النطاة لسان صدق   يُعلِّم كل من جهل الحبابا[٢]

رأى الرأى الذى ذاقت يهود   مرارته ، فكان لهم عذابا

أصابتهم حميَّا اليأس لما   تنحى الجيش يلتمس الصوابا[٣]

سل البطل المجرَّب لو أجابا   أيعلم أىَّ داهية أصابا ؟[٤]

رماه بعامر قدر إذا ما   رمى المهجات غادرها خرابا

ولكن المنيــة أخرته   ليبلغ فى غوايته الكتابا[٥]

وخان السيف صاحبه ، فأودى   شهيداً ، برَّ مصرعه وطابا

---

(١) لما بلغهم أن النبي سيغزوهم جعلوا يخرجون ويقفون صفوفاً ثم يقولون ، محمد يغزونا ، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبى بن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذركم ، وأدخلوا أموالكم حصونكم ، واخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه . إن عددكم كثير كانوا عشرة آلاف وقوم محمد شرذمة قليلون ـ عزل لاسلاح معهم إلا قليل .

(٢) وضع اليهود أموالهم وعيالهم فى بعض حصونهم ، وعسكروا فى حصن النطاة ، فنزل المسلمون قريباً من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبي وقال له : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى تكلمنا ، قال هو الرأى : فقال الحباب . إنهم قوم يجيدون الرمى ، وهم مرتفعون عنا ، ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .

(٣) حيا الشىء شدته .

(٤) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز .

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح ، بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة فى ترس عامر فأراد أن يضرب مرحبا من الأسفل فعاد إليه سيفه فأصابه فمات .

(٥) أى الأجل المكتوب له .

هنيئاً عامرٌ رضوان رب   حباك الأجر جمّاً والثوابا

بسيفك ميتٌ موت فتى كريم   يحاذر أن يعيَّر أو يعابا

برزت لمرحب بطلا مهيباً   أبى أن يُتَّقى أو أن يهابا

ولولا نَبوْة للسيف طاشت   بمضربه لأورده التبابا[١]

* * *

توالى الزحف ، واستعرت نفوس   مضت تنساب فى الله انسيابا

لئن خاضت غمار الموت ظمأى   لقد عرفت مشاربه العذابا

سهامُ بواسلٍ لاقت سهاماً   يكاد جبانها يخشى الترابا[٢]

تُحدِّثُ عن مخاوف باعثيها   حديثاً يبعث العجب العجابا

دعتهم للوغى بيض المواضى   وصيَّرت السهام لهم خطابا

ولو ملكت مسامعهم فلبوا   لما ملكوا الجماجم والرقابا

لو ان الحصن أوتىَ ما تمنى   أبى إلا هوِيا وانقلابا

رماه محمد فألحَّ حتى   لأوشك أن يقول : كفى عقابا[٣]

يظلُّ الظرْب يحمل منه طوداً   طوى الأطواد ، وانتظم الهضابا

وأمسك هذه الدنيا ، فأمست   وما تخشى الزوال ، ولا الذهابا

لواء الفتح فى يده رهين   بصاحبه الذى فاق الصحابا[٤]

---

(١) التباب الهلاك .

(٢) اشتد الترامى بالنبل بين المسلمين واليهود . حتى لقد أصابت سهام هؤلاء ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت به .

(٣) ألح الرسول الكريم بالرمى على حصن ناعم إلحاحاً شديداً ويهود تقاتل ، وهو على فرسه الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة ، وفى يده قناة وترس .

(٤) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه : لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه ، لا يولى الدبر ، يفتح الله عز وجل على يده ، فلم يكن من الصحابة أحد له منزلة عنده إلا رجا أن يكون هو المعنى بذلك وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم ، وبعث النبي إلى على بن أبى طالب وهو أرمد ، فدفع إليه الراية وكان أسمها العقاب ثم أعطاه سيفه

يشير إليه محتجباً بوصف ... يكاد سناه يخترق الحجابا
ويذكره وبالفاروق حرص ... على أن ليس يعدوه انتخابا
عليٌّ للعقاب ، وما على ... سوى البطل الذى يحمى العقابا
شهاب الحرب ، لا عجب ولكن ... عجبت لفرقد قاد الشهابا
رسول جاء بالفرج المرجَّى ... وبالنور الذى كشف الضبابا
تقدَّمْ يا على رعاك رب ... كفى عينيك داءك والعصابا
بطبِّ محمد أدركت مالو ... أراد الطبُّ أعجزه طلابا
شفى الرمد الذى آذاك حيناً ... وكان لعزمك الماضى قرابا
خذ السيف الذى أعطاك ، واصدع ... ببأسك هذه الصمَّ الصلابا
حُصُون كلما زيدتْ دعاء ... إلى البيضاء ، زادتها اجتنابا
تُجِبُّ الكبر ، لا ترضى سواه ... على آفاته خلقاً ودابا

* * *

تقدَّمْ ، ما لصيدك من قرار ... إذا لم توته ظفراً ونابا
خذ الذئب اللعين ولا تدعه ... صدود الليث ، يحتقر الذئابا[1]
كفى بالحارث المغرور علماً ... لمن رزق الغباء ومن تغابى
أرقتَ حياته ، فأرقْتَ منها ... صريح الكفر يأبى أن يشابا
ورُعت به أديم الأرض لما ... جعلت عليه من دمه خضابا

* * *

= ذا الفقار قال على كرم الله وجهه ، يارسول الله إنى أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمى ، فتفل فى عينيه بعد أن وضع رأسه فى حجره ـ وقيل أنه تفل فى كفه الشريف ثم فتح عينيه ودلكهما ـ فبرىء .

(١) ذهب على إلى الحصن فركز الراية تحته ، وكان أول من خرج إليه الحارث أخو مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ، وانهزم اليهود إلى الحصن ، ثم برز له مرحب فقتله .

تخيَّلَ مرحب ما ليس حقاً ... ومنَّته الظنون مُنًى كذابا
مشى يختال مرتجزاً فلاقى ... قضاء الله ينسرب انسرابا
سقاه الموت أبيض مَشْرَفىٌّ ... يذيب الموت يجعله شرابا
لك الويلاتُ من ملك غوىٍّ ... أحيط بملكه ، فهوى وذابا
أأعدَّته اليهود لكل خطب ... فضلَّ رجاؤهم فيه وخابا
أما نظروه مأخوذاً ببأس ... يهدُّ البأس أخذاً واستلابا ؟
وكل مغالب ، فله علىٌّ ... غداة الكرِّ يأخذه غلابا
توثَّب يا سِرّ ، فتلقَّفته ... مخالب فاتك ألف الوثابا[1]
أما سمعته خيبر حين يهذى ... فَصَدَّتْ عنه توجعه عتابا ؟
ولو تَسْطِيعُ لاتخذت حياء ... من البيض الرقاق لها نقابا
غُرَابُ الشؤم يُفزعها نعيباً ... فيالكِ بومةً ولدت غرابا
فتى شاكى السلاح ، ولا سلاح ... لمن يبغى من الموت اقترابا
ألا إنّ الزبير لذو بلاء ... وإن خَشِيَتْ صَفِيَّةُ أن يصابا
حوارىُّ الرسول يكون منه ... بحيث يريد صبراً واحتسابا

* * *

تجلَّتْ غرة الفتح المرجَّى ... وأمسى النسر قد طرد الذبابا
وأعولت النُّطاةُ لفقد حصن ... يُعمُّ يهود شجواً وانتحابا[2]

(١) لما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو يرتجز .

قد علمت خيبر أنى ياسر ... شاكى السلاح بطل مغاور

ويقول ، هل من مبارز ؟ فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية . قالت عند خروجه : يارسول الله أنه يقتل ابنى ، فقال لها : بل ابنك يقتله إن شاء الله .

(٢) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فانتقل الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .

هو البأس المدمَّر يا عليٌّ — فدع آطامها العليـا يبابا
وحصن الصعب أذعن بعد كبر — وأعلن بعـد غلظته المتابا(١)
وأدّى ما أعدَّ القوم فيـه — فأمسى بين أعينهم نهابا
وراح المسلمون بخـير حال — ولولا الله ما برحوا سغابا
أتاح لهم على الضرَّاء رزقاً — فأمسى اليسر بعد العسر ثابا
مغانم من عتاد القوم شتى — تجاوز حين تحصيها الحسابا
كفى بالصبر للأقوام عوناً — إذا حدَثٌ من الأحداث نابا
وما أمر اليهود إلى صـلاح — إذا الداعى إلى الهيجا أهابا
مشى لهم الحباب يجرُّ جيشا — شديد البأس ، يلتهب التهابا(٢)
فزلزل حصنهم ، حتى لوَدُّوا — لو ان له إلى الطير انتسابا
ولو ملك الجناح لطار يطوى — طباق الجوِّ ذعراً وارتعـابا
تنادَوا للقتـــال ، فبادرتهم — سـيوف الله شيِّقة طِرابا
وليس لقوم يوشع من بقاء — إذا طعموا الطعان أو الضرابا(٣)
عبـاب الموت يملك جانبيهم — فنعم القوم إن ملكوا العبابا

* * *

تتابعت الفتوح محجَّلات — تزيد يهود حزناً واكتئابا
أصيبوا بالقوارع راجفات — تهدُّ الشيب منهم والشبابا

(١) كان اليهود قد وضعوا فى حصن الصعب شعيرهم وتمرهم ، وسمنهم وزيتهم وشحمهم وماشيتهم ومتاعهم ، فغنم المسلمون كل ذلك ، وكانوا فى حاجة إليه شديدة .

(٢) الحبـاب بن المنذر ، دفع النبى اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح على يده .

(٣) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبارزاً ، فقتله الحباب رضى الله عنه .

فتلك حصونهم أمست خلاءً — كأن لم يعمروا منها جنابا(١)
تساقَوْا بالعراء الذل مرًّا — يود طغاتهم لو كان صابا
وألقوا بالسلاح وما أصابوا — من الأموال جمعاً واكتسابا
وضاقوا بالجلاء فأدركتهم — عواطف محسن تسع الرحابا
أصابوا من رسول الله مولى — يتوب على المسىء إذا أنابا
قضى لهم القضاء ، فلا انتزاحاً — لقوا بعد المقام ، ولا اغترابا
ثووْا فى الأرض عمَّالا عليها — يؤدُّون الإتاوة والنصابا
وُلاة الزرع للإسـلام منهم — شريكٌ ليس يظلم أو يحابى
هداة الناس أرشدهم سبيلا — وأحسنهم إذا انقلبوا مآبا

(١) الجناب الفناء أو ما قرب من محلة القوم .

كنز بنى النضير

هو حليهم الذى كان سلام بن أبى الحقيق حمله فى جلد بعير – وقيل فى جلد ثور – يوم إجلاء بنى النضير وهو يقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها – لما فتحت خيبر سأل النبى عنه فقالوا : أذهبته الحروب والنفقات ، فدفع رجلا منهم اسمه سعية بن عمرو عم حيى بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب ، فدل على مكانه ، وكان حيى قد دفنه فى ذلك المكان .

منايا القوم فى جلد البعير … فأين يضيع كنز بنى النضير ؟
مردُّ الأمر فى رفع وخفض … لهذى الأرض فى الحدث الكبير
كذلك قال أكذبهم مقالا … وأجهلهم بأعقاب الأمور
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلا … وكانوا أهل بهتان وزور
فما صدقوا النبىَّ ولا استحبُّوا … سوى الطمع المخيَّب والغرور
وما الكنز الذى دفنوه إلا … نذير الويل أجمع والثبور
يقول غواتهم : لم يبق شىء … مقال ذوى السفاهة والفجور
فلما مسَّ صاحبهم عذاب … بدا الشرُّ المغيَّب فى الصدور
وجىء بكنزهم إرثاً عتيداً … لوُرَّاث المهالك والدهور
ولو جحدوه أقبلت المنايا … تؤذِّن فى الرقاب وفى النحور
فبادوا فى مصارعهم وعادوا … كطسم أو كعاد فى الدثور
وما برحت عوادى الدهر تجرى … على أهل المآثم والشرور
لهم فى ذمة الفاروق يوم … يطاعنهم بشرٍّ مستطير (١)
فصبراً ، إنه لا بد آت … فما ليهود خيبر من مجير

(١) إشارة إلى اجلائهم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

المخلَّفون

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخرجوا معه طلباً للغنيمة فقال لهم ، لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، وأما الغنيمة فلا ، ثم أمر منادياً ينادى بذلك .

هو الدين ، ما فى الدين غُنمٌ ولا غُرمُ … هو المغنم الوافى ، هو المقتنى الضخم
أتى القوم يبغون القتال لمأرب … وعند رسول الله من أمرهم علم
فقال : ارجعوا لا تجعلوا المال همكم … ولا تجهلوا ، إن الجهاد هو الهمّ
فمن جاءنا يبغى مغانم خيبر … فليس له فيها نصيب ولا سهم
هو الدين دين الله يا قوم خالصا … فإن تلحدوا فيه ، فذلكم الظلم
ألم أدعكم من قبل ، فانصرفتْ بكم … عن الله دنيا الناس وانتقض العزم ؟
عميتم عن المثلى ، وأقبل معشر … مناجيد ، لا عُمى القلوب ولا صُمٌّ
رمَوا فى صدور المبطلين وجاهدوا … لنصرة رب حقه واجب حتم
أولئك أهل الرأى ، لا النفر الألى … تولَّوا ، فلا رأى لديهم ، ولا حزم
أولئك أوفى الناس قسما وخيرهم … جزاء ، فعودوا ، لا جزاء ولا قسم
هو الدم والحق المحتَّم فاعلموا … ولله ما يقضى ، له الأمر والحكم

عبد الله بن أبيّ بن سلول

عقرب السوء تمادى فى الأذى   والأذى بعض سجايا العقرب

ويك عبد الله ماذا تبتغى ؟   تعب الشر ولمَّا تتعب

إتَّئب يا ابن أبيٍّ واجتنب   خطل الرأى وسوء المذهب[1]

أنت أضللت الألى طمعتهم   من وصاياك ببرق خلب[2]

ليس فيما نابهم من عجب   خائب طاح بقوم خيَّب

قومك الأبطال : ماذا صنعوا   بالحصون الشمِّ ؟ قل ، لا تكذب

أتراها فى صياصيها العلى   دافعت عن ياسر أو مرحب ؟[3]

إمتلىء يا ابن أبيٍّ غضباً   ليس يرضى الحق إن لم تغضب

أفما يرضيك فى الدنيا سوى   موقف الجانى ومثوى المذنب ؟

لو صدقتَ الله فى دين الهدى   فزت منه بالذمام الأوثق

خطة المؤمن يمن ماله   دونها من خطة أو مركب

لك فى الإسلام من أعدائه   خلق الذئب ، وطبع الثعلب

هكذا قدَّر ربى وقضى   ما الخبيث النفس مثل الطيب

(١) إتئب بمعنى استحِ خطل الرأى فساده .

(٢) البرق الخلب الخادع الذى لا مطر فيه .

(٣) الصياصى الحصون .

صفيّة أم المؤمنين رضى الله عنها

هى بنت حيي بن أخطب سيد بنى النضير ، وهو من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام . سبيت من حصن الوطيح وكان اسمها زينب . فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفية وكانت زوجاً لكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذى روى أنه لم يدخل بها ـ خيرها النبى صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : أختار الله ورسوله

إن جاءَّ غنم المسلمين بخيبر   فمَا غنمت أجلُّ منه وأكبر

الله أكبر يا عروس محمد   هذا هو الشرف الأعم الأوفر

هــذا مكانك عاليا ما مثله   فى السؤدد العالى مكان يؤثر

يا درة صينت لتاج جلالةٍ   الدر من لحاته والجوهر

الشأن شأنك ، أنت خير صفية   والتاج أنت به أحق وأجدر

أدركت بالإسلام فى حرم الهدى   جهد المنى مما يتاح ويقدر

أدركت دنيا الصالحين ودينهم   فظفرت بالحسنى ، ومثلك يظفر

ولقد غنيت ودون ما تجدينه   دنيا مذمَّمة ، ودين منكر

ذعر الوطيح فأسلمتك حماته   وحللت بالحصن الذى لا يذعر

ما مثل رؤياك التى كانت أذى   رؤيا تفسَّر للنيام وتعبر[1]

أفكنت ناسية ، لجدَّ ذكرها   أثر بعينك يا صفية أخضر ؟

يا ويلتا لابن الربيع يغيظه   هـذا المقام الصعب كيف يُيَسَّر

لطمتكِ من سفه وسوء خليقة   يده ، وتلك جناية ما تغفر

(١) رأى النبى صلى الله عليه وسلم خضرة فى إحدى عينيها فسألها ما خبرها فقالت إنها نامت فى حجر زوجها كنانة بن الربيع وهى عروس . فرأت كأن القمر وقع فى حجرها ، وأخبرته بذلك فلطمها وقال ، تريدين ملك العرب فكان هذا الأثر الأخضر .

ماذا رأيت من الذى أبغضته   ونقمت ما يرضى وما يتخير ؟[1]
أردى أباكِ وهدَّ زوجك بأسه   وأصاب قومك منه موت أحمر
ماذا رأيت ؟ أما عذرت سيوفه   وعلمت أن عدوَّه لا يُعـذَر ؟
ولقـد بلوتِ خلاله فوجدتهِ   نعم الخليل إذا يسوء المعشر
أحببته الحب الـكثير على القِلَى   ولحبُّ ربك ذى الجلالة أكثر
ذهب الرعاة ، فما يسرك صاحب   ورعاكِ صاحبك الأبرُّ الأطهر
آثرتهِ ، ورضيتِ ربك إنها   لله عنـدكِ نعمة لا تـكفر
أعلى محلك فانعمى وتقدمى   بأجلِّ ما يثنى عليه ويشكر
ولأنت إن عظُمتْ فوائد خيبر   أسنى وأعظم ما أفادت خيبر

* * *

يا قبة المختار دونك ما بنى   فى ملـكه كِسْرى وشيَّد قيصر[2]
مثوى يهول الناظرين ومنظر   عجب يروع مقامه والمظهر
فيه الجلال الضخم ، ترتدُّ المنى   من دونه مذعورة تتعثر
فيه السلام لـكل جيل يبتغى   فيه النظام لـكل عصر يذخر
فيه الحياة تُسلُّ من أكفانها   هلـكى الشعوب ، إذا تموت وتقبر

* * *

إيهٍ أبا أيوبَ ما بك ريبة   إن المحبَّ على الحبيب ليسهر[3]

---

(١) قالت : انتهيت إلى رسول الله وما من الناس أحد أكره إلى منه ، قتل أبى وزوجى وقومى ، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلى منه .

(٢) أعرس بها النبى فى قبة بمكان يقال له الصهباء بين خيبر والمدينة .

(٣) بات أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه ليلة العرس متوشحاً سيفه يحرس النبى ويطوف حول قبته فلما أصبح ورأى مكانه سأله : ما جعله يفعل ذلك ، فقال : خفت عليك من هذه المرأة . قتلت أباها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك : قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ، فلما دفن ببلاد الروم أرادوا به شراً فحفظه الله . . .

تأبى الـكرى وتطوف حول محمد   والسيف يقظان المضارب ينظر
ماذا تخاف على حبيبك من أذى   والله كاف ما تخاف وتحذر ؟ ؟
إهنأ بدعوته ، فتلك وقاية   من كل ذى جبريَّة يتنمر
تلك الولائم فى رحاب محمد   شتَّى ، تُسرُّ بها النفوس وتحبر
الصحب من فرح عليها عكَّفٌ   والرسل أجمع والملائك حضر
عرس النبى وأى عرس مثله ؟   هيهات ، تلك فضيلة لا تنكر

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين ، الأولى فى شهر رجب من السنة الخامسة للنبوة والثانية بعد رجوع أكثرهم فى شهر رمضان ــ وقيل شوال ــ عند ما بلغهم إن مشركى مكة أسلموا ثم ظهر لهم غير ذلك ، وسبب هذه الهجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين لما أصابهم الأذى : تفرقوا فى الأرض : قالوا وأين نذهب ؟ ؟ فأشار إلى جهة أرض الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ــ وكان عدد المهاجرين فى المرتين ثلاثة وثمانين رجلا ، وثمانى عشرة امرأة وبعثت قريش فى أثرهم عمرو بن العاص . وعمارة بن الوليد بهدية إلى النجاشى وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين إليهم ، وقال عمرو وصاحبه: إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس . ويقولون فى عيسى بن مريم عليه السلام مالا يرضيك ، فبعث النجاشى إلى الأساقفة فجاءوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبى طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول فى عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم . قال النجاشى : يا معشر القساوسة هذا ما عندكم فى المصاحف ، أشهد أنه رسول الله الذى بشر به عيسى فى الانجيل ، ثم قال للمسلمين : إنزلوا حيث شئتم من أرضى آمنين ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصانى ــ ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لى بها ، وكان عودة هؤلاء المهاجرين فى غزوة خيبر فأمر لهم النبى بأخذ أنصبتهم من الغنائم .

مرحباً بالأحبّة المقبلينا   أطفئوا شوقكم ، وقضّوا الحنينا
أذن الله باللقاء ، وكانت   لوعة للفراق دامت سنينا
إن هذى دياركم فادخلوها   طيّبات لمعشر طيبينا
ادخلوها بنعمة وسلام   واعمروها بأهلكم والبنينا
أقبلوا أقبلوا ، وحيّوا رسول الـ   ـله مستبشراً يمد اليمينا
صافحوه محبّب الوجه سمحاً   والزموه مباركا ميمونا
وانظروا حوله الجنود ألوفا   بعد أن لم تكن تدانى المئينا

واذكروا خطبكم وكيف ذهبتم   خيفة الضيم فى البلاد عزينا[1]
تركبون العباب يأخذه الكبـ   ـر ، فيأبى عنانه أن يلينا
يضرب الموج فى جوانبه المو   ج ، وتزجى السفين فيه السفينا
إتّخذتم أرض النجاشىّ داراً   وتركتم دياركم والقطينا
ملك عادل أقام عليكم   من كريم الجوار حصناً حصينا
ورعاكم رعْى الحفىّ يؤدّى   حق أضيافه وفيّاً أمينا
وجد العار فى هدية عمرو   فأباها وردّ عمراً حزينا
قال : يا ويلتا ، أأهدم مجدى   وأعادى أبوّتى الأولينا ؟
أأبيع الضيوف يا عمرو دعها   خطة تجعل العزيز مهينا
إنها سبة على الدهر يأبى   كل حرٍّ مهذب أن تكونا
راعه جعفر بقول مبين   فرأى الحق واضحاً واليقينا
ودرى أنما السجود لغير الـ   ـله إثم يحيق بالساجدينا
واهتدى قلبه فآثر دين الـ   ـحق فى مجمع القساوس دينا
دلف القوم بالمصاحف لا يد   رون ماذا يريد أن يستبينا
قال : ما عندكم ؟ أما قال عيسى   سوف يأتى من بعده من يلينا ؟
بطَل الشرك ، وانتهى الأفك هذا   خاتم الأنبياء والمرسلينا
كيف نأبى محمداً وهو حق ؟ ؟   أيقول الهداة إنا عمينا
رب إنى آمنت . فاغفر ذنوبى   واهدنى فى عبادك المؤمنينا
هكذا فاز بالكرامة حزب الـ   ـله طوبى لحزبه المفلحينا

* * *

ادن يا جعفرُ لك الرتب العلـ   ـيا ، وكنت امرأ بهنّ قمينا

---

(١) عزين بمعنى متفرقين .

وخذ القُبلة التى هى أقصى ... ما ترجّيه أنفس المتقينا[١]
إدن يا أشبه الرجال بأعلى الـ ... ـناس قدراً وخيرهم أجمعينا[٢]
ولك العذر إن رقصت فهذى ... نشوة الحب تأخذ المخلصينا[٣]
ناد يا شاعر العروبة واهتف ... مرحباً بالأماجد الأكرمينا
هذه خيبر العصية دالت ... لسيوف البواسـل الفاتحينا
نصر الله جنـده وحبـاه ... فى لواء النبى فتحاً مبينا
فخذوا حقكم هنيئاً مريئاً ... واشكروا الله أكرم المنعمينا[٤]

(١) عانقه النبى وقبل ما بين عينيه .
(٢) قال له صلى الله عليه وسلم : أشبهت خلقى وخلقى .
(٣) لما قال له ذلك رقص من لذة هذا الخطاب .
(٤) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من الغنائم .

أم حبيبة رضى الله عنها

هى بنت أبى سفيان . هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً ــ أرسل النبى صلى عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فى المحرم سنة سبع إلى النجاشى ليزوجها منه ، ففعل ودفع الصداق من ماله أربعمائة دينار . أو أربعمائة مثقال ذهب ثم أولم للناس بعد ذلك ، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ، فأمرها برد ما أخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر والطيب ، ثم أرسلها إلى النبى مع شرحبيل بن حسنة .

بشراك أم حبيبة بمحمد ... تمت لك النعمى ففوزى واسعدى
هذا بشير الخير أىُّ طلاقة ... تحكى طلاقة وجهه الغضّ الندِ[١]
حمل الرسالة مشرعا من رحمة ... فيه الشفاء لغلّة القلب الصدِ[٢]
بشراك أم المؤمنين فهذه ... رؤياك عند أوانها والموعد[٣]
بعث النجاشىُّ الوليدة فاسمعى ... أشهى الحديث إلى الكرائم واشهدى
هذا عطاؤك لو يكون مكانه ... أغلى الكنوز خشيت أن لا تحمدى[٤]
نعم العطاء بذلته مرضيّة ... فى الله راضية . ويالك من يد
قلّدتِ أمرك خالداً فمضى به ... شرفاً على شرف أشمّ مخلد

(١) عمرو بن أمية الضمرى .
(٢) المصرع المورد .
(٣) رأت فى المنام كأن قائلا يقول لها . يا أم المؤمنين ، ففزعت وأولتها بأن النبى يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشى فقالت لى . إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يزوجك منه . فقالت بشره الله بالخير ، ووكلت على خالد بن سعيد بن العاص (رضى الله عنه) .
(٤) أعطت الجارية سوارين وخلخالين وخواتم فضة سروراً بما بشرت به .

هتف الرسول : أجب وكيل محمد ... فمشى إلى الملك الأعز الأصيد[١]
يلقاه فى تاج الهدى وسريره ... بين الأرائك والجموع الحشَّد
فى مشهد زانته غرة جعفر ... زين النديِّ ونور عين المنتدى[٢]
جمع الأحبة والرفاق ، فأقبلوا ... من كل عال فى الرجال ممجَّد
أدّى النجاشىُّ الصداق مباركاً ... ملء اليدين يسوقه من عسجد
وأقام لله الولائم كلما ... زادت وفود القوم قال لها : ازددى

* * *

مضت الوليدة بالصداق فصادفت ... كرماً يجاوز مطمع المسترفد[٣]
نالت . ولم تسأل . ولم تمدد يداً ... خمسين ديناراً عطاء كالدد[٤]
فضلٌ لأم المؤمنين تفجرت ... عنه ، فراح يفيض غير مصرَّد[٥]

* * *

تلك الوليدة قال سيدها : ارجعى ... أنسيت حقَّ الضيف عند السيِّد ؟[٦]
رُدِّى العطيّة والهديّة واذكرى ... آلاء ربِّك ذى الجلال الأوحد
لا ترزئى زوج النبى بأرضنا ... شيئاً ، فبئس الزاد للمتزود

* * *

---

(١) عمرو بن أمية .
(٢) أمر النجاشى أن يحضر جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج
(٣) دفع النجاشى الصداق إلى خالد بن سعيد بن العاص فأرسله إلى أم حبيبة مع جارية النجاشى فأعطتها خمسين ديناراً .
(٤) الدد اللعب .
(٥) المصرد المقلل .
(٦) أمر النجاشى أن ترد الجارية جميع ما أخذت ففعلت . وأمر نساءه أن يهدين الطيب إلى أم حبيبة ففعلن ، وقالت الجارية لها حاجتى إليك أن تقرئى النبى السلام وتبلغيه إنى قد اتبعت دينه .

قالت : إليك المال والحلْىَ الذى ... أعطيتنيه ، فليس أمرى فى يدى
أمر المليك فلا مَردَّ لأمره ... ولك الكرامة فى الفريق الأرشد
لى فى ذمامك حاجة منشودة ... لولا الهدى وسبيله لم تُنشد
هل تحملين إلى الرسول تحية ... منى إذا انطلقتْ ركابكِ فى غد ؟
حيِّيه مُنْعمة وقولى : إننى ... أحببته حبَّ التقىِّ المهتدى
ورضيتُ ملّته لنفسى ، إنه ... لعلى طريق للسداد معبَّد

* * *

رضِىَ المليك وراح يحمد ربه ... حمد امرىء للصالحات مُسدَّد
ودعا إلى الصنع الجميل نساءه ... فالطيب ذو عبق يروح ويغتدى
تمشى الولائد خلفه يحملنه ... فى ملتقى بهج وحسنِ تودُّد
يأتين أمَّ المؤمنين يزدنَها ... ويقلن : مهلا كلما قالت : قدى

* * *

سيرى هداك الله شطر نبيِّه ... فى موكب من نوره المتوقِّد
إلّا يكنْ من هاشم وفد فكم ... لله حولك من رسول مُوفَد
جبريل يمشى فى ركابك خاشعاً ... بين الملائك . فاشهدى وتفقّدى
الله بوّأك الكرامة منزلا ... وأعزّ جدّكِ بالنبى محمد

أهل فدك

هم قوم من اليهود بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم محيصة بن مسعود رضى الله عنه وهو على مقربة من خيبر يدعوهم إلى الإسلام وينذرهم عاقبة أمرهم إذا عصوا؛ فقالوا : إن فى خيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب ، فان يغلبهم المسلمون ، على أننا سنبعث معك بعد يومين رجالا للصلح ، وذلك من مكرهم ليروا لمن يكون النصر ، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه ، أرسلوا نون بن يوشع وهو رجل من رؤسائهم فى جماعة منهم إلى النبي يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم .

محيصة بلّغْ ما أُمرت فإنما … هو الدين دين المسلمين ، أو القتل
إلى فدك فاحمل بلاغ محمد … وأنذر بها قوماً أضلَّهم الجهل
أبوا أن يُجيبوا داعى الله وابتغوا … سبيل الألى أعماهم الحقد والغلُّ
يقولون : لن يسطيع جيش محمد … بخيبر نصراً ، إنها مطاب بَسْلُ
يدافع عنها من صناديد أهلها … رجال إذا خاضوا الوغى بطَلَ الهزل
لها عامر عند البلاء وياسر … لها مرحب والحارث البطل الفحل
وإنَّ بها من كل رام وضارب … ألوفاً ، هم السمُّ الذعاف لمن يبلو
على أننا لا نكره السلم ، فانتظر … محيصةُ واصبر إنها خطة فصل

* * *

كذلك قالوا ، يمكرون كدأبهم … وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل ؟
أطالوا المدى حتى يروا جَدَّ قومهم … وجَدَّ رسول الله أيهما يعلو
فلما رُموا بالحق من حصن ناعم … وقيل لهم : ضاقت بقومكم السبل
مشت رسلهم للصلح ، تهوى أمامها … قلوب . هى الكتب الخبيثة والرسل

يظَلُّ عميد القوم نون بن يوشع … يقول : هلمُّوا ، ذلك المركب السهل[1]
ولاذوا بأكناف النبي فصادفوا … كريما يُرجّى عنده العفو والفضل
أحلَّ لهم صلحاً ، وإن دماءهم … وأموالهم ، إن ردهم خيَّباً حلُّ
لئن خُلقوا للؤم أهلا فإنه … لكل الذى يسمو الكرام به أهل
له النصف من تلك الحقول يعدُّه … لكل فقير أعضه البؤس والأزْل[2]
كذلك مولى القوم ، يرجون ظلَّه … وما خير مولى لا يكون له ظل ؟

(١) جاء عميدهم نون بن يوشع مع رجال منهم يطلبون من النبي أن يصالحهم على أن تحقن دماؤهم ، ويخلى بينهم وبين الأموال ، فوقع الصلح على أن يكون له نصف الأرض ولهم نصفها ، فكان صلى الله عليه وسلم يعود من هذا النصف على صغير بنى هاشم وفقيرهم ، ويزوج منه أيمهم ، وجرى الخلفاء الصالحون من بعده على ذلك ، فجعلوا ما يخرج منه صدقة للمسلمين

(٢) الأزل الضيق والشدة .

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم ، بعثوا إلى حليفهم عيينة بن حصن سيد بنى غطفان يستمدونه وقومه عليهم ، ولهم فى ذلك نصف ثمار خيبر ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود . فأبوا وقالوا حلفاؤنا وجيراننا . ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتاً فى ديارهم وقع فى نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أما تدع العماية يا ابن حصين   وتسلكها معبَّدة سويَّه ؟
أضلتك اليهود فرحت تبغى   ثمار النخل ، يالك من بليَّه
لبئس الأجر أجرك من أناس   يرون الحق منزلة دنيَّه
أترضى أن تكون لهم حليفاً ؟   لعمرك إنهم شرُّ البريَّه
رَمَوْك برسلهم ، يرجون نصراً   فما وجدوك من أهل الرويَّه
أهبت بقومك : انطلقوا ورأى   فتلك سريَّة تتلو سريَّه
تريد محمداً وبنى أبيه   أولى النجَدات والهمم العليَّه
حماة الحق ، ليس له سواهم   إذا غلت الحفيظة والحميَّه
نهاك محمد فأبيت رشداً   لنفسك ، إنها نفس غويَّه
وقلت : أنترك الحلفاء نهباً   ونحن أولو السيوف المشرفيَّه ؟

* * *

رويدك يا عيينة أىّ خطب   أصابك ؟ ما الحديث ؟ وما القضيَّه ؟
وما الصوت المردَّد يا ابن حصن   وراءك فى منازلك القصيَّه ؟
وراءك يا عيينة لا تدعها   فما هى عن دفاعك بالغنيَّه

* * *

رجعت بجندك المهزوم رعباً   فرحى ، ما الهزيمة كالمنيَّه
لو انك جئت خيبر وهى ظمأى   سقتك من الردى كأساً رويَّه
نويت غياثها . فشغلت عنها   وأمر الله يغلب كل نيَّه
بربك يا فتى غطفان آمِنْ   فإن له لآياتٍ جليَّه

* * *

رجعت إلى النبىّ تقول مالا   يقول المرء ذو النفس الأبيَّه[1]
ألستُ لمن ظفرتَ بهم حليفاً ؟   فهب لى من مغانمهم عطيَّه
وإنى قد أبيت فلم أعنهم   عليك ، وما تركتك عن تقيَّه
فقال : كذبت ، مالك من خلاق   وما تخفى على الله الطويَّه
عليك بذى الرقيبة إن فيه   لمَا أحببت من صلة سنيَّه
تأمل : هل ملكت علىَّ أمرى ؟   وهل صدقتْك رؤياك الغبيَّه ؟
لكلٍّ من دعاة الشرك حرب   مظفّرة الوقائع خيبريَّه
سجايا المرهفات البيض أولى   بمن جعلوا النفاق لهم سجيَّه

---

(١) جاء عيينة إلى النبى بعد فتح خيبر فى رجال من قومه فقال : أعطنى مما غنمت من حلفائى ، فإنى امتنعت عن قتالك » فقال له : كذبت ، ولكن الصياح الذى سمعت أنفذك إلى أهلك ، لك ذو الرقيبة. قال عيينة . وما ذو الرقيبة ؟ قال الجبل الذى رأيت فى منامك أنك أخذته وكان عيينة قد رأى ذلك فلما انتبه من نومه قال لقومه أبشروا فإنى رأيت أنى أعطيت ذا الرقيبة لقد والله أخذت برقبة محمد ، ذو الرقيبة من جبال خيبر .

حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسلم ، وكان له مال كثير متفرق فى تجار مكة . فاستأذنه فى أن يذهب اليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم مايرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خيبر ، فأقبلوا عليه يقولون . إيه ياحجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلها ، وهو أسير فى أيدى اليهود، لا يريدون أن يقتل فى غير مكة . ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فحزن المسلمون . وكان أشدهم حزناً العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . فعاد يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سروراً بذلك ، وجاءه حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بعدها على المشركين فى زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم » .

تقدَّمْ ، فهذا مطلع الحق والهدى ... ألست ترى النور الذى جاوز المدى ؟
أتيتَ رسول الله تتبع دينه ... وتؤثر خير الزاد فيمن تزوَّدا
لك الله ياحجَّاج أمسيت مشركاً ... وأصبحت تدعوه تقيًّا مُوحدا
سيغفر ما أسلفت من جاهليّة ... ليالىَ تأبى أن يُطاع ويعبدا
سألت رسول الله ما لو سألته ... سواه لأعطاك الحسام المهندا
تقول له : دعنى أزوِّرْ مقالة ... تسوءك ، إنى أحذر المعشر العدى
بمكة لى مال كثير موزَّع ... أخاف عليه أن يضيع ويفقدا
سأكتم إسلامى وأوذيك ، إنهم ... هم القوم ، لا يؤذون إلا من اهتدى
ورحت تحابيهم وتشفى صدورهم ... بخرقاء تستهوى الغبىَّ المبلّدا
تقول : لقد فاز اليهود وأدركوا ... على الفاتحين الغرِّ نصراً مؤيَّدا
أغاروا ، فردوهم ، وأمسى محمد ... أسيراً لدى ساداتهم ليس يُفتدى
أبوْا أن يذوق القتل إلا بمكة ... وإن له عمّا قريب مَوعدا
فطاروا سروراً واستمر غواتهم ... يذيعونه زوراً وإفكاً مُردّدا

وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا ... حيارى يرون العيش أغبر أنكدا
وأرضى الألى ضلُّوا السبيل بشيرهم ... لدنْ جمعوا من ماله ما تبدّدا
تزوّد همًّا كل من كان مسلماً ... وأعيا على العباس أن يتجلدا
فأرسل : ماهذا الذى أنت قائل ؟ ... قل الحق ياحجاج وانقع به الصدى
تبارك ربى ، إنه جل شأنه ... لحقٌّ عليه أن يُعزَّ محمدا
فقال : نعم: عد يا غلام وقل له ... أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمى غدا
فأعتق من فرط السرور غلامه ... وراجعه من أمره ما تعوَّدا
ووافاه حجاجٌ بأنباء خيبر ... فأمسى الذى أخفى من الأمر قد بدا
وناشده أن لا يذيع حديثه ... ثلاثة أيام حذاراً من الردى
فلما انقضت راع الرجال بطلعة ... تشقُّ على الأعداء مرأى ومشهداً[1]
تدفق بشراً وجهه ، وجرى السنا ... على صفحتيه ساطعاً فتوقدا
يقولون ، لاتحزن ، فيا للألى عموا ... ويالك من حزن أقام وأقعدا
رماهم بأخبار الفتوح فغاظهم ... وردّ ذليلا كل عاتٍ تمرَّدا
يضجُّون : أين ابن العلاط ؟ أما لنا ... إليه سبيل ؟ ؟ إنه كان مفسدا
لقد غرَّنا كيما يفوز بماله ... فحاق بنا من إثمه ما تعمَّدا
فواهاً له من ماكر لو نصيبه ... إذن لجزيناه الجزاء المشدّدا
جزاهم إله الناس ، ما ذنب مسلم ... كريم السجايا ، ما أساء ولا اعتدى ؟
رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله ... عليه ، ويأبى أن يغادره سدى

---

(١) عمد إلى حلة فلبسها ، ثم تخلق بخلوق . وأخذ بيده قضيبا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير ياأبا الفضل . هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا والله الذى حلفتم به ، لايصيبنى إلا خير ، وذكر الفتح وغنائم المسلمين فحزنوا وقالوا . انفلت عدو الله ـ يعنون حجاجاً ـ أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن » .

الشاة المسمومة

عمدت زينب بنت الحارث أخى مرحب – وهى امرأة سلام بن مشكم – إلى عنز لها فذبحتها ، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ، وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم يحب الذراعين فأكثرت فيهما من ذلك السم ، ثم جاءت فوضعتها بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور رضى الله عنه . فلما ذاقها النبى أنبأه الله بأمرها ، فقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم وكان بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة ، فأمر النبى بقتل تلك اليهودية الخبيثة .

أكانوا كلهم داء عياء ؟ فما يجد الأساةُ لهم دواء ؟
ألا إن النطاسىّ المرجَّى أتى يَلقى الألى انتظروا اللقاء
أتى بالحكمة الكبرى رسولا فكان لعلّة الدنيا شفاء
أتطمع زينبٌ بذراع شاة يُسَمَّم أن يُضرَّ وأن يُساء ؟
أبى الملك المهيمن ما أرادت تخيّبها ، وكان له وقاء
أتت تمشى بها ، وتقول : هذا طعامك ، فارضه ، وانعم مساء
فقال لصحبه : رزقٌ أتانا فباسم الله ، لا نُحصى ثناء
فلما ذاقها قال : اتركوها فإن الله قد كشف الغطاء
طعام السوء مسموم ، وهذا أخى جبريل بالأنباء جاء
فكفُّوا غير بادرة لبشر مضتْ قدَراً لربك أو قضاء
فيالك طعنةً لم تُبق منه لحاجة نفسه إلا ذماء[1]
إذا رام التحول أمسكته ولو قدرت مفاصله لناء
قضاها حِجَّة من ذاق فيها مرارة عيشه كره البقاء
وحُمَّ قضاؤه ، فمضى رضيًّا يبوّأ جنّة المأوى جزاء
وقال محمد يا آل بشر كفى بدم التى قُتلتْ عزاء

(١) ذماء بقية .

فلاقت زينبٌ قتلا بقتل وما كانت لصاحبهم كِفاء
أمن حمل الخمار من الغوانى كمن حمل العمامة واللواء ؟
كذلك حكم ربك فى كتاب أقام السبْل بيِّنة وِضاء
هو القسطاس أنزل مستقيما لمن يزن النفوس أو الدماء
أتى يحمى الحقوق ويقتضيها فلا جنفاً يريد ولا عداء
بناء العدل ، ليس به خفاء فسبحان الذى رفع البناء
ألا خسر اليهود ولا أصابوا طوال الدهر خيراً أو نماء
كأن الغدر عند القوم دين فما يدع الرجال ولا النساء

المؤمنات في جيش الرسول

خرج فى هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضى الله عنها وعنهن ، وقد أعطين نصيباً من الغنائم » .

أتين بهنّ من شوق غليلُ   وعدن لهنَّ منقلب جليل
خرجن من الخدور مهاجراتٍ   فلا دعة ، ولا ظلٌّ ظليل
يسرْنَ مع النبيِّ على سواء   ولا هادٍ سواه ولا دليل
يردن الله ، لا يبغين دنيا   كثيرُ متاعِها نزرٌ قليل
عقائل فى حمى الإسلام يسمو   بهنَّ من العلى فَرْعٌ طويل
يقفن إلى صفيَّةَ حيث كانت   وكان سبيلها ، نعم السبيل
عليها من رسول الله وسم   مبين العتق ، وضّاح جميل
عشيرة سُؤْدُدٍ ، وقبيل مجد   فبوركتِ العشيرة والقبيل
يُجرِّدْنَ النُّفوسَ مجاهدات   بحيث يجرّد العضب الصقيل[1]
فلا ضعف يعوق ولا لغوب   ولا ولد يشوق ولا حليل
نساء الصدق ، ما فيهنَّ عيب   وليس لهن فى الدنيا مثيل
أخذن عطاءهُنَّ على حياء   يزيد جماله الْخُلُقُ النبيل
لئن قلّ الذى أوتين منه   فأجر الله موفور جزيل

(١) العضب الصقيل . السيف القاطع المصقول .

غزوة وادي القرى

كانت بعد خيبر ، وأهل هذا الوادى من اليهود دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ، فأبوا الا القتال ، وحمل ثلاثة منهم فى الطليعة واحداً بعد واحد ، وحمل على بن ابى طالب والزبير بن العوام وأبو دجانة فقتلوهم ، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين . وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق فى أيديهم يعملون فيها أجراء كإخوانهم يهود خيبر .

خوضوا الوغى يا أهل وادى القرى   واستقبلوا الموت وأشد الشرى
أنكرتم الإسلام دين الهدى   واللهُ والسيفُ لمن أنكرا
إن تطلبوا البرهان فاستخبروا   جيرانكم ، أو فاسألوا خيبرا
اقتال عليّ إنهم معشر   ما مثلهم أعمى الهوى معشرا
ويا حواريّ الرسول اقتنص   كلّ غويٍّ جاء مستهترا
وأنت فاضرب فى الطُّلى يا أبا   دجانة اضرب مُقبلا مُدبرا
كُرُّوا جنود الله فى نصره   ليس لغير الله أن يُنصرا
لا تتركوا جيش الألى استمسكوا   بالكفر حتى يرجع القهقرى
يا صولةً هدّتْ فراعينهم   ما أشجع القوم وما أصبرا
أبطال حرب لم يزل بأسهم   يلتهم العسكر فالعسكرا
وادى القرى التفَّ على روعة   يا ويح للمرتاع ، ماذا يرى ؟
مَنْ مثّل الأغوال تهفو به   أهوالها العظمى ؟ ومن صوّرا ؟
بأس رسول الله فى صحبه   ما أعظم البأس وما أكبرا
ذلّت يهودٌ بعد أن لم تكن   تظنُّ أن تُغلب أو تقهرا
إستعْمَرَ الفاتح زرّاعهم   فى الأرض ، لولا الرفق ما استعمرا

فليشكروها منه أكرومة ... من حقها الواجب أن تُشكرا
وليرقبوا العقبى وزلزالها ... إن أظهر الحدثانُ ما أضمرا
لا حولَ للقوم ولا حيلة ... فيما قضى الله وما قدّرا
لن يصحب الإسلامَ في داره ... أصحابُ دينٍ غيرِه مُفترى
بشارةُ الله أتانا بها ... أصدق من بشّرَ أو أنذرا

أهل تيماء

رأى أهل تيماء انتصارات المسلمين في خيبر، وفدك، ووادي القرى، فارسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه الصلح على أن يؤدوا إليه الجزية فقبل وأقرهم على حالهم.

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر ... فإن كنتِ في ريب فقد وضح الأمر
دعي الرسل تمضي ما عليك ملامة ... وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر؟
فإن تخفضي منك الجناح لتنعمي ... بأفياء عيش ساكن، فلك العُذر
وهل يرفع العصفور يوماً جناحه ... إذا حلّق البازي، أو انطلق النسر؟
إذا أمسك الصبر البلاد وأهلها ... فليس على هذا قرار ولا صبر
ألم يك أهل الأرض موتى، فجاءهم ... رسول حياةٍ دينه البعث والنشر؟
أبى أن يظلّوا آخر الدهر فوقها ... يسيرون في الأكفان وهي لهم قبر
حياة الدنى في سيفه وكتابه ... وما منهما إلا لها عنده سرُّ

* * *

لكِ الأمن يا تيماء لا الدم دافق ... ولا النقع مسودٌّ، ولا الجو مغبرٌّ
ولا أنتِ ثكلى، ما تُغبّك لوعة ... مؤجّجة كالجمر، أو دونها الجمر
أعانكِ رأي أبصر القصد فانتحى ... بأهلك ما لا ينتحي الجاهل الغِرُّ
ولو آثروا الإسلام ديناً لأفلحوا ... ولكنه الشرك المذمّم والكفر
أبوا وتولّوا يشترون نفوسهم ... بأموالهم، هذا هو الغَبْن والخسر
يؤدّونها من خيفة القتل جزية ... على الهونُ، مما يرزق الحبُّ والتمر

أقاموا يريدون الحياة بأرضهم ... وكيف حياة القوم إن فسد الأمر؟
رويد الألى اختاروا الضلالة خطّةً ... فتلك — وإن لم يعلموا — خطة نكر
يَضِلُّون والفجر المنوِّر طالع ... ولا عذر للضلّال إن طلع الفجر
لكل أناس مدّة ثم تنجلى ... عمايتهم ، فليصبروا إنه الدهر

عُمرة القضاء

ويقال لها عمرة القضية . والصلح والقصاص ، وهى التى أجازها عهد الحديبية للرسول الكريم وأصحابه رضوان الله عليهم ، وكانت فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن البيت سنة ست ، ويقال لهذه العمرة غزوة الأمن ولهذا ألحقت بالغزوات لأن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إليها بالخيل والسلاح مخافة أن يغدر المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد الحديبية ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضع السلاح فى مكان قريب من الحرم يقال له بطن ناجج ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم من صلاة وطواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاء بالعهد .

مضى العام ، وانبعث المنتظر ... وخُلِّيت السبل للمعتمر
لقد يسّر الله تلك الصعاب ... فما من عصيٍّ ولا من عسر
بدارِ بدار جنودَ النبيِّ ... فإن الغنيمة للمبتدر
إلى البيت سيروا سراع الخطى ... فما ثَمّ من خيفة أو حذر
وسوقوا الهدايا إلى ربكم ... فما خاب من ساقها أو نحر
دعوها لناجية إنه ... لنعم الفتى أن تمطّى السفر (١)
دليلكم الصدق فيما مضى ... يشقُّ الصعاب ، ويهدى الزُّمَر
وللخيل قائدها المجتبى (٢) ... وفارسها الشمّرىُّ (٣) الأغر
رأوها مطهَّمة فى السلاح ... فطاروا يقولون : أمر قدر (٤)

---

(١) ناجية بن جندب جعله النبي على الهدايا ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى ما كان من أمره فى الحديبية وهو مذكور فى مكانه .
(٢) هو محمد بن مسلمة . أقيم على الخيل .
(٣) الماضى فى الأمور المجرب .
(٤) المطهم التام من كل شيء وهؤلاء نفر كانوا بمر الظهران فلما بلغته الخيل ورأوا السلاح طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وفزع القوم وقالوا إنا على عهدنا فما لمحمد يغزونا .

أيا قومنا إنهم أقبـــــلوا   على الجرد فى المرهفات البُتَر

خذوا حِذْركم ، واجمعوا أمركم   ألا إننـــا لا نرى غير شرّ

وجاء ابن حصن رسولا يقول   محمد ما شأنــكم ؟ ما الخبر ؟[١]

أتنقض عهدك تبغى القتال   وما كنت ممن بغى أو غدر ؟

قريشٌ على العهد ما بدّلوا   ولا كان منهم أذى أو ضرر

على م السلاح ؟ وماذا تريد ؟   أتأبى لأنفسنا أن تقــرّ ؟

فقال النبى : اهــدأوا إننى   لأولى الورى بوفاء وبرّ

سيبقى السلاح بعيد المكان   ليأمن من قومنـــا من ذُعِر

لمكةَ حرمتهـــــا والذمام   ولله سبحـــــانه ما أمر

وأقبل فى صحبــه الأكرمين   يؤمُّ البنيّـــــة ذات الستر

فيا ابن رواحة خــذ بالزمام   وقل فى النبىِّ وفى من كفر[٢]

جلا القوم يأبون لقيا النبى   وأصحـــــابه الطاهرين الغرر[٣]

فطافوا وصلّوا وخفّوا معاً   إلى الركن يغشَونه والحجر

وقضّـــوا المناسك مستبشرين   فلم يبقَ من مــأرب أو وطر

وجاء حويطب[٤] يلقى النــبىَّ   وصاحبُـــه[٥] المرتجَى للغير

يقولان : إنّا على موعد   فمالك عن أرضنا لم تسر ؟

قضيت الثلاثة فاذهب إلى   منـــازل يثربَ ما من مفر

(١) هو مكرز بن حصن الغادر .

(٢) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبى وهو مقبل على البيت وصار يرتجز :
خلوا بنى الكفار عن سبيله إلى آخر ما قال

(٣) خرجوا من مكة حتى لا يدخلها عليهم النبى إلى أن يمضى الموعد ، وهكذا كتب فى العهد .

(٤) حويطب بن عبد العزى .

(٥) سهيل بن عمرو الذى تولى ابرام عهد الحديبية مع النبى .

فأرعد سعـــد وجاشت به   حميَّـــة مستوفز كالنمر[١]

وألقى بصاعقــــــة تستطير   على جانبيها بروق الشرر

فقـــال النبى : رويداً رويداً   وأطفأ من غيظه المستعر

وحُمَّ الرحيل ، فنعم السبيل   سبيل القبيل الجليل الخطر

هم صبروا ، فانثنوا ظافرين   وما الصبر إلا بشير الظفر

فشكراً لربٍّ يحبُّ التقىَّ   ويضفى العطاء على من شكر

(١) سعد بن عبادة . غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم نفسه .

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية
رضي الله عنها

اختارها الله زوجاً لرسوله الكريم فى هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك (برة) فسماها (ميمونة) وهى أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب . وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأمها »

سم سما لفظه وازدان معناه   حلاك ربك بالحسنى وحلاه

ميمونة أنت : هذا ما تخيره   لك الذى اختاره من خلقه الله

أوفى بحمزة والعبـــاس مجدهما   يا أخت زوجيهما والناسُ أشباه

لأنت أكرم عند الله منزلة   يا زوج أحمـــد إذ أعطاك إياه

لم تعلمى : أمطـــايا الله حاملة   منك الجلال المحلّى ، أم مطاياه ؟

إلى المدينة سيرى فى كلاءته   يا طيب مثواك إن شارفت مثواه

قرّى ببعلك عيناً ، إنه شرف   ما مثله شرف عال ولا جاه

أطريتُ فيك وفى المختار مؤمنة   عزت بأبابج ما تُحصى مزاياه

عزٌّ يوطد للإســـلام جانبها   مِن جانب الله مولاها ومولاه

ما انفكَّ يتخذ الأصهار يجعلهم   لدينه الهـــادمُ البانى ودنياه

سياسة ما رمى الطَّبُّ اللبيب بها   إلا أصاب باذن الله مرماه

وقوة لرســـــــول الله شائعة   بين القبائل يرعاها وترعاه

وسنة لبنى الإسلام يشرعها   والخير أجمع شرع من سجاياه

همْ أسرة فى ظلال الله واحدة   تمضى على الحق ، ترجوه وتخشاه

لا تعرف الرشدَ إلا فى شرائعه   ولا ترى الخير إلا فى وصاياه

دين الألى يؤثرون العزَّ منزلة   ما كان أهون دنيا الناس لولاه

لكل شعبٍ بناء ليس يمسكه   شىء إذا نام عنـــه من تولاه

لولا الأواصر والأرحام ماالتأمت   منه الصدوع ، ولا انضمّت شظاياه

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة وعمرو بن العاص رضى الله عنهم

قال خالد رضى الله عنه ، لما جاء النبى صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تغيبت ولم أشهـد دخوله ، وكان أخى الوليـد دخل مكة معه . فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلى .

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وقلة عقلك . ومثل الاسلام هل يجهله أحد ؟ ؟ سألنى عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين خالد ؟؟ قلت . يأتى به الله : قال : مامثله يجهل الإسلام ، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره ، فاستدرك ياأخى مافاتك . فقد فاتك مواطن صالحة »

قال خالد : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام ، وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة . فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة .

ثم خرج الى المدينة . فلقى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعثمان بن طلحة ، فعرض عليهم الاسلام . فما قبله إلا عثمان ، ولقى خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما ، وقدموا على النبى فأسلموا ، رضى الله عنهم .

قم ودع الأوثان والأصناما   أفما ترى برهان ربك قاما ؟

يا خالد اعمـــد للتى هى عصمة   لذوى البصائر ، وانبذ الأوهاما

الله رب العالمين ودينـــه   دين السلام لمن أراد سلاما

إقرأ كتاب أخيك، مالك مصرف   عما يريد ، ولن ترى الإحجاما

أقبل رعاك الله ، إنك لن ترى   كسبيل ربك مطلبا ومراما

سأل النبى بأىِّ حال خالد   أفما يزال يجانب الإســـلاما ؟

إنى رأيت لخالد من عقـــله   فيما يمارس مُرشـــداً وإماما

ما مثله يرتاب فى دين الهـــدى   فيرى الضياء المستفيض ظلاما

إنا لنعرفه رشـــيداً حازماً   ونراه شهماً فى الرجال هماما

لو أنه جعل المضرّة والأذى   للمشركين لما اســتحقّ ملاما

ولـكان عنـدى يا وليد مقدّماً   يلقى لدىّ البر والإكراما

* * *

أقبل أخى وتلاف أمرك ،لاتكن   ممن إذا وضح السبيل تعامى

كم موطن جلل لو انك لم تغب   عنه ، لـكنت إذاً أجلّ مقاما

يكفيك ما ضيّعت ، ليس بحازم   من لا يزال يضيّع الأياما

* * *

نشط الهمام ، وراح يدرك نفسه   يبغى لها عنـــد النبىّ ذماما

ألقى إلى الوادى الخصيب برحله   فأصاب فيه مرتعاً ومساما[1]

أيُقيم بالوادى الجديب فلا يرى   إلا سراباً كاذباً وجهاما[2]

لاقى بعكرمةٍ وبابن أميّة   شراً يعبُّ عبـــابه وعُراما

قال : ائتيا نبغى النجاة فأعرضا   وتنـازعا قولا يشبّ ضراما[3]

وأجابها عثمان دعوة ناصح   يأبى الهـــوى ويُجانب الآثاما

---

(١) المسام المرعى :

(٢) الجهام السحاب لاماء فيه .

(٣) قال خالد ، لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فاتبعناه فإن شرفه شرف لنا » قال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبداً . قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ماقلت لصفوان . فقال مثل الذى قال صفوان ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت . هذا لى صديق ، فأردت أن اذكر له ماعندى . ثم ذكرت من قتل من آبائه وأخوته فكرهت ثم قلت وما على ؟ فقلت له : انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لوصب عليه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلوهم أبوه طلحة وعمه عثمان ، وإخوته مسافع والجلاس والحارث وكلاب) قتلوا جميعاً يو أحد .

مضيا على سنن الطريق فصادفا   عمراً فقـــالا مالنا ؟ وإلى ما ؟[1]

يا عمرو دين الله ، لسنا كالألى   جعلوا الحلال من الأمور حراما

قال:اهتديت،ولنأكون كمن يُرى   طول الحيـــاة لنفسه ظلّاما

ومشَوْا ، فما بلغ الرسول حديثهم   حتى بدا متهلّلا بساما

سرّته مـكة إذ رمت أفلاذها   كبداً تـكنُّ الحب والإعظاما[2]

بعثت إليـــه من الجبال ثلاثة   رضوى يصاحب يذبلا وشماما[3]

خفّ الوليـد يقول : لا تتمهلوا   إن الحـديث إلى النبى ترامى[4]

حثُّــوا المطىّ ، فإنه مترقب   وأرى جوانحـكم ترفُّ أواما

* * *

وفدوا كراما يؤمنون بربهم   ورســـوله بيض الوجوه وساما

نفضوا الهوان عن الجباه فأصبحوا   شمّ المعاطس يرفعون الهـــاما

أفيعبـــدون مع الغواة حجارة ؟   أم يعبـــدون الواحد العلاّما ؟

كُشِف اللثام عن اليقين،ولن ترى   كالجهل ستراً ، والغرور لثاما

لو طاوع الناس الطبيب لما اشتكى   من يحمل الأدواء والآلاما

---

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحباً بالقوم ، أين مسيركم ؟؟ قلنا : الدخول فى الاسلام ، قال : هذا الذى أقدمنى : وفى رواية أنه قال لخالد : ياأباسليمان أين تريد؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لنبى . فاذهب فأسلم . فحتى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ماجئت إلا لأسلم .

(٢) لما بلغ النبي خبر قدومهم قال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .

(٣) رضوى ويذبل وشمام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقينى أخى فقال : أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يبتسم لى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق . فقلت . أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال ، الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا الى خير ، قلت يارسول الله ادع الله أن يغفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك . قال : الاسلام يجب ما كان قبله ، وتقدم عثمان وعمرو فأسلما . رضى الله عنهما وعنه .

إعرف لربك حقَّه ، فلحكمة   خلق العقول وأنشأ الأحلاما
أرأيت كالإسلام ديناً قيماً   ساس الأمور ، ودبر الأحكاما ؟
الله أحكم أمره وأقامه   للعالمين شريعة ونظاما
نادى النبى به فأفزع صوته   أمما بآفاق البلاد نياما
ودعا إليه ، وسيفه بيمينه   يمضى حياة مرَّة وحِماما
تمضى أباطيل الحياة ، ولن ترى   لسوى الحقائق فى الزمان دواما

* * *

صَعقت نفوس المشركين وهالهم   همٌّ إذا انجلت الهموم أقاما
قالوا : فقدناهم ثلاثة قادة   ما مثلهم بأساً ولا إقداما
ما أعظم البلوى ويالكِ نكبةً   ملكت علينا النقض والإبراما
نزل البلاء بنا فكان مضاعفا   وجرى العذاب معاً ، فكان غراما

* * *

إنى إخال البيت يشرق جوُّه   وإخال مكة ترفع الأعلاما
يا ابن الوليد لك الأعنَّة كلها   فالقَ المقانب ، وادفع الأقواما[1]
سترى المشاهد ترجف الدنيا لها   وترى الحصون تميد والآطاما
بشّر حماة الشرك منك بوقعة   توهى القوى وتزلزل الأقداما

(١) ما زال خالد على أعنة الخيل منذ أسلم . والمقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلثمائة .

غــزوة مؤتــة

كانت فى جمادى الأولى سنة ثمان . ومؤتة موضع معروف عند الكرك بالشام . وسببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدى إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه ، فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل ابن عمرو الغسانى من عمال قيصر ثم ربطه وقتله(١) .

فسير النبى لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد ابن حارثة (٢) .

وعقد له لواء أبيض دفعه إليه ، وأوصاهم أن يأتوا مؤته فيدعوا من بها إلى الإسلام فإن أبوا قاتلوهم . فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل فى مائة ألف من قومه ، ومثلهم من العرب المتنصرة(٣) .

ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين ، ولقيتهم الجموع فاقتتلوا ، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة كبيرة على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقد لقبه النبى صلى الله عليه وسلم بسيف الله من يومئذ .

ودّعْ ذويك وسِرْ فى شأنك الجلل   لله يا ابن عُمَير أنت من رجل
سر بالكتاب رسولا حسبه شرفاً   أن راح يحمله من أشرف الرسل
يا حامل الجبل المرقوم دونكه   من ذا سواك رعاك الله للجبل؟
إلى هرقلَ تأبَّى دون سدته   صيد الملوك ، وتلقاه على مهل
ترتدُّ عن تاجه الأبصار خاشعة   فما تلاحظه إلا على وجل
إليه يا ابن عمير لست واجده   إلا امرأً هملا فى معشر همل
لأنت أعظم منه فى جلالته   وما جلالة غاوى الرأى مختبل ؟

(١) لم يقتل للنبى رسول غيره .
(٢) قال النبى : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الجيش ، فإن أصيب فعبد الله ابن رواحة ، وقد أصيب الثلاثة رضى الله عنهم .
(٣) هم بنو بكر ولخم وجذام .

لا يعرف الدين إلا فتنة وهوى   أعمى المقاصد والآفاق والسبل
هذا كتاب رسول الله بنذره   فاذهب إليه وخذه غير محتفل

* * *

مهلا شرحبيل لاحييت من رجل   إن هم بالشر لم يحفل ولم يُبالِ
بادى الشراسة عادٍ ما يلائمه   فى موضع الذم إلا أسوأ المثل
هاجته من نزوات الجهل ثائرة   لم تُبق من كلَب يهتاج أو ثول[1]
فطاح بابن عمير باسلا بطلا   يفلُّ فى الروع بأس الباسل البطل
يا للربيط ، يسل السيف مهجته   فى غـــير معترك حام ومقتتل
كذلك الغدر ، لا ظلم بمجتنب   فى الغادرين ، ولا لؤم بمعتزَل
ما كان ذنب امرىء فى الله مرتحل   يرجوه فى كل محتاجٍ ومرتحل ؟

* * *

سر يا ابن حارثة بالجيش ، تقدمه   هذا لواؤك فابعثه على عجـــل
أدع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا   فيها إلى أرشد الأديان والملل
فإن أبوا فسيوف الله تأخذهم   من كل متقد الحـدين مشتعل
أمْرُ النبى فسر يا زيد ممتثلا   والجند جندك ما تأمره يمتثل
فإن أصبت ، فمن سمّى على قدر   وليس للنفس إلا غاية الأجل
إتبع وصاياه فيما لا يحل لـكم   ولا يليق بكم من سيء العمل[2]

---

(١) الثول عارض من جنون .

(٢) قال لهم الرسول الـكريم وهو يودعهم – أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله فى الشام ، وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ، ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء .

دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا   تؤذوا صغيراً ، ولا تودوا بمكتهل
لاتقطعوا شجراً ، لاتهدموا جدراً   لاتقربوا ما استطعتم موطن الزلل

* * *

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكماً   كالعارض الجون يرمى الأرض بالوهل[1]
يزجى الـكتائب من روم ومن عرب   فى المرهفات المواضى والقنا الذبل
والصافنات تهادى لا عداد لها   من كل منذلق فى الـكر منجفل[2]
إن الذين أداروا الرأى وانتظروا   لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل[3]
الغـــالبون وإن قلوا وظن بهم   ما يكره الله أهلُ الزور والخطل
لم يلبث القوم حتى قال قائلهم   شيم الحوار ؟ وهل فى الأمر من جدل[4]
إنا خرجنا نريد الله ، فاستبقوا   من كل منتهب للخير مهتبل[5]
لو زالت الأرض أو حالت جوانبها   بمن عليها من الأقوام لم نحُل
هما سبيلان ، إما النصر ندركه   أو جنّة الخلد فيها أطيب النزل
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها   ألفاً لألف من الأبطال مكتمل
إنّا نقاتل بالدين الذى ضمنت   أعلامه النصر فى أيّامنا الأول
لولا مقالة عبد الله ما انكشفت   تلك الغواشى ، ولولا الله لم يقل

* * *

---

(١) العارض السحاب المعترض فى الأفق والجون الأسود الوهل الضعف والفزع .

(٢) الصافنات الخيل ومنجفل مسرع .

(٣) علموا بأمر هرقل وجنوده . فأقاموا ليلتين ينظرون فى أمرهم : أيطلبون النجدة . أم ماذا ؟ .

(٤) عبد الله بن رواحة . قال لهم ياقوم والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم له ، خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به فإنما هى إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة ، قالوا : صدقت ومضوا للقتال .

(٥) اهتبل الأمر اغتنمه .

تقلدوا العزم للهيجاء وادّرعوا   من صادق البأس مايغني عن الحيل
وأقبلوا لو تميل الشمّ من فزع   لم يضطرب جمعهم خوفاً ولم يمل
يا مؤتة احتملي الأهوال صابرة   هيهات ـ ذلك شيء غير محتمل
جنّ الكريهة يستشري الصيال بهم   في موطن لو رأته الجن لم تصُل
ما زال قائدهم يُلقي بمهجته   يرمي المنية في أنيابها العصُل (١)
يغشى موارد من أهوالها لججاً   تلك الموارد ، ليس الغَمْر كالوشل (٢)
مامَن يخوض الوغى تطغى زواخرها   كمن يجانبها خوفاً من البلل
يا زيد أدّيت حق الله فامض على   نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل
آبوا إلى خير دار ، ما لنازلها   من أوبة تبعث الأشجان أو قفَل
يسلو أخو العقل عن دار الهموم بها   ويجتوي منزل الأدواء والعلل (٣)
جاهدت في الله ترضيه وتنصره   لم تلق من سأم يوماً ولا ملل
هذا الذي نبّأ الله الرسول به   فاغنم ثوابك، والق الصحب في جذل
وأنت يا جعفر المأمول مشهده   خذ اللواء وجاوز غاية الأمل
هذا جوادك ما حالت سجيته   ولا ارتضى بوفاء الحرّ من بدل
عقرته ، وركبت الأرض ، تمنعه   مواطن السوء من ضنّ ومن بُخل
أكرمته ، وحرمت القوم نجدته   فصُنت نفسك عن لوم وعن عذل
دلفت تمشي على الأشلاء مقتحماً   والقوم منجدل في إثر منجدل
فقدت يمناك ، فانصات اللواء على   يسراك ، ما فيه من أمتٍ ولا خلل (٤)
حتى هوت فجعلت الصدر موضعه   كأنه منه بِضع غير منفصل (٥)

(١) المعوجة .
(٢) الغمر الماء الكثير والوشل القليل منه .
(٣) اجتوى المنزل والشيء كرهه .
(٤) انصات بمعنى انتصب والامت الاعوجاج .
(٥) البضع من الشيء القطعة منه .

يضمه ضمّ صادي النفس ، يولعه   بمن أطال صداه لذّة القُبَل
ياقائد الجيش ، ضجّ الجيش من ألم   وأنت عن دمك المسفوك في شغل
تقضي الذمام ، وتمضي غير مكترث   كأنما الأمر لم يفدح ولم يهُل
لقيت حتفك في شعواء عاصفة   حرّى الجوانح ظمأى البيض والأسل (١)
أعطيتها منك نفساً غير واهنة   أعطتك سَورة مجد غير منتحل (٢)
لك المناقب لم تُقدر غرائبها   ملء المشاهد ، لم تعهد ولم تُخل
من يؤثر الحق يبذل فيه مهجته   ومن يكن همّه أقصى المدى يصل
لاشيء يُعجز آمال النفوس إذا   خلت من الضعف واستعصت على الكسل
إنهض بعبئك عبد الله مضطلعاً   بكل ما تحمل الأطواد من ثقل
هذا مجالك ، فاركض غير متئد   وإن رأيت المنايا جـــوّلا فجُل
كم جئت بالعربيّ السمح مرتجلا   واليوم يوم منايا الروم فارتجل
للعبقرية فيـــــه مظهر أنق   يا حسنه مظهراً لو كان يقدر لي
قنعتُ بالشعر أغزو المشركين به   فلم أصب فيـــه آمالي ولم أنل
لقطرة من دمي في الله أبذلها   أبقى وأنفع لي من هذه الطول (٣)
تقلد القوم ملء الدهر من شرف   وليس لي من غواليها سوى العطل
إن شاء ربي حباني من ذخائرها   أغلى الحلى ، وكساني أشرف الحلل
الحمد لله ، أجرى النور من قلمي   هدى لقومي ، وعافاني من الخبل
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب   عالي الجلال ، مصونٍ غير مبتذل

* * *

(١) صفات للحرب . والبيض السيوف والأسل الرماح .
(٢) سورة المجد أثره وعلامته .
(٣) القصائد الطوال .

يا شاعر الصدق ماخاب الرجاء ولا — مثل العطاء الذى أدركت والنفَل (١)

خذ عند ربك دار الخلد تسكنها — قدسية الجوّ والأرواح والظلل

آثرته ، واصطفيت الحق تكاؤه — مما يحاول أهل الغيّ والضلَل (٢)

ليس العرانين كالأذناب منزلة — ولا الغطارفة الأمجاد كالسفل

* * *

يا عقبة اصدع بها بيضاء ناصعة — تنفى الوساوس ، أو تشفى من الغُلَل (٣)

القتل أجدر بالأحرار يأخذهم — مستبسلين ، وينهاهم عن الفشل

ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا — تنوزع الأمر عند الحادث الجلل (٤)

قالوا : لك الأمر فاخترت الكفىّ له — وأنت صاحبه المرجوّ للعضَل (٥)

لكنها نفس حرٍ ذى محافظة — صافى السريرة ، بالإيمان مشتمل

صنت اللواء وآثرت الأحق به — إيثار أغلبَ لاواهٍ ولا وكل

أبى عليه حياءٌ زاده عظما — ما مثله من حياء كان أو خجل

قلت : اضطلع خالد بالأمر فاستعرت — منه حمية لا آبٍ ولا زحل (٦)

---

(١) اشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الغزوة .

لكننى أسأل الرحمن مغفرة — وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة — بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثى — أرشدك الله من غاز وقد رشدا

(٢) الضلل اسم من الضلال .

(٣) هو عقبة بن عامر . لما قتل عبد الله بن رواحة اختلط المسلمون مع المشركين ، وأراد بعض الأولين التنحى عن القتال فقال ـ ياقوم لأن يقتل الأنسان مقبلا خير له من أن يقتل مدبراً فثبتوا وقويت أنفسهم »

(٤) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد مقتل عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين : من تختارون له ؟؟ قالوا أنت ، فتقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاه إياه . فأبى خالد أن يقبله لأول مرة إيثاراً لثابت . فألح عليه فقبله .

(٥) العضل الدواهى . جمع عضلة

(٦) الزحل المتنحى المتباعد .

وراح يُبدع من كيد الوغى نمطاً — طاشت مرائيه بالألباب والمقل (١)

رمى العدى حوّل شتى مكائده — جمُّ الأحابيل ، يعيى كل محتبل

ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها — لغيرها من عمى بالقوم أو حَوَل

جيش من الرعب يمشى فى جوانحهم — لم تعتصم مهجة منه ولم تئل

من خافه الجيش يمشى ابن الوليد به — فى مسبل من مثار النقع منسدل

ضاقوا بمفترس ، فى الهول منغمس — لنفسه فى غمار الموت مبتسل (٢)

أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا — ما كفّ عن عَلَل منه ولا نهل

ما المسيئين إلا كل معتزم — فى الروع ، يحسن ضرب الهام والطُّلل (٣)

رمت بهم هبوات البأس فانكشفوا — يندسُّ هاربهم فى كل مدَّخل

بئس الجنود أضلّتهم عمايتهم — فما لهم بجنود الله من قِبل

ظنوا الأمور لغير الله يملكها — إذا جرت بين معوجّ ومعتدل

وحاربوا الحق من جهل ومن سفه — والحق فوق منال المعشر العثُل (٤)

ما ينقم الناس من دين يراد به — فك العقول من الأغلال والعُقُل (٥)

فليصبر القوم : إن الله مظهره — على الممالك والأديان والنحل

لدولةُ الله أبقى فى خليقته — فلا يغرّنك ما استعظمت من دول

أدعوك يارب للاسلام مبتهلا — وأنت تسمع دعوى كل مبتهل

نام المحامون عنه ، فهو مضطهد — يشكو الأذى فى شعوب خُضّع ذلل

صرح من العزِّ والسلطان ما برحت — تهوى صياصيه حتّى عاد كالطلل (٦)

---

(١) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقه وساقته مقدمة ، ووضع الميمنة مكان الميسرة والميسرة فى موضع الميمنة . فظن القوم أن مدداً لحق به ، فأصابهم الرعب ، ووهنت قوائم فانهزموا .

(٢) ابتسل نفسه للموت يعنى وطنها له .

(٣) الطلل الاعناق جمع طلة .

(٤) العثل جمع عثول وهو الأحمق .

(٥) جمع عقال . وهو الحبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .

(٦) الصياصى الحصون والطلل ماظل باقيا من البناء المتهدم .

الفتح الأعظم ـ فتح مكة

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة مع جنوده المظفرين فى شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل ـ أو اثنى عشر ألفاً ـ وسبب ذلك أن رجالا من بنى بكر الذين دخلوا فى عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوهم ، وكانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبي ، فانتقض العهد بذلك . وحل القتال ، وإنما دخلت خزاعة فى عهده صلى الله عليه وسلم لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية . فحالف عبد المطلب خزاعة ، وحالف نوفل بنى أخيه عبد شمس وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبي بكتاب جده عبد المطلب فى ذلك الحلف ، فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه ، وكان يعرفه قبل ذلك فقال : ما أعرفنى بحلفكم ، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف . وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة (١) ولا حلف فى الإسلام (٢) .

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم . أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ، وما لا ينسى أبداً ، اليد واحدة . والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ، وثبت حراء . وما بل بحر صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً ، أبد الدهر سرمدا وفى رواية ـ حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب . وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد . لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير ، وحن بفلاة بعير وما أقام الأخشبان ، واعتمر بمكة إنسان حلف أبد ، لطول أمد يزيده طلوع الشمس شداً ، وظلام الليل مداً ، وإن عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكافئون . متضافرون ، متعاونون . . . على عبد المطلب النصرة لهم عن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى به حميلا .

(١) الحلف الذى يراد به دفع الظلم .
(٢) أى على الشر والفساد .

بنو بكر وخزاعة

إسلام أبى سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء

بنى بكر وما يغنى الملام تلظّى البأس ، وانتفض الحسام
ذمام صادق ، ودم حرام وعزٌّ من خزاعة لا يُرام
يقوم عليه حام لا ينام[1]

أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يمشون الضَّراء[2]
وما تخفَى جريرة من أساء سيوف محمد جُعلتْ جزاء
فما البغى الذميم وما العرام ؟

قتلتم من خزاعة بالوتير[3] رجالا ما أتاهم من نذير
لبئس الغدر من خلق نكير ويا للناس للحدث الكبير
أكان محمد ممن يضام ؟

أتوه ، ينشدون الحلف وفدا تهدّ شكاته الأحرار هدّا[4]
فقال لهم : نُصِرتم واستعدّا وراح يسوقه للحرب جندا[5]
تظلله الملائكة الكرام

(١) النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) قاتل مع بنى بكر قوم من قريش خفية ، منهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو (أسلموا بعد ذلك) .
(٣) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .
(٤) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبى فدخلوا عليه المسجد ، وأنشده عمرو أبياتاً منها .
يارب إنى ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا
(٥) قال الرسول الكريم : نصرت يا عمرو بن سالم ، ارجعوا وتفرقوا فى الأودية ـ يريد إخفاء مجيئهم إليه .

أبا سـفيان ذلك ما تراه   هو البأس المصمم لا سواه[1]
أليس الحلف قد وهنت عراه   فكيف تشد بعدئذ قواه ؟
أبا سفيان ليس لكم ذمام

كتمت الحق ، تطمع فى المحال   فما بال الثقات من الرجال ؟[2]
فتحتم بالأذى باب القتال   فما دون اللقاء سوى ليال
ويفتح مكة الجيش اللهام

دع الأرحام ليس لكم شفيع   لقد حاولتَ مالا تستطيع[3]
رويدك ، إنه الرأى الجميع   وإن الله ليس له قريع
تعالى جدُّه وسما المقام

رجعت وأزعجتك الحادثات   فسرت تقول : هل قدم الغزاة ؟
نعم ، قدم الميامين الهداة   وتلك جيادهم والمرهفات
فدعْ دين الغواة ، وقل : سلام

أبا سفيان هل أبصرت نارا   كنار القوم إذ باتوا سهارى
أبتْ وأبوا ، فما تألو استعارا   ولا تُحصَى وإن عُدَّت مرارا
هو الفزع المؤجج لا الضرام[4]

---

(١) قال أبو سفيان حين طاب إليه أن يصلح الأمر ، ليغزونا محمد إن صدق ظنى وهو صادق

(٢) كان بديل بن ورقاء الخزاعى قد قدم على النبي ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو ابن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن أن الخبر لم ينقل إلى النبي فدخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وسأله : هل ثم من حدث ؟ فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل ، ثم أعاد الكلام عليه فسكت عنه .

(٣) ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وغيرهم يناشدهم الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبي فيما جاء له . فصدفوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

(٤) كانت عشرة آلاف نار أمر النبي بإيقادها لما بلغ الجيش مر الظهران ليراها المشركون فيرعبوا .

لقد أنذرت قومك فاستطاروا   وراحوا ما يقرُّ لهم قرار[1]
نبتْ بهم المنازل والديار   وضاق سبيلهم فيها فحاروا
وقال سراتهم : خطب جسام

فدعهم يا ابن حرب تلْقَ رشدا   وبالحق اعتصم فالحق أجدى
سبيل محمد فاسلكه أهدى   وخذه يا ابن حرب منه عهدا
لبيتك فيه من شرف دعام[2]

مع العباس سرت إلى الرسول   لأعظم مطلب وأجل سول[3]
لدين الله ، دين ذوى العقول   من النفر المساميح العدول
صدقْتك ، ليس كالنور الظلام

لقيت محمداً حراً رشيدا   فعدت بيمنه خلقاً جديدا
هُديت وكنت جبَّاراً عنيداً   هنيئاً فاصحب الجَدَّ السعيدا
بما أولاك صاحبك الهمام

أصبت الخير أجمع والرشادا   على يده ونلت به المرادا
أفادك يا ابن حرب ما أفادا   فبارك فيك ربك ثم زادا
وعند الله يلتمس التمام

نظرت فهل رأيت أشدَّ صبراً   وأحسن منظراً وأجلَّ قدرا ؟[4]

---

(١) لما رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله . لقد أبى على ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك أطوع منهم له .

(٢) جعل له النبي حق الجوار فقال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

(٣) حمله العباس بن عبد المطلب على بغلته وقدم به على النبي فأسلم .

(٤) أمر به النبي فحبس على الطريق فى رجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تمر به كتيبة كتيبة . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتيبة الاولى وكانت من بنى سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لوا آن يحملهما العباس بن مرداس ، وخفاف بن ندبة كبرت ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال ـ مالى ولبنى سليم ، ثم مرت

كتائب من جنود الله تترى ... تمرُّ عليك واحـــدة فأخرى
لها من دينها العالى نظام

تُكبّرُ ربها وتراه حقا ... وتبـــذل فيه أنفسها فتبقى
لكَ البشرى ، نعمتَ وكنت تشقى ... فماذا من أيادى الله تلقى ؟
لقد جاءتْ فليس لها انصرام

لنعم الصاحبان الناجيان ... على طول التردّد والتوانى

= الثانية فكبرت ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال العباس : الزبير بن العوام فى خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب ، قال : الزبير بن أختك ؟؟ قال نعم ، ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائه يحمل رايتهم ابوذر . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال مالى ولغفار ، ثم مرت أسلم فى أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة ابن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال مالى ولأسلم ، ثم مرت بنو كعب بن عمرو ، وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء؟؟ قال بنو كعب اخوة أسلم ، قال،هؤلاء حلفاء محمد؟ قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان . وعبد بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال : مزينة ، قال مالى ومزينة . قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة فى ثلثمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد . وسويد بن صخر ، ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا . فقال من هؤلاء ؟ قال العباس . جهينة ، قال . مالى وجهينة . والله ما كان بينهم وبينى حرب قط ، ثم مرت كنانة ـ بنو ليث وضمرة ، وسعد بن بكر ـ فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال . بنو بكر . قال . نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعى فكبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال اشجع : قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الاسلام فى قلوبهم وهذا من فضل الله . ومرت بنو تميم . وبنو فزارة . وسعد بن هذيم . وهم من قضاعة ففعلوا مثل ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية . مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم فى الحديد ، لا يرى منهم إلا الحدق ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة فلما رآهم أبو سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله فى الأنصار ، فقال أبو سفيان ، ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

حكيم وابن ورقاء اللذان ... أرادا الله فيما يبغيـــان
فليس بغير منته اعتصام

كلا الرجلين غطريف كريم ... له فى قومه حسب قـــديم
زعيم جاء يصحبه زعيم ... كذلك يظهر الدين العظيم
فتعرفه الغطارفة العظام

مضى لك يا حكيم ولابن حرب ... قضـــاء زاد حياً كُلَّ قلب[1]
ومن أولى من الهـادى بحب ؟ ... وأجدر من عشيرته بقرب ؟
قريش قومه ، وهو الإمام

إذا جعلت قلوب الناس تهفو ... فمن بيتيكما حرز وكهف
وعنـــد كما ظلال الأمن تضفو ... وورد العيش للورّاد يصفو
هما البيتان كلّهما حرام

وفى حرم اللواء لكل نفس ... تلوذ به كفاية كل بأس[2]
يراه سراة مكة فوق رأس ... لميمون النقيبة غير نكس
من النفر الألى صلوا وصاموا

لواء أبى رويحة ما أعزا ... لواء قام للإيمان رمزا
يهزُّ قلوب أهل الشرك هزا ... ويترك بأسهم ضعفاً وعجزا
فمن للقوم إن وقع الصدام ؟

---

(١) حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبى فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أخى السيدة خديجة أم المؤمنين ، فهى عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنه ، وعاش بعد ستين سنة ؛ وكان من أشراف قريش فى جاهليته وإسلامه ، أعتق فى عهده الأول مائة رقبة ، وحج فى الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها ، عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، وفى هذه الحجة جعل النبى لحكيم ما جعل لأبى سفيان من الإجارة .

(٢) كذلك قال الرسول الكريم ، من دخل فى لواء أبى رويحة فهو آمن .

لاتجزعي ، إنه العهد الذي انبعثت ... أنواره تصدع العهد الذي سلفا

ليل الأباطيل ما التفّتْ غياهبه ... على الحقائق إلا انجاب وانكشفا

هنّ المنايا . فيالَلقوم من بطل ... رُمُوا به حيـــة من حية خافا

ضاقوا بسعد فقالوا : قائد حنق ... لو جاوز الحد بعد الحد ما وقفا[1]

واستصرخوا من رسول الله ذا حدب ... إذا استغاث به مستصرخ عطفا

هبّتْ إلى الشر من جهالهم فئة ... لم تأل من جهلها بغياً ولا صلفا

واستنفرت من قريش كل ذي نزق ... إذا يشار إليـــه بالبنان هفا

فخاضها خالد شعواء كالحة ... إذا جرى الهول في أرجائها عصفا

رمى بها مهج الكفار فاستبقت ... تاقى البوار ، وتشكو الحين والتلفا

---

(١) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا سفيان . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أي يقتل من يهدر دمه ولو تعلق بأستارها ، فلما حاذاه النبي قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال : لا ، فذكر له ما قال سعد . وناشده الرحم . فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، ثم تعرضت امرأة للنبي فأنشدته .

يا رسول الهدى إليك لجاحـ ... ى قريش ، ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض ، وعاداهم إله السماء

والتقت حلقتا البطان على القو ... م ، ونودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ... ـر بأهل الحجون والبطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيـ ... ـظ رمانا بالنسر والعواء

وغر الصدر لايهم بشيء ... غير سفك الدما وسبي النساء

قد تلظى على البطاح وجاءت ... عنه هند بالسوأة السوآء

إذ ينادي بذل حي قريش ... وابن حرب بذا من الشهداء

ولئن أقحم اللواء ونادى ... يا حماة الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخز ... رج والأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش ... فقعة القاع في أكف الإماء

فانهينه فإنه أسد الأسد ... لدى الغاب والغ في الدماء

إنه مطرق يريد بنا الأمـ ... ـر سكوتا كالحية الصماء

فأمر النبي بأخذ الراية منه ودفعها إلى ولده قيس ، ثم خشي سعد أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل ، وبقي سعد في مقدمة كتيبة الرسول الكريم ولا راية معه وهو بذلك راض ، رضي الله عنه .

وقعة الفتح الأعظم

جعل النبي صلى الله عليه وسلم لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام . وأمره أن يدخل مكة من كداء وأن يركز رايته بالحجون ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في كتائب من قضاعة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، وقالوا ، لا تدخلها عنوة . فقاتلهم وانهزموا (١) واشتد الأمر بمكة . فصاح حكيم ابن حزام : وأبو سفيان : يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم ؟ ؟ من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح . في الطرق فيأخذه المسلمون ، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فائزاً منصوراً .

ديار مكة هذا خالد دلفا ... فما احتيالك في الطود الذي رجفا ؟

طود من الشرك خانته جوانبه ... لما مشى نحوه الطود الذي زحفا

إن الجبال التي في الأرض لو كفرت ... لدكها جبل الإسلام أو نسفا

لما دعاه بسيف الله سيـــده ... زاد السيوف به في عزها شرفا

ديار مكة أمّا من يسالمـــه ... فلا أذى يتقي منـــه ولا جنفا

تلك الوصية ما يرضى بها بدلا ... ولا يرى دونها معدى ومنصرفا[2]

---

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، تجمعوا بمكان يقال له الخندمة ليقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسلمة بن الميلاء ، وقتل من المشركين إثنا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا وخالد من ورائهم ، وقد استشهد من أصحابه رجلان آخران هما حبيش بن الأشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي في هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر الفهري الذي أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين ، وهو الذي أغار على سرح النبي .

(٢) أمره النبي أن يغرز رايته عند أدنى البيوت من مكة ، وألا يقاتل إلا من يقاتله .

وقال قائلهم : أسرفت من بطل　　　ما كان أحسنه لو جانب السرفا

وهاج هم أبى سفيان ما وجدوا　　　فراح يشفع فيهم جازعاً أسفا[١]

فلان قلب رسول الله مرحمة　　　ورق من شدة البطش الذى وصفا

وقال: سر يارسولى، فانهَ صَاحبنا　　　عن القتال ، فحسى ما جنى وكفى

* * *

مضى الرسول يقول : اقتل فهيجها　　　مشبوبة . هتفت بالويل إذ هتفا

وعاد والدم فى آثاره سرب　　　والقوم من خلفه يدعون : والهفا

قال النبى ألم تذكـــر مقالتنا　　　خالد ؟ أعَصَيت الأمر أم صدفا ؟

فقال : بوركت ، إن الله حرفها　　　وما تغـــيَّر لى رأى ولا انحرفا

سبحانه . إنَّ أمر الناس فى يده　　　لا يعرف المرء من خافيه ما عرفا

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع　　　عما قليل ، وإن النصر قد أزفا

لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه　　　تحت العجاجة ، يجلو ضوءه السدفا[٢]

هذا الزبير ترامى فى كتائبه　　　كالسيل ، لاتمسك الأسداد ماجرفا

يلقى كداء به والخيل راكضة　　　ما قال حسان من قبلى وما ازدهفا[٣]

* * *

(١) جاء أبو سفيان فقال يا رسول الله : أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال لرجل : إذهب إلى خالد وقل له لا تقتل ، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أن نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع إلى النبى وكان قد علم بأمر القتلى قال له . ألم آمرك بأن تدعو خالداً إلى الكف عن القتل ، فذكر له ما كان وقال : أردت أمراً وأراد الله غيره ، فكان أمر الله فوق أمرك . وما استطعت إلا الذى كان .

(٢) السدف الظلم .

(٣) لما دخل النبى مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر . فتبسم وقال لأبى بكر : ماذا قال حسان ، فأنشده :

عدمت بنيتى إن لم تروها　　　تثير النقع ، موعدها كداء

ينازعن الأعنة مسرجات　　　يلطمهن بالخمر النســاء

فقال النبى : ادخلوها من حيث قال . وازدهف بمعنى انحرف أو تزيد فى الكلام .

الله أكبر ، جاء الفتح وابتهجت　　　للمؤمنين نفوس سرها وشفى

مشى النبى يحفُّ النصر موكبه　　　مشيعاً بجـــلال الله مكتنفا

أضحى أسامة من بين الصحاب له　　　ردفاً ، فكان أعزَّ الناس مرتدفا

لم يبق إذ سطعت أنوار غرته　　　مغنى بمكة إلا اهتزَّ أو وجفا

تحرك البيت حتى لو تطاوعه　　　أركانه خف يلقى ركبه شغفا

وافاه فى صحبه من كل مزدلف　　　فلم يدع فيه للكفار مزدلفا[١]

العاكفون على الأصنام أضحكهم　　　أن الهوان على أصنامهم عكفا[٢]

كانوا يظنون أن لا يستباح لها　　　حمى ، فلا شمماً أبدت ولا أنفا

نامت شياطينها عنهـــا مذممة　　　وبات ماردها بالخزى ملتحفا

هوت تفاريق ، وانقضَّت محطمة　　　كأنها لم تكن إذ أصبحت كسفا[٣]

ريعت شيوخ قريش من قذائفها　　　وريع منها الخزاعىّ الذى قذفا

رأته ينحطُّ من عليـــائه فزعا　　　من بعد ما أفزع الأجيال مشترفا[٤]

وما درى هبل والطعن يأخذه　　　هل غوّر الدمع فى عينيه أم ذرفا ؟

لو كان للدم يجـــرى حولُه دفعاً　　　طول المدى مثعب فى جوفه نزفا[٥]

(١) انتهى النبى إلى الكعبة ومعه المسلمون . فاستلم الركن بمحجنه ، وكبر فكبروا مرجعين حتى ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا ، وكان محمد بن مسلمة يأخذ بزمام ناقته فى طوافه . ازدلف تقدم وتقرب .

(٢) قال ابن عباس . كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجعل النبى يهوى بقضيب كان معه إلى كل صنم فيها فيهوى ، وإنه كان يقول ، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، وكان هبل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبى ومعه قوس جعل يطعن بها فى عينيه وهو يقول : جاء الحق الآية ، ثم أمر به فكسر ، وبقى من هذه الأصنام على الكعبة صنم كبير من نحاس ـ وقيل من صفر ـ لخزاعة جعلوا له أوتاداً من الحديد مثبتة فى الأرض ، فأمر النبى علياً بن أبى طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

(٣) الكسف القطع .

(٤) المشترف المنتصب .

(٥) المثعب مسيل الماء من الحوض .

رمى به الله ، يحمى البيت من عبث   يعاف باطله من عاف أو عزفا[١]

لم يبق بالبيت أصنام ولا صور   زال العمى، واستحال الأمر فاختلفا[٢]

للجاهلية رسم كان يعجبها   فى دهرها ، فعفت أيامها وعفا

لا كنت يازمن الأوهام من زمن   أرخى على الناس من ظلمائه سجفا

إن الشريد الذى قد كان يظلمه   ذوو قرابته قد عاد فانتصفا[٣]

ردَّ الظلامة فى رفق وإن عنفوا   ولو يشاء إذن لاشتدَّ أو عنفا

إن الرسول لسمح ذو مياسرة   إذا تملَّك أعناق الجناة عفا

شكراً محمد إن الله أسبغها   عليك نعمى ترامى ظلها وضفا

وعد وَفَى لإمام المرسلين به   والله إن وعد الرسل الكرام وفى

خذ المحصَّب إن وافيته نزلا   واذكر به ذلك الميثاق والحلفا[٤]

قد عاد يكلف بالإسلام من رشد   من كان بالكفر من غىّ الهوى كلفا

ثم استقام على البيضاء يسلكها   من كان يضرب فى العمياء معتسفا

مشى طليقاً إلى غاياته مرحاً   وكان فى القيد إن رام الخطى رسفا

يغشى موارد للايمان صافية   ما امتاح من مثلها يوماً ولا اغترفا[٥]

---

(١) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٢) أبى النبى أن يدخل البيت وفيه مافيه من التماثيل التى اتخذها القوم على صور شتى ، فأمر بها فأخرجت ثم نادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره ، فكسروا الأصنام التى كانت فى بيوتهم ، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان إلى صنم كان عندها فجعلت تضربه وتقول : كنا منك فى غرور ، ثم بعث النبى السرايا لكسر الأصنام التى كانت حول مكة .

(٣) النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) قال النبى : إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الخيف ـ خيف بنى كنانة يعنى المحصب ـ وهو الذى تحالفت فيه قريش وكنانة على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب حتى يسلموه إليهم ، وقد فتحت مكة وفعل ذلك .

(٥) امتاح الماء غرفه .

عادوا طهارى ، فلم يعلق بهم وضَرٌ   مما جنى الكفر قبل الفتح واقترفا

تتابع القوم أفواجا ، فآمنهم   دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا

كذلك الحق يعلو فى مصاعده   حتى ينال الذرى أو يبلغ الشعفا[١]

مرمى العقول إذا ما غرها هدف   فإن تريد سواه إن رمت هدفا

وما على الحق من بأس ولا حرج   إن هوّم العقل عنه مرة فغفا

إن الذى جعل الإسلام معقله   أعلى لأمته الأركان والسقفا

لم يرض ما نال من مجد فأورثه   مجداً طريفاً ، وعزًّا منه مؤتنفا[٢]

شتان ما بين صرح ثابت رُفِعت   منه القباب وصرح واهن خسفا

* * *

لتنصت الأرض، ولتسمع ممالكها   ماذا يقول لها الرعد الذى قصفا[٣]

شرائع الخير يلقيها محببة   شيخ النبيين يبغى البر واللطفا

---

(١) الشعف رءوس الجبال جمع شعفة .

(٢) إئتنف الشىء بمعنى استأنفه أى ابتدأه .

(٣) دعا النبى عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها معه ومع بلال وأسامة بن زيد ، وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقف على بابها ، وقال : ـ

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده . ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة منها ـ يامعشر قريش ، إن الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . والناس من آدم ، وآدم من تراب ، وتلا قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ثم قال : يا معشر قريش ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، فقال الرسول الكريم ، أقول كما قال أخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فخرجوا وكأنما نشروا من القبور ثم أسلموا .

وذكر فى هذه الخطبة بعض الأحكام ومنها ، لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا يجمع المرء بين المرأة وعمتها ، ولا بينها وبين خالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر . ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولاصلاة بعد =

الناس من آدمٍ والبغى مهلكة   فليتق الله منهم من قسا وجفا

قل للألى خطبوا الأفوام أو كتبوا   دعوا المنابر والأقلام والصحفا

= العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ، ثم قال ـ أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فلقى النبى صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ، واستأذنه فى الهجره فكتب إليه : يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه ، فإن الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك ، وكان أجود قريش كفاً ، وأوصلها رحماً ، ومن مناقبه أن عمر بن الخطاب كان يستسقى به فى خلافته إذا قحط الناس فيسقون ، وفى ذلك يقول عقيل بن أبى طالب :

بعمى سقى الله البلاد فأهلها   عشية يستسقى بشيبته عمر

توجه بالعباس فى الجدب داعياً   فما حاد حتى جاد بالديمة المطر

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكرا   فذلك فضل الله ، أسداه وافرا

أقمت تراعى الركب حرّان شيّقاً   هنيئاً ، فهذا الركب وافاك زائراً

هنيئاً ، فقد أوتيت سؤلك كله   ولقّيت عن قرب من السعد طائرا

إذا ما التمست الركب : أين مكانه   فحيث ترى نور النبوة باهرا

أبا الفضل أقبل ، واقضها من لبانة   لنفسك ، تشفى منك داء مخامرا

حبيب نأى يطوى السنين ، وذو هوى   يعالج وجداً بين جنبيه ثائرا

ويلقى الأذى بعد الأذى فى سبيله   فيرضى ، ويغضى الجفن فى الله صابرا

لك الله يا عباس هذا محمـــد   فسلم ، وطب ما شئت نفساً وخاطرا

أتى بعد ما جرّ السنين مهاجراً   يجرُّ السرايا خلفه والعساكرا

رآك فقرّت عينه ، وترافدت   تحيـــاته تلقاك زُهراً نواضرا

لها عبق من رحمة الله ، لم يزل   مكانكما منه إلى اليوم عاطرا

* * *

أقمت على المستضعفين بمـــكة   تردُّ الأذى عنهم ، وترعى الأواصرا

إذا فزعوا للظلم كنت لهم حمى   وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصرا

يظنك أهل الكفر منهم ، وإنما ... أردت بهم أمراً ، وما كنت كافرا
شددت قوى الإسلام بين ربوعهم ... وخادعتهم عنه ، فأصبح ظاهرا
وكنت له عيناً تظاهرهـا يد ... تذيع خفاياهم ، وتبدى السرائرا
تمدُّ رسول الله بالكتب حفَّلا ... بأنبائهم ، تطوى الفجاج سوائرا
بريد ، إذا كف البريد من الونى ... مضى دائباً فى شأنه متواترا
وكنت إذا استأذنت، تبغى جواره ... أبى ، وهواه أن يراك مجاورا
وقال : انتظر يا عم ، إنك مرجأ ... إلى موعد يأتى به الله آخرا
فبى ختم الله النبيين كلهم ... وتمم هاتيك العلى والمآثرا
وإنى لأرجو أن تكون بيثرب ... بقية من يأتى إلينا مهاجرا

* * *

هو الله فانظر يا أبا الفضل ما قضى ... من اليسر بعد العسر، بوركت ناظرا
تجلت دياجير الهموم دميمة ... وأضحت وجوه العيش بيضاً سوافرا
ألا رب يوم ذقت من سوء ما جنى ... ذوو الشرك فيه ما يشقّ المرائرا
وليل كما اهتاج الجبان مفزع ... طويت دجاه كاسف البال ساهرا
كدأبك إذ قالوا أصيب محمد ... وقد جاءهم بالزور من كان ساخرا[1]
فلما عرفت الحق أوفيت ناهضا ... تقبّل مَن وافاك يُزجى البشائرا
وترسله حرًّا طليقاً ، وإنه ... لفى عزة تُعيِي النفوس الحرائرا
نهضت خفيف الجانبين ، ولم تكن ... على مثلها من قبل ذلك قادرا
يسرُّك ماسرَّ الرسول وما يكن ... به من أذى ألفيته لك ضائرا
هَديتَ أبا سفيان ترحم نفسه ... وتكره أن يبقى مدى الدهر حائرا
وجئت به ، والجند بالليل راصد ... يقلِّب للحرب الرقاق البواترا

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمى رضى الله عنه وقد تقدمت .

فأسلم يُرضى الله من بعد نفرة ... ولولاك لم يبرح عن الحق نافرا
وفى ابن حزم وابن ورقاء شاهد ... بمالك من فضل لمن كان ذاكرا
ثلاثة أقطاب صرفت قلوبهم ... إلى الله تحْييهم ، وترجو المصائرا
ولو أعرضوا لم يردع الحرب رادع ... ولم ينتزع أنيابها والأظافرا
حقنتَ دماء ، لو تُخلَّى سبيلها ... جرت تحت أعلام الغزاة موائرا
فأمست قريش ما لها من بقية ... وأمسى الذى اعتادت من العز دائرا
بيُمْنك يا عم الرسول تتابعت ... أياد يراها المسلمون ذخائرا
وكنت امرأ من قبل ذلك محسناً ... يقيم بجدواه الجدود العواثرا
عظيما ترَجِّيه قريش لما بها ... إذا فزعت للأمر تخشى الدوائرا
وإنك إذ تسقى الحجيج لسيد ... يعلِّم سادات الرجال المفاخرا
لعثمان ما يرضى ، ومالك غيرها ... ولاية من يعطى ويبذل كابرا[1]
وليس التى يأتى الحميلة غارساً ... كمثل الذى يأتى الحميلة هاصرا
حُرِمت الرضى إن عبت عثمان إنه ... على سُنَّةٍ غلباء تُعيِي المكاثرا
له من عطاء الله كنز مبارك ... يقيم لدين الله فيه الشعائرا
يضنُّ بمفتاح البنيّة جهده ... ويعرفه مجداً على الدهر غابرا
أمانة رب البيت لم تعط خائناً ... يريد بها دنيا ، ولم تؤت فاجرا

* * *

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبى طلحة من ولد عبد الدار بن قصى ابن كلاب ، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بن السقاية والسدانة فأبى وقال ما معناه — إنما أعطيكم يعنى آل بيته ، ماتبذلون فيه أموالكم للناس ، لا ماتأخذون فيه من الناس أموالهم — ثم رد المفتاح إلى عثمان وقال : خذوها (يعنى السدانة) خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، ياعثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . وفى هذه الواقعة نزل قوله تعالى — (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها — الآية) .

أبا الفضل هـذا ما أحب محمد ظفرت به ، لازال سهمك ظافرا

إذا أظمأ الله البـلاد وأهلها فباسمك يسقيها الغيوث المواطرا

لعمرى لقد غادرت غير منازَع مناقب ذكراها تهزُّ المنابرا

صدقْتُك ، إنى لو تناسيت حقها على ما عنانى ، لم أجد لىَ عاذرا

أعِنّى بروح منك يارب واهدِنى سبيلك ، إن أضللت فى الناس شاعرا

دعونك للإسلام أمْسِكُ مجده وأدرك منه ما طوى الدهر ناشرا

إسلام هِنْد بنت عتبة زوج أبى سفيان

لما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء يبايعنه، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد ، ولاكت كبده ولم تقدر على ابتلاعها فلفظتها ، واتخذت القلائد من جلده لأنه قتل أباها يوم بدر — تقدمت إلى الرسول الكريم منتقبة خوفاً منه فعرفها ، وقالت له : أعف عما سلف ، عفا الله عنك ، يانبى الله ، ثم بايعته . ومما يؤثر عنها أنه لما قال (ولا تزنين) قالت : أو تزنى الحرة يارسول الله ؟ ؟

يا هند حسبك مغنما وكفاك إن الذى يهدى النفوس هـداك

أقبلت ، تُرخين القناع حييّة تخفين نفسك والنبى يراك

أوَ لستِ هنداً ؟قالت فى خجل: بلى لا تخجلى ، فالله قـد عافاك

داويت بالإسلام قلبك فاشتفى وغسلت من تلك الجريمة فاك

لا تذكرى الكيد التى مارستها فأبت عليك ، لعلها تنساك

ودعى قلائد يوم بدر والبسى فى بهجة الفتح المبين حلاك

أخذ الهـدى بك فى سبيل محمد تخذى عن الشيخ الجليل أذاك[1]

ما كان بالمفتون حين شتمته وبلغت فى سوء الصنيع مداك

قلت : اقتلوه ، ولو أطاعك جمعهم لجرى الدم المدفوك من جرّاك

يا هند إن الحق أعظم صولة من أن يهابك أو يهاب أباك

ما مثله إن رُمْتِ فى الدنيا أباً يا بنت عتبةَ من أب يرعاك

---

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبى فقال لهم : هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به ، أسلموا تسلموا ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت (الزق الضخم) الدسم الأحمس ، قبحت من طليعة قوم — وفى رواية أنها أخذت بلحيته ونادت : اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟ ؟

مَنْ قدّم الدنيا ، فليس ببالغ … ما قدَّمَتْ عنــد الرسول يداكِ

فيم اعتذارك ، والهــدية سمحة … وهواكِ في تقوى الإلٰهِ هواكِ[1]

بايعتِ أهدى العالمين طريقة … ورضيت منه مهــذَّباً يرضاكِ

يندى الإساءة ، وهي جرح بالغ … ويعوذ بالخُلُق الكريم الزاكي

مهما تنَلْه المحفظات من الألى … جهلوا ، فليس بعاتب أو شاكِ

أعَجِبْت إذ ذكر الفواحش هاديا … فهي اللواتي جئنه ونهاكِ ؟

إن تعجبي للعرض يُبــذل هيِّناً … وهو الحياة بأسرها فكذاكِ

عِرض الحرائر ما علمت وإنما … يرضى سواهن الزنا وســواكِ

يحفظْنَه ، ويذدن عن ممنوعه … شهوات كل مخادع فتاكِ

تأبى التي منهن يقتلها الطوى … أن يُشتَرى بذخائر الأملاكِ[2]

وتصدُّ معرضة تضنُّ بنفسها … ولو ان مضجعها ذرى الأفلاكِ

عار الزنا يُخزي الوجوه وشره … يرمي البــلاد وأهلها بهلاكِ

يا هنــد إن الله أمضى حكمه … فكفاكِ سوء عذابه ووقاكِ

أوتيت زادكِ من تقى وهداية … فتزوّدي ، سبحان من نجّاكِ

---

(١) أهدت إلى النبي مع جارية لها جديين مشويين وقديداً ، وأوصتها أن تعتذر إليه على لسانها وتقول : إن غنمنا قليلة الوالدة .

(٢) الطوى الجوع .

إسلام عثمان أبي قحافة والد أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان - ويكنى بأبي قحافة - يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه ؟ قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه ، ثم أجلسه بين يديه الشريفتين فمسح صدره وقال : أسلم تسلم ففعل ، وهنأ النبي أبا بكر بإسلامه فقال : « والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه » .

شيخ يقاد إلى النبي على يد … هي للنبي إذا رمى أعلى يد

هــذا أبو بكر يقدِّم شيخه … يهديه ، إن الألمعيَّ ليهتدي

قال النبي ألا رثيت لضعفه … وتركته في داره لم يجهد ؟

لو لم يجيء مشيتُ أشهد أمره … وأجُلّه شيخاً كريم المشهد

يا والد الصــدّيق خذها نعمة … سيقتَ إليك من النبي محمد

ما كنت بالمصروف عن دين الألى … كفروا بآلهة كأنْ لم تعبــد

العاكفين على شرائع ربهم … من رُكَّع بيض الجباه وسجّد

الظامئين إلى الجهاد ، فإن دُعُوا … وردوا حياض الموت عذب المورد

يتهافتون على جوانبها إذا … نادى رسول الله أيُّكم الصد ؟ ؟

من كان يسعد في الرجال بوالد … فبِمَنْ ولدت أبا قحافة فاســعد

من سؤدد الصديق أن زمانه … لو لم يلده لكان خصم السؤدد

الحاضن الإسلام يجعل صدره … كهفاً يقيه أذى العــدوِّ المفسد

يعطيه مهجته وصفوة ماله … ويكون للحدث الجليل بمرصد

قال النبيُّ اهنأ ، فقال وددتها … كانت لعمك ذي الفعال الأمجد

هذا هو الإيثار ، فاعجب واعتبر … وأعد على الدهر الحديث وردّد

كعب بن زهير وأخوه بجير رضي الله عنهما

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزنى أحد أصحاب المعلقات ، كان يرعى غنما له مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له بجير : أثبت أنت فى غنمنا ودعنى أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، وجاءه بالمدينة فهداه الله للاسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويدعوه لمثل ما فعل (١) فأجابه كعب على رسالته لائماً ، وكان الرسول الكريم قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانت سعاد .

بجير كيف يخطئك السداد ... ويجنح ضلّةً منك القياد ؟

ألا إن اللبيب لذو صلاح ... إذا ما الرأى خالطه الفساد

تركت أخاك تنشده مراداً ... لنفسك صالحاً ، نعم المراد

تقول له : أتبقى فى ظنون ... تذود البينات ، ولا تذاد ؟

فدعنى وانتظر يا كعب إنى ... لأخشى أن يطيح بنا العناد

أجىء محمداً فأرى : أغىٌّ ... يراد بمن يليه أم رشاد ؟

* * *

أتى ، فرأى اليقين ، له جلاء ... فطابت نفسه ، وصفا الفؤاد

وأسلم ، لا يرى لله نِدّاً ... تدين له الخلائق والعباد

وأنفذه إلى كعب كتاباً ... كأن سطوره البيض الحداد

دعاه إليه يكره أن يراه ... كمن صدفوا عن المثلى وحادوا

(١) بعث بجير إلى كعب يقول : إن رسول الله قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إليه مسرعاً فإنه لا يقتل من جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن مبلغ كعباً ، فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم ؟

إلى الله – لا العزى ولا اللات – وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سلمى على محرم

وقال : لئن أبيت فلا تلمنى ... إذا أخذتك داهية نآد

رميت محمداً فلأنت صيد ... له يا كعب والرامى يصاد

إذا لم تأتنا فاذهب بعيداً ... عسى منجًى يغيثك أو مصاد

* * *

أتاه نذيره فعناه همٌّ ... وطال الليل وامتنع الرقاد

إذا التمس القرار أبى عليه ... وغال قواه ذعر وارتعاد

بطن الأرض ترجف أو تنزّى ... فما ترسو الجبال ولا الوهاد

وأرسلَ : يا بجير صبأت لما ... سقاك بكأسه السمح الجواد(١)

أدينَ أبيك تترك يا بجير ... ولا دين سواه ولا اعتقاد ؟

* * *

وساوس ذاهل يغشاه رعب ... فيورثه جنوناً أو يكاد

فلما ضاقت الدنيا عليه ... وهدّتْ ركنه الكرب الشداد

أتى يبغى الأمان لدى كريم ... يرجَّى الخير منه ويستفاد

تداركَ نفسه منه بعفو ... فعادت حين لا يُرجَى معاد

ولاذ بمعقل الإسلام كعب ... فلا ركن يميل ولا عماد

* * *

هلمَّ فلاقه يا كعب رزقا ... من الرضوان ليس له نفاد

لنعم الزرع زرعك حين تبغى ... جناه ، وحين يُدركه الحصاد

لقيت كرامة ، وسعدت جدًّا ... ففزْ إذاً ، وقل بانت سعاد

بوخذها بردة للشعر فيها ... طريف العزِّ والمجد التلاد

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعباً كتب إليه :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ؟

فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شىء غير ذلك دلكا ؟

على خلق لم تلف أماً ولا أباً ... عليه . ولا تلفى عليه أخا لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

صبأ الرجل خرج من دين إلى دين .

غزوة حنين

لما فتحت مكة اجتمع أشراف هوازن وثقيف يقولون ، قد فرغ لنا محمد ، فالرأى أن نغزوه نحن قبل أن يغزونا ، وجعلوا أمرهم إلى مالك ابن عوف أسلم بعد ذلك على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً ـ خرجوا بالنساء والأولاد والمواشى ـ وكان خروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى هذه الغزوة يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة فى اثنى عشر ألفاً ، وبعد أن رتب الجيش أعطى الرايات إلى على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير . وقد اشتد القتال فى هذه الغزوة ، فتراجع المسلمون ثم نصرهم الله .

لمن الجموع كثيرة تتألب؟ ... مهلا هوازن أين أين المذهب ؟
مهلا ثقيف ركبت من غىّ الهوى ... وعمايه الأوهام مالا يُركب
مهلا بغاة السوء ما لمحمد ... كفؤ ، ولا منه لباغ مهرب
قلتم : قضى حاجاته ، وخلالنا ... فبدار ، إنّا معشر لا نغلب
وبعثموها ظالمين ، تهزكم ... نشواتها ، فردوا الموارد واشربوا
حمل ابن عوف فى الكريهة أمركم ... فانهار كاهله ، وخرّ المنكب
ولقد دهاكم من دريد أنه ... شيخ تساس به الأمور مجرّب
فسألتموه الرأى يعصم مالكا ... ويريه ما يأتى وما يتجنب
هيهات، كل الرأى ـ إن غضب الألى ... لا يرتضون سوى الجهاد ـ مخيَّب
سوقوا النساء ، وجنّدوا أنعامكم ... ودعوا البنين بكل أرض تدأب[1]

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم ليمنعهم من الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة : مالى أسمع رغاء الإبل ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ، وخوار البقر ؟ ؟ قالوا ، هكذا أراد مالك ، فدعاه إليه، وسفه رأيه ،وكان مما قاله له . إنك رويعى ضأن. فمالك وللحرب، هل يرد المنهزم شىء ؟ هى إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى نفسك ==

وإذا الحديث الحق جاء كبيركم ... فالزور أولى ، والحماقة أوجب[1]
شتم الألى صدقوه ألا يدّعوا ... مالم يروا شططاً ، وألا يكذبوا
ورمى بهم فى الحبس خوف حديثهم ... فالأمر فوضى ، والصواب مغيّب

* * *

أغضب دريداً وارض، لست كمالك ... فى القوم إذ يرضى وإذ يتغضّب
ملك القياد فلا مردّ لأمره ... ولسوف يهلك من يقود ويَجنُب
أكذاك زعمك يا ابن عوف؟ إنها ... لكبيرة ، بل أنت ويحك تاعب[2]
أزعمْتَ أن محمداً لم يأته ... من قبل قومك من يُخاف ويُرهب ؟
وظننت أنك إن لقيت جنوده ... لم تُغن عنه كتيبة أو مقنب
إن الذى حدّثت قومك جاءه ... فائن عجبت لما أصابك أعجب

* * *

هو ملتقى الجيشين، فانظر هل ترى ... قوماً تظلّ عيونهم تتلهب ؟
ولِع الرماة بهم ، فتلك سهامهم ... ملء القسىّ إلى النحور تصوّب[3]

== ومالك ، ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها وقال ، والله لا أطيعك ، انك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن ، أنا راجع إلى أهلى إذن . فمنعوه ، فقال مالك لهم ، والله لتطيعنى يامعشر هوازن أو لأ تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، فقالوا : أطعناك ، وقال دريد .

يا ليتنى فيها جذع ، أخب فيها وأضع ... أقود وطفاء الزمع . كأنها شاة صدع

(١) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فرجعوا إليه مذعورين ، فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق ، فأصابنا ما ترى ، وإن أطعتنا لترجعن بقومك ، فقال : أف لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، ثم حبسهم كيلا يشيع الخبر .

(٢) بعث النبى عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ليأتيه بأخبار القوم ، فلما انتهى إلى مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن سمعه يقول لهم : أن محمداً لم يقاتل قبلنا أحداً من أبطال الحروب إنما كان يلقى قوماً أغماراً فيظهر عليهم وانا لغالبوه ، وعاد عبد الله فقص الحديث على النبى

(٣) كانت هوازن رماه لا يكاد يخطىء لهم سهم . فألحوا على المسلمين بالنبل .

غفلتْ مواقعها عن الدم إذ جرى ... فكأنها بدم الرماة تُخضَّب

كرهوا السيوف ، والوغى أبطالها ... تُدعَى ، فتستلُّ السيوف وتضرب

* * *

حيـــدوا جنود الله ثم تقدَّموا ... فالحرب فى أطوارها تتقلب[١]

آنا تردُّ عن الفريسة نابها ... تبغى مقاتلهـــا ، وآنا تنشب

تُزجى رواعدها البروق ، فصادق ... ينهلُّ صَيِّبه ، وآخر خلَّب

غرَّارة ، يشقى الغبيُّ بكيدها ... إن بان من غيب الأمور محجب

تُبـــدى من الحاجات مالا تبتغى ... حذراً ، وتـكتم ما تريد وتطلب

علمٌ توارثه الثقـــات ، وزاده ... شيخ الوغى وأبو الثقات المنجب

* * *

حمِيَ الوطيس أجلْ تبارك ربنا ... فافزع إليه ، هو الغياث الأقرب[٢]

هذى كتائبه عليك تنزلت ... ومضت إلى أعدائه تتوثب[٣]

بصروا بها ، فتزايلت أوصالهم ... رعباً ، وضاق سبيلهم والمذهب

هم فى حنين يا محمـــد مثلهم ... فى يوم بدر صدعهم ما يرأب

مدد السماء أعدَّه لك منجد ... لا جنده يفنى ، ولا هو يتعب

---

(١) هكذا حدث حين اشتد القتال ، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم فى مكانه مع طائفة من أصحابه ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب (بن عمه) وأسامة بن زيد ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان يدفع بغلته إلى الأمام ويقول : أنا النبي لا كذب . أنا ابن عبد المطلب .

(٢) قال النبي حين استحر القتال (الآن حمى الوطيس) وقد رفع يديه فى هذا الموطن وقال : اللهم أنشدك ما وعدتنى ، اللهم لا ينبغى أن يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون ، وأنت حى قيوم ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان .

(٣) أنزل الله الملائكة فى هذه الغزوة ، وقد اختلف فى عددهم فقيل خمسة آلاف ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل ستة عشر ألفاً .

ســـبحانه ، ما من إله غيره ... لو يستقيم الجاهل المتنكب

* * *

يا مولعاً بالحرب ، يستقصى المدى ... فى وصفها منه البيان المسهب[١]

سل بغلةً حملتْ رسول الله هل ... حملت فوارسها العتاقُ الشُّزَّب ؟

طاروا عليها مدبرين ، ولم يطر ... ومضَوا فلولا ، وهو راس يرقب

بطل يرى موجَ المنـــايا حوله ... فعزيمة تطفو ، وقلب يرسُب

تجرى ظنون القوم فى حركاته ... فيفوت غاية من يظنُّ ويحسب

كل امرىء يأبى الأمور عظيمة ... فإليه فى الدنيا العريضة يُنسب

ما العبقرية فى مراتبها العلى ؟ ... هو فى سماء العبقرية كوكب

متألِّق ، من لم يسِرْ فى نوره ... أودى الظلام به وطاح الغَيْهَب[٢]

أين الألى ملأ الفضاء سوادهم ... وأضلَّهم ساداتهم فتحزبوا ؟

غنموا الفرار ، فما يرى من بعدهم ... إلا المغانم ، تستباح وتنهب[٣]

خير أتيح ونعمة مشكورة ... سيقت على قدر ، ورزق طيِّب

راحت بأيدى المسلمين ، وإنهم ... لأحقُّ من يُعطَى الجزيل ويوهب

تُقضَى الديون بها ، فلا ابن أمية ... يشكو المطال ولا حويطب يعتب[٤]

ويقام دين الله فى القوم الألى ... فتنوا بأصنام تقام وتنصب

* * *

---

(١) الشزب جمع شازب وهو الضامر .

(٢) أودى أهلك والغيهب الظلمة .

(٣) غنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألفاً . ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة . ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وعدداً قليلا من البقر .

(٤) استقرض النبي قبل خروجه من مكة إلى هذه الغزوة خمسين ألف درهم من صفوان ابن أمية ، وأربعين ألفاً من عبد الله بن ربيعه ومثلها من حويطب بن عبد العزى فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ، ثم ردها مما غنم فى حنين .

قتلى هوازن َ هل تفجَّع مالك ... ومضى لمصرعكم ينوح و يندب ؟[١]

قم يا دريد فقل لقومك خطبة ... تجلو الهموم ، فقد عهدتك تخطب[٢]

انظر إلى الأسرى وسلهم : مالهم ... نكبوا ، وكان الظن ألا ينكبوا

ويح النساء ومن ولدن ألا فتى ... يحمى الذمار ؟ ألا كمىٌّ محرَب[٣]

إسمع دريد فقد أهاب محمد ... يحنو على النشء الضعيف ويحدب[٤]

لا تقتلوا الأولاد ، ما فيهم لنا ... خصم ، ولا منهم أثيم مذنب

أَسَخِرْتَ بالبطل الصغير فهل نجا ... منه بمهجته الكبير الأشيب[٥]

أعطاك سؤلك ، ما تردَّد سيفه ... ولأنتَ سؤلُ غراره والمأرب

إن ضاق صدرك حين تذكر أمه ... فاصدرها لو كنت تعلم أرحب

قالت : أتقتله ، ربيعة ؟ إنه ... شيخ له فضل يُعدُّ ومنصب[٦]

* * *

ما بال سيف الله ؟ أين مكانه ؟ ... أيغيب عن نظر النبي ويعزب ؟[٧]

سأل النبي فقيل : عند جراحه ... لو يستطيع أتى يهش ويطرب

(١) قتل من المشركين فى هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا قبل الهزيمة وثمانة بعدها ولم يقتل من المسلمين غير أربعة .

(٢) كان دريد بن الصمة من فحول الشعراء ، وهو صاحب القصيدة التى يقول فيها .

أمرتهم ، أمرى بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهل أنا إلا من غزية أن غوت ... غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

(٣) المحرب الشجاع الشديد الحرب .

(٤) نهى النبى عن قتل الأولاد رحمة بهم .

(٥) هو ربيعة بن رفيع السلمى . أخذ بخطام جمل دريد فقال له : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقتلك ثم ضربه بالسيف فلم يصب منه شيئاً ، فقال دريد يسخر به ، بئس ما سلحتك أمك . خذ سيفى فاضربنى به ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فقتله ، فلما أخبر أمه قالت : هلا تكرمت عن قتله ؟ إن له لفضلا .

(٦) المنصب المنبت والمحتد .

(٧) أثقلت خالدا الجراحات فبقى فى مكانه . وقال النبى : من يدلنى على خالد ، فدلوه عليه فمشى إليه وتفل على جراحه .

فمشى إليه يعوده فى موكب ... لله فيه من الملائك موكب

بوركت خالد ما رأتْ عين دماً ... كدمٍ جرى من خالد يتصبَّب

قم فى جراحك ، إنها لك قوة ... تدعُ القواضب وهى حيرى هُيَّب

قم للشدائد ، ما تباين صلابها ... فلأنت صاحبها الأشدُّ الأصلب

لك همّة ما تستطاع ونجدة ... مذخورة للأمر ساعة يحزب[١]

من يجهل الرئبال ، يَنفُذ نابه ... فى كل مقتنص ، ويمضى المخلب ؟

* * *

إشهد حنين بما رأيت ولا تخف ... خصما ينازع ، أو عدوًّا يشغب

حدَّثتُ عنك ، وقلت : يا أرض اسمعى ... فاهتزَّ مشرقها وماج المغرب

ماذا أقول ؟؟ أنا العيىُّ وإن جرى ... قلمى بأبلغ ما يقال ويكتب

(١) حزب الأمر اشتد .

الأنصار يبكون

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة إلى الصفا ، وجعل ينظر إلى البيت ، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد والأنصار حوله ، فقال بعضهم لبعض : إنه يحن إلى قريته وعشيرته ، وظنوا أنه سيقيم بمكة ، فجزعوا لذلك وبكوا ، وعلم الرسول الكريم بأمرهم فقال لهم : هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم ، ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم .

ما للدموع على التظنّن تذرف ؟ … الجار وافٍ ، والهوى متألّف

لا تنكروا حبَّ النبي لآله … وديارِه الأولى ، ولا تتأسفوا

أحسبتموه يريد عنكم مصرفاً ؟ … مهلا ، فليس عن الأحبّة مصرف

لمّا فزعتم قال : يا قوم اسكنوا … هي يثرب ما دونها مُتخلَّف

دار الحياة ومنزل الموت الذي … مالي سواه ، فإن جهلتم فاعرفوا

* * *

فرحوا ، وأشرقت الوجوه فما ترى … عيناً تفيض ، ولا فؤاداً يرجف

صدقوا نبيّهم الهوى فقلوبهم … من حوله شغفاً ترفُّ وتعطف

أنصاره في الحادثات إذا طغت … وجنوده في الحرب ساعة تعصف

هم أنصفوه مشرَّداً يجد الأذى … من كل ذي جبريّة لا ينصف

وتكنّفوه يعظّمون مكانه … وذوو قرابته تصدُّ وتصدف

ما عزَّ منزلُ قادمٍ أو زائر … إلا ومنزله أعزُّ وأشرف

شَدُّوا عرى الإسلام حتى استحكمت … ولوى السواعد حبلُه المستحصف

كانوا أساس بنائه وعمادَه … والأرض تُخسَف والشوامخ تُنسف

انظر بناء الله حول رسوله … وصفِ الذرى إن كنَّ مما يوصف

في كل سور منه جند يرتمي … يغزو الأولى كفروا ، وموت يزحف

صبُّوا على المستضعفين نكالهم … وجرى القضاء ، فهم أذلُّ وأضعف[1]

* * *

يا معشر الأنصار ما من صالحٍ … إلا لكم فيه يد أو موقف

لكم المواقف ما يذاع حديثها … إلاّ يُهلُّ بها الزمان ويهتف

لا الشعر مُتّهمٌ إذا بلغ المدى … يُطرى منا قبكم ، ولا أنا مسرف

أوَ ما كفاكم ما يقول إلهكم … في مدحكم، ويضمُّ منه المصحف ؟

---

(١) النكال العذاب .

هدم العزّى وسُواع ومَناة

كانت هذه الأصنام الثلاثة أعظم أصنام قريش بموضع يقال له « نخلة » على ليلة من مكة ، وكان عمرو بن لحى قال لهم : إن الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتاً يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون وينحرون عنده .

بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وهو ما يزال بمكة خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى ، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع ، وسعد بن زيد لهدم مناة ، فهدموها ، وعادوا مأجورين .

إلى العزّى فقد بلغت مداها ... وإنّ على يديك مُنتهاها

أزِلْها خالدٌ واهدم بناء ... أقيم على جوانبها سفاها

بناه الجاهلون لها ، ودانوا ... بها من دون خالقهم إلهها

مذمّمة تساق لها الهدايا ... تطاف دماؤها تسقى ثراها

رماها ابن الوليد فأيّ شرٍّ ... أزال ؟ وأيّ داهية رماها

وأين غرور سادنها ؟ وماذا ... أفاد دعاؤه لما دعاها ؟[1]

أجلْ يا ابن الوليد لقد دهاها ... من الهونِ المبرّح ما دهاها[2]

ويا عمرو اتخذ لسواع بأساً ... يذلّ من الطواغيت الجباها[3]

وينتزع الغواية من نفوس ... ألحّ ضلالها ، وطغى هواها

(١) لما علم سادنها بمقدم خالد علق سيفه واستند إلى الجبل الذى هى فيه وجعل يقول ـ

أيا عز شدى شدة لا سوى لها ... على خالد ألقى القناع وشمرى

أيا عز إن لم تقتلى المرء خالداً ... فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

(٢) إشارة إلى قول خالد لما هدمها ـ

يا عز كفرانك لا سبحانك ... إنى رأيت الله قد أهانك

(٣) كان سواع هذا لهذيل ، قال ابن جرير ـ لما مات سواع بن شيث بن آدم صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، وهو أبو يغوث ويعوق ونسر ، وكذلك صوروا هؤلاء بعد موتهم ، فظن الذين جاءوا بعدهم أن لهذه الصور عملا فى النفع والضر فاتخذوها آلهة ثم عبدوها .

هدمت ضلالة شابت عليها ... هذيل بعد ما قضّتْ صباها

تطاولت القرون وما تناهت ... فقل لسواعَ دهرك قد تناهى

رآه وانّيه كَذِباً فولّى ... يسائل نفسه : ماذا عراها ؟[1]

وقال : شهدت أن الله حق ... وأنّ النفس ينفعها هداها

جعلت محمداً سببى فإنى ... أرى أسبابه شُدّتْ عراها

* * *

مناة ، مناة . مالك من بقاء ... وأيُّ شقيّة بلغت مناها ؟[2]

رماكِ الله من زيد بن سعد ... بمن ترمى الجبال له ذراها

أما نفضتْكِ من خوف وذعر ... عرانين المشلّل إذ لواها ؟

تبارك هادم الأصنام ، إنى ... أرى الأصنام تهدم من بناها

تُضِلُّ العالمين ، وقد أتاهم ... كتاب الله ينذرهم أذاها

وما النفس تؤثر أن تَخَلَّى ... سوى الإيمان يُلبسها حلاها

(١) هو سادنه ، قال لعمرو : ما تريد ؟ قال أريد أن أهدمه ، قال :لا تقدر على ذلك . فلما هدمه قال السادن : أسلمت لله رب العالمين .

(٢) كانت مناة للأوس والخزرج وغيرهم من العرب على جبل اسمه (المشلل) يقع على ساحل البحر ، يهبط منه إلى قديد .

يقول: اطْعَنِي أماه من شئت وانصرى ... بِبأسك ديناً من كتائبه النصر

تحييتَ عبد الله ما أنت كالذى ... يرى السيف مقروباً فيأخذه الذعر[1]

كلا أبويك استن سنة ماجد ... فطبت وطابا، لا خفاء ولا نكر

إذا التمس الإسلام فى كل حادث ... يضيق به ذخراً، فأنت له ذخر

(١) أى فى قرابه.

أم سليم زوج أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى

رضى الله عنها

كانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببرد لها، وفى حزامها خنجر، وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة، فقال لها زوجها: ما هذا الخنجر الذى معك؟ قالت: إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به، فقال أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم؟ وأعاد عليه القول. فجعل عليه الصلاة والسلام يضحك، قالت له: بأبى أنت وأمى، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فإنهم لذلك أهل؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: أن الله قد كفى وأحسن».

لأمِّ سليم يا أبا طلحة العذر ... وهل يأمن الإسلام أن يغدر الكفر؟

سألتَ فقالت: خنجرى أتّقى به ... أذى كل عاد من خلائقه الغدر

أشق به فى حومة الحرب بطنه ... إذا رامنى بالسوء واستوعر الأمر

أتعجب منها: كيف تحمى ذمارها ... وتدرأ عنها الشر إن هاجها الشر؟

وتدعو رسول الله هل أنت سامع؟ ... فيفرح من رجع الحديث ويفترّ

نعم، أنت تحميها ولكنّ نفسها ... لها نخوة من ذاتها وبها كبر

ألم تر إذ قالت: أأقتل معشراً ... تولّوا، فلا بأس شديد ولا صبر؟

وماذا عليها حين تكفيك أمرها ... وترمى بك الأبطال والنقع مغبرّ؟

أرادتك للأمر الجليل، ولن ترى ... كأم سليم حرة حازها حر

ألم تنتظم بالسيف عشرين فارساً ... مغانمهم شتى، وأسلابهم كثر؟[1]

إذا طار منهم مدبر يتّقى الردى ... تلقاك منه فى مطار الردى الصدر

تخوض الدم المسفوك، لا جسر دونه ... ومالك كالإيمان فى مثله جسر

أبا طلحة اسمع ما يقول ابن حرة ... إليه سرى من صفحتَىْ جاره البشر[2]

(١) قتل أبو طلحة فى غزوة حنين عشرين رجلا من المشركين فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم أسلابهم وأسلحتهم.

(٢) ابنه عبد الله، وجاره المذكور فى البيت هو الخنجر.

قدوم هوازن وردّ سبيها عليها

تربص النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة ينتظر قدوم هوازن فقدموا مسلمين ، وكان قد قسم أموالهم وسباياهم على أصحابه فلما سألوه إياها أخبرهم بما فعل ، وخيرهم بين الأموال والسبي ، فاختاروا الثانى ، وكلم النبي المسلمين فى ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبي ثم أنه صلى الله عليه وسلم سأل هوازن عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى : أين هو ؟ قالوا مع ثقيف بالطائف ، فقال : لو جاءنى مسلماً لرددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأخبروه . فجاء وأسلم ، ووفى له الرسول الكريم بما وعد

هوازن أقبلى ، ماذا التوانى ؟   أدين العز ، أم دين الهوان ؟
خذى السبي الموزَّع واشكريها   يداً لمهذَّب جمٌّ الحنان
دعا أصحابه بلسان صدق   إلى الحسنى ، فيالك من لسان
أجابوا منعمين ولم يضنُّوا   بما ملكوا من البيض الحسان
وقال محمد أين ابن عوف ؟   سيحمد منتواه إذا أتانى
له إن آثر الإسلام ديناً   عطاء لا تجاوزه الأمانى
يعود بأهله ، ويزاد مالا   على مال من الإبل الهجان[1]
فأقبل مسلماً ، ومضى بخير   جميل الذكر ، محمود المكان

* * *

حليمة أنت والشيماء أمٌّ   وأخت ، فانظرا : ما تصنعان ؟[2]
أما لكما الكرامة عند مولى   كريم العهد مُوفٍ بالضمان ؟
وهل بعد الرداء يُمدُّ برٌّ   وتكرمة لذى خطر وشان ؟

(١) الهجان من الأبل البيض الكرام .
(٢) كانت حليمة مرضعة النبي الكريم فى السبي وابنتها الشيماء (أخته من الرضاع) فلما تقدمتا إليه بسط لهما رداءه ثم أعطاهما نعماً وشاء وغلاماً وجارية ، وقيل إنه وهب السبي للثانية .

أجلَّكما ، وأجزل من عطاء   يُعين على تصاريف الزمان
رسول الله كيف وجدتماه ؟   وماذا بعد ذلك تبغيان ؟
عليه صلاة ربكما جميعاً   وبورك فى الرضاع وفى اللبان

* * *

أبا صُرَد لنعم العمُّ يرجو   غياث الناس من قاص ودان[1]
ظفرت ، وفاز بالنعمى زهير   وهل لكما سوى ما ترجوان ؟
ولم أر حين تلتمس الأيادى   كمثل القول يحسُن والبيان
وما مُلكَ الشآم ومن يليه   كمن وافيتما تستعطفان
لقد نالت هوازن ما تمنت   وآبت بالسلامة والأمان

(١) كان أبو صرد ويكنى بأبى برقان عم النبي من الرضاع تقدم إليه مع ابنه زهير فشفعا فى السبي ، وقال زهير : لو أرضعنا للحارث بن شمر ملك الشام . أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما رأيت لرجونا عطفه .

عجوز عيينة بن حصن

أبى عيينه بن حصن أن يرد عجوزاً كانت عنده من سبي هوازن وقال هذه أم الحى فلعلهم يفدونها بمال كثير . وكانت هذه العجوز أم زهير بن صرد ، فجاء زهير وعرض عليه أن يأخذها بمائة من الإبل ، فأبى طمعاً فى الزيادة ، فتركه وذهب ، ثم غاب عنه ، ومر عليه معرضاً ، فقال له عيينة خذها بالمائة ، فقال لا أدفع إلا خمسين فأبى ، ثم غاب عنه ومر معرضاً ، فقال خذها بالخمسين ، فقال زهير لا أدفع إلا خمسة وعشرين فأبى . وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير : لا آخذها إلا بست نياق ، والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها عند فوتها بواجد ولا درها بناكد أى غزير فرضى عيينة وقال : خذها . لا بارك الله لك فيها .

عُيينة أمسكت العجوز تريدها عتاداً يفيد اليسر من كان معسراً
ضننت بأم الحىِّ تغلى فداءها فيالك رأياً غيره كان أجدرا
تسوم زهيراً أن يزيدك ضلة على مائة ، لو كان غِرّاً لأكثرا
رماك به مكراً خفيّا فلم يزل يضيق عليك الأمر حتى تعذرا
لقد كان فيما قال أول مرة غَنًى لك ، لو كنت امرأ متبصرا
يظلُّ يريك الزهد فى شيخة له يراها من الدنيا أجلَّ وأكبرا
فتدعوه: أقبل ، لستُ فيها براغب إذا بلغ الأمر الفداء الميَسَّرا
فداها بست لو أبيت لسقتَها إليه بلا شىء وحسبك ما ترى
أليستْ كما قال ابنها ما لمثلها على الضنِّ إلا أن تموت فتقبرا ؟
أما والذى لو شاء لم تعص أمره لقد جئت أمراً يا عيينة منكرا[1]
فنفسك فاحملها على البر إنه لأربح مما تحمل الأرض متجرا
وما طمَعُ الإنسان فيما يفوته إذا ما دعا الداعى ، فولى وأدبرا ؟

(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد عصى أمره فى إمساك هذه العجوز .

قِسمة الغنائم

بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالذين أسلموا يوم الفتح تألفاً لهم ، وتثبيتاً للإيمان فى قلوبهم ، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضاهم — وهم المؤلفة قلوبهم ، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل ، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل ، ومنهم حكيم بن حزام أعطاه مائة من الإبل ، ثم سأله فزاده مائة ، ثم سأله ثلاثة فكذلك ، وقال له يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها ، وقال : يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعوه فى خلافته ليأخذ من الفىء فيأبى . وكذلك كان فى خلافة عمر رضى الله عنهما ، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئاً من هذه الغنائم ، فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها . وما أريد بها وجه الله تعالى . وأخبر النبى فغضب وقال : إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر ، واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنق هذا المنافق فقال : لاتفعلا ، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، لايتحدث الناس أنى أقتل أصحابى .

أرأيت حكمة سيد الكرماء ؟ وعرفت شيخ السادة الحكماء ؟
تلك السياسة حزمها ودهاؤها ناهيك من حزم وفرط دهاء
مر يا محمد واقضِ ، مالك عائب فى كل أمر ترتضى وقضاء
ولربما خفِيَ الصواب ، فأسفرت عنه وجوه الرأى بعد خفاء

* * *

بدأ النبىُّ بغير من كانوا له خير الصحابة عند كل بلاء
يرجو مودتهم ، ويبنى منهم للدين صرح أمانة ووفاء
أعطى أبا سفيان وابنيه فما أندى سجايا الواهب المعطاء
وحبا حكيما ما أراد ثلاثة ونهى هواه ، فكان خير حباء

وأصابها مئـــة له من نفعها   ما جلّ عن عدٍّ وعن إحصاء

قال : ارعويت فست أرزأ بعدها   أحداً ، وآلى حلفة الأمناء

يُدعَى ليأخذ من أبى بكر ومن   عَمرٍ فما يزداد غير إباء

* * *

يا ويح للعباس يغلب حلمـــه   أن كان دون مراتب الرؤساء[1]

أبدى الشكاة ، فكان صنع محمد   صنع الطبيب ، يريد حسم الداء

قال : اقطعوا هذا اللسان بنفحة   عنى ، وتلك سجيّة العظماء

* * *

صفوان أسلمَ فانجلت غمراته   وأفاق بعد غواية وغباء[2]

لما رأى الإسلام يسطع نوره   كره الضلال ، وضاق بالظلماء

ومشى على الأثر الكريم يزينه   خلق الهداة ، ومَظهر الحنفاء

صفوان سر فى نور ربك ، إنه   يهديك فى سير وفى إسراء

* * *

يا زيد قم بالأمر ،واكتب واجتنب   خطأ الغواة ، وكبوة الجهلاء[3]

أحص الرجال ،وآت كلاًّ حقه   مما أفاء الله ذو الآلاء

* * *

---

(١) العباس بن مرداس ، أعطى النبى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعيينة بن حصن مثلها ، ثم أعطى العباس دون ذلك . وكان مثلهما رئيساً على قومه فغضب وقال ـ

أتجعل نهبى ونهب العبيد   بين عيينة والأقرع ؟

فما كان حصن ولا حابس   يفوقان مرداس فى مجمع

وقد كنت فى الحرب ذا تدرؤ   فلم أعط شيئاً ولم أمنع

وما كنت دون امرىء منهما   ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال النبى : اقطعوا عنى لسانه وأعطوه مثل صاحبيه ـ العبيد اسم فرسه .

(٢) صفوان ابن أمية .

(٣) زيد بن ثابت أمره النبى وكان من أعظم كتابه أن يحصى الذين بقوا بعد المؤلفة قلوبهم ويوزع عليهم ما بقى من الغنائم .

ما أكرم الأنصار والصحب الألى   حرموا ، فمن صبر ومن إغضاء

نزلوا على حكم النبىّ وسرِّهم   ما كان من ثقة وحسن رجاء

قوم رسا الإيمان ملء قلوبهم   وسما عن الشهوات والأهواء

لا تملك الدنيا عليهم أمرهم   فى شدة من دهرهم ورخاء

ماضرَّ من يسخو بمهجة نفسه   أن لا يفوز من امرىء بسخاء ؟

نالوا بفضل الله عند رسوله   ما لم ينل أحد من النعماء

إن الثناء إلى الرجال يسوقه   لأجلُّ من إبل تساق وشاء

* * *

خسر الذى آذى النبىَّ بقوله   ظلَمَ الرجالَ ، ولجَّ فى الإيذاء

أثِم المنافق ، إنها لكبيرة   وكذاك يأثم ناطق العوراء

صبراً رسول الله لست بأول   ما حيلة الحكماء فى السفهاء ؟

موسى أخوك أصيب من أعدائه   بأشدّ ما تَرمى قُوى الأعداء

إن أنت لم تعدل فمن ذا يُرتجى   للعدل تحت القبة الزرقاء ؟

نفر الحفاظ بخـــالد ورفيقه   والموت مُصغ ، والمهنّد راء

لولاك إذ جاوزْتَ أبعد غاية   فى الحلم ، جاوز غاية الأحياء

قلت : اسكنا لا تقتلاه فإنه   سيكون رأس الشيعة النكراء

يُغلون فى دين الإله ، فيخرجوا   منه خروج السهم يوم رماء

لا يذكر الأقوام أن محمداً   يجزى الألى صحبوه شرّ جزاء

* * *

تلك النبـــوة يا محمد فاضطلع   منها بأعبـــاء على أعباء

أدَبْ وعلمٍ ، تلك مدرسة الهدى   فُتِحتْ ، وأنت مؤدِّب العلماء

غـزوة الطائف

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من حنين إلى الطائف فى ألف من أصحابه ، جعل خالد بن الوليد فى مقدمتهم ، وكانت ثقيف دخلت حصنها ، فنزل الجيش قريباً من هذا الحصن ، واقترب خالد ينادى : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليه أحد وناداه رجل منهم يقال له عبد يا ليل ، إن لدينا طعاماً يكفينا سنين فهل أنت منتظر حتى ينفد فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين ؟ ثم أعملت ثقيف السهام فقتلت من المسلمين رجالا منهم عبد الله بن أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها وجرحت آخرين وأشار سلمان الفارسى بصنع دبابتين من الجلد دخل فيهما جماعة من المسلمين ومضوا إلى الحصن لينقبوا سوره ، ففطنت ثقيف لذلك وأرسلت عليهما قطعاً من الحديد المحمى بالنار فخرج من كان فيهما ، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل ، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق ورمى الحصن به ، وقيل إنه هو الذى صنعه بيده يومئذ ، وبقى الحصن محاصراً ثمانية عشر يوماً ، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف ، فأخرهم حتى جاءوا طائعين مسلمين مع غيرهم من الوفود ، وكان جملة من قتل فى هذه الغزوة من المسلمين إثنى عشر رجلا .

ثقيف انظرى : أين قصد الطريق ؟   وكيف يلقى النجاة الغريقْ ؟ ؟

مشى البأس فى هوله المستطير   له لهب ساطــع كالحريقْ

مشى ترجف الأرض من حوله   فأين الفرار . وهل من مطيق ؟

ثقيف ادخلى الحصن . لا تهلكى   ويا عبد ليل لماذا النعيق ؟

دعا خالد يستفزُّ الرجال   فكان فريقك شر الفريق

وكنت عليهم شهيداً بما   يعاب العدوُّ به والصديق

يضيق على العاجزين الفضاء   ويَرْحب بالقادرين المضيق

وبئس الخليق . بحرّ الجلاد   غداة التنادى كغير الخليق

رموا بالسهام ، ولو أنصفوا   رمَـوا بالطلى كل عضب ذليق(١)

---

(١) الطلى الأعناق .

حراص على الأنفس الهالكات   وذلك منهم خبال وموق(١)

ضعاف القلوب ، قعود جمود   يخافون كل سفوح دفوق

وما يستوى الهبرزىُّ الجسور   غداة الوغى ، والهيوب الفروق(٢)

* * *

رأوا عجباً من عتاد الحروب   تذوق الحصون به ما تذوق

رماهم فتاهــا بدبّابتين   فيالك من فارسىٍّ لبيق

رميت الألى حبس الفاتحون   بموتٍ حبيس وبأس طليق

وزدت،فقلت: اضربوا الكافرين   وعلمتهم صنعــة المنجنيق

تظل الحجارة مقــذوفة   يشيعها من مكان سحيق

* * *

ونُودوا : إلينا . فمن جاءنا   مننّا عليه بعهد وثيق(٣)

فأقبل منهم بغــاة الأمان   فكلٌّ مخلًّى ، وكل عتيق

لهم منزل الضيف فى المسلمين   رعاة العهــود ، حماة الحقوق

* * *

عيينة ما قلت للمشركين ؟   وهل يقتنى الحمدَ إلا الصدوق ؟

كذبت النبيَّ فقدت الخذل   وجئت من الأمر ما لا يليق

وأزلفتهــا توبة تبتغى   بها الخير ، والخير نعم الرفيق

تبيَّنْ عيينة عقبى الأمور   لعلك تعقل أو تستفيق(٤)

* * *

---

(١) الموق الحمق فى غباوة .

(٢) الهبرزى الأسد الفروق الشديد الفزع .

(٣) نادى منادى الرسول الكريم : أيما رجل خرج إلينا من الحصن فهو حر . فخرج منهم رجال فاعتقهم ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه .

(٤) عيينة بن حصن ، استأذن النبى أن يأتيهم فى حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن

سيأتى بهم ربهم مسلمين فما من ضلال ، ولا من فسوق
ولو شاء لاجتثهم أجمعين فبادت أصول ، وجفت عروق

* * *

يقول الفوارس : كيف الرحيل وما شرقت بالدماء الحلوق ؟[1]
رويدا رويدا جنود النبى فقد ينفع الناس ما لا يروق
ولله ما شاء فيما يسوق من الحادثات ، وفيما يعوق

= له ، وذهب فأوصاهم بالصبر والثبات ، ثم عاده فسأله النبى ماذا قلت؟ قال دعوتهم إلى الاسلام وأمرتهم به ، وحذرتهم النار ، ودللتهم على الجنة . قال : كذبت . إنما قلت كذا وكذا . قال صدقت يا رسول الله ، وإنى أتوب إليك .

(١) لما أذن بالرحيل قالوا كيف نعود ولما نفتح الطائف ! .

عين أبى سفيان

أصيبت عين أبى سفيان رضى الله عنه بسهم فى هذه الغزوة . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده . وقال . يا رسول الله هذه عينى أصيبت فى سبيل الله ، فقال : إن شئت دعوت فردت عليك ، وإن شئت فعين فى الجنة ، قال : فى الجنة ورمى بها من يده ، وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك فى قتال الروم .

هنيئاً أبا سفيان لا الذخر هيِّن ولا الأجر ممنون ولا أنت مغبون[1]
هو الغنم . لم يقدر لغير موفق له مشهد فى حومة الحرب ميمون
حملت أبا سفيان عينك فى يد بها الخير فى كل المواطن مقرون
وجئت رسول الله لا الوجه شاحب ولا العِطف مزورٌ ، ولا القلب محزون
تقول له .. عينى التى أنت ناظر مضت فى سبيل الله ، والحافز الدين
فقال : إذا أحببت فالردُّ ممكن بقدرة رب أمره الكاف والنون
وإلاَّ فأُخرَى عنده إن لقيته وذلك وعد عند ربك مضمون
فآثرت هذى ، ثم ألقيت بالتى حملت ، وما فى الحق أن يؤثر الدون
ستتبعها فى وقعة الروم أختها إذا حان منها بعد ذلكم الحين
نخير على خير ، ونعمى تزيدها من الله نعمى ، سرها عنك مكنون
هنيئاً أبا سفيان لا الرمح آسف ولا السيف مكروب، ولا العزم موهون
عطاؤك فى الهيجاء لم يعط مثله من الناس إلا صادق البأس مأمون

(١) الممنون المقطوع .

سراقة بن مالك

عند انحدار النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع الكتاب الذى كتب له عند الهجرة بين أصبعيه ، ورافع صوته بقوله : أنا سراقة وهذا كتابى ، فقال الرسول الكريم : هذا يوم وفاء ومودة . أدنوه منى ، ففعلوا وأسلم رضى الله عنه .

ارفع كتابك يا سرا   قة . إنه علم النجاةِ
هو جُنَّة لك من سيو   ف الضاربين طلى الكماة
عهد النبى فأى ذخـ   ـر مثله للحادثات[1]
اسدى الجميل ومَن يأ   خذ نفسه بالمكرمات
ويقيم أعلام الهـ   ـدى للتابعين من الهداة
لو شاء قتلك يا سرا   قة لم تذق طعم الحياة
إذ جئت تطلب قتله   وتطيع فيه هوى الغواة
أرأيت حلم محمـ   ـد وعرفته جم الأناة ؟
أدرِكْ بدين الله نفـ   ـسك ، واستقم قبل الفوات
دين المفاخر والمـآ   ثر والخلال الصالحات
دين الغطارفة الأما   جد ، والجهابذة الثقات
دين الرشاد بأسره   والخير من ماض وآت
الله ربُّ العالمـ   ـين ، فما اتباع التُّرهات ؟
إن كنت ذا عقل فحَـ   ـبك نظرة فى الكائنات

(١) هذا هو العهد الذى أعطاه الرسول الكريم إلى سراقة بن مالك لما اعتذر إليه من إرادة قتله ، وقال له : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس ، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك ، وهو الذى أشرنا إليه فى الجزء الأول من هذا الكتاب بقولنا :

فزت (بالعهد) فاغنمه وأبشر   بسوارى كسرى فديت البشيرا

تلك المعالم واضحا   ت والشواهد بيّنات
دع ما مضى لك يا سرا   قة من جنايات العصاة
أيام تضرب فى الغوا   ية بالعشىّ وبالغداة
أنت اتقيت الله ربـ   ـك ، فاغتنم عقبى التقاة[1]

(١) التقاة اسم من التقوى .

غــزوة تبوك

كانت فى شهر رجب من السنة التاسعة ، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة بالشام ، وأن طلائعهم بلغت البلقاء فاستنفر المسلمين للقائهم ، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة الشقة (١) وسد حاجاتها ، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل ، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير . غير الإبل والخيل والزاد ، وجاء إلى النبي بألف دينار صبها فى حجره ، وجاء أبو بكر بجميع ماله ، وهو أربعة آلاف درهم ، فقال له النبي : هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وعبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، والعباس وطلحة بمال كثير ، وعاصم بن عدى بسبعين وسقاً من التمر . وعلمت النساء فقدمت إلى النبي ما استطاعت تقديمه من الحلى فى إيمان قوى ، وحماسة بالغة ، وتخلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبى بن سلول فلم يخرجوا مع الجيش ، وكان عدده ثلاثين ألف رجل ـ وقيل أكثر ـ وعقد النبي الألوية والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير ، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخزرج للحباب بن المنذر ، وبلغ الجيش تبوك فعسكر فيها انتظاراً للقاء العدو ، فلم تبد له بادية ، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبى عمر بن الخطاب ، هل يمضى بالجيش لمهاجمة جموع الروم . أم يدعهم إلى ميقاتهم فأشار عمر بهذه ، وكانت غزوة تبوك . آخر غزواته ، صلوات الله عليه .

لمن تجمع الروم أبطالها ؟   وتحمل للحرب أثقالها ؟

ألَلجاعلين نفوس العباد   ودائع يقضون آجالها ؟

إذا استعجلوها ببيض الظبي   فلن يملك القوم إمهالها

جنود تُقــدِّم أرواحها   وتبــذل فى الله أموالها

لئن جاوزت غاية العاملين ،   لقــد بارك الله أعمالها

ومن مثل عثمان يرعى النفوس   إذا آدها الأمر أو عالها ؟[٢]

(١) جاء فى السيرة أن المسافة بين المدينة وتبوك أربع عشرة مرحلة .

(٢) آده الأمر بلغ منه المجهود . وعاله غلبه وثقل عليه .

كثير النوال ، رحيب المجال   إذا رام منزلة نالها

أبا بكر اخترت أبقى الثراء   وجنَّبت نفسك بلبالها

تمنيتها نعمة سمحــــة   فألبسك الله سربالها

وإن لصحبك فى الباذلين   مناقب ندمن إجلالها[١]

* * *

ألحَّ النساء على حليهن   وأقبلن فى ضجة يالها

نبي الهــدى أتُتِمُّ الحقوق   فنأبى ، ونؤثر إهمالها ؟

وتذهب منا ذوات الحجال   تجرجر فى الحى أذيالها ؟

لقـــد طاف طائفها بالفتاة   فأرَّقها ماعنـــا آلها

فما أمسك البخل دملوجها   ولا ملك الحرص خلخالها

* * *

مشى الجحفل الضخم فى جحفل   يحبُّ الحروب وأهوالها

وخاف من الحر أهل النفاق   فقالوا : البيوت وأظلالها[٢]

وأهلكهم شيخ أشياخهم   بشنعاء يأثم من قالها[٣]

* * *

بنى الأصفر استبقوا للوغى   وخلوا النفوس وآمالها[٤]

وقفتم من الرعب ، ما تُقدمون   وما هاجت الحرب أغوالها

(١) أدمن الرجل الشىء أدامه .

(٢) قال بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر وكان الحر شديداً عند الخروج إلى هذه الغزوة فنزلت الآية الكريمة (وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون أى نؤثر أو نلزم البيوت وأظلا لها على حذف الفعل .

(٣) هو عبد الله بن أبى بن سلول قال ، يغزو محمد بنى الأصفر على جهدا لحال ، والحر والبلد البعيد إلى مالا طاقة له به ، يحسب أن قتالهم معه اللعب والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال .

(٤) قيل للروم بنى للأصفر لأنهم ولد روم بن العيص بن اسحاق نبي الله عليه السلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به .

فكيف بكم بين أنيابها ... إذا جمع الله آكالها ؟
رأى عمرٌ رأيه فى الرحيل ... فلا تكثر الروم أوجالها
لهم دون مهلكهم مدة ... من الدهر ، يقضون أحوالها
تبوك اشهدى نزوات الذئاب ... وحيِّ الأسود وأشبالها
أما ينبغى لك أن تعرفى ... شيوخ الحروب وأطفالها ؟

* * *

هى الملة الحق ، لن تستكين ... ولن يدع السيف أقتالها[1]
رأت ملة الكفر تغزو النفوس ... لجاءت تمزق أوصالها
لها من ذويها حماة شداد ... يبيدون من رام إذلالها
فلن يعرف الناس أمثالهم ... ولن يشهد الدهر أمثالها
ولن تستبين سبيل الهدى ... إذا اتّبع الناس ضلالها
فمن كان يحزنه أن تبيد ... قوى الشرك ، فليبك أطلالها
لأهل المفصّل من آيه ... موارد يُسقون سلسالها
تردُّ القلوب إلى ربها ... وتفتح للنور أقفالها

(١) جمع قتل ، وهو العدو والمقاتل .

فى دار سويلم اليهودى

اجتمع قوم من المنافقين فى دار سويلم اليهودى يقولون كما قال عبد الله ابن أبى بن سلول وعلم النبى بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال : أدرك القوم فقد احترقوا . فجاءهم فأنكروا ، وجاءوا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بما قالوا ، فجعلوا يعتذرون ويقولون : كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . . الآية) .

سويلم ما قولٌ ببيتك يُفترى ... بألسنة تبغى الفساد فتكذب ؟
ألا ابن أبيٍّ رأيه ، ما وراءه ... لذى نهية رأى ، ولا عنه مذهب[1] ؟
حقود رمى بالشؤم كل منافق ... فيالك من شرٍّ على الناس يُجلب
أحس رسول الله ما كان منهم ... وجاء بريد الله بالحق يدأب
فقال لعمّار أرى القوم أوقدوا ... لأنفسهم ناراً بعينى تلهّب
ألا قم فأدركهم ولمّا يصيبهم ... عذاب غليظ مالهم منه مهرب
فلما أتاهم أنكروا ، ثم أقبلوا ... بأقوالِ فجّار عن الحق ترغب
فقال رسول الله بل قلتم الذى ... علمت ، وما يخفى علىّ المغيَّب
فقالوا على غيظ النفوس وحقدها ... ألا إنما كنّا نخوض ونلعب
وعادوا خزايا نادمين ، وإنهم ... إلى الشرِّ إلا أن يتوبوا لأقرب

(١) النهية العقل .

الجدّ بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج فى هذه الغزوة فاستأذنه فى التخلف وقال له لا تفتنى (١) فوالله لقد عرف قومى أنه مامن رجل أشد عجباً بالنساء منى ، وإنى لأخشى أن لا أصبر إذا رأيت نساء بنى الأصفر ، فأعرض عنه النبى . وأقبل عليه ابنه يقول له : والله ما أخرك سوى النفاق .

خفِ الله يا جدّ بن قيس ولا تُطع … هواك ودعها خطة هى ما هيه

كذبت رسول الله تضمر غير ما … تقول : وما تخفى على الله خافيه

تقول له : ائذن لى ولا تبغ فتنتى … فأنى امرؤٌ أُعطى النساء عنانيه

وإن نساء الروم يغلبننى على … عفافى ، فدعنى ، مالهن وماليه

فأعرض عنه غير راض وساءه … فُجور امرىء يبدى الفجور علانيه

وجاء ابنه يُصليه نار ملامة … فيالكِ من نار على المرء حاميه

* * *

لك الويل ياجدّ بن قيس فإن تتب … وقيت ، وإن تفسق فمالك واقيه

(١) ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا . الآية .

البكاؤون

هم سبعة من الفقهاء جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحملهم إلى تبوك فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً . . . ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم .

أبوا أن يقعدوا والجيش يُزجَى … فيوشك أن يكون له انطلاق

وليس لهم سوى القرآن يُتلَى … فلا خيل ولا إبل تساق

فلاذوا بالنبىّ وناشدوه … ليحملهم ، فضاق بهم وضاقوا

تولّوا تستهلُّ على لحاهم … دموع ملء أعينهم تراق

أتعوزهم لدى الزحف المطايا … ويسبقهم إلى الله الرفاق ؟

فرقّ لهم من الغازين قوم … رموا منهم بخطب لا يطاق

وجاءوا بالرواحل فاستراحوا … من الهمّ المبرِّح واستفاقوا

أمن يهديه إيمـــان وتقوى … كمن يرديه غشٌ أو نفاق ؟

أبو خيثمة

كان ممن تخلف عن النبي فدخل يوماً على زوجتيه فوجدهما قد رشتا العريش بالماء ، وهيأتا طعاماً وماء بارداً ، وكان يوماً شديد الحر ، فقال أيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وماء مهيأ ، وامرأتين ناعمتين ؟ ؟ والله لا كان هذا ، ثم أخذ سيفه ورمحه ولحق بالنبي فى تبوك .

لك الله أقبل أبا خيثمة   فلله صنعك ما أكرمه
قعـــدت ، فلما كرهت القعود   نفرت حثيثاً إلى الملحمه
دخلت العريش على نعجتيك   فسبحان ربك ما أعظمه
نعيم يروق ، وظل يشوق   وعيش يسرك أن تغنمه
فذكّرك الله حرّ الجهاد   وألهم قلبك ما ألهمه
فقلت : أيمضى الرسول الكريم   يكابد فى الله ما جشّمه
وأبقى هنـــا فى هوى نعجتىّ   وحب العريش كذى الملأمه ؟
وسرت فأدركته فى تبوك   وللجيش من حوله همهمه
يقولون : من ذا ؟ وما خطبه   ألا إنه أبو خيثمـــة
ألم يك فى المعشر القاعدين ؟   فماذا عراه ؟ وما أقدمه ؟
هو الله يهـــدى نفوس الرجال   ويرزقهـــا البرّ والمرحمه

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

تخلف به بعيره عن الجيش لما أصابه من الإعياء ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم سار حتى أدرك النبي ، ورآه بعض الصحابة مقبلا فقالوا يا رسول الله ، هذا أبو ذر قد جاء ، فقال : رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، فكان كما قال ، فقد مات رضى الله عنه بالربذة حين أخرجه عثمان بن عفان فى خلافته إليها بعد أن كان فى الشام لشكاية من معاوية ، ولم يكن معه فيها إلا امرأته وغلامه ، فقال لهما عند موته ، غسلانى وكفنانى ، ثم اجعلانى على قارعة الطريق ، وقولا لأول من يمر بى : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه ، ففعلا ذلك ، وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق ، فوجدوا الجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فقام إليهم الغلام وقال لهم ما أراد أبو ذر أن يقول ، فبكى ابن مسعود ونزل هو وأصحابه فواروه ، ومن قول الرسول الكريم فيه : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر وكان من الأقدمين فى الإسلام .

أبا ذرّ رحلت على بعير   لو أن الذرّ يلمسه لهدّه(1)
براه السير حالا بعد حال   فأوهن عظمه ، وأذاب جلده
عمدت إلى متاعك ، لم تدعه   عليه ، ولم يدعك الضعف عنده
شددت قواك إذ وهنَتْ قواه   ورضت الأمر إذ أبصرت جدّه
وسرت ،فكنت أصلب منه عزماً   وأصدق همة ، وأشدَّ نجده
مشيت تريد وجه الله حتى   بلغت رسوله ولقيت جنده
رأوك تؤمّهم فرداً ، فقالوا   أخ فى الله ، يخشى الله جهده
وقال : أتى أبو ذر فأهلا   بصاحبنا الذى ما خان عهده
ألا إن الذى يسعى إلينا   ليمشى وحده ، ويموت وحده
ويبعث وحده من بعد هذا   وسبحان الذى يختار عبده

(1) الذر النمل .

طلحة بن عبيد الله

كان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فى هذه الغزوة مع المسلمين . فنحر لهم جزوراً وأطعمهم منها ، وكانوا فى حالة شديدة من الجوع ، فقال له النبي : أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ، ويوم حنين طلحة الجود ، وذلك لكثرة إنفاقه على العسكر .

طلحة الخير ، طلحة الجود ، أبشر صرت تدعى بطلحة الفيّاض –
نفحة بعد نفحة ، وانتهاض فى مجال السخاء بعد انتهاض
فى حُنين يد ، وفى أحد أخـ ـرى ، وهذى تبوك ملأى الوفاض
من جزور نحرتها تطعم الجيـ ـش ، وتشفيه من أذى وارتماض
ذاق من شدة الطوى ما كفاه وهو مستحصد العزيمة راض
حزبته الأمور فى طاعة الله فما همّ مرة باعـــتراض
عالم أن أفضل المقادير ما شا ء ، وخير الأمور ما هو قاض
لك فى المسلمين يا ابن عبيد الله برق مبارك الإيمــــاض
تستهلُّ الصنائعُ الغرُّ إن لا ح ، وتجرى الصلات ملء الحياض
هكذا المؤمن الموفَّق يغنى فى مروآته غناء المواضى
يدفع الحادث الجليل ، ويقضى الـ ـحق سمح اليدين قبل التقاضى

قدوم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة
ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام فعرض عليهم الإسلام فأبوا ، وصالحوه على الجزية . فكتب لهم العهود بذلك ، وكان مع يحنة بغلة بيضاء أهداها إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فكساه برداً من ثيابه الشريفة .

يحنة إن تؤمن نخير ، وإن تُرد سوى الحق ، فاعلم أن رأيك عازب
أتى بك من أكناف أيلة ما أتى وليس لمن يمّمت فى الناس غالب
دُعيتَ إلى الاسلام ، فاخترت جزية تنال بها الأمن الذى أنت طالب
ولو كنت ممن يبتغى جانب الهدى هُديتَ ، ولكنّ المضلَّل خائب
وما رغب المأمون فيها هدية كساك بها البرد الذى أنت ساحب
أتيت بقوم لو رأوا منك ناصحاً لما عاب منهم خطة المجد لاعب
أتأبون دين الحق يا آل أذرح وجرباء حتى يجلب الخيل جالب ؟
ألا فاشهدوا يا آل مقنا وأيقنوا بأن سوف تنهَى الجاهلين العواقب
خذوا من عهود الذل ما الله ضارب عليكم ، وما الداعى إلى الله كاتب
وأدُّوا إليه المال ، لا تبخلوا به ولا تغدروا ، فالبأس يقظان دائب
وسيروا بأهليكم على الخطة التى رضيتم لهم ، إن الطريق الاحب

* * *

أخا البغلة البيضاء ليتك كنتها لعلك تدرى كيف تعلو المراتب
أتُعطَى من العز البهيمة رزقها ويحرم منه المرء ؟ تلك العجائب
يُحَنّة هذا ما قضى الله فاعتبر وكيف اعتبار المرء . والعقل ذاهب ؟

خالد بن الوليد والأكيدر

أرسل النبي خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر ابن عبد الملك الكندى ، فقتل أخاه واستنزله هو من حصنه . ثم جاء به إلى النبي فأسلم . وكتب له ولأهل دومة الجندل كتاب دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبى فعليه ما على المشركين ، ولما قبض الرسول الكريم ارتد الأكيدر فبعث إليه أبو بكر خالداً بن الوليد فقتله .

أخالد إنك ذو نجـــدة … فهيّا إلى دومة الجندلِ
إلى معشر كفروا بالكتاب … وحادوا عن المذهب الأمثل
دعاك الرسول فأنت الرسول … وليس له عنك من معدل
أمامك حصن طويل الذرى … تحذه بصمصامك الأطول
ومر بالأكيدر يقذفْ به … إليك على كبره من عل
قتلت أخاه وألقى إليك … جناح الذليل فلم يُقتل
وجئت به سيد الفاتحين … فأوغل فى قلبه المقفـــل
هداه إلى الله بعد الضـــلال … وبعد العمى ، لم يكد ينجلى
وأعطاه من عهده مؤئلا … يقيه ، فيالك من مؤئل
فصبراً أكيدر أن الزمان … سيكشف عن غدك المقبل
ستنقض عهدك دأب الشقىّ … وتجمح فى غيك الأول
فيرميك ربك يا ابن الوليد … ويشفيك من دائك المعضل
بصاعقة من يذقها يقل … كأن الصواعق لم ترسل
أتفعل ويحك ما لو عقلت … لأعرضت عنه ولم تفعل ؟
أكيدر ليس لنفسٍ وقاء … إذا ما ابتلى الله من يبتلى

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند منصرفه من تبوك

قال عليه الصلاة والسلام :

أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، والنساء حبالة الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، والسعيد من وعظ بغيره ، ومن يغفر يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله أستغفر الله لى ولكم .

خطب الرسول فكل سمعٍ منصت … فى الخافقين ، وكل قلب خاشع
قل يا محمد كل شىء مطرق … يرجو المزيد ، وكل شىء سامع
قل ما يعلّمك الذى هو عالم … أن النفوس إلى الفساد نوازع
أدّبْ بدين الله قومك إنه … دين لأشتات الفضـــائل جامع
هـــذا تراث العالمين بأسرهم … يجرى عليهم نفعه المتتــابع
فلكل عصر منه وِرد سائغ … ولكل جيل منه كنز رائع
قل للذى ترك السبيل ، ألا استقم … وعن الغواية فليزَعك الوازع
فإذا غويت فكل شىء ضائر … وإذا اهتديت فكل شىء نافع
الله أنزل فى المفصّل حكمه … والحق يعرفه التقىّ الطائع

فى العقبة بين تبوك والمدينة

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم وعدتهم إثنا عشر رجلا لما آذن النبى بالرجوع من تبوك فقالوا : إذا عدل محمد عن بطن الوادى إلى العقبة وأبى إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحمناه فيها ، ودفعنا به عن راحلته ـ يريدون إيذاءه ـ فنبأه الله بذلك ، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادى ، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته فى يد عمار بن ياسر وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها ، فتسلل المنافقون خلفه ملثمين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه .

يقول دعاة الشرِّ ليت محمداً … إذا نحن عدنا يسلك الجانب الوعرا

إذن لدفعناه إلى الجانب الذى … تنكَّب ، نؤذيه ونُرهقه عسرا

ونبَّأه مولاه فازداد قوة … على قوة ، واختار ما يقمع الشرا

فلما دنا من يثرب قال قائل … أطيعوا رسول الله وامتثلوا الأمرا

على السهل فامضوا، واتركوا الحزن إنه … سيسلكه فرداً يريد بكم يسرا

وقال : تقدَّمْ ناقتى يا ابن ياسر … وسر خلفها يا ابن اليمان فما أحرى

وسار فجاء القومُ يعدون خلفه … وقد نشر الإظلام من حولهم سترا

ونكَّر كلٌّ وجهه بلثامه … وما نكَّروا إلا الخيانة والغدرا

رمَوْا ناقة الهادى بأشخاصِ جِنَّة … تخوض إليها الليل فانتفضت ذعرا

وأمسى رسول الله يهوى متاعه … على الأرض، إلا ما تماسك فاستذرى[1]

وقال : انطلق يا ابن اليمان فردهم … ويا صاحبى لا تبتئس والزم الصبرا[2]

فكرَّ عليهم كرة الليث ضارباً … وجوه مطاياهم ، ولم يألهم زأرا

إليكم إليكم شيعة الكفر إنكم … لأعداء رب الناس ، أعظم به كفرا

---

(١) استذرى بمعنى التجأ أو اعتصم . فقد سقط بعض المتاع وبقى بعضه .

(٢) عمار بن ياسر .

تولَّوا سراعا ، لم يصيبوا شفاءهم … ولم يطفئوا من حقدهم ذلك الجمرا

وجاء أُسَيْدٌ لا يرى غير قتاهم … فقال رسول الله لا تبغها نكرا[1]

أأقتل قوماً ظاهرونى وحاربوا … معى؟ حسبهم أن يحملوا الإثم والوزرا

وجاءوا على خوف يقولون ، ما بنا … سوى الظن فاغفر، إنها الفتنة الكبرى

وضجُّوا بأيمان هى النار أوقدت … بألسنة ظلت أكاذيبها تترى[2]

كفاهم عقاب الله ، والدعوة التى … يظَلُّ لظاها ينفذ الظهر والصدرا[3]

---

(١) أسيد بن حضير ، لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه فقال له يارسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة ؟ فقال : أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا ، فإن أحببت بين أسماءهم ، والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برءوسهم ، قال الرسول الكريم ، إنى أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم ، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم ، فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قال : أليس يظهرون الشهادة ؟

(٢) جمعهم النبى وأخبرهم بما نالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية) .

(٣) دعا عليهم الرسول فقال : اللهم ارمهم بالدبيلة ، وهى سراج من نار يظهر بين الأكتاف حتى ينجم من الصدور ـ وفى لفظ ـ شهاب من نار يقع على نياط قلب الرجل فيهلكه .

فى المدينة ـ النبى يعرض عن المنافقين
ويأمر بمقاطعتهم

لما رجع النبى إلى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك بغير عذر ، فأعرض عنهم وقال لأصحابه : لا تكلموا أحدا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم ، فجعل الرجل يعرض عن أبيه وأخيه ، فاشتد الأمر عليهم ، وأخذهم من الهم والغم ما أخذهم .

خلفوا يلاقون النبى بيثرب ... من بعدما كرهوا الخروج فأحجموا
فنأى وأعرض ، لا يريد لقاءهم ... وتكشفوا ، فمبغَّض ومذمم
وتقطعت أسبابهم فكأنهم ... سرح يبدد ، أو بناء يهدم[1]
سود الوجوه ، ترى العيون قتامها ... فتظل تطعن باللحاظ وترجم[2]
يتلفتون إذا مشوا ، وإخالهم ... لو يقدرون من الحياء تلثموا
يتقلَّب الآباء فى حسراتهم ... وكأنما الأبناء ليسوا منهم
هجر وإعراض وطول قطيعة ... فالعيش سمٌّ ناقع أو علقم
هم أجرموا فهو الجزاء ، وهكذا ... يجنى ويجتنَب المسىء المجرم
ويح الثلاثة إنهم مما لقوا ... لأشد خطباً فى الرجال وأعظم[3]

(١) السرح المال السائم وتبدد تفرق .

(٢) القتام الغبار .

(٣) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضى الله عنهم ، لم يكونوا من المنافقين ، وإنما تخلفوا لأمر بدالهم وقلوبهم مع الجيش وقد أرجأهم الرسول الكريم ينتظر أمر الله فيهم ، وهم الذين نزل فى شأنهم قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم) قال كعب . تغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق فلا يكلمنى أحد إلى آخر ما قال ، وقد عفا الله عنهم وتاب عليهم فأنزل قوله تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين ==

ودوا لو ان الأرض زالت فانطوت ... ثم انطووا ، فكأنهم لم يأثموا
ضاقت جوانبها ، فلا متأخر ... فيها لأنفسهم ولا متقدم

* * *

كل له فى العالمين جزاؤه ... ومن الجماعة حاكم لا يظلم
يقضون إن عقلوا قضاء صالحاً ... هو للنفوس مهذب ومقوم
فإذا همو جهلوا ، فليس لدائهم ... طب ، وليس لمثلهم أن يحكموا
سبحان ربك ذى الجلالة إنه ... لم يوجب الشورى لمن لا يفهم
الرأى رأى ذوى المعارف والنهى ... ومن الرجال بهائم لا تعلم

== خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم .

مسجد الضرار

لما اقترب النبى إلى المدينة علم أن بنى غنم بن عوف إخوة بنى عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجداً ينافسون به إخوتهم ويصرفون الناس إليه ، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الذى زين لهم ذلك . فقال لجماعة من المسلمين منهم وحشى قاتل حمزة : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه . ففعلوا ما أمرهم به .

يا بنى غنم بن عوف مالكم   تجعلون الدين كيداً وضراراً ؟

أغضبتم إذ بنى إخوتكم   فى قباء مسجداً يهدى الحيارى ؟

فاتخذتم غيره تبغونه   فتنة للناس جهلا واغترارا ؟[1]

وجمعتم فيه من أشياعكم   كل غاو يجعل السوآى شعارا

مفترٍ يهذى بقول الزور فى   سيد الرسل ويؤذيه جهارا[2]

يا بنى غنم بن عوف إنها   شيم الحمقى ، وأخلاق السكارى

إستفيقوا ، إنه قد جاءكم   من جنود الله أقوام غيارى

قال مولاهم هلموا فاهدموا   مسجد السوء جداراً فجدارا

وابعثوا النار عليه جهرة   إنما المؤمن من يُصليه نارا

* * *

(١) والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . . . الآية)

(٢) كانوا . يجتمعون فى مسجد الضرار ويعيبون النبى صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به .

صدعوا بالأمر ، وازداد الأولى   طاوعوا الفاسق ذلا وصغارا[1]

زيّن الفاحشة الكبرى لهم   فأتوها ، لا يخافون البوارا[2]

(١) قال لهم أبو عامر الراهب الذى لقبه الرسول الكريم بالفاسق : ابنوا لى مسجداً وأعدوا مااستطعتم من قوة وسلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتى بجند من عنده لإخراج محمد وأصحابه من المدينة . ولما فرغوا من بنائه دعوا النبى للصلاة فيه كما صلى فى مسجد قباء فنزلت الآية الكريمة مانعة له .

(٢) البوار الهلاك .

عَامُ ٱلوُفُود

وفد نصارى نجران

كانوا ستين رجلا وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، عليهم اردية الحرير وخواتم الذهب ، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل ، ومسوح ، فرد البسط وأخذ المسوح ، ولما رأى فقراء المسلمين ماعليهم من الزينة تشوفوا إلى الدنيا فنزلت « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عندربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار « الآيات .

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة فى صفر ،ومثلها فى رجب ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، وقالوا له : أرسل معنا أمينا ، فأرسل أباعبيدة عامر بن الجراح ، وقال لهم : هذا أمين الأمة .

وفد نجران إن أردت الرشادا ... فاتَّقِ الله . واتَّبِع ما أرادا

وتأمل ، فتلك حجته البيـــضاء لم تبق ظلمة أو سوادا

وضح الحق ، وانجلى الشك فانظر ... إنه النور قد أضاء البلادا

إنه الدين قيِّما يصلح الأمـــر ، وينفى الأذى معا والفسادا

جئت فى زينة ، وبسطة حال ... تزدهيك الجياد إذ تتهادى

وهداياك من مسوح وبسط ... زيد فيها الفن البـــديع وزادا

صدقتْ صنعة التصاوير فيها ... وهى إفك ، سبيله أن يعادى

* * *

ردَّها الصادق الأمين تقاة ... وقضى الأمر حكمة وسدادا

ودعاهم إلى التى هى أهـــدى ... فأبى الظالمون إلَّا عنـــادا

زعموا أنهم على الحق ، ماحا ... دوا ؛ ولكنه عن الحق حادا

أيظن المسيح عبـــدا وقد كا ... ن إلهـا أتى يدين العبادا[1]

---

(١) قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ما شأنك تذكر صاحبنا عيسى عليه السلام وتقول إنه عبد الله ، فهل رأيت مثله أو أنبئت به ؟ وقال أحدهم : إنه ابن الله ، لأنه لا أب

قال : لا تكذبوا عليه ، وتوبوا ... واتبعوا الحق ملة واعتقادا
إن عيسى صلّى الإله عليه ... كان للحق قوة وعتادا
هو من روح ربه مستفاد ... وسبيل المخلوق أن يستفادا
كان فى قومه رسولا رضيًّا ... يتقى ربه ويرجو المعادا
لا أبٌ كالذى زعمتم ، ولا ابن ... فدعوا الشرك وانبذوا الإلحادا
وحّدوا الله ، مالكم منه واق ... واحذروا الخيل والسيوف الحدادا
ضلّ من يدّعِى لمن هو فرد ... فى علاه الأبناء والأندادا
فتنتْهم أعماله ، وهى من قدرة اللـ ... ـه ، وشر الضلال أن يتمادى
رُميتْ يثربٌ بوفدٍ جماد ... هل رأى العالمون وفدا جمادا ؟
عدم العقل ، فهو يُمعن فى الجهـ ... ـل ويأبى فما يريد اتئادا
أنزل الله آية ، لو وعاها ... راح بعد اللجاج يلقى القيادا[1]
لم يكن دون أن يبيد محيص ... ليته باهل النبىّ فبادا[2]
منعتهم آجالهم ، فتفادوا ... ما يودُّ الحريص أن يتفادى
وأتوا مذعنين ، يبغون صلحا ... يدفع الويل والخطوب الشدادا
ـسيد الرسل أمّلوه ففازوا ... إنما أمّلوا الكريم الجوادا
اشتروا منه أنفسا نَجِسات ... زادها البيع والشراء كسادا
حُلل لا تكون إن هى عُدّت ... دون ألف ، ولا تجىء فرادا

ـله ، وقال آخر : هو الله ؛ لأنه أحيا الموتى ، وأخبر عن الغيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيرا ، قال : إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فغضبوا .

(١) لما لجوا فى عنادهم أنزل الله تعالى . لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية ، وقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، دعاهم إلى المباهلة فأبوا خوفا من الهلاك وصالحوه على الجزية .

(٢) المباهلة . الملاعنة .

يبعث القوم مثلها من لجين ... يعجب الناظرين والنقادا
سر حثيثا أبا عبيدة واملأْ ... أرض نجران همة واجتهادا
أنت أنت الأمين عزّ بك الصنـ ... ـع الذى يرفع الرجال وسادا
خلصتْ للنبى منك خلال ... أفعمت نفسه هوى ووددا

* * *

أخذوا العهـد رحمة وسلاما ... بعد أن ضلّ سعيهم أوكادا
يبلغ الحق مبتغاه وترتـ ... ـد قواه تماديا واطّرادا
وأضلُّ الرجال من لا يُلبِّى ... داعى الله طائعا إذ يُنادى

* * *

أيها المؤمنون توبوا إلى اللـ ... ـه وكونوا لدينه أوتادا
أرغبتم إذا أقبل الوفد فى الدنيا ، ... وكنتم من قبله زهّادا ؟
إن خيرا من ذلكم جنّة اللـ ... ـه فلا تعدلوا بتقواه زادا
ما للنفس من غبطة أو سرور ... بمتاع تخشى عليه النفادا

وَفْدُ الأشعريّين

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فى قدومه من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، ومعهم أبو موسى الأشعرى. قال لما رآهم : أتاكم أهل اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم:

قدوم من أبي موسى الهمام   ووفد الأشعريِّين الكرام
وعَوْدٌ من غريب الدار ناء   رمى برحاله للبين رام
يفرُّ بدينه ، ويريد ربًّا   أقام رسوله دين السلام
أبا موسى لك البشرى وأهلا   بركبك فى حمى خير الأنام
لقيت من الأحبَّة كل سمح   وفيٍّ العهد مأمون الذمام
ونلت بدارهم ما رمت منهم   فهل لك بعد ذلك من مرام
إذا رقَّتْ قلوب القوم كانت   بعافية من الداء العقام
تجول حقائق الأشياء فيها   فمن غَلَق يفُضُّ ومن ختام
وتوقظها إذا الأكوان نامت   فما تلهو بأحلام النيام
إلى الإيمان والحِكَم الغوالى   سما نسب بكم عالى المقام
شهادة أصدق الشهداء طرّا   وأنطقهم بمأثور الكلام
أبا موسى نهضت إلى محلٍّ   يشقُّ على ذوى الهمم العظام
وفزت بها حياة ، ما لنفس   تجانبها سوى الموت الزؤام
نظام الدين والدنيا جميعا   وهل شيء يكون بلا نظام

وَفْدُ ثقيف

كان فى رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك ، وكان من خبرهم أنه لما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبعه عروة بن مسعود فأسلم ، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام ، فقال له : إنهم قاتلوك ، قال : أنا أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم ، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعوه كثيرا من الأذى ، فسمعه أحدهم يتشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة فى داره فرماه بسهم فمات ، وهو يقول : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها إلى ، فليس فى إلا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ففعلوا ، وقال الرسول الكريم فى حقه : إن مثله فى قومه كمثل يس يريد المذكور فى سورة يس إنه قال لقومه اتبعوا المرسلين ، فقتلوه .

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهرا ثم استولى عليها الذعر ، فأجمعوا أن يوفدوا رجالا منهم إلى النبي ، فجاءوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان ابن أبى العاص ، وهو أصغرهم سنا ، فأسلموا . وسألوه أن يؤمر عليهم رجلا فكان عثمان ، ورجعوا إلى قومهم ، وهم يكتمون إسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة بن عبد ياليل ، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا .

أقبلوا راشدين فالأمر جدٌّ   أيُّ نهج للحق لم يبد بعد ؟
أقبلوا راشدين ، ما لثقيف   وسواها مما قضى الله بدّ
يا ابن غيلان مرحبا جئت فى الرك   ـب وحادى الهدى يسوق ويحدو
أين من قومك الألى ركبوا الغيَّ   فلم ينههم عن الإثم رشد ؟
قتلوا عروة الشهيد على أن   آثر الله ، فهو للشرك ضد
جاء إثر النبي يشهد أن الله   حق عالى الجلالة فرد
وأتى قومه يظن بهم خيـ   ـرا ، فمالوا عن السبيل وصدُّوا
هكذا أخبر النبي ولكن   ليس للأمر حين يُقدر ردُّ
قال : دعهم لمالك الملك واعلم   أنهم قاتلوك . فالقوم لُدُّ

غره رأيه ، فلم يك حب … غير حب الأذى ، ولم يك ودُّ

بورك الوفد إذ أتى الكوكب الدُّ … رِّىُّ فى نوره يروح ويغـدو

يتلقَّى السنا تبين به السبـل … وِضاء بعد الخفاء وتبـدو

ورد الدين صافيا ما يضاهيه … لمن يبتغى السلامة وِرْدُ

وقضى أمره ، فغادر منـه … حيلة أُحكِمتْ ، ورأى أَسَدُّ

راح يخفى إيمانه ، ويهدُّ القـ … ـوم رعبا ، وكل واه يُهـدُّ

ليس للشرك قوة تَعصِم النفـ … ـس ، ولا فيه منعة تستمد

قال : يا قوم إنه يتلظى … فى إباء ما ينقضى منه وقـد

سامنا خطـة تشقُّ علينا … وهو عال فى قومه مستبدُّ(١)

نهدم اللات صاغرين ونُلغى … ما درجنا عليه ، فالعيش رغـد

هاجهم جهلهم ، فقالوا : رويدا … ما لنا بالذى تقولون عهـد

قيل : فالحرب لا هوادة فيها … فاجمعوا أمركم إذن واستعدوا

هفا الدهر بالنفوس فلانوا … بعد حين ، وللجهالة حـدّ

أقبلوا يرغبون فى ملة الله … فلم يغنهم إباء وزهـد

عجبـوا للألى رموهم بمكر … هو أقوى من مكرهم وأشد

سألوهم أن يسلموا فأذاعوا … ما أسرُّوا وطاح بالهزل جِدُّ

رضى الله عنهم ورعاهم … هم جميعا لملة الحق جنـد

(١) سألوا الرسول الكريم أن يترك لهم الصلاة ، فقال : لا خير فى دين لا صلاة فيه وفى لفظ لا ركوع فيه ، وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك ، وسألوه أن يترك لهم الطاغية . « اللات » وهى صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين ، وكانوا يقولون لها الرتبة فأبى فسألوه أن يتركها سنة فأبى ثم سألوه أن يتركها شهرا واحدا فأبى ، سألوا ذلك ليدخل الإسلام فى قومهم ، فلما عادوا إليهم أخبروهم بذلك ، وخوفوهم ، فأخذهم الرعب ثم أسلموا بعد أن قالوا لهم : استعدوا للحرب إن أبيتم .

وفد بنى عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس « أخو لبيد الشاعر » وجبار بن سلمى وكان عامر قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل « النبى » صلى الله عليه وسلم فإنى شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم وينتظر أن يمضى أربد أمره وقد يبست يده على السيف فلم يستطع سله وقال عامر للنبى : مالى إن أسلمت قال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . قال أتجعل لى الأمر بعدك ، قال ليس ذلك لك ولا لقومك إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء فقال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . قال : يمنعك الله عز وجل . ومكث أياما يقول : اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت ، وابعث به داء يقتله فاستجاب الله له . وأسلم جبار بن أبى سلمى رضى الله عنه فيمن أسلم :

بنى عامر ردوا عن الشر « عامرا » … ولن يجد الباغى على البغى ناصرا

أصاب هوى من نفس « أربد » فابتغى … من الأمر ما يُعيى الكمىّ المقامرا

وجاء بمكر لا محالة خائب … وأخيب أهل السوء من كان ماكرا

أنا شدكم :هل صاحَب الوفدُ منهما … « بنى عامر » إلا أثيما وفاجرا ؟

هما أزمعا أن يأخذا الليث خادرا … على غرة والجهل يعمى البصائرا

دنا الأحمق المخبول ، منه وهذه … يد السوء منه تحمل السيف باترا

يشير إليه: ابن الطفيل ، أن اقتحم … وماذا يردُّ السيف لو كان قادرا ؟

أبى الله إلا أن يُعز « رسوله » … ويرجع من يبغى به السوء صاغرا

أطاع هواه جاهلاً ، وخلا به … يخادعه كيما يرى الدم مائرا

أتسأله يا ابن الطفيل خلافة … وتطمع أن تدعى الشريك المشاطرا ؟

لك الويل ما هذا الذى أنت قائل ؟ … أكنت امرءاً من نفسه راح ساخرا؟

« جُبَار » استقم واشهد فربُّك واحد … وخذ حظك الأوفى من الخير شاكرا

وبشر رعاك الله صحبك أنهم … أصابوه غنما من هدى الله وافرا

ودع «عامرا» يهوى به الداء خاسئا ... و«أربد» يلقى الحتف خزيان خاسرا[1]

رماه الذى يرمى القوى فيهدها ... فهدَّ قواه ، إنه كان كافرا[2]

بصاعقة مما رمى الله إذ رمى ... «ثمودا» و«عادا» والقرون الغوابرا

رماه بها نارية لو تنزلت ... على جبل لا ندكَّ فى الأرض غائرا

أبى « عامر » من شيمة جاهلية ... لقاء الردى عند التى جاء زائرا

يقول : أطاعوناً وموتا بمنزل ... يضيق بأمثالى؟إذن لست «عامرا»

جوادى جوادى ليس غير متنه ... ألاقى عليه عادىَ الموت كابرا

وجاءوا به يزجيه « عزريل » فاسـ ... ـتوى على سرجه وانساب حران ثائرا

يجول عليه يحمل الرمح ما يرى ... سوى حتفه المقدور قرنا مغاورا

فما هو إلا أن هوى غير معقب ... سوى الخزى من ذكر لمن كان ذاكرا

مضى الأمر لم يسمع عكاظ نداءه ... ولم تشهد الأقوام تلك المفاخرا[3]

إذا المرء لم يؤمن ولم يخش ربه ... فليس إلى شىء سوى الخسر صائرا

الحتْ عليه دعوة من محمد ... رمته بداء يترك الطب حائرا

رسول الهدى والخير من يرْعَ حقه ... فليس يرى شيئاً على الدهر ضائرا

لقد كان فيما قال أربد زاجر ... عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا[4]

رأى آية تغتال همة نفسه ... وتذهل منه اللب لو كان ناظرا

كلاءة رب ، كلُّ أصيد غالب ... يبيد ، ويبقى غالب البأس قاهرا

---

(١) أصيب عامر بالطاعون وهو راجع إلى بلاده ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول ، وجعل يقول لأصحابه يا بنى عامر ، أغدة كغدة البعير ، وموتا فى بيت امرأة ، ائتونى بفرس ثم ركبه ، وأخذ رمحه ، وصار يجول عليه حتى سقط ميتا ، وخرج أربد من داره بعد وجوعه ومعه بعير له ، فأرسل الله عليهما صاعقة فأحرقتهما .

(٢) الضمير راجع إلى أربد .

(٣) كان لعامر مناد بسوق عكاظ ينادى : هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه .

(٤) قال عامر لأربد بعد خروجهما من عند النبى : ويلك يا أربد ، أين ما كنت أمرتك به ! قال : والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف .

ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه

بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإسلام فأكثر ، وهداه الله فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فقال لهم . إن الله تعالى قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه . وقيل إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى ، فقال له قومه : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال لهم : ويلكم ، والله إنهما لا يضران ولا ينفعان ، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول ، ونطق بالشهادتين ، فأسلموا جميعا .

أنخِ البعير فقد بلغت المسجدا ... واخشع ، ضمام . فأنت فى حرم الهدى[1]

أضللت حين سألت : أين محمد ؟ ... أفما رأيت الكوكب المتوقدا ؟

إن كنت تعرف مطلع النور الذى ... صدع الظلام ، فقد عرفت محمدا

هو ذاك فاصدع يا ضمام بنوره ... ليل العمى ، وحذار أن تترددا

اسأله ، واسمع ما يقول ، ووالِه ... واتبع شريعته إماما مرشدا

اجمع قواك فقد بلغت المنتهى ... وانقع صداك ، فقد أصبت الموردا

قل ما تشاء ، فلن يضيق بسائل ... يرجو الصواب وإن ألحَّ وشددا

كل الذى قال النبى وقلته ... حق ، وحسبك مغنما أن تشهدا

ولقد سعدت بها شهادة مؤمن ... ما كنت لو كبرتْ عليك لتسعدا

حمد النبى وصحبه لك شيمة ... ما كنت تطمع قبلها أن تُحمدا

ولربما ازدان الفتى بسجيَّة ... كانت له شرفا أشم وسؤددا

* * *

---

(١) جاء على جمل فأناخه على باب المسجد ثم عقله ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم محمد ، قالوا هذا . الأبيض المشرب بحمرة المتكىء على مرفقه فدنا منه وقال : إنى سائلك فشدد عليك وجعل يسأله فيجيبه على كل شىء

رضِيَ الهـــدى دينا وعاد بنعمة ... يدعو إلى الله النفوس الشُّرَّدا
وضح السبيل لقومه فتدفقوا ... زمرا يريدون النجاة من الردى
خلصوا على يده فيالك من يد ... فتحت لدين الله بابا موصـــدا
أبشر ضمام فأنت جاوزت المدى ... وبلغت فى الحسنى المكان الأبعدا

وفد بنى عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة ، وفيهم الجارود ، وكان نصرانيا ، وقال له : إن كنت نبيا فأخبرنا بما أضمرنا ، فأخبرهم فأسلموا ، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج ، وكان أصغرهم سنا ، وفيه دمامة ، ولحظ هذا المعنى فى نفس النبى ، فقال : يا رسول الله ، إنه لا يستقى فى مسوك ـ جلود ـ الرجال وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : مرحبا بالقوم الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى ، ثم أمرهم بإقامة الدين ، ونهاهم عن الخمر ، فألحوا ليأذن لهم فأبى ، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا ، وكان فيهم شيخ مجنون فمسح على ظهره ودعا له فبرىء ، وكسى شبابا وجمالا .

مرحباً بالوفد وافى من هجر ... يبتغى الدين ، ويأبى من كفر
لا خزايا ، لا ندامى ، إنهم ... زمرة ما مثلها بين الزمر
ظفروا إذ قبّلوا خير يد ... وخيار الناس أولى بالظفر[1]
نزل الحق على شاعرهم ... ساطع الحجة وضّاح الأثر[2]
صدق الجارود إن الله قد ... أرسل القوم إلى هادى البشر
جاء فى إنجيل عيسى ذكره ... فأتى ينظر مصـــداق الخبر
لم يزل يسأله حتى بدا ... من يقين الأمر ما كان استتر
زادهم من علمه ما زادهم ... ولديه من مزيد مُدَّخر
كشف الله له عما انطوى ... فى زوايا الغيب عنه فظهر
هذه الأرض وهـــذا نخلها ... تترآى فيه أنواع الثمر

(١) تبادر القوم يقبلون يد الرسول الكريم ورجله .
(٢) الجارود وكان قد قرأ الكتب فعرف فيها صفة النبى فقال فيه أبياتا فيها .

يا نبى الهدى أتاك رجال ... قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع شر يوم عبوس ... أوجل القلب ذكره ثم هالا

آثروا الإســلام دينا وانقضى ... ما أضلَّ القوم من دين نُـكر
أُمِروا بالخير طـــــرًّا مالهم ... منه بد ، ونُهـــوا عن كل شر
لهجوا بالخمر ، ثم ازدجروا ... وعن الخمـــر غنى للمزدجر
وفد عبد القيس لا تعدِلْ بكم ... ظلمة الرأى عن النهج الأغر
ليس فى الخمر شفاء لامرئ ... من سقام أو وقاء من ضرر
إحذروها إنها المـكر الذى ... مكر الشيطان فى ماضى العصر
هى للأقوام شرٌّ وأذى ... وهى للبغضاء نار تستعـــر
ليس من برَّ فأرضى ربه ... مثل من أرضى هواه وفجر
حسبكم ما كان منها وكفى ... ما رأيتم أو سمعتم من عبر
فى رسول الله إذ نبأكم ... ببلايا الخمـــر آيات كُبَرْ[١]
اتقوا عن كل ما عنه نهى ... وافعلوا من كل أمر ما أمر

* * *

اسألوا هذا الفتى عن شيخكم ... واسألونى عن أعاجيب القدر[٢]
صورة زالت وأخرى برزت ... من تصاوير المليك المقتــدر
اسألوا الحاضر عمَّنْ غاب ، أو ... فاسألوا الغائب عمن قد حضر
ذهب المجنون مهدود القوى ... وأتى العاقل مشدود المرر[٣]
قدرة الله تجلَّتْ فى يــد ... لعظيم الجاه ميمون الأثر

---

(١) نهاهم عن شرب الخمر ، فقال له الأشج : يارسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا ، فرخص لنا فأبى ، وقال : إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف ، وكان فى القوم رجل وقع له ذلك ، وهو جهم ابن قثم فعجبوا .
(٢) هو الشيخ نفسه بعد أن صلح أمره ببركة الرسول الـكريم صلوات الله وسلامه عليه
(٣) جمع مرة وهى قوة الخلق ــ بفتح الخاء ــ وشدته .

وفد بنى حنيفة

جاءوا ومعهم مسيلمة الـكذاب يسترونه بالثياب ، سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يشركه فى الأمر « النبوة » وكان فى يده عسيب فقال : لو سألتنى هذا ما أعطيتكه . ولما عاد إلى اليمامة ادعى أنه أشركه معه ، وصار يهذى بما يضاهى به القرآن الـكريم كقوله : لقد أنعم الله على الحبلى وأخرج منها نسمة تسعى ، من بين شغاف وحشا وقوله والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، اللاقمات لقما ، ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، وعمل أعمالا للبركة فكانت شؤما ، وكتب إلى النبى يقول له (١) أما بعد فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ، وليس قريش قوما يعدلون ، فكتب إليه صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الـكذاب سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

بنى حنيفة ما أشقى مسيلمةً ... وما أضلَّ الألى أمسَوا له تبعا
جئتم به فى ثياب ملؤها دنس ... تـكاد تلفظه من هول ما صنعا
ترمى به الأرض شيطانا وتقذفه ... رجسا مغطًّى وشرا جاء مبتدعا
يا ويله إذ تريه النجمَ فى يده ... نفس مضلَّة هاجت له طمعا
رام النبوة ، شطرٌ للذى اجتمعت ... فيه ، وشطر له ، يا سوء ما اخترعا
قال النبى له لو جئت تسألنى ... هذا العسيب الذى عاينت لامتنعا
أنا النبى ، وما أمرى بمشترك ... فاعص الهوى وارتدع إن كنت مرتدعا
أضلَّه غيهب للجهل مرتكم ... أحاط بالقوم حينا ثمَّت انقشعا
خفُّوا إلى الحق يرتادون منبته ... وليس كالحق مرتادا ومنتجعا

---

(١) أورد صاحب الديوان نص الرسالتين فى الهامش ورأينا أن نضيفهما إلى المقدمة .

وجاء في فتنة عمياء زيّنها ... له الغرور وسوء الرأى فانخدعا

إن الفساد جميعا والضلال معا ... إلى اليمامة فى أجـــلاده رجعا[2]

تلقفَ الناسَ يغويهم ويكذبهم ... فهل رأوا مثله من كاذب برعا ؟

يقول : إن رسول الله أشركه ... فى الأمر يحمل شطرا منه فاضطلعا

وراح يدعو إلى دين يُزيِّنه ... أشقى الدعاة جميعا من إليه دعا

ألغى الصلاة وأعطى الناس بغيتهم ... من الزنا ومن السمِّ الذعاف معا

دين الفجور ومكروه الأمور ألا ... لابارك الله فى الدين الذى شرعا

لو راح صاحبه يرمى به جبـــلا ... يعلو الجبال من الأخلاق لا نصدعا

ما الطاحنات وتا آت يرددها ؟ ... لا كان من فاجر لا يعرف الورعا

صبرا حنيفــــــــة إن الله قاتله ... ولا مردّ لأمر الله إن وقعا

(١) أجلاد الإنسان وتجاليده جماعة شخصه .

عدىّ بن حاتم

كان عدى بن حاتم شريفاً فى قومه يأخذ المرباع ـ ربع الغنائم ـ على عادة سادات العرب فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام ليبقى على دين النصرانية مع أهله وترك أخته سفانة ومعناها الدرة ، فلم يأخذها معه.وجىء بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، سبية مع السرية التى أرسلها لهدم «الفلس» صنم طىء والإغارة عليها فقامت إليه تذكر أباها ، وما كان له من أعمال مشكورة ، وتسأله أن يمن عليها فقعل ، فأسلمت وكساها ثم حاباها وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها ، وأشارت عليه بالدخول فى دين الله ، فجاء وأسلم .

إلى الله فارغب يا عدىّ بن حاتم ... ودع دين من يبغى العمى غير نادم

إلى الله فارغب واتبع دينه الذى ... يدين به المبعوث من آل هاشم

خرجت حذار القتل من آل طىّء ... وما أنت من بلوى القتيل بسالم

كفى النفس قتلا أن تضلّ حياتها ... وتذهب حيرى فى مدبِّ الأراقم

أما ضقت ذرعا إذ علمت من العمى ... مكانك ، أم أنت امرؤ غير عالم

عدىّ استمع أنباء أختك واستعن ... برأى يُجَلِّى ظلمة الشك حازم

صفا قلبه فاختارها خطةً هدى ... تجنّب من يختارها كل لائم[1]

وسارت مطاياه تؤمُّ محمـــدا ... وِضاء الحوايا والخطى والمناسم[2]

فأنزله فى داره وأحــــلّه ... محــــلّا تمنَّى مثله كل قادم[3]

(١) صفا قلبه مال ، والمعنى أنه مال إلى الإسلام .

(٢) الحوايا جمع حوية وهو كساء يحشى بهشيم النبات ثم يوضع حول سنام البعير، ومناسم الإبل أخفافها .

(٣) انطلق النبى بعدى إلى بيته ، ثم ناوله بيده الشريفة وسادة من أدم محشوة ليفا فأجلسه عليها ، وجلس هو على الأرض ، وقال له : أسلم تسلم ثلاث مرات ، قال عدى : إنى على دين فقال: أنا أعلم بدينك منك ثم ذكر له المرباع وأنه محرم فى دين النصرانية ، وقال له:

وقال له : إنى لأعلم بالذى   تدين به ، فاشهد تـكن غير آثم
ألم تأخذ المرباع ، وهو مُحرَّم   كدأب الأولى سنوه من كل ظالم ؟
فقال : بلى ، إنى إلى الله تائب   وإنى رأيت الحق ضربة لازم
لأنت رسول الله ما فيك مِرْية   لمن يمترى والحق بادى المعالم
تداركتُ بالإسلام نفسى فأصبحتْ   بعافية من دائها المتفاقم
هو العصمة الـكبرى ، إذا لم تفز بها   نفوس البرايا ، خانها كل عاصم

* * *

تأمَّلْ عدىُّ ما يقول محمد   ونبهْ من القوم العدى كل نائم
سيبسط دين الله فى الأرض ظله   ويحكم من ساداتها كل حاكم
وسوف يفيض المال فى كل موطن   وأرض ، فما من آخذ أو مُزاحم
وتخرج ذات الخدر ما إن تروعها   إساءة جانٍ ، أو مضرّة جارم
فتَقبِلُ من بصرى إلى البيت مالها   على الضعف وال من حماة المحارم
هو الله ، فاعرف يا عدىُّ سبيله   ودعْ خطرات الوهم من كل واهم

= لعلك ياعدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ماترى ، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم ، أتعرف الحيرة ، قال عدى : لم أرها ، وإنما سمعت بها ، قال . فوالله وفى رواية والذى نفسى بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

عُروة بن مسيك المرادى

وَاسْمُه فروَة فى بعض الروايات

ترك ملوك كندة وراء ظهره ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية من الأولى ما أرادت فى يوم يقال له الروم ، فقال له النبى : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الروم ، ولا يسوءه ؟ فقال له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرا ، وقد استعمله على مراد وزبيد ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فـكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ترك الملوك ملوك كندة وانتحى   من يترك التيجان واهية العرى
حُيّيت عروة ، إنه لك مَقْدم   يمن ، وحسبك ما تشاهد أو ترى
عطف النبىُّ عليك وانبسطت له   نفس تريك مكانه والمظهرا
ما كان يوم الروم من أوطاره   بل هزَّ نفسك واعظا ومُذكرا
ما أورث الإسلامُ قومَك ، زادهم   خيرا ، وكان لهم أجلَّ وأكبرا
الجاهلية قد عفَتْ آثارها   فيهم ، وأصبح عهدها قد أدبرا
كانت لهم موتا ، فتلك حياتهم   فى دولة الإسلام عالية الذرى
هذا رفيقك ما لقومك غيره   نعم الرفيق إذا اللبيب تخيّرا
إنى جعلت لخالد صدقاتهم   تُجبَى إلىَّ ، فما أحق وأجدرا
ولقد أقمتك عاملا ، فـكن امرءا   للخير فى كل الأمور ميسَّرا
سيرا على بركات ربكما ولا   تنيا إذا أحدٌ ونى أو قصرا

وفد بني زبيد

جاءوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقد كان قال لابن أخيه قيس المرادي : إنك سيد قومك ، فانطلق بنا إلى محمد لنبلو أمره ، فإن كان نبيا كما يقول فلن يخفى عليك ، فأبى عليه قيس وسفه رأيه ، وجاء عمرو فأسلم ، فلما علم قيس قال : خالفني وترك أمري ورأيي ، وتوعد عمرا فقال عمرو من أبيات .

فمن ذا عاذري من ذي سفاه   يريد بنفسه شد المزاد
أريد حياته ، ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

وفد الفارس الذي تفرق الأبطـ   ـال منه وتفزع الفرسانُ
جاء عمرو وأيُّ قرم كعمرو   حين تدعى القروم والشجعان
ماله في الرجال كفؤ إذا ما   حمي الضرب واستحرَّ الطعان
راع صمصامه وشاع له في الأر   ض ذكر مجلجل رنان
قال : يا قيس أنت سيد قوم   ليس فيهم لغيرك اليوم شان
أيَّما خطة أردت فلا تعـ   ـدل عنها . وحيثما كنت كانو
سرْ معي تنظر الذي راح ينهى   أن تقام الأصنام والأوثان
إنه إن يكن نبيًّا فلن يخـ   ـفى علينا الدليل والبرهان
ومن الحـق أن يكون مُطاعا   فعلينا الولاء والإيمـان
قال : يا عمرو هل أصابك مسٌّ   فتمادَى الهراء والهـذيان ؟
ما أنا بالذي يلين عنـاني   لابن أنثى إن لان منـك العنان
إن تكنْ مُذعنا لمن فتن النا   س فما بي لمثله إذعان
ذهب الفارس الزبيديُّ فردا   وتقضى النـداء والبهتان
يطلب الساحة التي يُطاب الخيـ   ـر بأرجائها ، ويُرجَى الأمان
مهبط الوحي ، يرتع الروح فيها   كل حين ويسطع الفرقان

رضيَ البرَّ والمـروءة دينا   فصفت نفسه وطاب الجنان
زال عنه الأذى، فما خطب قيس؟   إن قيسا لثائر حرّان
قال : ياويحه ، أ آمره أمـ   ـري ، فمنه الإباء والعصيان ؟
لأذيقنَّه الجـزاء أليما   فيرى موضعي ، وكيف يُدان

* * *

هكذا تصنـع الجهالة بالنا   س ، فتعمَى العقول والأذهان
ومن الناس مبصرون يرون الحـ   ـق ومنهمُ عميـان

وفد كندة

كانوا ثمانين أو ستين رجلا ، فيهم الأشعث بن قيس ، جاءوا وعليهم جبب الحرير الحبرة من صنع اليمن ، وقد سرحوا شعورهم ، فلما دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيوه تحية الجاهلية « أبيت اللعن » فقال : لست بملك ، وإنما أنا محمد بن عبد الله ، قالوا : لا نخاطبك باسمك ، قال أنا أبو القاسم ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك شيئا فما هو ؟ وكانوا خبأوا عين جرادة فى ظرف سمن ليختبروه ، فقال : سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن ، قالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ، فأخذ كفا من حصباء وقال : هذا يشهد أنى رسول الله فسبح الحصى فى يده ، فأسلموا وتلا عليهم والصافات صفا حتى بلغ قوله تعالى « رب المشارق والمغارب » فسكت ودموعه تجرى ، فقالوا : أمن مخافة من أرسلك تبكى ؟ قال : إن خشيتى منه أبكتنى ، بعثنى على صراط مستقيم مثل حد السيف ، إن زغت عنه هلكت ، ثم تلا : « ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك » الآية ، ثم نهاهم عن لبس الحرير ، فشقوه من أعناقهم وألقوه .

ألا إن هذا وفد كندة قد أتى — عليه من النعماء أردية الحِبَرْ
رواء من العيش الرخيِّ وبهجة — من الكحل فى الأجفان أو مرسال الشعَرْ
دنا ثمَّ حيَّا سيد الرسل بالتى — تحيَّا بها أهل الصوالج والسرُرُ
يقول : أبيت اللعن قول الألى خلوا — من المعشر الضلاَّل فى سالف العصُرْ
أباها رسول الله منهم تحية — رآها من اللغو المذمَّم والهذر
وقال : دعوها عادة جاهلية — فلا أنا ذو ملك ، ولا بىَ من أشَر
خذوا هذه عنّى فإنى محمد — وإنى ابن عبد الله من ذلك النفر
فقالوا له : ندعوك باسمك ؟؟ إنه — لعمرك أمر ما يلائمنا عَسِر
فماذا به تُكنَى ؟ فقال لهم : أنا — أبو القاسم ادعونى بها كنية تَسُر
دعَوْه ، فقالوا يا أبا القاسم استجب — أأنت رسول الله يهدى بك البشر؟
فإن يك حقا ما تقول ، فما الذى — خبأنا من الأشياء ، نبلو ونختبر؟

فقال : رويدا ، إننى لست كاهنا — ومهلا ، فهذا شاهد صادق الخبر
ومدَّ يمين الخير يملؤها حصى — فلم يك فيها بالعيىِّ ولا الحصِر
قضوا عجبا ممَّا يسبِّح ربه — وقالوا : شهدنا ، ما بك الآن من نكر
هداهم إلى دين الحياة وزادهم — هدى من كتاب محكم الآى والسور
تلا ما تلا ، فالقلب لله خاشع — من البر والإيمان ، والدمع منهمر
فقالوا : أمن خوف الذى أنت مرسَل — إلى الناس منه دمع عينيك يبتدر ؟
فقال : أجل ، إنى أخاف عذابه — وأية نفس تأمن الله إن مكر
بُعثتُ بدين إن أمِلْ عن صراطه — فما لىَ من واق يقينى ولا وزر
صراط كحدّ السيف لا يبرح الفتى — وإن جدّ كل الجد منه على خطر
فلا تغترِرْ نفسى بشاهد حالها — فلله علم الغيب ، والغيب منتظر
من الخير فاستكثر لنفسك واستزد — وما تستطعْ من صالح الأمر فادّخِر
لكلِّ امرئ من شأنه ما أعده — كذلك يجزى الله من برّ أو فجر
نهى القوم عن لبس الحرير نبيُّهم — ولا شىء إلا ما نهى عنه أو أمر
أطاعوه لا يبغون غير سبيله — إذا اتبعوه — من سبيل ولا أثر
وإن الذى ينهى النفوس عن الهوى — هو الدين لا دين المخيلة والبطر
أدأب الألى فى الحرب يصلون نارها — كدأب اللواتى فى المقاصير والسُّتُر؟
إذا ترك القوم الجهاد رأيتهم — وإن أشبهوا الأحياء موتى من الخوَر
وإن لم تكن أظفارهم جُنَّةً لهم — تقلَّب فى أحشائهم كل ذى ظُفُر

وفد أزد شنوءة

قدم على الرسول الكريم جمع من الأزد ، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدى ، وكان أفضلهم ، فجعله أميرا على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن ، فخرج حتى إذا أتى مدينة جرش من مدائنهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريبا من شهر ، ثم رجعوا عنها ، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين ، فانطلقوا وراءهم ، فأدركوهم عند جبل يقال له شكر فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا .

هنا ياسَراة الأزد ، حطُّوا رحالكم   فما أطيب المثوى ، وما أشرف الحمى

هنا البرُّ والتقوى ، هنا الخير كله   لمن كان يرجو أن يفوز ويغنما

هنا المنزل الميمون ، ما من مُوَفَّق   يريد سواه منزلا أو مخيّما

أَجِلْ يا ابن عبد الله عينيك واقتبس   من النور ما يجلو الغياهب عنهما

تبيَّنْ هداك الله ، إنك ناظر   أجلّ بنى الدنيا جميعاً وأعظما

هداكم به ربٌّ تدارك خلقه   فجاد به نورا مبينا وأنعما

وولّاك أمر القوم تمضى مجاهدا   بهم من يليهم من رجال ذوى عمى

شكتْ جرش طول الحصار وما اشتكت   لكم همم يرمى بها الله من رمى

رجعتم تريدون المكيدة ، فاعترى   أذى الوهم من عمّارها من توهّما

رأى شكر من خطبهم وبلائكم   مشاهد هزّته ، فحيّا وسلما

أكنتم كما ظنوا تخافون بأسهم ؟   ألم يكفهم أن يُضحكوا السيف والدَّما ؟

همُ البدن بدن الله ضلّت فمالها   سوى النحر تاقاه قضاء محتَّما[1]

---

(١) بعث أهل جرش رجلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتحسسان أخباره ، فسألهما بأى بلاد الله شكر ؟ فقالا : إن ببلادنا جبلا يقال له كشر ، قال ليس بكشر وإنما هو شكر ، قالا فما شأنه ؟ قال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر ، فرجعا إلى قومهما ، =

كذلك قال الصادق البَرّ إنه   ليُلقى الذى يُلقى من القول ملهما

أكان حديثاً للرسولين ساقه   لقومهما ، أم كان جيشا عرمرما ؟

هما نبّآهم ، فارعووا عن ضلالهم   وقالوا رسول جاء بالدين قيّما

وأصبح نور الله ملء ديارهم   يضىء لهم ما كان من قبل مظلما

= فوجداهم ، قد أصيبوا فى اليوم والساعة اللذين تلقيا فيهما الخبر، وذكراهم ذلك ، فجاءوا فأسلموا .

رسول ملوك حمير وحامل كتابهم

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك ، وفى الكتاب إخبار بإسلام الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان قبيلة وأنهم قتلوا المشركين ، فكتب إليهم يوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق ، وأنه قد أرسل إلى زرعة ذى يزن يوصيه خيرا برسله ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك ابن عبادة ، وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم ، وأنه قد جعل أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن الا راضيا .

جاء الرسول كتابه بيمينه ... واليمن فى فمه وفوق جبينه
وافى إمام المرسلين مبشّرا ... بالمؤمنين من الملوك بدينه
بعثوا إليه رسولهم وكتابهم ... أن ليس مُتَّبَع لهم من دونه
قالوا اعتصمنا باليقين فزادنا ... دين الهدى ، والمرء عند يقينه
ولقد قتلنا المشركين نريده ... فتحا يشجُّ الشرك فى عرنينه
أقيال حمير لان جانب عزهم ... مُسلَّط لين الظبى من لينه
سنَّ السبيل بسيفه ولسانه ... فتهافت الأقوام فى مسنونه
لا شىء كالحق المسلّح للفتى ... يشفيه من كَلب الهوى وجنونه
الليث فى محرابه وكتابه ... والليث فى أشباله وعرينه
رجع الرسول على هدى برسالة ... فيها الهدى يمحو الظلام لحينه
فيها قوى الإسلام محكمة العرى ... مَن ابتغى الخيرات فى تمكينه
فيها شعائره ومظهر مجده ... ونظام دولته وأُسُّ شؤونه
أخذ الملوك بواضح من هديه ... متبلّج لم يأل فى تبيينه
ورمى إليهم بالوصيّة سمحة ... يقضى الأمين بها زمام أمينه
إن أكرموا رسلى الذين ترونهم ... يرجون فضل الله عند ديونه

أوصيتُ زرعة أن يكون لهم يدا ... كيد القرين يشدُّ أزر قرينه
ولقد جعلت إلى معاذٍ أمرهم ... فجعلته لزعيمه وضمينه

* * *

لا يرجعنَّ إلىَّ إلا راضيا ... والله عون نصيره ومعينه

* * *

يا حارث اشكر فضل ربك إنه ... أعطاك حظاً زاد فى تحسينه[1]
أوَ لستَ أول مسلم من حمير ... وردَ الهدى، ومضى بصفو مَعينه ؟
وأقام للشرك المذمَّم مأتما ... يستعذب الإسلام رجع أنينه ؟
أبشر بخير غير مقطوع الجنى ... من ربك الأعلى ، ولا ممنونه

---

(١) كان الحارث أول من أسلم وقاتل المشركين من حمير فأثنى عليه النبي فى كتابه وقال له أبشر بخير .

رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بإسلامه ، وحمل إليه هديته ، وهي بغلة بيضاء يقال لها فضة ، وحمار يقال له يعفور ، وفرس يقال له الظرب ، وثياب معها قباء مرصع بالذهب . وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، فلما أسلم أخذوه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك . ارجع عن دين محمد ، ونحن نعيدك إلى ملكك ، قال : لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام بشر به ، ولكنك تضن بملكك .

هذا السبيل، فأين يذهب من أبى؟   أوَ ليس نور الله قد كشف الدجى؟

ليس الذى ركب الغواية فالتوى   كمن استقام ، ولا الضلالة كالهدى

أحسنت فروة إن دين محمد   لهو الذى يشفى القلوب من العمى

هذا رسولك جاءه بهدية   فيها لنفسك كل ما تهب المنى

أنت السعيد بها ، ولو أتبَعتها   كل الذى لك لم تزدْ إلَّا غنى

ماذا يغيظ الروم من مستبصر   صرف العنان عن الغواية وارعوى؟

سجنوه حين رأوه يطلق نفسه   فى المعشر الطلقاء من سجن الهوى

وتكنَّفوه ليفتنوه فزاد فى   إيمانه ما جرّعوه من الأذى

لو يعقل الملك الغبىُّ لما رأى   رأى الألى ضلوا السبيل ، ولا غوى

قال : اعتزل دين الذين همُ العدى   إن كنت تؤثر أن تُردَّ على رضى

لك عند قومك ما تحب وتشتهى   فى ذلك الحرم الممنَّع والحمى

المجد والشرف الرفيع ، وما ترى   من نعمة خضراء دانية الجنى

قال : اقتصد ما أنت أنت ولا أنا   أنا ، قد مضى من أمرنا ما قد مضى

إنى اصطفيت محمدا وهو الذى   أوصى به عيسى فنعم المصطفى

وأراك تعلم غير أنك مولع   بالملك تكره أن يكون له مدى

قال : اقتلوه ، فراح يلقى ربه   فرحا ، بما حفظ الأمانة واتقى

صلبوه من حنق عليه ، فويحهم   أفلمْ يكن فى قتل فروة ما كفى

نعم الشهيد ، وبئس ما صنعوا به   وسيعلمون لمن يكون المنتهى

تلك العقيدة حكمها وسبيلها   إما سبيل المؤمنين أو الردى

وفد بني الحارث بن كعب

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فخرج حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويقولون : أيها الناس أسلمو تسلموا ، فأسلموا ، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام ، وكتب بذلك إلى النبي ، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم فجاءوا وفيهم قيس بن الحصين . . ذو الغصة . وحين اجتمعوا به قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : صدقتم وأقر عليهم زيد بن الحصين . ومات صلى الله عليه وسلم بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر .

يا بنى الحارث بن كعب سلام ... أذهب الرجسَ عنكم الإسلامُ

جاءكم خالد بدعوة حـــق ... فاستجبتم ، ماعا بكم إحجام

عظمت نعمة النبي عليكم ... فاعرفوا دينه كيف يقام

كل ما تكره النفوس من البغـ ... ـى وسوء الصنيع فيه حــرام

لا يحلُّ القتال إلا بحــق ... وهو حق مؤكد وذمام

أنتم القوم ما عليكم ملام ... قُضِيَ الأمر واستراح الحسام

وعجيب إذا بدا الحق طلقا ... أن تضلَّ العقول والأحلام

يا بنى الحارث بن كعب نزلتم ... فى حمى الله منزلا لا يرام

ها هنا ، ها هنا يطيب المقام ... هذه يثربٌ وهــذا الامام

أرأيتم عزَّ النبــوة فيما ... عرف الناس أو رأى الأقوام

لا النبيُّون أول الدهر نالوا ... بعض هذا ولا الملوك العظام

قال وهو العليم إذ كلَّم القـــو ... م ، ومن مثله يطيب الكلام

بم كنتم فى الجاهلية تستعلون ... بالنصر حين يحمى الضرام

فأجابوه : ذلكم أننا كنا ... جميعا تضمُّنا الأرحام

صادِقِ البأس ، للقلوب اتحاد ... حين تمضى وللصفوف التئام

صخرة ما تطير أو تتفرَّى ... إن تفـــرَّى الحصى وطار الرغام

ثم كنَّا لا نبدأ الناس بالظـــلم ، ... نعاف الذى يعاف الكرام

نكره الشر قادرين ونأبا ... ه وللشر فى النفوس اضطرام

قال : حقا صدقتم ، وما كا ... ن ليرجَى للظالمين دوام

إن زيـدًا أميركم فاعرفوه ... واستقيموا ، لكل أمر نظام

سنَّة الله ليس للقــوم بدٌّ ... من رئيس يُلقَى إليه الزمام

عُدْ بخير يا ابن الحصين ونُعمَى ... إنك اليـــوم للرئيس الهمام

رفاعة بن زيد الخزاعى

وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهدى إليه غلاما كان معه . وأسلم وحسن إسلامه ، فأرسل معه كتابا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم إلى الإسلام لمن يجيب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا .

أقبل رفاعة لا مُعرَّج لامرىء ... يبغى الذى تبغى ولا متـــلوَّم
جئت الرسول المجتبى من ربه ... وقدمت تتبعه فنعم المقَـــدم
أكرمت نفسك فانطلقت تريده ... ديناً هو الشرف الأجلُّ الأعظم
يبنى الحياة على أساس ثابت ... من قوة الله التى لا تهدم
إن شئت أن ترقى بنفسك صاعداً ... فعليك بالإيمان فهو السلم
وهو الجناح فإن ظفرت به فطر ... وطو الجواء فأنت أنت القشعم
لا تنهض الهمم الكبار بغيره ... سبباً ولا تسمو النفوس الحوّم
سَعِد الغلام كما سعدت وربما ... خدم السعيد فكان ممن يخدم
عزَّت بسيده العـــوالم أرضها ... وسمـــاؤها وهو الأعزُّ الأكرم
أمضى إليك بأمر قومك ، فاضطلع ... واعزم رفاعة إن مثلك يعزم
وخذ الكتاب مبـاركا ما مثله ... كتبتْ يد فيما يخط ويرقم
اقرأه متئداً عليهم ، وادعُهم ... أن يتبعوك إلى التى هى أقوم
ولمن عصاك مدى، فإن بلغوا المدى ... فالله يقضى ما يشـــاء ويحكم
أو ما كفى شهر يجر وراءه ... شهراً لمن يبغى المحجّة منهم ؟

* * *

لله قومـك يا ابن زيد أنهم ... سمعوا الكتاب فشايعوك وأسلموا
نور على نور ونعمى زادها ... من فضله الأوفى الكريم المنعم
علمتْ خزاعة بعد جهل فاهتدت ... وإلى الحقائق يهتـدى من يعلم
إن تذكروا فضل الرجال وأيّهم ... أربى فأنت السابق المتقـدم

وفد همدان

وفد منهم على النبى صلى الله عليه وسلم جمع فيهم مالك بن نمط ، وكان شاعرا مجيدا ، فلقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات . . ثياب قصار من برود اليمن . وعمائم عدنية ، على الرواحل المهرية والأرحبية ، وجعل مالك يرتجز بين يديه .

إليك جاوزنا سواد الريف ... فى هبوات الصيف والخريف

مخطمات بحبـــال الليـــف

وقد أمره الرسول الكريم على من أسلم من قومه ، وفى رواية مرجحة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام ، فأقام ستة أشهر وهم لايجيبون فبعث إليهم عليا كرم الله وجهه ، وأمر خالدا بالرجوع إليه ، فصف على أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبى فأسلموا جميعا ، وكتب بذلك إليه فخر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان مرتين : ـــ

هو وفدهم ، وهم الفريق الطيّب ... ما فاتهم من كل خير مطلب
طابت منابتهم ، فطاب صنيعهم ... إن الرجال إلى المنابت تنسب
إلّا يطيعوا خالداً إذ جاءهم ... فلكل أمر موعـد يترقب
ســدُّوا السبيل عليه ستة أشهر ... وأتى علىٌّ بالكتاب فرحبوا
همدان أهل للجميـــل وعندهم ... غوث الصريخ ، ونجدة ماتكذب[1]
نصرُ الحمـاة الصادقين وصبرهم ... والحرب حرّى والفوارس هُيَّب
شهـد النبى لهم فتلك صفاتهم ... تمـلى محاسنها على وأكتب
يرضون ملَّته فيسجد شاكراً ... لله جل جــلاله يتقرب
ويذيقهم برد السلام مُردّداً ... عذباً كماء المزن أو هو أعذب
أوتاد هذى الأرض أو أبدالها ... منهم ، فمشرقها لهم والمغرب

---

(١) جاء فى السيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : نعم الحى همدان ، ماأسرعها إلى النصرة وأصبرها على الجهد . وفيهم أبدال وفيهم أوتاد .

يمضى الزمان وهم ولاة أمورها ... فى دولة أبديَّـــة ما تذهب

تلك الولاية ، لا ولاية معشر ... يبقَوْن ما غفـل الزمان القُلَّب

جاءوا عليهم رونق ونضارة ... يصف النعيم لباسُهم والمركب

صنَع البرود لهم فأحسن صنعها ... وأجادها صَنَعُ اليـدين مُدرَّب (١)

تهفو يمانيـةً على أجسادهم ... فتكاد حسناً بالنواظر تنهب

من كل وضّاح الجبين معمّم ... وكأنه مما يهـاب معصب

زانوا الرحال بما أفاءت مَهْرَة ... من نسلها الغالى وأنجب أرحب (٢)

جاءوا بشاعرهم فمن أنفاسـه ... أرَجٌ كنفح الطيب أو هو أطيب (٣)

حيَّا رسـول الله يظهر حبه ... إن الـكريم إلى الكريم محبَّب

حيا الشمائل كالخمائل ، فالربى ... تبدى البشاشة ، والخمائل تطرب

حياه مرتجزاً ، وإن لمـالك ... لأعزَّ ما ملك البيان المعجب

قال يا خا همـدان واشهد أنه ... لَلحق مالك دونه متنكب

هو ذلـكم ما من رسول غيره ... فيميل عنه أخو الرشاد ويرغب

ما فيه من شك ، وليس كمثله ... للعـائذين معلِّم ومهــــذِّب

أنت الأمير على الألى اتبعوا الهدى ... والحق من همدان أو أنت الأب

خذهم بآداب الـكتاب وكن لهم ... مثلا من الشيم الرضيّــة يضرب

واعمل لربك جاهداً ، لا تأله ... دأباً ، فليس يفوز من لا يدأب

(١) يقال رجل صنع اليدين وصناع اليدين إذا كان حاذقا فى الصنعة .

(٢) الرواحل المهرية تنسب إلى قبيلة أو بلدة يمنية يقال لها مهرة وهى نجائب تسبق الخيل وأرحب قبيلة أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .

(٣) هو مالك بن النمط ومن شعره .

حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينـا مصـدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشـد على أعدائه من محـمد

وفد تُجِيب

تجيب ويجوز فتح تائها قبيلة من كندة ، جاء وفدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلاثة عشر رجلا يسوقون صدقات أموالهم . فسر بهم وأكرم مثواهم وقالوا إنا جئنا بحق الله فى أموالنا ، فقال : ردوها فاقسموها على فقرائكم ، قالوا : ماجئنا إلا بما فضل عنهم ، فقال أبو بكر : ما قدم علينا مثلهم . قال الرسول الكريم : إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان ، وسألوه عن القرآن والسنن فزاد سرورا بهم ، واستأذنوه فى الرجوع ، ودعوه ، فأرسل إليهم بلالا بأسنى الجوائز ، وقال : هل بقى منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا ، قال : أرسلوه : فأقبل يقول : قد قضيت للناس حوائجهم ، فاقض لى حاجتى ، وهى أن تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى ، ويجعل غناى فى قلبى ، ففعل وأمرله بجائزة .

تجيب بعثت الوفد ، أما سبيله ... فسمح ، وأما منتواه فصالح

أتى فى ذمام الله يؤتيه حقه ... من المال يهديه سناً منه واضح

فأكرم مثواهم ، وأعلى مكانهم ... رسول لمن يبغى المحجَّة ناصح

وقال لهم : ما بى إلى المـال حاجة ... وحسبى من الخيرات ، ما الله مانح

خذوه فردُّوه على فقرائكم ... فينعم مكروب ، وينهض رازح

فقالوا : كفيناهم ، فما منهم امرؤ ... له حاجة تُطوَى عليها الجوانح

وقال أبو بكر : هم القوم مارأت ... كمقدمهم منا العيون اللوامح

وسَرَّ رسولَ الله حسن صنيعهم ... فما مثله إذ يمـدح القوم مادح

فلما استزادوه من الحق زادهم ... ولن تسأم الحق العقول الرواجح

رأوا مورداً عذباً فألقوا بأنفس ... ظماء بهـا من وقدة اللُّوح لافح (١)

فما مثلهم فيمن هـدى الله وارد ... ولا مثله فيمن شفى الداء ناصح

(١) اللوح العطش .

هم استأذنوه فى الإياب وودّعوا … تُشيِّعهم منه العطايا الدوالح

بلال انطلق خلف الرجال فأعطهم … جوائزهم ، إن التقىّ لرابح

وسلهم : أفيهم من تأخر رفده ؟ … فيعطى ، ويلقى قومه ، وهو فارح

فقالوا : غـلام فى الرحال مخلَّف … على وجهه وسم من الخير لائح

وجاء يقول القول برًّا وحكمة … فواعجبى ، أين النهى والقرائح؟

قضيت رسول الله حاجة قومنا … ولى حاجة بالباب ، والله فاتح

سل الله أن يرضى ، فيغفر حوبتى … ويرحمنى ، إنى إلى ذاك طامح

بهذين فادع الله لى ، ثم بالغنى … غِنى القلب ، إن المعدم القلب طائح

دعا بالذى ودّ الفتى وأجازه … فلم يبق من حاجاته ما يطارح

صفا قلبه من كل شىء يشوبه … وطابت بتقوى الله منه الجوارح

وإن له بعـد النبىِّ لمشهداً … يهون به عاد من الخطب فادح(١)

سيكفى أبا بكر تقلُّب قومـه … إذا جهل الأقوام والجهل فاضح

همُ النفر الأخيار ما فى رحالهم … شقىٌّ ولا ناء عن الرشد جامح

أقاموا كراما ثم عادوا أعزة … لهم شرف عال ، مقيم وبارح

فما فاتهم خير ولا نال سعيهم … من الناس غاد فى البلاد ورائح

ألا إنه الإســـلام لا مجد مثله … وإن صاح بالبهتان والإفك صائح

أغنِّى به فليطرب الدهر ولتدع … تطاريبها هذى الطيور الصوادح

وإنى لأقضى للعروبة حقها … وإن لجَّ مفتون ، وأرجف كاشح

وماذا على الأعداء إن قام ماجد … يناضل عن أحسابها وينافح ؟

نصبت لها نفسى فما لان جانبى … وجُلْتُ فما ضاقت علىّ المنادح

(١) لما ارتد من ارتد بعد وفاة النبي قام فى قومه يذكرهم الله والإسلام فلم يرتد منهم أحد .

لك الحمد ربى إنها لك نعمة … وإنى لما يُرضيك منى لكادح

فيارب هل للشعر بعدى خليفة … يقوم به إن غيَّبتنى الصفائح ؟

أرى الجدّ أودى إذ أبى الجدّ أهله … فلم يبق إلا ما تعوَّد مازح

ألحّوا على الأخلاق فانقض ركنها … وحاقت بأبناء البلاد الجوائح

بقيّة الوفود

توالت وفود الله تختار دينه ... وترضاه ربا مالها غيره رب

دعاها فلبت تبتغى الحق مذهباً ... وجاءت يظلّ الركب يتبعه الركب

هداها إلى الإسلام رأى مسدّد ... فلاشغب يؤذى النفوس ولاحرب

إذا المرء لم يزجُرْ عن الغيّ نفسه ... فلاالطعن يهديه السبيلَ ولاالضرب

وشرُّ سجايا النفس أن تؤثر العمى ... وتكره أن يستلّ أدواءها الطبُّ

ترامت بهم آمالهم ومطيّهم ... إلى واسع الأكناف منزله رحب

جليل الأيادى ، ما يغبّ نزيله ... قرى فاضلٌ من جوده، وندى سكب

إذا جاءه المكروه والهم جاثم ... كفى مابه ، حتى كأن لم يكن كرب

وإن راح يستسقى به الغيثَ مُسنت ... تقشّع عنه الجدب، واطّرد الخصب[1]

لكم جاحدٍ لمّا رأى نور وجهه ... تجلّى العمى عن عينه وصحا القلب

به عرف القوم السبيل إلى الهدى ... فلامسلك وعر ، ولامركب صعب

وفى ظله الممدود حطّوا ذنوبهم ... فعادوا ولا وزر عليهم ولا ذنب

طهارى عليهم من سنا الحق بهجة ... لها وهج باق على الدهر لا يخبو

بنى الدهر ناموا آخر الدهر أو هبّوا ... تكشفت الظلماء، وانجابت الحجب

أبى الله إلّا أن يؤيد دينه ... فليس لمن يأباه عقل ولا لُبُّ

إذا أخذ السيل الأتىُّ سبيله ... فلاالشرق مسدود الفجاج ولاالغرب

وما الدين إلا ماحيا الشرَّ والأذى ... فلا أمة تشكو الشقاء ولا شعب

وما يستوى البحران : هذا مذاقه ... أجاج ، وهذا طعمه سائغ عذب

(١) أسنت القوم أصابهم الجدب ، وهكذا كان بنوفزارة عند مجيء وفدهم فدعا لهم النبي فأمطروا .

قضاها لنا ربُّ السماء شريعة ... مطهّرة ، لا الظلم منها ولا الغصب

لنا ديننا نسمو به ، وكتابنا ... إلى حيث لاالأديان تسمو ولاالكتب

رعى الله قوما ما رعَوْا غير حقه ... ولا راعهم فيه ملام ولا عتب

يُحبّونه حبًّا تلين قلوبهم ... به وهو فيها مثل إيمانها صلب

فمن يك عن حال المحبّين سائلا ... فتلك سجاياهم ، وهذا هو الحب

تعلمْ سجايا القوم واسلك سبيلهم ... أولئك حزب الله ، ما مثله حزب

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام . فنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزة بالإثم ، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة والنجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري . والمقوقس ملك القبط بمصر على يد حاطب ابن أبي بلتعة والمنذر بن مساور العبدي بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي وجيفر وعبد ابنا الجلندي ملكا عمان على يد عمرو بن العاص وهوذة بن على صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامري والحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق على يد شجاع بن وهب .

الكتب تترى، والكتائب تدلف   والبأس بينهما يثور ويعصف
الله وكّلَ بالملوك رسوله   فإذا العروش بهم تميد وترجف .
أهي القلوب تلج فى خفقاتها   أم تلك أجنحة تظل ترفرف ؟
رسل النبي بكل أرض جوّل   ترمى بهم همم نواهض قُذُّف
حملوا القلوب الصمّ يعصمهم بها   دين لهم صلب ورأى محصف[1]
ترمى الجلامد والحديد بقوة   تمضى فتصدع ما تشاء وتقصف
يخشى العتيُّ المستبدُّ نكالها   ويهابها المستكبر المتغطرف[2]
سِرْ فى ذمام الله دحية إنها   لك حاجة ما دونها متخلف
أيقظ هرقل فقد تطاول نومه   وأبت عمايته فما تتكشف
أيقظه إن الله ليس كدينه   دين ، وليس له شريك يعرف

(١) المحصف المحكم .
(٢) المتغطرف المتكبر .

أخذ الكتاب وراح يسأل كلما   وضح اليقين له يلجّ ويلحف[1]
ماذا أراد الله ، ما شأن الذى   بعث الكتاب ، بأى شىء يوصف
قال يا أبا سفيان لا تطع الهوى   ودع الملام لمن يجور ويجنف[2]
أبدى هرقل لقومه أن قد صغا   منه إلى الإسلام قلب منصف[3]
غضبوا فقال : رويدكم مابى سوى   أن أستبين ، وأين منّا المصرف ؟
بعث الكتاب فقال : إنى مسلم   لكنهم قومى الألى أتخوف
واختارها مما يحب هدية   ألقى بها من مكره يتزلف[4]
قال النبي : رسالة من كاشح   يبدى الرضى ، ومنافق يتكلف[5]
وهدية ساءت وساء حديثها   فالزور من أسمائها والزخرف

* * *

كسرى لك الويلات ، ماذا تبتغى؟   ماذا تظن ؟ بمن تُغاثُ وتسعف ؟
مزّقت من كتب النبي تميمة   فيها منابع رحمة لا تنزَف[6]

(١) كان هرقل يومئذ ببيت المقدس وعنده أبو سفيان . . قبل إسلامه » وبعض أصحابه . فسألهم عن أقربهم نسبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان أنا أقربهم إليه فإنه ابن عمى قال له : إنه منى ، وصف أصحابه وراءه ليردوه عما يخالف الحق من مقالته ، وأقام ترجمانا يسأله عن نسب النبي وأخلاقه وأعماله وعن الذين يتبعونه فقال الحق ونطق بالصواب .

(٢) يجور ويجنف بمعنى يميل عن الطريق .

(٣) روى أن هرقل لما عاد إلى حمص . وكانت دار ملكه أمر مناديا ينادى ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فخف الجنود فى سلاحهم وطافوا بقصره يريدون قتله ، فأرسل إليهم أنى أردت اختبار صلابتكم فى دينكم ، وقد رضيت فرضوا عنه . وثمت رواية أخرى تتفق وهذه الرواية فى معناها وإن خالفتها فى بعض ألفاظها .

(٤) قبل النبى هديته وقسمها بين المسلمين .

(٥) كتب إلى النبى يقول : إنى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى ، فقال : كذب عدو الله ليس بمسلم وقد حارب المسلمين فى غزوة مؤته .

(٦) مزق كسرى كتاب النبي وكتب إلى باذان أحد أمرائه باليمن أن سر فاستتب الرجل الذى يزعم أنه نبي ويكتب إلى ، فإن أبى فابعث برأسه . فبعث باذان كتاب كسرى إلى النبى مع =

وذخيرة يجـــد الذخائر كلها ... بيديه حين يصيبها المتلقف
أطلبت من باذان رأس محمد ؟ ... إن لم يتب ؟ بل أنت غاو مسرف
ستري اليقين على يد ابنك فانتبه ... لك موعد عما قليل يأزف
صدق النبي وذاق كسرى حتفه ... من شيرويه فما له من يعطف
ورأى الهدى باذان بعد ضلالة ... فمضى على البيضاء لا يتعسف
نبذ الهوى فصحا ، وأصبح مسلما ... ودعا الألى معه فلم يتخلفوا
لا خاب جدُّ القوم إن ألههم ... جمع القلوب على الهدى فتألفوا
وأتى النجاشيَّ الـكتاب فلم يكن ... ممن يصدّ عن الصواب ويصدف[1]
شرف أتيح له وعزٌّ زانه ... إن التقيّ هو الأعزّ الأشرف
وأبى المقوقس أن يفارق دينه ... يخشى الذى يخشى الغنيُّ المترف[2]
بعث الهدايا يتقى بحسانها ... ما يتقى ذو البغضة المتلطف
ضن الخبيث بملـكه وغدا يرى ... يد عزه فى ملْـكه تتصرف
هذا الذى قال النبي وهـكذا ... صنع الذى يبنى العروش وينسف
والمنذر اتَّخذ السبيل مسدَّدا ... قبل الـكتاب يخفُّ فيه ويوجف[3]

= قهرمانه ومعه رجل آخر طالبا أن يذهب معهما إلى كسرى فأخبرهما بان ابنه شيرويه سيقتله ورجعا بالخبر إلى باذان فلما قتل أسلم هو ومن معه [هنا ما يفيد أن هذا التعليق من عمل « نعيم » .

(١) بعث النبى صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى النجاشى يدعوه إلى الإسلام ، وقد سأله فى كتاب آخر أن يزوجه من أم حبيبة رضى الله عنها ففعل .

(٢) أرسل النبى كتابه إلى المقوقس عند منصرفه من الحديبية فلما قرأه قال لحاطب بن أبى بلتعة : إن كان نبيا فإنه لايدعو على من خالفه فيهلـكوا ؟ قال له حاطب : وما بال عيسى لم يدع على الذين أخذوهم ليقتلوه ؟ قال : أحسنت ، حكيم جاء من عند حكيم ، ثم بعث إليه هدايا ومنها مارية أم ولده ابراهيم وكتابه الذى قال النبي حين قرأه ، ضن الخبيث بملـكه ولا ملك له ، والمترف الذى أطغته النعمة وأفسدته .

(٣) أسلم المنذر قبل مجىء كتاب الرسول الـكريم إليه ، وكتب يخبره بذلك ويقول : إن عنده قوما من المجوس واليهود ، فماذا يفعل فجاءه كتابه : أن اترك للمسلمين ما أسلموا =

سأل النبيَّ فقـــال ما أنا فاعل ... بالقوم إذ ضلوا السبيل وزيفوا ؟
فقضى إليه الأمر يأخـــذهم به ... ويقيمه بالحق لا يتحرف
للمسلمين أمورهم ، وله على ... من ضلّ جزية عادل لا يُجحف
وطحا بجيفر جهـــله وعناده ... فأبى على عمرو وأعرض يأنف[1]
ورآه يهدر بالوعيـــد ، فراعه ... وأتى غد فانقاد لا يتوقف
وانساق يتبعه أخـــوه وإنه ... لَمهـــذَّب سمح الخلال مثقف
وأتى اليمـامة بالـكتاب رسولهـا ... فـكذاك يهذى الطامح المتعجرف[2]
طغيـان شاعرها وجهل خطيبهـا ... وغرور صاحبهـا المبيـد المتلف[3]
طلب المحـال من النبي ولم يزل ... ذو الجهـل يولع بالمحـال ويشغف
يهذى ببعض الأمر يقطعه له ... والأمر ما قطع الحسام المرهف
والحـارث المأفون طـاح بلبه ... خبل يصاب به العقول فتضعف
ألقى الـكتاب وقال : ملـكى ليس لى ... كفؤ فينزع من يدىَّ ويخطف[4]
انظر شجاع الخيل والجند الألى ... تلقى العدو بهم تكر وتزحف

= عليه ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية ، وأخب الرجل فرسه وأوجفه حمله العدو والسرعة .

(١) لقى عمرو وعبدا أخا جيفر وكان أسهل الرجلين فجرى بينهما حديث لان له قلب عبد ولـكنه قال الأمر لأخى جيفر فهو أكبر منى سنا ، فوصل إليه وقرأ الـكتاب فأغلظ فى القول فهدده عمرو فاستمهله إلى الغد فلما كان الغد أسلم هو وأخوه .

(٢) المتعجرف المتكبر والذى يركب الناس بما يكرهون من الأمور .

(٣) لما قرأ الـكتاب قال : إنى خطيب قوى وشاعرهم والعرب تهابنى ، فليجعل لى بعض الإمر فلما عاد سليط وأخبر النبي ، قال : لوسألنى سيابة . . قطعة من الأرض . . مافعلت بار وبار ما فى يديه ، مات بعد ذلك بمدة قصيرة .

(٤) لما قرأ الـكتاب رمى به وقال : من ينزع عنى ملـكى ؟ إنى سائر إليه ولو كان باليمن لجئته ثم أمر بالناس وبالخيل ، فلم تزل تعرض عليه حتى الليل ثم قال لشجاع : أخبر صاحبك بما ترى ، وكتب بذلك إلى قيصر وكان عنده دحية الـكلبي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه قيصر عن المسير .

واذكر لصاحبك الحديث فربما — كف المناجز ، وارعوى المستهدف

ثم استعدّ وجاء قيصر وافد — بصحيفة منه تصرُّ وتصرف[1]

حمقاء يطغى الغيظ بين سطورها — وتشب بالشنآن منها الأحرف

ركب الغرور وقال : إنى قاذف — بالجيش يثرب فهى قاع صفصف

قال ازدجر ، ما أنت من أكفائها — واسكن فإنك للغوىُّ المرجف

فأفاق واتخذ الخداع سجية — لا يستحى منها ولا يتعفف

بعث السلام مع ابن وهب وادعى — دعوى الذى يرخى القناع و يغدف[2]

قال : ادّخرنى يا شجاع فإن لى — قلبا إلى دين الهدى يتشوف

إنى لَمتبع سبيل محمد — وإليك ردفك بالكرامة يردف

سمع النبى حديثه فتكشفت — نفس مقنعة ، وقلب أغلف

ملك يبيد ومالك يرجى إلى — أجل يحين وموعد ما يخلف[3]

يأبى الغوىُّ الرشد يرفع شأنه — فإذا هوى ألفيته يتأسف

للحق مئذنة وداع مسمع — فى كل شىء بالخلائق يهتف

عجب الملوك لكابرين سمت بهم — همم تميل عن العروش وتعزف

المتقون هم الملوك وإن أبو — رغد الحياة ولينها فتقشفوا

عكفوا على آى الكتاب فأفلحوا — والجاهلون على المآثم عكف

---

(١) تصر وتصرف تصوت كناية عن الحدة والغيظ .

(٢) أمر الحارث لشجاع بمائة مثقال ذهب وقال له : سلم على النبى ، وقل له : إنى متبع دينه ، فلما سمع النبى قوله قال : بار ملكه ، وأغدفت المرأة قناعها على وجهها أرسلته كناية عن المداجاة والمغالطة .

(٣) يرجى يرجأ وحذف الهمزة لغة .

السَّرايا[٧]

سرايا زيد بن حارثة

السرية الأولى

كانت عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى ، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التي تسلكها من قبل فخرج إليها زيد بن حارثة فى مائة راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان دليلهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب، جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم : —

نهض الغزاة فأين تمضى العير ؟ أعلى الغمام إلى الشآم تسير ؟
زيد بن حارثة يطير وراءها ما ظنها بالنسر حين يطير ؟
مهلا أبا سفيان إن طلابكم عسر وإن مصابكم لكبير
صفوان يرعد خيفة وحويطب مما عراه مروّع مذعــور
زولوا بأنفسكم فتلك حتوفها غضبى إليها بالسيوف تشير
هى غارة البطل المظفر مالكم منه إذا خاض الغمار مجير
ظنوا الظنون به فلما استيقنوا زالوا عن الأموال ، وهى كثير
أمست تساق إلى النبي غنيمة لله فيها فضـلـه المشكور
هذا دليل العير غودر وحده خلف الألى خذلوه ، فهو أسير
الله أطلقه على يد منقـذ هو للأسارى المرهقين بشير
عقدت من الإسلام فوق جبينه تاجاً عليه من الجلالة نور
من علم القوم العكوف على الهوى أن الحيـاة جهالة وغرور
تلك المغانم ، ما لها كمحمد فى الناس من أحد إليـه تصير
هى قوة للمسلمين ومظهر للقائمين على الجهـاد خطير
بوركت يا زيد بن حارثة فما لك فى الموالى الصالحين نظير
إيه أمـير الجند ليس كمثله جند ولا مثل الأمير أمير

السرية الثانية

كانت إلى بنى سليم بالجموم اسم لناحية من بطن نخل سار فى جنده إلى ذلك النخل ، فأصابوا فيه امرأة من مزينة دلتهم على محلة من محال القوم ، فأصابوا فيها إبلا وشاء وأسروا منها جماعة منهم زوج المرأة ، ثم عادوا إلى المدينة . فوهب النبى صلى الله عليه وسلم لها نفسها وزوجها :ـ

بنى سليم أعدوا الخيل واحترسوا … إن كان ينفعكم كرٌّ وإقدام
زيد بن حارثة ، زيد بن حارثة … خطب جليل ، وجرح ليس يلتام
هل عندكم إن تغشّتكم سريته … للسيف سيف ، وللضرغام ضرغام؟
مشى إليكم ، فهل قرّتْ منازلكم ؟ … واستمسكت منكم الأعناق والهام
لولا التى انطلقت تهديه ما عُرِفَتْ … منكم ومنهن آيات وأعلام
فما الجموم وما ضمت منازله … إلا ظنون خفيّات وأوهام
أين الأناسىّ جل الله ، هل مسخوا … لما رأوك فهم ـ يا زيد ـ أنعام ؟
ما ثم إلا الألى أدركتهم قنصاً … لم يغنه إذ هوى خوف وإحجام
عد بالأسارى وبالغنم التى قسمت … لك القواضب ، إن الغنم أقسام
يا زيد ما حق من دلتك إذ صدقت[1] … أسر تضيق به ذرعاً وإرغام
منَّ النبى عليها ثم أكرمها … فى مشهد كله منٌّ وإكرام
نالت بنعمته من بعلها هبة … زالت لها كرب شتى وآلام

* * *

بنى سليم ، أفى دين الفسوق لكم … إلا ذنوب تغشّاكم وآثام ؟
ما أخيب النفس فى الدنيا وأخسرها … إن أخطأ النفس إيمان وإسلام
يا للبلاء ، أيعصى الله ليس له … كفو وتعبد أوثان وأصنام ؟

(١) بياض بالمصورة .

السرية الثالثة

كانت إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال ، أقبلت عير لقريش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها زيد فى سبعين ومائة راكب ، فقدموا به وبالعير إلى المدينة ، واستجار بزينب فأجارته ، وسألت النبى أن يرد عليه ماله ، ففعل ، وعرض عليه بعضهم الإسلام ليغنم أموال أهل مكة فأبى ، وذهب إليهم ، فأعطى كل ذى حق حقه ، ثم أعلن إسلامه هناك ، وقدم على النبى فرد عليه زينب .

يا أبا العاص ، أىَّ أرض تريد ؟ … إن ما تبتغى لصعب شديدُ
سُدّت السبل يا أبا العاص فانظر … أين تمضى إذن وأين تحيد ؟
أرأيت الحديد يزجيه زيد … مستطير السنا ، عليه الحديد ؟
إيه يا ابن الربيع تلك جنود … تتهاوى عن جانبيها الجنود
ليس للعير غيرها فدع العير … وعد سالماً وأنت حميد
بعدتْ مكةٌ . فلا تردنْها … وإلى يثرب فثَمَّ الورود
جاء صهر النبى فى ناب مولا … ه ولليث حكمه إذ يصيد
رام من زينبَ الجوار فقالت … إن فى ذا الحمى يجار الطريد
ومشت تخبر الرسول وترجو … عنده الخير والفؤاد كميد
قال : إنى أجرته فله ما … شئت عندى ، وماله مردود
أكرميه فما عليك جناح … وامنحيه الجميل وهو بعيد
إنه مشرك ، فأنت حرام … شرعة الله ، فليكن ما يريد

* * *

قال قوم : أسلِمْ يا أبا العاص تغنم … مال قوم هم العدوُّ اللدود
قال : كلا ، فلست أبدأ دينى … بالتى يأنف الشريف الرشيد

وتولَّى فِجاء مكة ما يُجحد فيها مقامه المشهود
قال : يا قوم ليس بى من جحود إنه مالكم إليكم يعود
فخذوه ، فقد وفيت ، ورب البيت سبحانه علىَّ شهيد
أشهد الآن موقنا مطمئناً أنه الله ربنا المعبود
بعث الصادق الأمين رسولا يهدم الشرك دينه فيبيد
بكتاب فيه الشرائع تهدى الناس أعلامها ، وفيها الحدود
ماحياة الشعوب فى الشرك فوضى؟ الحياة الإيمان والتوحيد

* * *

يا أبا العاص عدت برًّا تقيًّا فهنيئاً لك المعاد السعيد
اعتزل ما مضى لنفسك فى دنيا الخطايا ، فأنت خلق جديد
أنت صهر النبىِّ لا الودُّ ممنوع ، ولا الباب موصد مسدود
زال ما كان من حجاب فلا الإسلام ، ينهى ، ولا الكتاب يذود
ليس من حاجة لم تُتح لك بعد ولا ثَمَّ مطلب منشود
ساعفَتْك المنى ، وطاب لك العيش ، ألا هكذا تواتى الجدود

السَّرية الرابعة

كانت إلى بنى ثعلبة بالطرف . . مكان . . بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى خمسة عشر رجلا فلم يجد أحدا ، لأنهم ظنوا أن الغازى لهم هو الرسول الكريم ، فهربوا ، وأصابت هذه السرية نعما وشاء عادت بها إلى المدينة ، وقد خرج القوم فى طلب زيد بن حارثة فلم يدركوه .

بنى ثعلبةٍ هبوا فإن الليث قد عزما
رماكم بابن حارثة رسول الله حين رمى
زعمتم أنه هو زعم من يهذى وما علما
فطارت قبل مقدمه نفوس أشعرت لمما
ونِعْم أخو الوغى زيد إذا ما جدَّ فاقتحما
يخوض النقع مرتكبا ويحمى السيف والعلما
تولى جمعهم فرقاً ولو لاقاه ما سلما
لبئس الجمع ما صدقت قواه وبئس ما زعما
تلمَّسه ابن حارثة فلا صددا ولا أمما
تسرب فى مخابئه فكان وجوده عدما
هلم هلم يا زيد هلم الشاء والنعما
رويد القوم هل طلبوا سوى ما يعجز الهمما ؟
مضوا فى إثره ، ومضى يجرُّ حسامه قُدُما
فما بلغوه إذ جهدوا ولا رزأوه ما غنما
رويداً عابدى الأصنا م ، إن الله قد حكما
رضيتم ظلم أنفسكم فأرداكم وما ظلما

السرية الخامسة

كانت إلى جذام بمحل يقال له «حسمى» وراء وادى القرى ، سببها أن دحية الكلبى رضى الله عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم . ومعه من عنده مال وكساء ، فلما كان بهذا المحل لقيه الهنيد وابنه فى ناس من من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه مامعه ، فسمع بذلك نفر من مسلميهم من بنى الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعث زيدا فى خمسمائة رجل ، ورد دحية معهم فأقبل حتى هجم على الهنيد وابنه ورجاله فقتلوهم جميعا ، وأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف ، ومائة امرأة وصبى ، وجاء بنو الضبيب . فقال رجل منهم لزيد : إنا مسلمون ، فقال له : اقرأ أم الكتاب إن كنت صادقا فقرأها ، وذهب منهم جماعة إلى النبى يقولون مثل ذلك ، فأرسل عليا بن أبى طالب بسيفه إلى زيد ليطاق سباياهم ، ويرد عليهم الإبل والشاه ففعل .

أما ومضارب البيض الرقاق … تضيء النقع للجرد العتاق
لقد غرَّ الهنيدُ بنى جذام … فما للقوم مما جرَّ واق
دعا سفهاءهم فمشوا إليه … وما التفتْ لهم ساق بساق
لصوص ما يبالون الدنايا … إذا عقدوا العزائم لانطلاق
أحاط بدحيةٍ منهم أناس … تعدُّهم الذئاب من الرفاق
مضوا بحباء قيْصَر وهو جمٌّ … فما منه لدى الكلبيِّ باق
أتى مستصرخا فأصاب مولى … يغيث صريخه مما يلاقى
وما لمحمد كفؤ إذا ما … سقى الأبطال كأس الموت ساق
دعا زيدا فأقبل فى جنود … تبيت إلى الملاحم فى اشتياق
إلى حِسْمَى فما للـــداء حسم … إذا لم تَرْقِه بدم مراق
إليـــه يا ابن حارثة إليـــه … فثمَّ البغى ممتـــدَّ الرواق
لدحية حقه والسيف ماض … وما لبنى جـــذام من إباق
عبيـــد الشرك أوثقهم فقرُّوا … بدار الهُون ، يالك من وَثاق
ألا إن الهنيـــد أديل منه … فهل وجد الردى عذب المذاق ؟
وهل نظر ابنه لمّا تردّى … وعاين روعة الموت الذُّعاق[1]
توالى القوم فى الهيجاء صرعى … كأن صراعهم خيل السباق
فأهلا بالشوىّ تساق نهبا … وأهلا بالجمال وبالنيـــاق
ويا ويح الحلائل والذرارى … تعانى البرح من ألم الفراق

* * *

أتى النفر الأماجد من ضبيب … وقد شـــدَّ البلاء عُرى الخناق
فقـــال إمامهم إنا جميعا … من الدين القويم على وفاق
هو الإســـلام يجمعنا فلسنا … بحمـــد الله من أهل الشقاق
ألا اكشف ما بنا يا زيد عنَّا … فليس بمستطاع أو مطاق
وجاء الكتاب ببيِّنات … فما يُرمى بكفر أو نفاق
وسار إلى رســـول الله منهم … بغاة الخير والكرم الدُّفاق[2]
فقال : إلى السرية يا ابن عمى … فإن تلحق ، فنعم أخو اللحاق
وذا سيفى نخذه دليل صدق … فيالك من دليل ذى ائتلاق
مضى أمر النبىِّ فيالَخطب … تـكشف ليله بعـــد اطّراق[3]
أيُنصر كل لص من جذام … ويقهر رافع السبع الطباق ؟
تعالى الله لا يرقى إليـــه … من العالمين فوق الأرض راق

(١) الذعاق . الكريه الذى لا يطاق .
(٢) يقال سيل دفاق إذا ملأ الوادى .
(٣) اطرق الليل ركب بعضه بعضا .

أبى البَرُّ الرحيم فقال : رفقا وتلك إهابة الهم الكبار
فأمسك كلَّ دمع مستهلٍّ وسكّن كل قلب مستطار
تتابعت المواهب والعطايا على قدَرٍ من الرحمن جار
فغنم بعـــــد غنم ، وانتصار ينير المشرقين على انتصار
أصاب الدهر بغيته ، وأمست تجلَّتْ حكمة الفلك المــــدار

السَّرِيَّةُ السَّادِسَةُ

كانت إلى مدين قرية سيدنا شعيب صلاة الله وسلامه عليه . وهى تجاه تبوك وقد أصابت هذه السرية سبيا عادت به إلى المدينة ، وفرق المسلمون فى بيعه بين الأمهات والأولاد وسمعهم النبى يبكون فأمر ألا يفرقوا بينهم : ـ

يمينـا ما لمدين من قرار فبعـــــدا للقطين وللديار
شعيب كيف أنت ، وأين قوم عصوك ؟ وما الذى فعل الذرارى؟
هم اتخذوا الهوى ربًّا وساروا من العهد القـديم على غرار
أبى الإسلام ، فاجتنبوه حرصا على دين المهانة والصغار
وصـــدُّوا عن سبيل الله بغيا وكان البغى مجلبـة الدمار
سما زيد إليهم بالمنـــايا تريك مصارع الأسـد الضوارى
تأمل يا شعيب أما تراه شديد البأس ، ملتهب المغار ؟
توقى القوم صولته فضنـــوا بأنفسهم ، وجادوا بالفرار
لبئس الجود تلبسه ســوادا وجوهُ القوم من خزى وعار
تلفتت النساء ولا رجال سوى السُّرُج الزواهر كالدرارى
وضجَّتْ تستغيث ، ولا غياث سوى العبرات والمهج الحرار

* * *

تولَّى الجنـــــد بالسبى المحلّى وبالنصر المحجّل والفخار
فيا لبضاعة للكفر تُزجَّى ويا للشوق يجمع كل شار
ويالك من بكاء كان حقًّا لدين الله داعية افترار
أتمسى الأم تعزل عن بنيهـا لمولى غير مولاهم وجار ؟

السَّرِيَّةُ السَّابِعَة

كانت فى رمضان من السنة السادسة . وسببها أن زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج فى تجارة إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه . وأخذوا ما كان معهم ، ثم قدم على النبى فبعثه إليهم فى جيش داهمهم . وأعمل فيهم القتل .

أمنكِ فزارةُ انبعث الغزاة ؟ … فما تغنى السيوف ولا الحماة ؟

لعمركِ ما ابن حارثة بخالٍ … وإن زعم القراصنة الجفاة[١]

أثاروا الشرَّ لاهو يبتغيه … ولا أصحابه الغرُّ الهداة

أصابوهم على ثقة وأمن … فلا سيف يُسَلُّ ولا قناة

وجاءوا يشتكون إلى أبىٍّ … على الأعداء تحرجه الشكاة

رسول الله ليس له كفاء … إذا التقت الفوارس والكماة

دعا زيدا هلمّ إلى قتال … تُنال به من القوم التراث[٢]

قُدِ الأبطال للهيجاء واصبر … فنعم الصبر فيها والثبات

إليها يا ابن حارثة إليها … ولا يَحزنك ما صنع الطغاة

مشى البطل المقذّف لا اتئاد … تضيق به السيوف ولا أناة

يخفّ بها إلى الأعداء بيضا … عليها من مناقبها سمات

أقامت حائط الإسلام ضخما … تدين له الجبال الراسيات

وجاءت بالفتوح محجَّلات … له فى ظلها الضافى حياة

توقَّتها فزارة وهى حتم … فما عصمت مقاتلها التقاة[٣]

(١) القراصنة اللصوص والجفاة الغلاظ القلوب والطباع .

(٢) التراث جمع ترة وهى الذحل أو الظلم فيه .

(٣) التقاة اسم من الاتقاء .

رأوها بعد ما هجعوا بليل … لها فيهم وللقدر انصلات[١]

هداها فى الدجى منهم دليل … تسدِّده الأواصر والصلات[٢]

لواه عن السبيل قضاه ربٍّ … له الحِكَمُ الصوادع والعظات

يسوق الأمر ظاهره عناء … وباطنه كما اقترح العُناة

كمثل الوِرد ، أوله أجاج … وآخر مائه عذب فرات

ظُبًى طرقت جماجمهم بَياتا … وما خيف الطروق ولا البيات[٣]

توثبت الحتوف ، فلا فرار … وأبرقت السيوف ، فلا نجاة

نقيع شقاوة يسقاه قوم … هم الشرب المذمَّم والسقاة

تردَّوا فى مصارعهم فأمسوا … كسرب الوحش صرّعه الرُّماة

وحاق بأم قرفة ما أرادت … بأكرم من تُفدّى الأمهات[٤]

أرادت قتله فجرى عليها … قضاء القتل ، وانتصف القضاة

فيالك منظرا عجبا تناهت … به الصور الروائع والصفات

أحيط بها وبابنتها جميعا … فما نجت العجوز ولا الفتاة

لِتلك جزاؤها المُردِى وهذى … لها الأسر المبرِّح والشتات

تساق ذليلة من بعد عزٍّ … كما سيقت غداة النحر شاة

(١) المنصلت الماضى فى شأنه لا يلوى على شىء ومن السيوف القاطع الصقيل .

(٢) كان دليل السرية رجل من بنى فزارة ، وكانوا قد جعلوا لهم ناظورا يقعد على جبل عال فيقول لهم حين يصبحون : اسرحوا اسرحوا لابأس عليكم ، فإذا أمسوا قال لهم . ناموا لابأس عليكم وكان ينظر مسيرة يوم . فلما كانت السرية على مسير ليلة من القوم أخطأ دليلها الطريق وسارت فى طريق آخر فإذا هى بقربة منهم فأخذتهم بالسيوف .

(٣) البيات أخذ العدو ليلا .

(٤) كانت أم قرفة هذه سيدة فى قومها وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى ضرب بها المثل فى المنعة فقيل أمنع من أم قرفة ، كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم ، ومن أخبارها أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم : اغزوا المدينة واقتلوا محمدا ، أخذت وربطت رجلاها بحبلين شدا إلى بعيرين فشقاها وسبيت ابنتها .

هو ابن الأكوع البطل المرجّى   سباها حين أسلمها الرعاة[1]
قنيصة نافذ الأظفار ضارٍ   له فى كل ذى ظفر شباة
هى الهبة الكريمة صادفتها   يمين ما تفارقها الهبـاة
يمين محمد لا خير إلا   له فيها معـالم بيّنات
حباها خاله فى غير ضنٍّ   وأين من الضنين المكرمات ؟
رسول الله أكرم من أناخت   به الآمال وانتجع العفاة
بنى دين السلام بكل ماض   به وبمثله ارتفع البُنـاة
لإنقاذ النفوس من البلايا   تلحُّ على مباضعها الأساة
تأملتْ الحياة وكيف تبقى   حقائقها وتمضى التُّرَّهات
فأدّبنى اليقين وهذبتنى   وصاة الله بوركت الوصاة
هنيئاً يا ابن حارثة وأنّى ؟   وما ترقى إليك التهنئات[2]
سموت فما تطاولك الأمانى   ولا ترجو مداك النيّرات
ظفرت من النبى بخير نعمى   تطيب بها النفوس الصالحات
بَلْثمٍ زان وجهك واعتناق   شـفاك فما بجارحة أذاة
على النور الذى انجلت الدياجى   به وعليك يا زيد الصـــلاة

(١) سلمة بن الأكوع هو الذى أسر الفتاة بنت أم قرفة . سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ، ووهبها هو لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(٢) جاء زيد بن حارثة رضى الله عنه فقرع باب الرسول الكريم فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما وهب الله من النصر والغلبة .

سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه

وهى ثلاث ، أولاها لهدم العزى ، والثانية إلى بنى جذيمة ، والثالثة إلى أكيدر بدومة الجندل ، وقد ذكرت الأولى فى الفتح الأعظم ، والأخيرة فى غزوة تبـوك بعث خالد فى خمسين وثلاثمائة رجـل إلى بنى جذيمـة بناحيـة « يلملم » ليدعوهم إلى الإسـلام ، وكان النبى صلى الله عليـه وسلم يومئذ بمكة ، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد فى الجاهلية وأخاه وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ، وكانوا شرارا يسمون لعقة الدم وكان فى هذه السرية جمع من بنى سليم قوم مالك بن الشريد الذى قتله بنو جذيمة قبل ذلك هووأ خواه فى موطن واحد ، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها فى أنفسهم ، فلبسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه ، يظنون شرا وبظن بهم كذلك ، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبى وأصحابه بإسلامهم ، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام ، قالوا : صبأنا ، يريدون أنهم رجعوا عن جاهليتهم إلى الإسلام ، ولكن هذا المعنى لم يقع فى نفس خالد على الوجه الذى أرادوه ، فأعمل فيهم القتل والأسر . وذهب جماعة منهم إلى النبى يذكرون خبرهم ، وما صنع خالد بقومهم ، فغضب وبعث عليا بن طالب ، ومعه مال يدى به قتلاهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم ، ويطلق أسراهم :

بنى جـذيمة مافى الأمر من عجب   جرى القضاء على ما كان من سبب
أظلّكم خالد لا شىء يبعثه   إلا الجهاد يراه أعظم القرب
لمّا دعاكم إلى الإسلام حين دعا   قلتم : صبأنا ، فلم يأثم ، ولم يحب
إن كان للمرء من أعمامه نسب   فالدين عند ذويه أقرب النسب
بنو سليم وإن خفتم فليس بهم   وبابن عوف سوى الأوهام والريب
فيالها غمرةً ما أسودَّ جانبها   حتى تجلت سراعا عن دم سرب
سىء النبى بهـا فالنفس آسفة   والقلب مما أصاب القوم فى تعب
المسلمون دم لله أو عصب   ما مثله من دم جار ولا عصب
هم فى الحوادث إن قلُّوا وإن كثروا   بأسٌ جميعٌ ، ورأى غير منشعب
كلٌّ حرام على كل فإنْ فئة   بغت على فئة ، فالله فى الطلب

أثارها خالدٌ شعواء عاصــفة ... ما كان فيها لدين الله من أرب

رمى بها وغواشى الظنِّ تأخذه ... من كل صوب ، فلم يرشد ولم يُصب

إليك أبرأ ربِّى من جنايته ... وأنت فيما عنانى منه أعلم بى

قم يا علىُّ فوافِ القومِ معتــذرا ... وانشرعليهم جناح العاطف الحدب

وخذ من المال مايقضى الديات وما ... يُرضى النفوس ويشفيها من الغضب

حقٌّ علينا دم القتلى ونحن على ... عهد وثيق وحبل غير مضطرب

القوم أخوتنا فى الله ، يجمعنا ... دين الإخاء على الأيام والحقب

* * *

ردَّ الإمام نفوس القوم فائتلفت ... واستحكم الودُّ وانحلَّتْ عرى الشغب

بالجاهلية ممـــا هيض جانبها ... ما ليس ينفدُ من همٍّ ومن وصب

سلها وقد رجعتْ حسرى مذمَّمة ... هل زادها الله إلا سوء منقلب

سرايا محمد بن مسلمة رضي الله عنه

السرية الأولى

كانت إلى القرطاء ، وهم بطن من بكر بن كلاب ، خرج إليهم محمد ابن مسلمة فى المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبا فيهم عابد بن بشير فأغار عليهم ، وأخذ منهم نعما وشاء وسبياء ولم يتعرض للنساء ، ثم عادت السرية ومعها ثمامة بن أثال الحنفى نسبة إلى حنيفة سيد أهل اليمامة أسيراء فربط بسارية من سوارى المسجد وأمر النبى أهله بإطعامه ، وجعل له لبن ناقة يأتيه صباحا ، ومازال يتعهده بيره وفضله ، ويقول : ما عندك يا ثمامة فيقول : إن تقتل تقتل ذا كرم ، أوذا دم ، وإن تعف تعف عن شاكر ، فإنه جاءه قبل ذلك رسولا من مسيلمة ليغتاله . فعصمه الله منه ، وقد أمر باطلاقه فاغتسل وأسلم وذهب إلى مكة معتمرا ، فاخذته قريش . وقالت لقد صبأت عن ديننا ، فقال : إنما أسلمت وتبعت خير دين ، ولن تصل إليكم بعد اليوم حبة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ، فهموا بقتله ثم رأوا أن يخلوا سبيله ، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من اليمامة حتى أضربهم الجوع ، وأكلوا العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى ، فكتبوا إلى النبى يناشدونه الرحم ، فبعث إليه يأمره أن يخلى بينهم وبين مايريدون ففعل ، وفى ذلك نزل قوله تعالى . . ولقد أخذناهم بالعذاب : ـــ

محمد يا ابن مَسلمةٍ ســـلام ... وحمــد من شعائره الدوام

إلى القُرَطاء لا كانوا رجالا ... هم البرحاء والداء العقــام

رجال السوء ، لاحقٌّ يُؤدَّى ... لخــالقهم ولا دين يقــام

تنبَّهتِ القواضب والعوالى ... بأيدى الفــاتحين ، وهم نيام

بنى بكر ألمَّا تبصروها ... يشبُّ ضرامهـــا البطل الهمام

ألا إنَّ السرية فاحــذروها ... ليرهب بأسَها الجيشُ اللهام

هم الأبطال عِــدَّتهم قليل ... ومشهدهم كثير لا يرام

تقــدَّمَ عابد ومشى إليهم … عبادُ الله ، واستعر الصدام[1]

فتلك جماجم القتلى وهــذى … فلول القوم ليس لها نظام

وخُلِّيت النساء فلا ذمار … لبكريّ يصان ولا ذمام

وليس لعرض مغلوب وقاء … ولكنَّ الألى غابوا كرام

أعفّاء النفوس ذوى حفاظ … عليهم كل فاحشة حرام

هو الإسلام إحسانٌ وبرٌّ … وأخــذ بالمروءة واعتصام

تخلّوا عن حلائلهم فرُدَّت … عليهم ، تلكم المنن الجسام

بنى بكر غــدا الوادى خلاء … فأين الشاء والكومُ العظام ؟

وأين ثمامــة بن أثال هلّا … حمته حنيفـة مما يسام ؟

يسام الهون ما جزعتْ عليه … ولا بكت اليمامـة إذ يضام

أما بَصُرتْ بسيدها ذليلا … عَبوسَ الوجـه يعلوه القتام

أصاب من الرسول حمى منيعا … وكهفا فيه للهمم ازدحام

أصاب قرىً يحدّث عن جواد … يصيب الرىَّ من يده الغمام

أصاب كرامة وأفاد خيراً … فلا مثوى يذم ولا مُقام

تعهــده كريم أريحىٌّ … له فى كل آونة لمام

ثمامة كيف أنت وأىُّ نعمى … ظفرت بها فأعوزها التمام ؟[2]

أما مكِّنتُ ، منك وكنت خصما … تفاقم شره ، وطغى العرام ؟

طحابك من مسيلمةٍ خبال … فلا رسن يردّ ولا زمام

يقول : لئن أردت اليوم قتلى … فلا شكوى لدىّ ولا ملام

وإن يك منك مغفرة وعفو … شكرتك والقوىّ له احتكام

---

(١) عابد بن بشير رضى الله عنه بعثه محمد بن مسلمة فى طليعة السرية ثم كربها وراءه

(٢) البيت وما بعده مسوق على لسان النبى الكريم .

هــداه إلى سـبيل الله هاد … له بمخائل الخـير اتّسام

ثمامة لا تخف ما عشت شرًّا … تجلّى النور وانقشع الظلام

إلى البيت العتيق فسِرْ رشيدا … ولا يحزُنك عتب أو خصام

تأجّج فى صدور القوم غيظ … له فى كل جانحــة ضرام

أتسلم يا ثمامة إن هــذا … وإن كذّبتنا لهو الأثام

ثمامة خنتنا وصبأت عنا … فليس لصدع أنفسنا التئام

لأنت لنا عــدوٌّ نتّقيه … فلا صلح يكون ولا سلام

* * *

ألا فدعوا الجهالة واستفيقوا … فما يُغنى عن الغيث الجهام

حــذارِ فما ثمامة غير عضب … لكم فى حَدّهِ الموت الزؤام

يقول لكم : لئن لم تتبعونى … لسوف يُبيدكم منى انتقام

أسُدُّ عليكم الأسواق حتى … يصيح جياعكم : أين الطعام ؟

أبوا فأذاقهم منه عــذابا … غراما ما لدائبه انصرام

أذاب الجوعُ أنفسَهم فضجُّوا … وضجت فى جلودهم العظام

أهابوا بالنبى ، ألا أغثنا … فما يرضيك أن يشقى الأنام

أغثنا إنهـا يا خير مولى … عرى الأرحام ليس لها انفصام

رمينا من ثمامة بالدواهى … وفى يدك الكنانة والسهام

نهاه فلا دمٌ فى الحى يُشوى … ولا شيخ يجوع ولا غلام

تدارك فضله منهم نفوساً … تمنَّتْ لو تداركها الحمام

فأمسى الأمر فيهم مستقيما … ولو عرفوا المحجة لاستقاموا

السرية الثانية

وتسمى سرية ذى القصة . . موضع قريب من المدينة . . كانت إلى بنى ثعلبة وبنى عوال لما بلغهم محمد بن مسلمة وأصحابه كمنوالهم ، ثم انقضوا عليهم وهم نيام فاعملوا فيهم الرماح . وجرحوا محمدا ثم جردوه من ثيابه ، وهم يظنون أنه قدمات ، ومر به بعض المسلمين فاسترجع ، فلما سمعه تحرك فحمله إلى المدينة . وبعث النبى صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح . فلم يجد أحدا من القتلى ، ووجد نعما وشاء فرجع بها .

ويح ذى القصة ماذا يشهد ... ويحه من وقعة لا تحمدُ
يا بنى ثعلبةٍ ما خطبكم ؟ ... أكذى تقرى الليوث الهجَّد ؟
إنه الجبن وأخلاق الألى ... يحسبون الختل حربا توقد
فقدوا البأس فدبُّوا خفية ... وانتضوها أنفسا لا تفقد

* * *

يا جريح الحق ، هل متَّ وهل ... قُضِىَ الأمر ، وحم الموعد
فرح القوم ، فقالوا : مغنما ... ساقه الجد ورأى محصد
جرّدوا الفارس من أثوابه ... ليت شعرى أى سيف جردوا
عرف السيف فتى من قومه ... ضجَّ يسترجع مما يشهد
أيها الميت تحرك لا تخف ... حضر الفادى ، وجاء المنجد
بورك الحامل ، ما أحسنها ... من يد معروفها لا يجحد

* * *

يا رسول الله بشرى إنها ... نعمة تزجى ، وخير يوفد
وبريد من بنى ثعلبة ... وعوال بالغوالى يبرد
جعلوا للسيف فيهم حكمه ... فله من هامهم ما يحصد

ليتهم كانوا رجالا فأبَوْا ... إذ دنا موعدهم أن يبعدوا

* * *

ذهب الحشد فلم ينظر سوى ... نعم تُزجَى ، وشاء تُحشد
ساقها ، ما جعات من همه ... همُّه تلك النفوس الشُّرَّد
اللواتى تبعث الشرَّ فإن ... عصف الشر تولَّت تركد
بئسما توردها أهواؤها ... من حياض مُرَّة ، ما تورد
فتنة الشرك ، وما من فتنة ... مثلها بين البرايا توجد
ليس غير الله فى سلطانه ... من إله يُتَّقى أو يعبد
مالك الملك ، تعالى ماله ... فى علاه من شريك يعهد

السرية الثالثة لقتل كعب بن الأشرف

كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكان كعب من أشد الناس عداوة للرسول الكريم والمسلمين ، وكان يهجوه ويحرض المشركين على قتاله ، عاهده على ألا يعين عليه أحدا فنقض العهد ، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكي قتلاهم ، ويستفزهم للحرب ، ومن سيئاته أنه صنع طعاما ، ودعا إليه النبي على نية الفتك به ، فنبأه الله فلم يأكل منه ، وكان لعنه الله كثير المال ، يعطى الأحبار ويصلهم ، فلما قدموا عليه بعد هجرة النبي سألهم : ما يظنون به ؟ قالوا : هو الذى كنا ننتظره ، فغضب ولم يعطهم ثم رجعوا إليه وخدعوه بما يرضيه من القول ، فرضى عنهم ووصلهم ، قال النبي : من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله . فقال له : إن كنت فاعلا فشاور سعد بن معاذ ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته ، ويطلب أن يسلفه طعاما ، فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وأتى أبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبا عبس بن جبر أن يصحبوه ، ثم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنونه فى أن يقولوا لكعب ما يرضيه ، فأذن لهم ، وذهبوا إليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى النبي ، وجاءه اليهود مذعورين يقولون : قتل سيدنا . وعقدوا صلحا :

يا ناقضَ العهد لا شكوى ولا أسف ... الله منتقم والسيف منتصف

تهجو النبي وتغرى المشركين به ... مهلا ، لك الويل ، ماذا أنت مقترف؟

كم جيفةٍ خرجتْ من فيك منكرة ... لمّا تردَّتْ ببدر تلكم الجيف

إن الوليمة أخزى الله صانعها ... كانت ضرارا ، فلا ودٌّ ولا لطف

أتحسبون رسول الله يجهلها ... مكيدة فضحت أسرارها السجف ؟

بل أظهر الله ماتُخفون فانكشفت ... ياويلكم ، أىُّ خاف ليس ينكشف؟

لقد هممتم بمن لا حىَّ يعدله ... إن نُوزع المجد بين الناس والشرف

ياويل من ظنّ أن الله يخذله ... وأنه من يمين الله يُختطف

ياكعب مالك تؤذيه وتنكره ... وما الولوع بقول الزور ، والشغف ؟

جعلت مالك للأحبار مفسدة ... يُمتاح فيها الأذى حينا ويُغترف[1]

رمَوْك بالحق لما رحت تسألهم ... وأعلنوا من يقين الأمر ماعرفوا

فقلت : عودوا ، فما عندى لكم صلة ... جفَّ المعين ، فلا قصد ولا سرف

حسبي الحقوق ، فمالى لا يجاوزها ... إلى الفضول ، وما عن ذاك منصرف

عادوا يقولون : ما أشقاه من رجل ... لا يرتضى القول إلا حين ينحرف

ثم انثنَوْا ينطقون الزور ، فانقلبوا ... بالمال يصدف عنه المعشر الأنف[2]

بئس العطاء وبئس القوم ، أمرهم ... وأمر سيدهم فى الغىِّ مؤتلف

هم اليهود ، لو ان المال لاح لهم ... فى عين موسى كليم الله ما صدقوا

هبَّ ابن مسلمةٍ للحق ينصره ... وللرسول يريه كيف يزدهف[3]

فقال : دونك سعدا إن هممت بها ... شاوره فيها ، فنعم الحاذق الثقف

قضى ثلاثة أيام على سغب ... وللمجرب ذى التدبير ما يصف

وجاء فى صحبه يستأذنون على ... تقوى من الله ، ما مالوا ولا جنفوا

قال الرسول لكم فى القول مأربكم ... ماذا على الدُّرِّ مما يُوهم الصدف؟

هى القلوب فإن طابت سرائرها ... فما بأفواهكم عيب ولا نطف[4]

* * *

مضَوْا فقالوا لكعب : أنت موئلنا ... أنت الحمى المرتجَى فى الأزل والكنف[5]

---

(١) جاءه أحبار اليهود ليأخذوا صلتهم على عادتهم ، فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل « النبي » قالوا : هو الذى كنا ننتظره، ما أنكرنا من نعوته شيئا . قال : قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق فى مالى كثير ، فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا إليه ، وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به ، وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم . وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله .

(٢) جمع أنوف وهو الشديد الأنفة .

(٣) ازدهف تقحم فى الأمر والحمل احتمله ، والشيء ذهب به وأهلكه ، وللكلمة معان أخرى .

(٤) النطف العيب والشر والفساد .

(٥) الأزل الشدة والضيق .

أما ترانا جياعا ، لا طعام لنا   حتى لقد كاد يغشى أهلنـا التلف[1]
لم يُبقِ صاحبنا شيئاً نعيش به   فالزاد منتهَب ، والمال مُجترَف
إن أنت أسلفتنا ما نستعيد به   روح الحياة ، فغيث وَدْقه يكِف
قال : الحلائل رهن ، لا طعام لكم   إلا بهن ، فقالوا : مطاب قذف[2]
تأبى علينا سجايانا ، ويمنعنا   هـذا الجمال الذى أوتيت والترف
قال : البنون ، فقالوا : لاتكن عسراً   البؤس أهون مما رمت والشظف
خذ السلاح وإن كلفتنا شططا   إن الشدائد فيها تسهل الكلف
لم يدر مأربهم ، إذ يسخرون به   وإذ يريدونها دهماء تلتحف
قال : ارتضيت ، فقالوا : غمة ذهبت   عنا غياهبها ، وانجابت السدف[3]
وأرجأوه إلى إبَّان مورده   يعبُّ من سمه المردى ويرتشف
جاءوه بالليل مسرورا بغرفته   وليس ينجى الفتى من حتفه الغرف[4]
ورنَّ صوت أخيه عند مضجعه   أخرجْ إلينا ، أما تنفكُّ تعتكف؟

(١) قال له أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبيل حتى جاعت العيال وجهدت الأنفس ، وسألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل ، وسائر ما عندنا انفقنا على هذا الرجل وعلى أصحابه إنى أريد أن تبيعنى وأصحابى طعاما ونرهنك ونوثق لك ، قال : ارهنونى نساءكم ، قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك عليهن ، قال فأبناءكم ، قالوا : هذا عار علينا ، نرهنك السلاح فرضى .

(٢) القذف من الأمكنة والمواضع ما يزل عنه ويهوى والشيء يبعد ويتقاذف .

(٣) السدف الظلم جمع سدفة .

(٤) انتهوا الى حصن كعب ، وكان قريب عهد بعرس ، فهتف به أبو نائلة — وهو أخوه من الرضاع — فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بطرفها . وقالت : إنك رجل محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، إنى أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنه أبو نائلة ولو وجدنى نائما ما أيقظنى ، ونزل ينفح منه ريح الطيب فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نمشى الى شعب العجوز » اسم موضع كان قريبا منهم » فتحدث به بقية ليلتنا . وكانت ليلة مقمرة ، فقال : إن شئتم ، ثم مشوا ساعة ، وأدخل أبو نائلة يده فى باطن رأسه ، ثم شم يده ، وقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ، ثم عاد لمثلها فاطمأن ، ثم أخذ فى الثالثة بشعره وقال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، وصاح صيحة منكرة ، وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت فيه النار .

فهبَّ يركض ، وارتاعت حليلته   مهلا ، فإن فؤادى خائف يجف
أنت امرؤ ذو حروب لا يلائمه   أن يستجيب ذوى الأضغان إن دلفوا
إنى لأسمع صوتاً لست آمنه   كأنه الدم يجرى أو هو الجدف[1]
قال : اسكتى ، ودعينى ، إنه لأخى   يخشى علىَّ فيرعانى وينعطف
وراح يلقاه ، والإسلام مبتسم   والشرك متَّسم بالحزن مرتجف
وافاه فى صحبه يدنى الخطى عبقا   كأنه ذات دلٍّ زانها هيف
قالوا : أتمشى إلى شعب العجوز ففى   هـذا الخلاء جنى للنفس يخترف؟
وانظر إلى القمر الزاهى وبهجته   واعجب له بعد هذا كيف ينكسف
ساروا إلى الشعب ، والأقدار تتبعهم   على هدى الله ، مازاغت ، ولا اعتسفوا
حتى إذا قعدوا ظلت بموقفها   وأقبل الموت عن أيمانها يقف
وتلك كفُّ أخيه فوق مفرقه   كأنها من جنى الزهر تقتطف
يشمُّها ، ويقول القول يخدعه   فى الطيب ، وهو له من خلفه هدف
ظلَّتْ سيوف رسول الله تأخذه   تشق ما ضربت منه وتنتقف[2]
ياحسنها صيحة من فيه يرسلها   كادت تخرُّ لها من داره السقف
لم تستطع عرسه صبراً فجاوبها   صوت يجلجل : أودى السيد اللقف
بنى قريظة هبوا من مضاجعكم   بنى النضير انفروا للثأر وازدلفوا
عدا الرجال على كعب ، فوالهفا   أين الحماة ؟ وماذا يصنع اللهف؟
تبكى عليه ، وماذا بعد مصرعه   إلا البكاء ، وإلا الأدمع الذُّرُف؟
إن الذى كان يثنى عطفه صلفاً   أمسى صريعا ، فلا كبر ولا صلف
عادوا بهامته ، تُلقى مذمَّمة   عند الرسول ومنه الصدُّ والنكف[3]

(١) الجدف القبر .

(٢) نقف الشيء أو انتقفه بمعنى شقه ، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية .

(٣) جزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا =

كان اليهود على آثارهم ، فأبت   أن يُدركوا هم ترمى بهم عُصُف
الله أكبر والحمد الجزيل له   نصر جديد ، وفضل منه مؤتنف(١)
ريعتْ يهود ، فجاءت تبتغى حلفا   عودى يهود ، فنعم العهد والحلف
هيهات ، مالك من عهد ولو حملت   ملء البسيطة من أيمانك الصحف
عبّاد ، قل إن فى الأشعار تذكرة   وإنْ أحسنها ما أورث السلف(٢)
غنِّ الرفاق بوحى الحق تنشـــده   مضى النعيب،وأودى الشاعر الخرف(٣)

على غير الطريق ففاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قتلوه ، ثم انتهوا إليه ، فأخبروه بقتله ، فقال : أفلحت الوجوه ، قالوا : ووجهك يارسول الله ، ورموا برأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله ، ونكف عنه أنف منه .

(١) المؤتنف بمعنى المستأنف أى الجديد المبتدأ .

(٢) عباد بن بشر رضى الله عنه ، قال فى هذه الواقعة : ــ

صرخت به ، فلم يعرض لصوتى   ووافى طالعا من رأس خدر
بعثت له . فقال من المنادى ؟   فقلت : أخوك عباد بن بشر
وهذى درعنا رهنـا فخذها   لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا   وماعدموا الغنى من غير فقر
فأقبـل نحونا يهوى سريعا   وقال لنا : لقـد جئتم لأمر
وفى أيماننـا بيض حـداد   مجربة بهـا الكفـار نفرى
فعانقـه ابن مسلمة المردى   به الكفـار كالليث الهزبر
وشد بسيـفه صلتـا عليـه   فقطره أبـو عبس بن جـبر
وكان الله سادسنـا فأبنـا   بأنعم نعمـة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام   هم ناهيك من صدق وبر

(٣) النعيب صوت الغراب .

سرايا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

السّريّة الأولى

كانت إلى بنى سعد بن بكر بفدك « قرية بينها وبين المدينة ست ليال » بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يمدوا يهود خيبر على أن يجعلوا لهم تمرها فلما اقترب الإمام والذين معه وكانوا مائة رجل من هذه القرية . وجدوا رجلا فسألوه عن بنى سعد ، فقال : لا علم لى بهم فشددوا عليه ، فأقر أنه عين لهم ، ثم دل المسلمين عليهم ، ولكنهم خافوهم فلم يظهروا للقائهم ، وغنمت السرية خمسمائه بعير وألفى شاة .

يابنى سعد بن بكر مرحباً   بادروا القوم فراى وثبى(١)
غشيتكم من يهود فتنة   كالحبىِّ الجون يُرخِى الهيدبا(٢)
إن فى خيبر من سحر القنا   عدد التمر ومن بيض الظبى
هى للأبطال أزكى مطعما   يا بنى سعد وأشهى مشربا
هل ترون اليوم إلا مِقنبا   من حماة الحق ، يتلو مقنبا(٣)
إنه يوم « علىّ » فاصبروا   أو فحيدوا عنه يوما أشهبا(٤)
يا « بنى سعد بن بكر » إنه   مارج الهيجاء يزجى اللهبا(٥)
احـذروها واحموا أنفسكم   لا تكونوا فى لظاها حطبا

(١) الثبى الجماعات .

(٢) الحبى = السحاب المتراكب يشرف من الأفق على الأرض والجون الأسود أو الأبيض ، وكلاهما من صفات السحاب والهيدب ما يرى كأنه فويق الأرض من السحاب إذا تدلى .

(٣) المقنب ـ جماعة الخيل .

(٤) يوم أشهب وأمر أشهب أى صعب .

(٥) المارج النار لا دخان فيها .

دلَّه منكم عليكم رجـــل   خشى القتل ، وخاف العطبا
«عينكم» صيرها عينا لـكم   فاعجبوا للامر كيف انقلبا
زحف الجيش فذبتم فرقا   وارتمى البأس ، فطرتم هربا
ليس غير النهب ، ما يمنعه   منكم اليوم امرؤ أن ينهبا
« نكبة التمر » فلولا شؤمه   لم يذق آلامها من نكبا
أفـــا جربتم القوم الألى   خلقوا للشرّ فيمن جرّبا ؟
هم وباء الأرض، أوطاعونها   شرعوا السحت ودانوا بالربا[1]
غضب الله عليهم ، فرضوا   ربَّ زدهم كل يوم غضبا
هالك من ظن ممن يعتدى   ويعادى الله إن لن يغلبا
وأضلُّ الناس فى دنياه من   وضح الحق ، فولَّى وأبى

(١) السحت المال الحرام ، والكسب الدنىء يجلب العار ، سمى بذلك لأنه مسحوت البركة أو لأنه يسحت ، أى يستأصل صاحبه بشؤمه .

السَّرِيَّة الثَّانِيَة

كانت لهدم « القلس » صنم طىء والإغارة عليها ، بعث إليهم فى خمسين ومائة رجل من الأنصار فهدموا الصنم وأحرقوه واستاقوا الشاء والنعم والسبي وكان فى السبي أخت عدى بن حاتم الطائى واسمها سفانه » ومعناها الدرة مر عليها النبى صلى الله عليه وسلم فقامت إليه وذكرت له أباها وما كان له من أعمال مشكوره ثم سألته أن يمن عليها ففعل وأسلمت فكساها ثم حملها وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها وأشارت عليه بالقدوم على النبى ليدخل فى دين الله فجاء وأسلم (١) وقد وجدوا فى خزانه الصنم ثلاثة أسياف معروفه عند العرب وهى الرسوب واليمانى والخذم وثلاثة أدراع آلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم :

إلى طىء يا ابن عم النبى   إلى معشر يعبـــدون الصنم
إلى القلس ، فى جندك الغالبين   فإن يابث الشرك أن يصطلم[2]
أضل العقول ، وأعمى القـلوب   وأشقى النفوس وهـــدّ الهمم
أرى طيئا خـــذلت ربها   فما من ملاذ ، ولا معتصم
فيالك ربّا يذوق الهوان   فيغضى عليـــه ولا ينتقم
مضى عزُّه ، وانطوى مجـــده   فزال الجـــلال وبار العظم
وأصبح تزروه هوج الرياح   فتلك تفـــاريقه ما تلم
وهاتيك أســـلابه أُطلقت   وكانت حبائس منـــذ القدم
سيوف بقين طوال العصور   ودائع للـــوارثين الأمم
ملان لدى القلس عهد الظلام   فأصبحن ميراث ماحى الظلم
أضاء الرســـوب به واليمانى   وأشرق فى راحتيـــه الخذم

(١) هذه القصة مذكورة فى باب الوفود .
(٢) اصطلم الشىء استأصله .

وما نظرت أعين الدارعين　　كأدراعه الغاليـــات القيم

رجعْتَ بها يا ابن عم النبى　　وبالشاء مجـــلوبة والنعم

وبالسبى مغتنما ، ما رأى　　حماة المحـــارم إذ يغتنم

ومرّ النبىّ بسفّـــانة　　فقامت إليـــه تبثّ الألم

وقالت : نشدتك فأمنن علىّ　　فما حق مثلىَ أن يُهْتَضَمْ

أنا ابنة من كان فى قومه　　عقيد السخاء حليف الكرم

وما بك فى حاتم ريبـة　　بلى إنه للجواد العـلم

يفك العنـاة ويعطى العفاة　　ويكسو العراة ويحمى الحرم

ويُفشى السلام ويرعى الذمام　　ويقرى الضيوف ويشفى القرم[1]

فقال لهـا : صفة المؤمنين　　فلو أنه كان فيهم رُحِم

كريم يحب حسان الخلال　　ويكره من حبها أن يُذم

مننت عليك فإن تفرحى　　فغيرك أولى بحزن وهم

فقالت شهـدت مع الشاهدين　　فذلك دين الهـدى ، لا جرم

رأيت السبيـل فآثرته　　وفارقت دين العمى والصمم

كساها وأركبها واستهل　　عليها بغمر من المـال جم[2]

فراحت بخير وراح الثناء　　يجوب السهول ويطوى الأكم[3]

وجاءت أخاها فقالت عدىّ　　أرى الحق أخلق أن يُلتزم

وإنى اسـتقمت على واضح　　من الأمر يا ابن أبى فاستقم

---

(١) القرم شهوة اللحم .

(٢) الغمر الكثير .

(٣) الأكم جمع أكمة وهو التل يكون دون الجبل ، أو الموضع يكون أكثر ارتفاعا مما حوله .

دع الشرك واذهب إلى يثرب　　فثَمّ هُـدَى الله بارى النسم

هناك هناك جـلاء العمى　　ورِيُّ الصـدى وشفاء السقم

هناك النبى العظيم الجلال　　هناك الرسول الكريم الشيم

هناك النجاة لهلكى النفوس　　فطوبى لمن رامها فاعتزم

السرية الثالثة

كانت إلى بلاد مذحج . . أبو قبيلة من اليمن . : وهى من بلاد اليمن بعث إليها فى ثلاثمائة فارس عقد النبى له لواء وعممه بيده ، فلما بلغها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك ، ثم لقيهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، فصف أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ، ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا ، فكف عنهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم ، وقالوا : هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى ونحن على من وراءنا من قومنا . فعاد فوافى النبى بمكة فى حجة الوداع .

بنى مذحج ما ثَمّ من مُتردّد ... هو الدين أوحدُ الحسام المهنّد

ألا فانظروا سيف الإمام وبأسه ... تروا عجبا من مشهد ليس بالدَّد[1]

بليثٍ بمعقود اللواء على يد ... يشدُّ عليها مالك الملك باليــد

بنى مذحج ما ظنكم بمدجّج ... تعممه للحرب كف محمد ؟

غزا كم بمن لا تعرف الحرب غيرهم ... إذا انتسب الأبطال فى كل مشهد

أصابوا من الأسلاب والسبى ما ابتغوا ... وأنتم بمنأى بين صرعى وهجّد

فلما لقوكم قال صاحب أمرهم ... هو الحق من يؤثره يرشد ويهتد

فإن تُسلموا فالله بينى وبينكم ... وإن تُعرضوا فالسيف عضب المجرد

صددتم صـــدود الجاهلين وردكم ... عن الحق رأى طائش لم يُسدّد

جرى النبل يهوى واستطارت حجارة ... تتابع شتى بين مَثنًى ومَوحد

رميتم بها جنـــد النبىّ وإنما ... رميتم بأحلام عوازب شُرَّد

مضى السيف يجزيكم على الشرّ مثله ... فلا دمكم بَسْلٌ ولا هو معتــدٍ

(١) الدد اللعب .

فوليتم الأدبارَ ، وارتدّ جمعكم ... شرازم شتى كالشعاع المُبدَّد

وآمن منكم معشر عاد جَدُّهم ... سعيدا ، ومن يرغبْ إلى الله يسعد

وجاءوا ، فقالوا : هذه صدقاتنا ... فخذها بإحسان ، وإن شئت فازدد

ندين بأن البرّ لا شىء مثـــله ... ونبذل حقّ الله غير منكّد[1]

وأنّا لكم عون على ما وراءنا ... نناجز منهم كل غاوٍ ومُفسد

وندعو إلى الإسلام ننشر نوره ... ونورد منه قومنا خير مورد

لك الشكر ، فارجع يا علىُّ مظفَّرا ... وبشِّرْ رسول الله يشكر ويحمد

(١) المنكد القليل العسر .

سرية أبي سلمة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومى ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قطن ، « جبل بناحية فيد–اسم ماء لبنى أسد– فى المحرم من السنة الرابعة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة ، وسعد ، وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ، وكان قيس بن الحارث ينهاهما عن ذلك فلا ينتهيان ، فلما بلغت السرية أرض بنى أسد خاف القوم فهربوا وأصاب المسلمون إبلا وغنما فأخذوها .

يا ابنى خويلد أىّ شرّ هجتما ... إن كان من يبغى المحال فأنتما
أفتـدعوان إلى قتال محمد ؟ ... هلا إلى غير القتـال دعوتما ؟
ما كان قيس فى النصيحة جاهلا ... بل كان أعلم بالصواب وأحزما
ينها كما أن تفعلا ، ويخافها ... مشبوبة تجرى جوانبها دما
بعث النبي الجيش تحت لوائه ... بطل إذا نكص الفوارس أقدما
هو ذاك عبد الله فى أصحابه ... يمشى إلى قطن قضـاء مبرما
فتأهّبا يا ابنى خويلد واجمعا ... للحرب جمعكما . ولا تتندما

* * *

سر يا دليل الجيش فى بركاته ... واسلك إلى فيد الطريق الأقوما[1]
هى منتواه فليس يبغى غيرها ... لشبا القواضب منتوى ومُيَمّما
يا دائبا يصل الدياجر بالضحى ... سر فى سبيلك إن أردت المغنما[2]
إن الألى جعلوك رائدهم أبوا ... إلا السخاء ، فما أبرَّ وأكرما
درجوا على دين الفـداء فما بهم ... عند الحفيظة ما يعاب ويُحتمَى

(١) هو الوليد بن زبيد الطائى .
(٢) أعطى من الغنيمة ما أرضاه .

أين الرجال ، ألا فتى ذو نجـدة ... يرمى بمهجته العجاج الأقتما ؟
أين الرجال ؟ أفارقوا أوطانهم ... أم أصبحوا ملء المضاجع نُوَّما ؟
يا ابنى خويلدَ جرِّدا سيفيكما ... حذر العدى وتقدما لا تحجما
يا ابنى خويلد أين ما أعددتما ... للحرب ، تستلب الكمىَّ المُعلما ؟
أعددتما الجبن المذلَّ لتسلما ... فهلكتما ، وكذاك يهلك ذو العمى
أسلمتما النهب السليب ، وإنه ... لأجلُّ منزلة ، وأعظم منكما
رجع الغزاة به كراما ، ما لقوا ... كيدا يُرَدُّ ، ولا أصابوا مجرما
الله طهرهم وصان سيوفهم ... سبحانه ، أسدى الجميل وأنعما
هم حزبه ، لا حزبَ إلا دونهم ... ولو انه اتخذ الكواكب سلّما

عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وحده فى المحرم من السنة الرابعة لقتل أبى سفيان بن خالد الهزلى الذى جمع الجموع لحربه ، ولم يكن عبد الله يعرفه ، فقال . صفه لى يا رسول الله فقال : إذا رأيته هبته وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان ، ثم استأذنه أن يقول له ما يرضيه فأذن له وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ، وكان بموضع قريب من عرفة يقال له عرنه ، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف ، وقال له ما أرضاه حتى اطمأن إليه فقتله وجاء برأسه إلى النبى :

سرية أنت وحـــدك ... فاجعل سجاياك جنـدك
لا تخش يا ابن أنيس ... فليس سفيان ندّك
احشد قواك وخـــذه ... فليس يسطيع ردك
إن غره حـــد عزم ... فسوف يعرف حـدك
يهول فى الوصف جدا ... حتى ليعظم عنـــدك
لـــــكنه الله أعلى ... عليه فى البأس جـــدك
أقبل فتى البأس أقبل ... واعمل لربك جهـــدك

* * *

أخـذْته بخـــلاب ... كذبْته فيـه ودك
أوردْته القول حـــلوا ... ولو درى عاف وِردك
ويلمّــــه من غبىّ ... لو كان يعرف قصدك
أحببْ به من رسـول ... لقتـله قد أعـــدّك
يظن أنك ضـــــد ... له ، فدونك ضـــدّك
بوركت يا ابن أنيس ... من فارس ما أشـدك
ضربتـــــه فتردّى ... وكان ذلك وكـدك
وعـــدت لا مجد إلا ... أراه يحسد مجــدك

* * *

سفيان هل كنت طودا ... فمن رماك فهـــدّك ؟
أم كنت للشرِّ ذخرا ... تخشى الطواغيت فقـدك ؟
أودى بك ابن أنيس ... فأقفر الحىُّ بعـــدك
وردَّ عـــــزك ذلا ... فما تُصعِّــــر خدك
ملأت صدرك حقـدا ... فهل شفى السيف حقدك ؟
ومت من قبل وجـدا ... فهل محا الموت وجدك ؟
أين الجمـــوع ؟ أتدرى ... من خط فى الترب لحدك ؟
وأين رأسـك ؟ هـــلّا ... صدقتَ نفسك وعدك ؟
أغواك جهلك حتى ... لقيت فى النار رشـدك
أنضجت نفسك غيظـا ... فاليوم تُنضج جـلدك
يغيظك الدين حقـــا ... فأنت تقـدح زندك
هَيَّجت للشرّ وقـــــدا ... فأين غادرت وقـدك ؟

* * *

يا صاحب الغـار من ذا ... بنصره قد أمـــــدّك[1]
أليس ربَّك ؟ فاجعـل ... له على الدهر حمـدك
ردّ العـدى ، لم يفوزوا ... وأنت بالفـــوز ردك
ألْقِ الهديّة واسحب ... فى ساحـة الفخر بردك
دعا الرســـــول وأثنى ... فاحمد ــ لك الخير ــ رفدك
وقل : تباركت ربِّى ... يسّرت للخير عبـدك

---

(١) أسرع القوم خلف عبد الله بن أنيس رضى الله عنه بعد أن قتل سفيان فاختبأ فى غار كان فى طريقه ، ونجاه الله منهم .

(٢) هى رأس سفيان ألقاها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ففرح وأثنى عليه

سرية عكاشة بن محصن

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغمر . غمر مرزوق » وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من « فيد » ومعه أربعون رجلا ، فى ربيع الأول من السنة السادسة . فخافهم القوم وتركوا مساكنهم وأصاب المسلمون غنما وإبلا فعادرا بها إلى المدينة : ـ

عكاشة ما فى الغمر من متخلف ... خلا الغمر من عُمّاره فهو مقفر
تناذر أهلوه سيوفك ، فانجلوا ... وغودر وحشا خاليا ليس يُعمر [1]
خذ الشاء والإبل السمان ، فإنهم ... إلى أجـل ، ما دونه متأخر
فإما حمى الإسلام ، أو حدُّ قاضب ... على متنـه منهم دم يتفجر
عكاشة عد بالجند غير مخيّب ... كفى القوم خزيا أن يفرُّوا ويدبروا
لـكل امرىء من نفسه ما تودُّه ... وما بك من شىء ، فربك أكبر
له الدين والدنيا ، وما بعد هذه ... فلا شىء إلا ما يشاء ويقـدر

(١) تناذر القوم أنذر بعضهم بعضا .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وهى حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، كانت هذه السرية فى شعبان من السنة السادسة ، سيرها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن عمم أميرها عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، بيده الشريفه ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليـه اللواء ، وقال له ولمن معه : اغزوا جميعـا فى سبيل الله . فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغـدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليـدا ، فهـذا عهد الله وسيرة نبيه فيـكم ، فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا السيف ، ثم أسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الـكلبى ، وكان مسيحيا . وأسلم معه كثيرون ، وتزوج ابنته وقدم بها المدينة . فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أباسلمة الحافظ الثقة والعالم الـكبير .

يا ابن عوف سر حثيثاً باللواء ... واقدم الجيش بعزم ومضاء
سر حثيثاً يا ابن عوف إنها ... دومة الجندل والقوم البطاء
سُبقوا للحق ما يأخـذهم ... ذلك النور ، ولا هذا الرُّواء
ويحهم ماذا عليهم لو رضوا ... شرعة الله ، ودين الحنفاء ؟
اتّق الله ، ولا تبغ الأذى ... واتّبع ما قال خير الرحماء
إن للحـــــرب لديه أدبا ... يزَعُ السيف ويحمى الضعفاء
من يدَعْه لا ينل مجدا وإن ... فتح الأرضَ ، وأقطار السماء

* * *

أعرض القوم ، وقالوا : ديننا ... يا ابن عوف ، ديننا ، لا ما تشاء
ليس غير السيف يقضى بيننا ... وهو أولى يا ابن عوف بالقضاء
ورأى ســـيدهم ما هاله ... من أمور لا يراها الجهلاء
إنه الأصبغ لا يخدعـــه ... باطل الوهم ومكروه المراء

قال : أسلمت ، فياقوم أشهدوا   واهتدوا ، فالله حقٌّ لا مراء

شرع الدين الذى وصّى به   عمدة الرسل وشيخ الأنبياء

هو دين الله حقًّا ، ما به   إن رضينا أو أبينا من خفاء

* * *

أســـلمتْ من قومه طائفة   وأبتْ طائفة كل الإباء

ما على ذى همّة من حرج   إن تراخى الجدُّ أو زاغ الرجاء

كل أمر ، فله ميقاته   طابت الأنفس ، أم طال العناء

* * *

يا ابنة الأصبغ هذا ما قضى   ربُّكِ الأعلى ، ففوزى بالرفاء

ملّة فضلى ، وبعـــل صالحِ   حبذا القَسْم . وما أسنى العطاء

إنه أمـــــر النبيِّ المجتبَى   معدن التقوى ، ومولى الأتقياء[١]

يا ابن عوف ، لو رأى الغيبَ امرؤ   لرأت عيناك ما تحت الغطاء

لك من زوجك كنز جلل   من كنوز الله أغنى الأغنياء

يُستَمَدُّ العــلم منه والهدى   ويقام الدين قدسى البناء

نعمـــة لله ، ما أعظمها   فله الحمـــد جميعاً والثناء

(١) قال الرسول الكريم لعبد الرحمن بن عوف إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم.

سَرِيّة عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري

كانت لقتل أبى رافع عبد الله ، أو سلام بن أبى الحقيق اليهودى ، وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إليه فى شهر رمضان سنة ست ، وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الأحزاب ، ومعه عبدالله بن أنيس ، وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربعى ، والأسود بن خزاعى ، ومسعود بن سنان الأسلمى من الخزرج ، فذهبوا إلى خيبر فلما أمسوا جاءوه فى حصن له ، فقال ابن عتيك لأصحابه دعونى احتال للدخول عليه ، ثم تقنع بثوبه ، فظنه البواب من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمار فقد منه فأدخله ، ثم أخذ المفاتيح التى علقها البواب وراء الباب بعد إغلاقه ، فلما ذهب عن أبى رافع أهل سمره صعد إليه ابن عتيك يفتح الأبواب ويغلقها وراءه ، ثم انتهى إليه فإذا هو وسط عياله فى بيت مظلم . وقال لامرأته ، إنى جئته بهدية ، ثم ضربه فلم يقتله ، وصاح أبو رافع ، فخرج ابن عتيك ثم عاد ، وقد غير صوته يسأله عن سبب صياحه ، ثم قتله ، وخرج فسقط وانكسرت ساقه فاختبأ ، وخرج اليهود باحثين ، ثم عادوا وهو كامن ، وبقى إلى أن يسمع الناعى ، فلما نعى انطلق إلى أصحابه ، ثم عادوا ، ومسح النبي على رجله ، فكأنها لم تصب .

أبا رافع لا يرفع الله طاغيا   ولا يدع الخصم المشاغب ناجيا

جمعت من الأحزاب ماشئت ، تبتغى   لنفسك من تلك العقابيل شافيا

ورحت تصبُّ المال فى غير هينة   تريد بدين المسلمين الدواهيا

هو ابن عتيك إن جهلت وصحبه   فلست بلاق من حمامك واقيا

يدبُّ وقد جنَّ الظلام مقنعا   يريدك مغتالا ، ويلقاك غازيا

كأن حمار الحصن أوتى رشده   فأجمع ألا يصحب الدهر غاويا

أعان عليك السيف يكره أن يرى   دمافاجرا فى مسبح الكفر جاريا

يقول له البواب : مالك جالسا ؟   وقد دخل الرهط الذى كنت رائيا؟[١]

(١) ظنه البواب من أهل الحصن . فقال له : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الحصن فدخل فاختبأ يتربص لحاجته.

إلى الحصن فادخل ، لست تارك بابه   لأجلك مفتوحا ودعنى وما بيا

فقام ولو يدرى خبيئة نفسه   أعضّ وريديه الحسام اليمانيا(١)

ولاحت لعينيه الأقاليد فانتحى   يضمّ عليها مخاب الليث ضاريا(٢)

فلمّا غفا السمار أقبل صاعدا   إلى الأخرق المغرور ، يعلو المراقيا

سقاه بحدّ الهندوانىّ حتفه   فبوركت من سيف ، و بورك ساقيا

* * *

هوت رجله من زلة قذفتْ به   إلى الأرض فى ظلماء تُخفى الدراريا(٣)

فما برحتْ حتى أصيب صميمها   بصدع فأمسى واهن العظم واهيا

وبات يُوارى نفسه فى مكانه   ويزورّ فى برديه يخشى الأعاديا

تنادوا : فقالوا فاتك من عدوّنا   رمى السند الأعلى ، فلا كان راميا

متى جاء؟ كيف انسل فى غسق الدجى؟   وماذا جرى؟ من كان للحصن حاميا؟

من الجنّ هذا أم من الإنس ، ياله   مصابا ينسّينا الخطوب الخواليا ؟

وراحوا سراعا مهطعين يهيجهم   طِلاب الذى مازال فى الحصن ثاويا

فما تركوا فى أرض خيبَر بقعة   ولا غادروا مما هنالك واديا

وعادوا يعضّون البنان ولو رأوا   مكان الردى المجتاح ألفوه جاثيا

فمازال حتى أذّن الديك ، وانبرى   من القوم داع يرفع الصوت ناعيا

هنالك وافى صحبه ، فتحدبوا   عليه ، وكان الظن أن لا تلاقيا

فتى يركب الأهوال لا يتّقى الردى   ولا يتوقى الحتف يلقاه عاديا

---

(١) يريد بواب الحصن .

(٢) الإقاليد المفاتيح .

(٣) قال ابن عتيك رضى الله عنه يذكر ماحدث له بعد قتل أبى رافع .. فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة ثم خرجت فكمنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى إذا أيسوا رجعوا فلما صاح الديك صعد الناعى على السور ينعى أبارافع ، قال فأتيت أصحابى أحجل .. الخ

قصاراه أن يرعى أمانة ربه   ويلقى رسول الله جذلان راضيا

شفى رجله مما بها ، فكأنها   بخيبر لم تكسر ولم يك شاكيا

أبا رافع ، ما ذا لقيت بحفرة   طوت منك جبارا قضى العمر عاتيا؟

عكفت على البغى المذمّم والأذى   فذُقْ أسفا ، واعكف على النار صاليا

سرية عبد الله بن رواحة الأنصارى إلى أسير بن رزام اليهودى بخيبر

لما قتل أبو رافع أمرت اليهود عليها أسير بن رزام فغضب لقومه وسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب . وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه فى رمضان من السنة السادسة يستطلعون الخبر ، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون مارأوا وسمعوا ، فبعثه الى أسير فى ثلاثين رجلا ، فعرضوا عليه أن يسيرمعهم إلى النبي ليحسن إليه ويستعمله على خيبر فشاور قومه فرضى بعض وأبى بعض ، وسار ومعه جمع منهم ، فلما كان فى الطريق ندم على سيره ، وأراد الفتك بابن رواحة فقتله، وقتل المسلمون من كان معه إلا رجلا اشتد فى الهرب ، وكان ذلك فى شوال من السنة السادسة .

أأنت يا ابن رزام تغلب القدرا ؟   جرب لك الويل من غرٍّ وسوف ترى
جرب أُسَيرُ ولا تجزع إذا عثرت   بك التجاريب ، إن الحرّ من صبرا
كذبت قومك ، إن الحق ليس له   من غالب ، فاعتبر إن كنت معتبرا[1]
هيهات مالك إلا الغىُّ تتبعه   والغى يتبعه فى الناس من فجرا
بئس الأمير وبئس القوم إذ جعلوا   لك الإمارة كيما يدركوا الظفرا
الظافرون بنو الإسلام ، لا فزعا   يرى العدى فى الوغى منهم ولا خورا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها   إذا تعرّتْ وولّى الذادة الدُّبُرا
ماذا تحاول بالأشياع تندبهم ؟   حاولت يا ابن رزامٍ مطلبا عسرا
ظننتها غزوة تخفى مكائدها   فما احتيالك فى السرّ الذى ظهرا ؟
لو لم يواف رسول الله مُخبِرُه   وافاه من ربه من يحمل الخبرا

(١) قال لهم والله ماسار محمد إلى أحد من يهود ولابعث أحدا من أصحابه إلا أصاب منهم ماأراد ولـكنى أصنع مالم يصنع أصحابى ، قالوا : وما عسيت أن تصنع ؟ قال أسير فى غطفان فأجمعهم ونسير بهم إلى محمد فى عقر داره ، فإنه لم يغز أحد فى عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد .

كم فضّ جبريل من صمّاء مغلقة   أنحى على سترها المكنون فاشتهرا[1]

* * *

على أبى رافع ، فلتبك من أسف   واستبق نفسك إن كنت امرأ حذرا
ذلّت يهود فما يُرجَى لها خطر   على يدىْ من نهى فيها ومن أمرا
دعها أُسَيْر لك الويلات من رجل   ضلّ السبيل ، فأمسى يركب الغَرَرا[2]
ألست تبصر عبد الله فى نفر   أعظمْ به وبهم من حوله نفرا ؟
جاءوك يا ابن رزام لو تطاوعهم   لأذهب الله عنك الرجس والوَضَرا
لـكنك المرء لو ترميه صاعقة   تنهاه عن نزغات الغىّ ما ازدجرا
ردّوا لك الخير تسديه إليك يد   ما مثلها من يد نفعا ولا ضررا
قالوا: انطلق معنا إن كنت منطلقا   فأتِ الرسول وسله تبلغ الوطرا
ماشئت من سؤدد عال ومن شرف   على اليهود ويجزى الله من شكرا
أبى وراجعه من نفسه أمل   أغراه بالسير حتى جدَّ مبتدرا
ثم انثنى يتمادى فى وساوسه   يظن ذلك رأيا منه مُبتسرا[3]
واختارها خطة شنعاء ماكرة   فحاق بالجاهل المأفون مامكرا
أراد شرّا بعبد الله ، فانبعثت   منه صريمة عاد ينقض المررا[4]
رآه أخون من ذئب فعاجله   بالسيف يورده منه دما هدرا
وانقضّ أصحابه يلقون من معه   من قومه فاستحرّ القتل واستعرا

(١) أنحى على الشيء أقبل .
(٢) الغرر التعرض للهلـكة .
(٣) خرج أسير ومعه ثلاثون رجلا من اليهود مع رجل رديف من المسلمين وكان هو رديف عبد الله بن رواحة ، حتى إذا كانوا بقرقرة . موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره ، وأراد الفتك بابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه فسقط . ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، ورأى مبتسر أى غير ناضج .
(٤) الصريمة العزيمة .

لم يترك السيف منهم وهو يأخذهم ... إلا حشاشة هاف يسبق البصرا[1]

مضى مع الريح لا يأسى لمهلكهم ... ولا يبالى قضاء الله كيف جرى

كذلك الغدرُ يلقى الويل صاحبهُ ... وكيف يأمن عقبى السوء من غدرا ؟

(١) هو الرجل الذى هرب ، أفلت على رجليه وأعجز المسلمين شدا .

عمرو بن أمية الضمرى يوفد إلى مكة لقتل أبى سفيان

اختار أبو سفيان رجلا من أجرأ الناس وأقدرهم على الشر ، ثم أعطاه نفقة وبعيرا ، وبعثه لقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج يحمل خنجرا حتى جاءه فانحنى عليه يريد أن يفعل فأخذته الرهبة وكان أسيد بن حضير مع النبى فشد على خناقه حتى ظهر الخنجر ، إذ كان يخفيه فى ثيابه ، وقد استجار بالنبى فعفا عنه وأسلم ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم ير بعد ذلك .

أرسل النبى عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان ؛ وكان فاتكا فى جاهليته شجاعا فى إسلامه . فأخذ خنجرا ، وخرج معه رجل آخر اختلف فى اسمه ، فقيل هو سلمة بن أسلم ، وقيل جبار بن صخر ، فجعل عمرو يتنكر بمكة حتى لا يعرفه أحد لشهرته فعرفه معاوية بن أبى سفيان وأشاع خبره ، فخف الناس يطاردونه ، فاختبأ فى غار وخرج فقتل رجلا من الكفار ، ورأى رجلين منهم فى طريقه إلى المدينة كانا يتجسسان على المسلمين ، فقتل أحدهما برمية سهم ، وأسر الآخر .

أبا سفيان أىَّ دم تريد ؟ ... هى العنقاء مطلبها بعيــــد

بل العنقاء أقرب من مرام ... هو الأمل المحبّب أو يزيد

أغرّك خِنْجرٌ بيــدى شقىٍّ ؟ ... وما يدريك ، أيكما السعيد ؟

رأى رجلا ترى الشم الرواسى ... جلالته ، فترجف أو تميــــد

فلم تنفعه من فزع قواه ... ولم ينهض به البأس الشديد

وشدّ خناقه بيــدى أسيد ... فلولا الرفق لا نقطع الوريد

تلقّاه بمخلب مكفهر ... يثور فتقشعر له الجــلود

وأظهر ما يوارى من سلاح ... يدبُّ بمثله الشنف الحقود[1]

وأيقن أن دين الله حقٌّ ... فما يجدى الضلال ، وما يفيد

أصاب الخير من بركات ربٍّ ... هداه رسوله الهادى الرشــيد

(١) الشنف المبغض .

وجاءك يا أبا سفيان عمرو ... فأين تزيغ ويحك ، أو تحيد
هو البطل الذى عرفت قريش ... فلا نكر بذاك ولا جحود
يخادعهم ، وما تخفى عليهم ... مكيدة من يخادع أو يكيد[١]
بدا لهم المغيّب فاستـرابوا ... ولجّ الذعر واضطرم الوعيـد
وأبصره معـاوية فجلّى ... سريرة نفسه النظر الحديد
وشـدّوا خلفه فإذا سُلَيْك ... أعير جناحه البطل النجيـد
وغيّبه ببطن الأرض غار ... فما يدرون أين مضى الطريد ؟
أعين بصاحب لا عيب فيه ... فنعم الصاحب الثبت الجليد[٢]
وجاء لحينـه منهم غوىٌّ ... له فى الشعر شيطان مريد[٣]
يدير الـكفر فى فمه نشيـدا ... يردّده ، فيعجبه النشيـد
أصاخ له ، فأوقد منـه نارا ... لهـا من كل جارحة وقود
تلهّب واسـتطار ، فيالنفس ... طغت حينا فأدركها الخمود
رماها فى لهيب البأس ربٌّ ... لهـا فى ناره الـكبرى خلود

* * *

كلا الرجلين يا عمروٌ عدوٌّ ... فدونك إنه صيـد جديد
هما عينا الخيانة من قريش ... وأنت يد النبىّ بها يذود
رميت عن النبىّ فمن صريع ... أراق حياته السهم السديد

---

(١) دخل مكة ليلا هو وصاحبه ، سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر ، ومضى عمرو يطوف بالبيت فرآه معاوية بن أبى سفيان فعرفه وأشاع خبره ، فقال أبو سفيان ورجال قريش والله ماقدم عمرو إلا لشر وطا ردوه .
(٢) سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر .
(٣) رجل قتله أمية لقوله : ــ
ولست بمسلم مادمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

ومن فزع مضيت به أسيرا ... على جزع ، يذلّ ويستقيـد
جلبت على أبى سفيان شرًّا ... فأصبح وهو محزون كميد
تجرّع ثـكل من فُقِـدا ذعافا ... وأهلـكه الأسى فهو الفقيد
ستـدركه الحياة ولا حياة ... لغير المؤمنين ولا وجود
رجال لا تُبيـدهم المنايا ... وكلٌّ من بنى الدنيا يبيد
هو الإيمان ، لا دنيا حلوبٌ ... يعاش بها ، ولا ملك عتيد

سَرِيّة أبى بكر رضى الله عنه إلى بنى كِلاب

ويقال إلى بنى فزارة بناحية « هرية » بنجد ، خرج إليهم فى شعبان من السنة السابعة فى رجال منهم سلمة بن الأكوع ، فبعد أن صلوا الصبح شنوا الغارة عليهم فقتلوا وسبوا وكان من السبايا امرأة استوهبها سلمة من أبى بكر فجعلها له ثم استوهبها النبى صلى الله عليه وسلم من سلمة ، فوهبها له ، فأرسلها صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين .

جرِّد السيف أبا بكر فما   طُبع السيف ليبقى مُغمدا
تلك نجد خيَّم الكفر بها   فاستعن بالله واذهب منجدا
جاهد القوم وزلزل دينهم   أين دين الكفر من دين الهدى ؟
سرت فى بأس بعيد المرتمى   ماله فى الله حدٌّ أو مدى
إنها الحرب ، فسر لا تتئد   ودع السيف وأعناق العدى
فارم يا ابن الأكوع القوم فما   خُلِق المخلب لليث سدى
هدَّهم أسرا وسبيا ، وسقى   من سقى منهم أفاويق الردى
جال فيهم جولة عاصفة   فهوَوا صرعى وأمسوا همَّدا
صدفوا عن ربهم سبحانه   وأبوا أن يُتَّقى أو يُعبدا
فجزاهم من نكال ما لقوا   وى كأن الله يجزى المفسدا

* * *

يا أبا بكر وأنت المُرتجَى   أعطه المرأة يشكرْها يدا[1]
إن تكن سيِّدة فى قومها   فكفاها أن أصابت سيِّدا

(١) زعم بعض الرواة أن هذه المرأة أم قرفة التى ورد ذكرها فى سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وهو من أوهامهم .

عاد منصورا وسارت معه   فرقدا ، يتبع منه فرقدا
نظر الله إليها فبدا   لرسول الله فيها ما بدا
قال : هبها لى ، فلم يبخل بها   ومضى من أمرها ما سدّدا
هبطتْ مكة فى حاجته   فهى للصحب من الأسر فدى
سرّه أن أطلق الشرك بها   من نفوس حرة ما قيّدا

* * *

اذهبى ما أنت من شأن الألى   أوردوا قومك ذاك الموردا
كذب الجهال فيما زعموا   ما المباتير المواضى كالمدى

سرايا غالب بن عبد الله الليثي

السرية الأولى

كانت فى شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بناحية نجد وهى على ثمانية برد من المدينة، خرج إليها فى مائة وثلاثين رجلا، فهجموا على أهلها فى مساكنهم. وقتلوا من تصدى لهم، واستاقوا النعم والشاء، وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الأسلمى وقيل الغطفانى، بعد أن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلامه النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنما قالها تعوذا من القتل، قال: هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب، ؟ قال أسامه. لن أقتل بعده من قالها، وفى ذلك نزل قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا. الآية » وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم دفع الدية إلى أهله. وأمر أسامة أن يعتق رقبة :ـ

اسألى يا نجد أهل الميفعة   كيف أمسَوا بعد أمن ودعه

وانظرى ما صنع الكفر بهم   من أذى يعجبه أن يصنعه

هو صنو الشرِّ أو توأمه   ما ثوى فى موطن إلا معه

ما الذى يعصمهم من غالب   جذوة الحرب وليث المعمعه ؟

جاءهم يقدم من أبطاله   كلٌّ ماض لا يبالى مصرعه

يمنع الإسلامَ من أعدائه   بدم يأبى له أن يمنعه

لو تمشّى الموت فى بردته   حين يمشى للوغى ما روّعه

أخذوهم أخذة رابية   صادفت منهم نفوسا فزعه

ثم آبوا كالنجوم الزهر فى   نعمة مما أصابوا وسعه

* * *

يا ابن زيد، قدِّم العذر، وقل   يا رسول الله، هل من تبعه ؟

رجل أجمع أن يخدعنى   فجعلت السيف يعلو أخدعه

أعلن الإسلام يحمى دمه   وله بالكفر نفس مولعه

قال: هل شق الفتى عن قلبه   فيرى السر، ويدرى موضعه ؟

يا ابن زيد، ياله من خلق   لست بالمؤمن حتى تدَعَه

ساءه اللوم، فقلب آسف   يتقى الله، ونفس موجعه

تاب مما سوَّل الظن له   وأباها سنة مبتدعة

ليس للمرء من الأمر سوى   ما رآه ظاهراً، أو سمعه

وخفايا الغيب لله الذى   يعلم السر ويدرى موقعه

احترس ما الظن إلا شبهة   تتَّقيها كل نفس ورِعه

واتبع الحق فهذا حكمه   جاء فى القرآن كيما تتبعه

* * *

ما سبيل المرء يرتاد الهدى   كسبيل المرء يبغى المنفعه

ما نأى المؤمن عن عادته   حين ينأى عن هوان وضعه

السرية الثانية

كانت إلى بنى الملوح بالـكديد . . إسم ماء بين عسفان وقديد . . خرج إليها فى صفر من السنة الثامنة ، وكان من رجال هذه السرية جندب ابن مكيث الجهنى رضى الله عنه قال : لما بلغوا قديد وجدوا الحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فأخذوه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام وماخرجت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة ، ثم وضعوا عليه حارسا . وأمروه أن يقتله إذا ظهر منه سوء ، وساروا حتى أتوا الـكديد ، فجعله أصحاب . . جندب بن مكيث ربيئة لهم ، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بنى الملوح فرماه بسهمين ، وقع الأول بين عينيه فنزعه ، والثانى فى منكبه فـكذلك ، ثم نام القوم فحمل المسلمون عليهم سحرا ، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم ، واستصرخ القوم . فاجتمع عدد كثير وحملوا على المسلمين فأرسل الله السيل فى الوادى . وادى قديد من غير سحابة ولا مطر فحال بينهم ، وأسلم ابن البرصاء وهو صحابى توفى آخر خلافة معاوية .

بنى الملوّح لا حامٍ ولا واق ... طاف الردى وتلاقى الشّرْبُ والساقى

أتتكم المرهفات البيض زائرة ... فاستقبلوها بهامات وأعناق

مشى بها غالب فى غير ما وهن ... يلفُّ للحرب آفاقا بآفاق

رمت به همم الإيمان ممعنة ... فالشرك يرجف من خوف وإشفاق

ما خطب هذا الذى لاقت فوارسه ... عند القديد ، أيمضى غير معتاق ؟

كلاَّ فإن يك حقا ما يقول فما ... فيما يريدون من ظلم وإرهاق

يقيم حتى يعودوا ثم يصحبهم ... إلى الرسول على عهد وميثاق

وإن يكن كاذبا فالسيف صاحبه ... والسيف صاحب صدق غير مَذَّاق

* * *

جاءوا « الـكَدِيد » فمايعنى ربيئتهم ... والنوم يلهو بأجفان وأحداق

ولاح بالليل فوق التلِّ منظره ... لساهر قام من ذعر على ساق

رمى بسهمين لم يُخطئْ له نظر ... ولم يُجاوزه فى نزع وإغراق

انزعهما ابنَ مكيث لا تـكن جزعا ... ولا تُرَعْ لدم فى الله مهراق

ويا سيوف رسول الله لا تدعى ... للعاكفين على الأصنام من باق

النازلين وراء الحق منزلة ... ما اختارها غير فُجّار وفساق

ما ينكرون من الدين الذى كرهوا ؟ ... هل جاء إلا بآداب وأخلاق ؟

دين السجايا العُلَى تمضى بهم صعدا ... ما تستطيع مداها همة الراقى

دين هو الغلّ ينهى كل مبتدع ... يرمى النفوس بأغلال وأطواق

لا يحبس النفس إلا حين يطلقها ... وليس يظلم فى حبس وإطلاق

* * *

بنى الملوح ردُّوا من غوايتكم ... فالحقُّ ذو وضَح باد وإشراق

هو الشقاء لأدواء النفوس إذا ... حار الطبيب ، وأمسى رهن إخفاق

أتصدِقون عن المثلى وقد هتفت ... بها الدعاة ، فلبّى كل سباق ؟

لولا العمى ما اقتديتم فى ضلالتكم ... بمعشر من قريش غير حُذّاق

والناس من زعماء السوء فى خبَل ... يؤذى الطبيب ويُعيى حكمة الراقى

يا ويلكم إن رضيتم جوف مُظلمة ... مسجُورة ذات أطواء وأعماق (١)

ماذا صنعتم بخيل الله حين دعا ... يستصرخ الحيَّ منكم كل نعّاق ؟

طارت بكم غارة حرّى فأطفأها ... وادى قديد بسيل منه دفّاق

لا تنكروا وقضاء الله يرسله ... ما كان من دهش جم وإطراق

أعظِمْ بها آية لولا جهالتكم ... كانت لخير البرايا خير مصداق

سيقت لنصرته الأقدار تمنعكم ... أن تدركوا جنده كل منساق

وأنت يا أيها المُزجى مطيّته ... إلى الرسول يوالى سير مشتاق (٢)

أصبت من نعمة الإسلام كنز هدى ... أغناك ربك منه بعد إملاق

فاسعد برزقك ، واشكر مَن حباك به ... سبحانه من عظيم الفضل رزاق

---

(١) المسجورة الموقدة والأطواء الآبار .

(٢) هو الحارث بن مالك الليثى .

السرية الثالثة

لما عاد غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه من الكديد أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد « بفدك » فى صفر سنة ثمان ومعه مائة رجل فأغاروا على بنى مرة فقتلوا وغنموا ، وكان بشير رضى الله عنه قد سار إليهم فى شعبان سنة تسع ، ومعه ثلاثون رجلا فار أوا منهم أحدا وعادوا بالنعم والشاء فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل، فقتل من قتل وولى الباقون إلا بشيرا ، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح فسقط وبه رمق ، وعمد القوم إلى اختباره بضربة فى كعبه فلم يتحرك ، فظنوا أنه قد مات ، وانصرفوا عنه لنعمهم وشائهم ، فتحامل هو فذهب فى الليلة التالية إلى فدك فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قوى ثم عاد إلى المدينة بعد أيام : —

بنى مرة اقضوا أمركم قبل غالب … وذوقوا منايا القوم من كل ذاهب
بشير بن سعد والذين أصابهم … أذاكم رمَوكم بالقروم المصاعب
جهلتم جزاء البغى والبغى مركب … لذى الجهل يؤذى شؤمه كل راكب
خذوا جزاء من يد الله عادلا … يدمر منكم كل راض وغاضب
بليتم بخصم لا تنــــام سيوفه … عن الوتر إن نامت شفار القواضب
أبىٍّ على الكفار يسقيهم الردى … ويأخذهم بالخسف من كل جانب
حفىٍّ بدين الله يمنع حوضه … ويكفيه أضغان العدوِّ المشاغب
هو الدم لا يشفى من الجهل غيره … إذا لم يُفِدْ فيه ضروب التجارب
أجل يا ابن عبد الله إن الوغى لها … رجال يرون الحزم ضربة لازب
شددت قوى الأبطال بالموثق الذى … عقدتَ على تلك القوى والجواذب [1]

(١) عن حويصة رضى الله عنه قال : بعثنى صلى الله عليه وسلم فى سرية مع غالب إلى إلى بنى مرة فأغرنا عليهم مع الصبح ، وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نتفرق وآخى بيننا ، وقال : لا تعصونى ، فإنه صلى الله عليه وسلم قال : من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى .

فعهد على عهد من الله ثابت … وإلف على إلف من الدين راتب
أخ لأخ جمّ الوفاء وصاحب … أمين الهوى يرعى الذمام لصاحب
ويالك إذ تُلقِى بما أنت قائل … على الجند آداب الكمىِّ المحارب
أخذت رماة النبل بالسيف مارمى … بغير المنايا عن يدىْ كل ضارب
سقاهم نقيع الحتف من كل ماجد … جرى الحتف صرفا فى دم منه ذائب
لذى الحلم من حسن المثوبة ماابتغى … وللجاهل المغرور سوء العواقب
دعاك رسول الله أصدق من دعا … إلى الحق ترمى دونه غير هائب
فكنت أمام الجيش أكرم قادم … وكنت وراء النهب أكرم آيب
مقام تمنّــاه الزبير ومطلب … يراه الفتى المقدام أسنى المطالب [1]
ظفرت به يا توأم النصر توأما … لما نلت من مجد على الدهر دائب
مضى لك يوم فى الكديد مشهَّر … يحدّث عن جد امرىء غير لاعب
فياحسنها من وقعة غالبية … ويالك من يوم جليل المناقب

(١) روى أنه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال له : سر حتى تنتهى الى مصاب أصحاب بشير وهيأ معه مائتى رجل ، فلما رجع غالب بن عبد الله من الكديد مؤيدا بالنصر استبق الزبير وبعثه هو .

سرية بشير بن سعد رضى الله عنه

وهى السرية الثانية له بعد التى ورد ذكرها فى السرية السابقة ، كانت الى عين وجبار وهى لأرض لغطفان وقيل لفزارة ، خرج إليها فى شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل ، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعد جمعا بأرض غطفان للإغارة على المدينة ، فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا ، وأصاب هو وأصحابه نعما كثيرة لهم فغنموها ، ثم لقوا الجمع وهولا يشعر بهم فانهزم بغير قتال وتبعوهم ، فأسروا منهم رجلين أسلما وخلى سبيلهما .

عيينة ماذا أنت ـ ويحك ـ صانع؟ … وما ذلك الجمع الذى أنت جامع

رويدك هل يغزو المدينة حانق … ويطمع فيها يا عيينة طامع ؟

هى الصخرة العظمى فلا البأس نافع … إذا جئت تبغيها ولا السيف قاطع

لها من جلال الله حصن ممنّع … يردُّ الأذى عنها وجيش مدافع

وفيها رسول الله والنفر الألى … يهون عليهم أن تهول الوقائع

إذا وردوا الهيجاء فالنقع قاتم … وإن صدروا بالخيل ، فالنصر لامع

بشير بن سعد يا عيينة قادم … فهل أنت بالجمع المضلل راجع ؟

أتاكم على بعد المزار حديثه … فلا قلبَ إلا واجف منه جازع

فررتم تريدون النجاة وقد بدا … لكم منه يومٌ هائل البأس رائع

وغادرتم الأنعام تعوى رعاتها … وتندبها آثارها والمراتع

فيالك من نهب تولّى حماته … وأقبل يُزجَى سربه المتتابع

ويا للأسيرين اللذين نهاهما … عن الشرك ناه من هدى الله رادع

هما أسلما ، لما بدا الحق واضحاً … وللحق نور للعماية صادع

أطاعا رسول الله فاهتديا به … وما يستوى فى الناس عاص وطائع

عيينة من ينزع إلى الرشد لا يزل … على لاحب منه ، فهل أنت نازع [1]

---

(١) اللاحب الطريق البين .

سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد بلى وعذرة

تقع هذه البلاد وراء وادى القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وبلى قبيلة كبيرة تنسب إلى بلى بن عمرو بن إكاف بن قضاعة ، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاعة ، وتسمى هذه السرية ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض ، وقيل لأن بهذه البلاد ماء يسمى . . السلسل . . كانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن جمعا من قضاعة أرادوا الإغارة على المدينة . فبعثها النبى صلى الله عليه وسلم تحت إمرة عمرو ابن العاص وعددها ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكيث الجهنى إلى النبى يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من أكابر المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر ، وأوصاه بطاعة عمرو ، فأراد أن يؤم الناس فى الصلاة ، فأبى عمرو ، وقال : أنا الأمير ، فأطاع أبو عبيدة ، ومازال عمرو يصلى بالناس ، وحمل المسلمون على العدو ، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة ، فقتلوا وغنموا ، وأمر عمرو أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر عمر ذلك ، فقال أبو بكر : دعه ، فما بعثه النبى إلا لعلمه بالحرب وأرادوا أن يتبعوا العدو ، وهو مدبر فنعهم ، فلما عاد سأله النبى فقال : كرهت أن يوقدوا نارا فيرى العدو قلتهم ، وأن يتبعوهم فيكون لهم مدد .

إلى ذات السلاسل من بلىّ … وعذرة فامض ، بورك من مضىّ

تدفقْ بالألى جاشت قواهم … إليك تدفقَ السيل الأتىّ

إلى قوم من الأعداء تُطوَى … جوانحهم على الداء الدوىّ

تألّب جمعهم من كل أوب … يحاول بالسيوف حمى النبىّ

أهزلٌ من قضاعة أم خيال … غوىٌّ جال فى جوٍّ غوىّ ؟

تولّى الكفر أمر القوم فيه … فسوف يرون عاقبة الولىّ

جمعت لحربهم يا عمرو بأساً … يزلزل كل جبار عتىّ

رأيت جموعهم شتى فهذا … رسولك جاء بالمدد القوى

عليه أبو عبيدة فى سلاح يمجّ عصارة الموت الوحِىِّ[1]

نهاه محمد عن كل أمر تضيق به ، وما هو بالعصى

ينازعك الإمامة ثم يرضى وتلك سماحة الخلق الرضى

رميت الكافرين بكل ماض من الأبطال يعصف بالرمى

فزالوا عن حظائرهم سراعاً ولم تُغن الرباق عن الشوى[2]

تواصوا بالثبات فزلزلتهم صواعق ما تكفّ عن الهُوِىّ

هو البأس استطار فلا ثبات لغير السيف والبطل الكمى

قضيت السؤل من قتل وغنم ونلت ذؤابة الشرف العلى

وكنت القائد الفطن المُتّقى فنون المكر والكيد الخفى

منعت النار خيفة أن تعرّى جنودك ، شيمة الحذِر الذكى

تدافع دون عدتهم عدوا تخادعه عن الأمر الجلى

ولم تتبع قضاعة إذ تولّت وإذ ذهل الصفىّ عن الصفى

تقاتلها بسيف من دهاء يمزقها بحدّ لوذعى

رمى الفاروق من عجب بقول يثير حمية الرجل الأبى

فقال له أبو بكر : رويداً ولا تعدل عن السنن السوى

رسول الله أكثر منك علماً بصاحبه ، ولست له بسىّ

وما للحرب إلا كل طَبّ يصرّفها برأى عبقرى

* * *

أمير الجند يالك من سرىّ أصاب أمارة الجند السرى

مشى الصِّدّيق والفاروق فيه على أدب من الخلق السنىّ

وهل يُقضَى على اسم الله أمر فينكره التقىّ على التقى ؟

(١) الوحى السريع   (٢) الرباق حبال بها عرى والشوى الشاء

إذا استوت المراتب وهى شتّى فما فضل اللبيب على الغبى ؟

أجَلْ يا عمرو مابك من خفاء إذا فزع الرجال إلى الكفىّ

شأوت السابقين إلى محالٍ يجاوز غاية الأمد القصىّ

وذلك فضل ربك ، زيد فيه على يده ، لذى الجدّ الحظىّ

سرية أبي عبيدة بن الجراح

وتسمى سرية الخبط ، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخبط ، وهو ورق السلم فإنها خرجت للجهاد، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زودها النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، وسماها البخارى . سرية سيف البحر » أى ساحله ، بعث أبو عبيدة فى رجب من السنة الثامنة بعد أن نقضت قريش عهد الرسول الكريم ، وقبل فتح مكة ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جهينه ليلقى عيرا لقريش ، ويحارب حيا من هذه القبيلة ، فلما اشتد بهم الجهد ابتاع قيس ابن سعد بن عبادة من أحد رجال جهينة خمس جزائر بخمسة أوسق من التمر يؤديها أبوه عنه بالمدينة ، فنحرلهم ثلاثا . وبقى اثنان عاد بهما إلى المدينة يتعاقب المسوق عليهما : —

هم سادة الحرب من شيب وشبان ... ساروا سراعا فما فى القوم من وان
حيدى جهينة أو بيدى مذممة ... حُمَّ القضاء ، وخفت أسد خفان
سرية الله ترمى عن يدى بطل ... عالى اللواء ، رفيع القدر والشان
أبا عبيـــدة أوردها مظفرة ... موارد النصر ، تشفى كل حران
ما للحفيظة إن جاشت مراجلها ... إلا القواضب تُسقى بالدم القانى
خانت قريش وأمسى عهدها كذبا ... فبادر العير واضرب كل خوان
لا يعجبن جناة الشر إن حصدوا ... ما يزرع الشؤم من بغى وعدوان
لا تبتئس بجراب التمر يحمله ... أولو الحمية من صحب وإخوان
أعجوبة ما لها فى الدهر من مثل ... لكن ربك ذو فضل وإحسان
إن ينفد الزاد أغناكم وزودكم ... ما ليس ينفد من تقوى وإيمان
كلوا من الخبط ، نعم الخبط من أكل ... لكل ذى سغب فى الله طيّان
حيّاكم الله من صيد غطارفة ... يلقون فى البؤس عيش الناعم الهانى
هى النفوس بناها الله من شمم ... نعم البناء ، وجلت قدرة البانى

وأنت يا قيس فانحرها مباركة ... تجنى بها الحمد يستعلى به الجانى
أسديتها يا ابن سعد خير عارفة ... جاءت على قدر فى خير إبان
ما فى صنيعك من بدع ولا عجب ... قيس ووالده فى الجود سيان
كلا كما وسيوف الله شاهدة ... غوث اللهيف ، وروح البائس العانى
ما أقرب الحق مما يبتغى عمر ... لو لم تكن لأب للحق صوان
يقضيه عنك ، وإن أربيت تجعله ... ما تحمل الأرض من إبل ومن ضان
ما مثل ما قدمتْ لله منك يدٌ ... ما قدم الناس من هدْيٍ وقربان

* * *

أبا عبيدة لولا أن عزمت على ... قيس لأمعن قيس أىَّ إمعان
يقول إذ رحت تنهاه وتمنعه ... أبا عبيدة مهلا ، كيف تنهانى ؟
أنا ابن سعد ، وسعد أنت تعرفه ... مولى العشيرة من قاص ومن دان
يكفى المهمَّ إذا ضاق الكفاة به ... ويطعم الناس من مثنى ووحدان
أأصنع الصنع محمودا فيخذلنى ... أب أراه لغيرى خير معوان ؟
لا يُبعِـــد الله منه والدا حدبا ... سمح الخلائق أرعاه ويرعانى
يا قيس إن رسول الله شاهده ... فعدِّ نفسك عن وصف وتبيان

* * *

رمت جهينة بالأبصار من فزع ... فلم تجد غير أبطال وفرسان
لاذت بأكنانها القصوى ولو قدرت ... لاذت من الزاخر الطامى بأكنان
وولت العير يخشى أن يحاط بها ... من الألى هم ذووها كل شيطان
ماذا على القوم يرضى البأس إن غضبوا ... أن لا يفوزوا بأكفاء وأقران ؟
آبوا بخير ، وآبت كل طائفة ... من الألى كرهوا الحسنى بخسران

* * *

للحق سلطانه ، فليأت منكره ... إن استطاع له ردًّا بسلطان
ماحجة الشرك، والأكوان شاهدة ... بواحد سرمدىّ الملك ديّان ؟

سبحانه ، لن يصيب الجاهلون على   طول التوهم من ربٍّ لهم ثان

طاحت بهم غمرة ماتنجلى ، وطغت   على عقول لهم مرضى وأذهان

تلك البراهين تترى كل آونة   لو كان ينتفع الأعمى ببرهان

* * *

أخا جهينة ، عُدْ فى منظر بهج   عود امرئ مرح الأعطاف جذلان

تمرٌ وكسوة معطاء ، وراحلة   بشرى الصديق ، وبؤس[١] الحاسد الشانى

عرفت قيسا فتى مجدٍ ومكرمة   صدقت ، إنك ذو علم وعرفان

نبئ جهينة واذكرها يدا عظمت   فليس فى الحق أن يجزى بنسيان

* * *

إذا تدفق دين المرء فى دمه   سرت معانيه فى روح وجثمان

ما الدين يشرع من صدق ومن ورع   كالدين يشرع من زور وبهتان

(١) بياض بالمصورة .

سرية بشر بن أبى سفيان رضى الله عنه إلى بنى تميم

أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى كعب لأخذ صدقاتهم ، وكانوا من بنى تميم على ماء فمنعه هؤلاء من أخذها ، فعاد إليه يخبرهم ، فأرسل معه عيينة بن حصن بعد إسلامه ـ فى خمسين فارسا فأغار على بنى تميم ، وأخذوا منهم رجالا ونساء وصبيانا ، وعادوا إلى المدينة فجاء فى أثرهم من رؤسائهم عطاء بن حاجب ، والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس ، وأخذوا ينادون النبى ، وهو فى داره : أن اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك (١) ، وكان يستعد لصلاة الظهر ، فلما خرج للصلاة تعلقوا به ، وبعد أن قضاها عاد إليهم ، فتكلم خطباؤهم وشعراؤهم ، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت ، فخطب الأول ، وقال الثانى شعرا ، ثم إنهم أسلموا فرد الأسارى إليهم ، وأعطوا الجوائز السنية ، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن

سبيلك فى مرضاة ربك يا بشر   وفى حقه قاد أب وإن فدح الأمر

عليك بنى كعب فخذ صدقاتهم   ولا تألهم نصحا ، لهم ولك الأجر

أطاعوك فى ذات الإله ، وأقبلوا   كراما ، يرون الدين أن يُبذَل البر[٢]

فما لتميم ساء ما صنعت بنو   تميم أما للقوم رأى ولا حجر[٣]

أبوا أن يؤدُّوا الحق واهتاج جمعهم   فعبَّ عباب البغى واحتدم الشر

يقول بنو كعب ، دعونا وديننا   وهيهات لج الشرك واستكبر الكفر

لك الله يا بشر ، فعد غير آسف   لربك فيهم حكمه ، ولك العذر

(١) نزل فى هذه الواقعة قوله تعالى « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم .

(٢) أخذ بشير صدقات بنى كعب ، فقال لهم بنو تميم ـ وكانوا معهم على ماء ـ : لم تعطوهم أموالكم ؟ فقالوا لهم : إنا قد أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة ، فأخذوا سلاحهم ومنعوا من أخذ الصدقة وقالوا : والله لن ندع بعيرا واحدا يخرج .

(٣) الحجر العقل .

أتيت رسول الله تروى حديثهم   فهيجت بأسا مثلما يقد الجمر
أعدَّ ابن حصن للوغى وأمده   بكل شديد البأس ، مطعمه مر
إذا ذاقه فى غمرة الحرب قرنه   تنكب يلوى أخدعيه و يزورُّ
أغار عليهم فاستباح نفوسهم   وأموالهم ، فلينظروا : لمن الخسر ؟
تساق سباياهم وأنعامهم معا   بأعينهم من كل أوب وهم كثر
تود لوان القـــوم يستنقذونها   وهيهات لجَّ الرعب واستفحل الذعر
أقاموا على غيظ ، وعاد عُيينة   مغانمه شتى ، وآثاره غر
عليه من النصر المحجل بهجة   إذا ائتلفت أوضاحها ، ضحك النصر
يظل أسارى القوم فى دار «رملة»   مجازيع مما يصنع الحبس والأسر[1]
رأوا سوء عقباهم ، فأقبل وفدهم   وضجَّ الأسارى : إننا مسنا الضر
تصيح ذراريهم وتبكى نساؤهم   وجهد الأسى أن تهطل الأدمع الغزر
أتوا دار أمضى الناس رأيا وهمة   لنائبة تعتاد ، أو حادث يعرو
ينادونه فى ضجة من ورائها   ولو مالكوا صبرا لأغناهم الصبر
ألا اخرج إلينا ، وانظر اليوم أيُّنا   له الشرف العالى الذرى وله الفخر ؟
فلما رأوه خارجا علقوا به   ولم يثنهم صوت الأذين ولا الزجر[2]
قضاها صلاة يحمل الروح نشرها   فلا أرج يحكى شذاها ولا نشر
وعاد حميدا ينظر القوم حوله   لهم صاف ما ينقضى ، وبهم كبر
يقولون قول الجاهلين ، وقلمـــا   يفيد الهراء القوم أو ينفع الهجر
عطارد مهلا ، وانْه صحبك ، إنما   أردتم مقاما دونه الشعر والنثر[3]

---

(١) هى رملة بنت الحارث .
(٢) كان بلال يؤذن لصلاة الظهر .
(٣) قال عطارد ، وقيل غيره من خطبائهم : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا : ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق=

ألا إن قول الصدق ما قال ثابت   وحسان فاشهد إنما يشهد الحر
خطيب رسول الله ما فيه مرية   وشاعره ما مثـــله شاعر بَرُّ
غُلبتم فأسـلمتم فبشرى بنعمة   حباكم بها رب له الحمد والشكر
خذوا السبى والأسرى وهذا عطاؤكم   عطاء كريم ما لآلائه حصر
أحِبُّوا رسول الله يا قوم إنه   محبَّته غنم ، ومرضاته ذخر
عطوف على ذى الضعف ، يؤتيه فضله   عفوٌّ حليم ، ما يضيق له صدر
أقيموا على الفرقان تتلون آيه   فذلك نور الله ما دونه ستـــر
كتاب يضىء السبل ، فى كل مطلع   لكل ابن ليل من مطالعه فجر
خذوا زادكم منه ، وعودوا لقومكم   فما ثَمَّ زاد مثله أيها السفر

= عددا ، فمن مثلنا فى الناس . . الخ ومما قاله ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض مضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه ، وقال الزبرقان :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا   منا الملوك وفينا تنصب البيع

وقال الأقرع بن حابس :

وأنا رءوس الناس من كل معشر   وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

وقال حسان :

نصرنا رسول الله والدين عنوة   على رغم عات من بعيد وحاضر

سَرِيّة أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات

أرسلهما النبى صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من تبوك ، لهدم اللات صنم ثقيف ، فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها ، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف ، فلما علاها ليهدمها بالمعول ألقى بنفسه ، فقالوا قتلته . وخرج النساء حسرا يبكون عليها .

هدموها وأخذوا حليتها وكسوتها ، وما كان فيها من ذهب وفضة وطيب ، وأقبلوا على النبى فحمد الله : ـ

تقيف اجمعى للات ماشئت من عزم   ولا تسلميها للمعاول والهـــدم

أتاها أبو سفيان يرمى كيانها   بخطب يزيد الكفر رغما على رغم

وإن لها عند المغيرة همـة   تبيت لها الكفار صرعى من الهم

علاها بنعليه ، وألقى بنفسه   يخادع من لا يستفيق من الوهم

ظننتم به شرا ، وقلتم أصـــابه   من اللات ماينهى الغوىَّ عن الإثم

ألا فانظروها ، كيف أضحت صخورها   تطير فضاضا من صلاب ومن صم

تهدُّ وتبكيها العقائل حُسَّرا   فهل عندها بالمأتم الضخم من علم ؟

وهل منعت أسلابها إذ أصابها   رسول هدى يزداد غما على غم ؟

له من دم الكفار ما شاء ربه   ومن ما لهم ، فى غير بغْىٍ ولا ظلم

هم البغى والظلم المذمم والأذى   وما ثمّ من عيب شنيع ومن ذم

علت قبة الاسلام ، واعتز جنده   فمن شرف واف ، ومن سؤدد جم

هو الدين ، لا دين الجهالة والعمى   وهل يستحبُّ الجهل من كان ذا حلم؟

قضى الله ألا يعبد الناس غيره   فما لسواه من قضاء ولا حكم

وليس له غير الذى عاب دينه   وأعرض عنه من عدو ولا خصم

سيصليه نارا يُنضج الجلدَ حرها   ويذهب يوم الدين باللحم والعظم

سَرِيّة أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما

كانت هذه السرية إلى « أبنى » ناحية بالبلقاء من أرض الشام ، وهى آخر السرايا ، أمره النبى صل الله عليه وسلم يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الإحدى عشرة بالتهيؤ لغزو الروم . فلما كان من الغد دعاه ، وقال له : سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، وقد وليتك أمر هذا الجيش ، فلما كان يوم الأربعاء حم وصدع صلوات الله وسلامه عليه ، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواء وقال له : اغز باسم الله وفى سبيل الله ، وخرج أسامة فدفع اللواء إلى بريدة بن الحصيب ، وتهيأ المهاجرون والأنصار للخروج ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، واستنكف قوم من تأمير أسامة ، وقالوا : غلام ، وكان سنة ١٧ أو ١٩ أو ٢٠ سنة وبلغت النبى مقالتهم، فغضب كثيراً ، وخرج ، وقد عصب رأسه فصعد المنبر ، وقال : ـ

أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ؟ ولئن طعنتم فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة ، وإن كان من أحب الناس إلى ، وإنه لظنة كل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » وكان ذلك يوم السبت عاشر ربيع الأول ، وأمر النبى أبا بكر بالتخلف ليصلى بالناس ، فلما كان يوم الأحد اشتد وجعه ، فجاء أسامة وطأطأ فقبله ، ثم رجع إلى معسكره « بالجرف » ثم عاوده يوم الإثنين فقال له : أغد على بركة الله ، فودعه وخرج ، وأمر الجيش بالرحيل ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل ، فإن المرض قد اشتد على الرسول ، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، وانتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ـ وقد توفى ـ وعاد الجيش إلى المدينة ، وعاد بريدة باللواء ، فغرزه عند النبى ، فلما بويع لأبى بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وأن يمضى أسامة لما أمر به ، فخرج وسار أبو بكر رضى الله عنه يودعه ماشيا ؟ وقد نصره الله وأيده : ـ

سر يا أسامة ما لجيشك هازم   أنت الأمير وإن تعتَّب واهم

قالوا : غلام للكتائب قائد   وفتى على الصِّيد الخضارم حاكم

غضب النبى وقال : إنى بالذى   جهل الغضاب الساخطون لعالم

إن يجهلوه فقد عرفت مَكانه   والعدل عندى ، لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا   من قبــل والده ولجَّ الناقم
نقموا الإمارة فيهما ، وهما لها   أهل ، فكلٌّ أحوذىٌّ حازم
الخير فيه وفى أبيه فآمنوا   ياقوم ، وانطلقوا لما أنا عازم

* * *

ساروا وظلّ مع النبى خليله   والخطب بينهما مقيم جاثم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذى   صنع القضاء فهمُّه متراكم
مرض النبى طغى عليه ، فقلبه   يغشاه موج للأسى متلاطم
ودرى أسامة فانثنى فى جيشه   والحزن طامٍ والدموع سواجم

* * *

مات الرسول المجتبى ، مات الذى   أحيا نفوس الناس وهى رمائم
مات الرسول فكل أفق عابس   أسفا عليه ، وكل جوٍّ قاتم
مات الذى شرع الحياة كريمة   والناس شر والحياة مآثم
مات الذى كانت عجائب طبه   تشفى العقول ، وداؤها متفاقم
طاشت لمصرعه عقول رجَّح   ووهت قوى مشدودة وعزائم
دنيا الممالك بعد عصر محمد   حزن يجدد ، والعصور مآتم
صلى عليك الله إن قضاءه   حتم ، وإنْ زعم المزاعم حالم

* * *

عاد ابن زيد بالكتائب مالوى   من عزمه الحدث الجليل العارم
يمشى الخليفة لائذا بركابه   وكأنما هو سائق أو خادم
وأبى الأمير ، فقال: دونك مركبى   لا تمش إنى إن فعلت لغانم
ولئن أبيت لأنزلنَّ كرامة   لك ، فاقض أمرك،لانبالك صارم

قال الخليفة : ما أراك بمنصفى   دعنى فللاسلام حق لازم
أنا من جنودك،لو ملكت رأيتنى   تحت اللواء ، فهالك أو سالم

* * *

قُضِيَ الوداع ، وعاد مشكور الخطى   يرعاه للإسلام ربٌّ راحم
سر يا أسامة فالقواضب لم تمت   هى ما ترى وهو الجهاد الدائم
وإذا البواتر واللهاذم أعوزت   فالمسلمون بواتر ولهاذم
يا لائم القمر المنير مودعا   هل كان قبلك للكوا كب لائم ؟
هى يا أخا الشوق المبرّح قبلة   ما ذاق لذَّتها مشوق هائم
ولقد تكون وفى حلاوتها أسى   مُرٌّ مذاقته ، ووجد جاحم

* * *

زلزلْ جنود الروم، واهدم ملكهم   فى عزه العالى ، فنعم الهادم
قتلوا أباك ، فلا تدعهم ، واعتصم   منهم بربك ، إنه لك عاصم
ولقد هزمت جموعهم ، فتفرقوا   وشفاك منهم جيشك المتلاحم
وأجلت خيلك فى عِراص ديارهم   وفعلت فعالك ، والأنوف رواغم
قتْلٌ وأسر ، هدَّ من عزماتهم   وأذلهم ، وكذاك يُجزَى الظالم
ولئن أزلت ديارهم ونخيلهم   من بعد ما ظلموا ، فمالك لائم

* * *

عد يا ابن زيد باللواء مظفَّرا   وانعم ، فبال محمد بك ناعم
هذا أبو بكر مشى فى صحبه   يلقاك مبتهجا ، وركبك قادم
هم هنّأوك ، وأنت أهل للذى   صنعوا ، وحسبك أن يُفيق النائم
اشكر صنيع الله يا شيخ الوغى   إن الذى عاب الغلام لنادم
حِبَّ الرسول لك البشارة ، إنه   شرف له فوق النجوم دعائم

ماذا يقول ذوو الخفيظة بعد ما   شكرت أمية ما صنعتَ وهاشم

عفوا فتلك حميّةٌ عربية   أعيا الأوائلَ عهـدها المتقادم

للمرء من نور الحقائق ما يرى   لا ما تريه وساوس ومزاعم

والناس عنـد فعالهم إن يفعلوا   خيرا ، فأحرار النفوس أعاظم

لا حكم للأنساب أو للسن فى   ما قال فيهم مادح أو واهم

* * *

فهرس